جامعة الأزهر



مجلة

كلية اللغة العربية

بإيتاى البارود

العدد الخامس عشر

١٤١٨ - ١٩٩٩

رئيس مجلس الإدارة والتحرير

أ.د. صبّاح عبيد دراز

عميد الكلية

التركى للكمبيوتر وطباعة الاوفست - طنطا



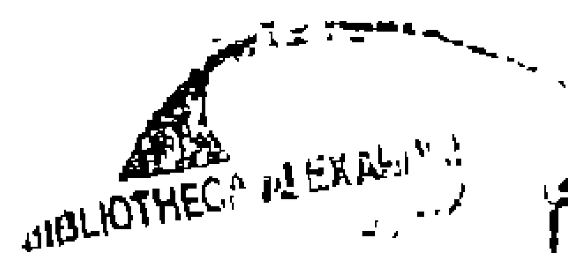
مجلة

كلية اللغة العربية

بايتاى البارود

العدد الخامس عشر

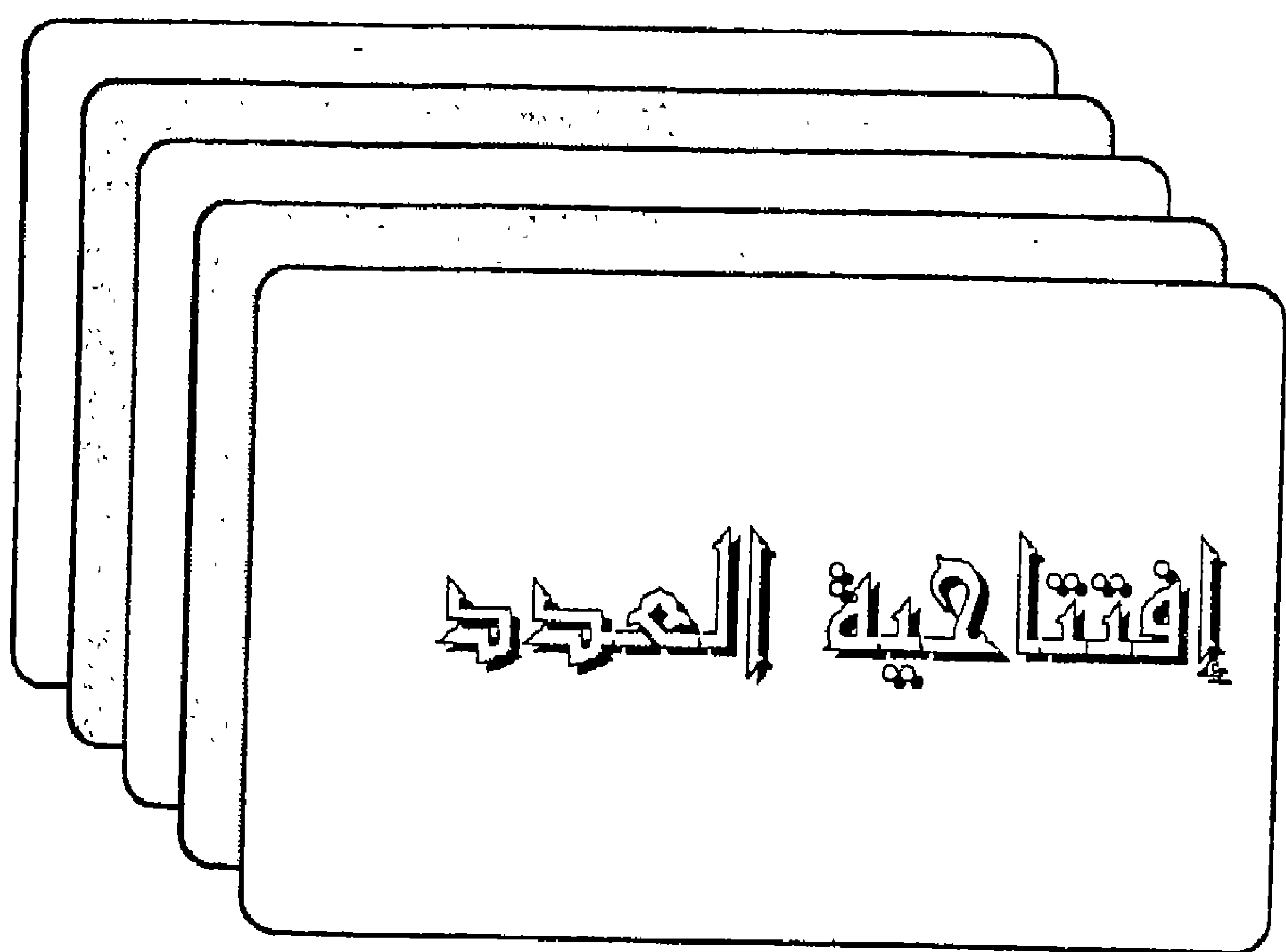
١٤١٩هـ-١٩٩٩م



بسم الله الرحمن الرحيم

"ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير"

صدق الله العظيم


افتتاحية العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، حمد الشاكرين، ونصلى ونسلم على سيدنا ومولانا محمد خير الخلق، وصفوة الرسل، وعلى آله وصحبه، ومن اتبع هداه.

وبعد ،،

فهذا عدد جديد من مجلة كليتنا الناهضة. نقدمه لقراء العربية، وللمتخصصين منهم، يضم بحوثا متنوعة من علوم العربية عرضت على لجان التحكيم من علماء الجامعة المتميزين ، فأحكموا أصولها، وشذبوا فروعها، لتبقى دائمة العطاء. سارية الاشعاع، تنضاف إلى ماينفع الناس، ويمكث فى الأرض.

وهى بحوث تمثل أفنانا من علوم العربية، من أسرار اللغة وفقهها، وفلسفتها ، ومن أصولها وقواعدها، ومن بلاغتها وأدبها ، ومن مواطن الجمال والجلال، التى بها كانت لغة القرآن العظيم.

وهذه اللغة الشريفة، منحها الله أسباب خلودها، فهى من داخلها المتمثل فى ثرائها اللفظى، وتراكيبها المتنوعة. وطواعيتها لوسائل التعبير الهائلة مهما عظم المتفننون، لغة «ديناميكية» فى حركة دائبة وتفاعل حى. وعطاء متنوع يحسن التعبير عن ذوات الشعراء والبلغاء التى تتعدد اتجاهاتها إلى درجة التقابل والتضاد.

وانظر كيف كانت فى أفواه شعراء الجاهلية فطرية نقية بيضاء ، وعند العباسيين متلونة متحضرة، معبرة عن عبقرية الشعراء الحادة؛ عند أبى تمام والمتنبى وأبى العلاء وكيف جزلت عند البارودى ، وتألقت عند شوقى وصارت ذويا مبهجاً كجمال الربيع عند نزار قبانى وقبله على محمود طه، وحسن اسماعيل، وابراهيم ناجى، إنها معطاءه وفية، حية دافئة ، مثلت الاتجاهات أو المدارس الفنية حتى العابث منها.

وقبل ذلك وبعده، اصطفاها الله رب العالمين ؛ معجزة معبرة عن رسالة خالدة، في القرآن الكريم؛ يهرم الزمان، ويتبدل المكان، وتتوالى القرون، وتنقضى الأجيال، والقرآن بكر ، يمد كل جيل وقبيل بما يجعله - إن شاء الله خير الأجيال.

ولغة بهذا الشرف وهذا القدر تتشوف إلى جهد جاهد، وعطاء دائب من العارفين من أبنائها ، فقد طفرت الدراسات طفرة هائلة فى ميادين الصوتيات، واللسانيات. ومناهج البحث ، وفنون القول. وأفادت المدارس النقدية والبلاغية والعلوم الانسانية بعامة من التقدم الهائل فى العلوم التطبيقية. وطفت فى المنظور اللغوى النقدى» مفاهيم واصطلاحات تشبه أن تكون اتجاهات للتعبير كالأسلوبية، والبنائية، والحداثة، ومابعد الحداثة ولكل ذلك مؤيد مندفع أو متحفظ أو دافع داحض.

ورأينا أن التطور الحقيقى للغة. ينبع من داخلها بما فيها من إمكانات، وماتعبر عنه من قيم ، وتراث حضارى عربى واسلامى، امتد ستة عشر قرنا من عمر الزمان، وأخطر مافيه هذا الوجه الاسلامى المتصل بخالقه على أسس نقية صلبة وهذا الوجه العربى المعبر عن خارطة الأعراف والتقاليد التى تمثل التراث الحضارى العربى.

المشكلة إذن تمثل التراث تمثلا ذكيا ، ودراسة المناهج والدرس المعاصر، والأخذ منه ، بما يجعل المسيرة متنامية متصلة. فى اتصال ودود تحيا فيه القيم العلمية والأدبية تحت فئ الاسلام متمثلا فى كتابه الخالد، القرآن الكريم.

وهى معركة نعدها أشرس المعارك التى يجب على كل عالم وأديب، أن يبلى فيها بلاء حسنا ، لأن الأمر فى النهاية صراع حضارات أو على الأقل تنافس حاد فى إثبات الأفضل والأقوم للبشرية.

ولايخلو عصر من دعاة الزيف والفتنة الذين يولون وجوههم شطر الغرب أو الشرق ويدافعون عن هذا الزيف بكل سلاح ويغيرون أقنعتهم. ويصطنعون لافتات خادعة والذين يتولون إصر هذا الافك مثل أدونيس وأتباعه، وبعض من يطلقون على أنفسهم دعاة التنوير، أهو التنوير القادم من أمريكا وإسرائيل أم التنوير الدامى . الخبيث الذى تزكم به الأنوف من الصرب وروسيا.

ولغة الخطاب تتمثل ذلك كله وأخطر منه، ولذلك تتعرض العربية لأشرس المعارك فى كل بقعة.

وأغرب ما فى الأمر أن تتنافس الحضارات والثقافات ممثلة فى اللغات إلى حد التدابر والغضب ، والنزال، بين الانجليزية ، والفرنسية والألمانية ثم لاتجد العربية من كثير من أبنائها إلا البلادة أو صمت القبور.

إننا نعد إحياء العربية ، وإهتمام الاعلام بها ، والحماسة لها والذود عن تراثها، والرد على خصومها رباط وجلاد فى سبيل الله وفى سبيل الوطن العربى الكبير وبما يمثله من من حضارة إسلامية يشع نورها دوماً إن شاء الله .

كما نعد القابعين على بعض كتب التراث، دون تطوير أنفسهم، والبحث المعرفى الدائب فى علوم المناهج والدلالة - واللسانيات والإفادة من التقدم التقنى الهائل. نعد ذلك وجهاً من وجوه الخيانة للأمة وانحيازاً إلى المتاحف الأثرية التى تقدم العبرة ولاتغنى عن الحاضر ولاتجلو وجه المستقبل .

هذه المعانى القليلة غيض من فيض نكابده، ونعيشه ونتنفشه فى روح أجيالنا العربية لتكون أبداً عربية .

إنه العلم والعكوف عليه والتمعن والتدقيق فى تراثنا الحضارى، كل حسب تخصصه لأن التراث تعنى المعارف والعلوم والفنون الإسلامية التى زهت وقدمتها الحضارة الإسلامية فى رحلتها الدفوق .

ثم التطلع بذكاء وبصيرة وإتقان إلى مايقدمه العالم المعاصر من علوم وفنون آخذين منها ما يناسب حضارتنا، وينميها ويجعلها أقدر على العطاء وعلى صياغة الوجدان العربى والفكر العربى بما يؤهله للصدارة وبذل الخير للعالم.

والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أ. د. **صباح عبيد دراز**

عميد الكلية

ورئيس مجلس الإدارة

قسم أصول اللغة

جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية
إيتاي البارود

العربية ترجمان العلم

(١) اللغة الطبية عند داود الأنطاكي
(ت ١٠٠٨هـ)

بقلم
أ.د/ أبو السعود أحمد الفخراني
أستاذ ورئيس قسم أصول اللغة

مقدمـــــة

أحمد الله، وأصلى وأسلم على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد

فيشرف قلمى الضعيف بالكتابة فى قضية مهمة من قضايا العربية، ألا وهى العربيـة والعلم، فى فتـرة يواجه فيـهـا أبناء العـربيـة المعـاصـرون أزمـة عربيتهم، التى تبدو فى عدة أمور، لعل من أهمها آلاف المصطلحات الوافدة، والانهزام النفسى والاستسلام للغات الأجنبية، حتى زعم الزاعمون أن العربية لغة أدبية فقط، وهى إن صلحت لأن تكون لغة فقه وأدب وشعر فإنها لاتصلح أن تكون لغة علم ولغة طب، لافتقارها إلى الألفاظ العلمية والتعابير الدقيقة التى تحتاج إليها العلوم المعاصرة!

وهذه صـرخـة- أقـوى بهـا صـرخـات الغـيـورين من قـبلى- أدفع بهـا هذا الاتهـام الموجـه إلى العـربيـة؛ لأن هذا الاتهـام لايكون إلا جـهـلاً بتـاريخ الأمـة، وعـدواناً على ثقـافتـهـا، فـقـد اسـتطاعت أن تواجـه علوم الأقـدمين فى القـرون الأولى، كـمـا اسـتطاعت أن تواجـه علـوم المحـدثين فى النصف الأول من القـرن التاسع عـشر قـبل أن يحكم الاحتـلال سـيطرته على معـاقل العربية في المشـرق والمغرب.

إن العـربيـة لم تمت ولـن تموت، وستظـل حيـة بتـراكيـبـهـا واشـتـقـاقـاتها وقـدرتها على الاستيعاب، وليس هذا فقط، وإنما ستظل حية بالقرآن العظيم المنزل بها، وبحياة أهلها الغيورين عليها إن شاء الله، وقد بز أسلافهم العالم في المضمار الحضارى والتقدم العلمي.

وهذه صفحات أقدمها لدراسة اللغة الطبيـة لعالم أديب؛ وشيخ حكيم، انتهت إليه رئاسة الطب فى عصره، استطاع بالعربية أن يقدم للفكر الإنسانى

أكبر موسوعة طبية تمثل الطب القديم أحسن تمثيل، إنه الشيخ الرئيس الحكيم الطبيب،داود بن عمر الأنطاكى (ت ١٠٠٨هـ)، فقد أحب العربية وأجاد اليونانية، فصير عربيته ترجماناً لعلم اليونان، كما كانت ترجماناً لعلوم الدنيا في سائر الأزمان، من يوم أن نزل القرآن.

وسوف أقدم لأبناء عربيتنا- الحاقدين قبل الغيورين- ما سجله شيخنا من آلاف الألفاظ الطبية المتصلة بالأدواء والأدوية، لنثبت أن تلك اللغة المفترى عليها ما عجزت يوماً عن مواكبة العلم وركب الحضارة، وندعو فى الوقت نفسه إلى إحياء ما أماته أبناؤها منها، سواء أكان هذا بعزلتهم عنها، أم عزلها عنهم فكراً ودرساً وتدريساً،، حتى زاحمتها اللغات الأجنبية على المستويين الاجتماعى والعلمى. وهذا البحث مخصص لألفاظ الأمراض (الأدواء)، ويتلوه إن شاء الله بحث آخر لألفاظ الأدوية .

أما التمهيد فيتناول التعريف بالحكيم الأنطاكى، وكتابيه (تذكرة أولى الألباب، والجامع للعجب العجاب) و(النزهة المبهجة فى تشحيذ الأذهان وتعديل الأمزجة)، والأخير بمثابة اختصار للأول، ثم أنهى التمهيد بالكشف عن الخطة التى انتهجتها فى دراسة لغة الحكيم.

وأما الباب الأول فأخصصه لمعجم ألفاظ الأمراض عند الشيخ الحكيم، ويقوم منهج إعداده على تصنيف الأمراض وفق اثنى عشر مجالاً طبياً هى :

أسماء أمراض العين- وأمراض الفم والأسنان واللثة واللسان والشفة- وأمراض الأذن والأنف وجهاز التنفس- وأمراض البطن: (المرئ والمعده والأمعاء والكبد والمرارة والطحال والقلب والجذام)- والحميات- وأمراض المسالك البولية- وأمراض التناسل- وأمراض العظام والمفاصل- والأمراض العصبية والنفسية- وأمراض الدم- والأمراض الجلدية- وأمراض النساء.

وأما الباب الثانى فأخصصه لدراسة كل مجال من هذه المجالات على حدة، لأقدم رؤية صرفية ومعجمية ودلالية لألفاظ كل صنف، ثم أذيل الباب بنتائج عامة مستخلصة من النتائج الجزئية.

أما الخاتمة فتتناول خلاصة البحث وتوصيات الباحث. ثم يتلوها الفهارس الفنية.

وبعد فإن كنت أصبت فالخير قصدت، وإن تكن الأخرى فحسبى أننى أخصلت واجتهدت.

«ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولاتحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولاتحملنا مالاطاقة لنا به، واعف عنها، واغفر لنا وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين». صدق الله العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم.

المؤلف

أ.د/ أبو السعود أحمد الفخرانى

القاهرة فى ٨ من ذى القعدة ١٤١٩هـ.

الموافق لـ ٢٤ من فبراير ١٩٩٩م

التمهيـــد

أولاً : الحكيم الأنطاكى

ثانياً : كتاباه (تذكرة أولى الألباب)

و(النزهة المبهجة)

ثالثاً : خطة دراسة لغة الحكيم الطبية

أولاً: الأنطاكي[1]

اسمه ولقبه- مولده وموطنه- أساتذته وتلامذته- ثقافته وأدبه- مؤلفاته- مذهبه ومعتقده- وفاته

اسمه ولقبه:

هو داود بن عمر، الأنطاكي، الشيخ، الإمام، الرئيس، الحكيم، الطبيب، الأكمه، الشهير بالبصير.

---

(١) رجعت في ترجمته إلى المصادر الآتية:

- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت ١٠١٧هـ): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون جـ٢/١٠٩٤، جـ٥/٣٦٢، دار الفكر ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ط بيروت.

شهاب الدين محمود الخفاجي (ت١٠٦٩هـ): ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا ص٢٧١-٢٧٢، الطبعة الأولى ١٢٧٣هـ.

أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب جـ٨/٤١٥-٤١٦ ط ١٣٥١هـ.

المحبي: محمد أمين بن فضل الله بن محب الله بن محمد الحموي الدمشقي (ت ١١١١هـ): خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر جـ٢/١٤٠-١٤٩ دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

ابن معصوم: السيد علي صدر الدين المدني (ت ١١١٩هـ): سلافة العصر في محاسن الشعراء لكل مصر ص ٤٢٨-٤٣٠، الطبعة الثانية ١٣٨٢هـ الدوحة.

محمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ): البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع جـ١/٢٤٦، ترجمة رقم ١٦٦، الطبعة الأولى ١٣٤٩هـ. السعادة.

إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين (أسماء المؤلفين وآثار المصنفين)، جـ١/٣٦٢ استانبول ١٩٨١م، وبيروت.

جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية جـ٣/٣٥٦-٣٥٧ط ١٩٨٣م بيروت. =

مولده وموطنه :

تشير معظم المصادر إلى أن الحكيم ولد بأنطاكية[١]،ويشير بعضها إلى أنه ولد بـ«فنوعه»[٢]، ثم انتقل به والده إلى أنطاكية. ولم تحدد المصادر التى رجعت إليها السنة التى ولد فيها، وأرجح أنه ولد عام ٩٤٢هـ- ١٥٣٣م لأن معظم المصادر أرخت وفاته فى عام ١٠٠٨هـ -١٥٩٩م. وذكر بعضها أنه توفى فى هذه السنة عن ست وستين سنة.

وقد نشأ الحكيم فى قرية «سيدى حبيب النجار» بأنطاكية، ثم انتقل منها إلى الشام[٣]، ومنها إلى مصر. يقول الحكيم :

= د. أحمد عيسى: معجم الأطباء ص ١٨٥-١٩٥، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، دار الرائد العربى، بيروت.

- خير الدين الزركلى: الأعلام جـ٢/٣٣٣-٣٣٤، ط. بيروت.

- عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين جـ٤/ ١٤٠، ط. بيروت.

(كما ترجم له العاملى فى أعيان الشيعة ٣٠/١٨٤-١٩٠).

(١) أنطاكية بتخفيف الياء، مدينة من الثغور الشامية، معروفة. قال اللغويون: كل شئ عند العرب من قبل الشام فهو أنطاكى. انظر: عبد الله بن عبد العزيز البكرى الأندلسى (ت٤٨٧هـ): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع جـ١/ ٢٠٠ تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب.
وقد أسس أنطاكية أحد قواد الإسكندر الأكبر وهو سلوقس وسماها باسم أبيه أنطيوخس، وجعلها ضمن مملكته السورية، وكانت المدينة الرائدة فى نشر الثقافة اليونانية.
راجع كتابنا: فى فقه العربية ص١٥٨ الطبعة الثانية ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

(٢) هى بضم الفاء، قرية كبيرة من نواحى حلب. انظر: صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادى (ت٧٣٩هـ) مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع تحقيق على محمد البجاوى، دار الباز بمكة، الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.

(٣) تشير بعض المصادر إلى أنه رحل من أنطاكية إلى الأناضول ثم إلى دمشق فالقاهرة فمكة. انظر : جرجى زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية ٣/ ٣٥٦، وعمر رضا كحالة: معجم المؤلفين ٤/ ١٠٤.

«... جرت الأقدار بما جرت، وخلت الديار من أهلها، وأقفرت بتنكرها على لانتقال والدى، واعتقال ما أحرزته يدى من طريفى وتالدى، فكان ذلك داعية المهاجرة لديار مصر والقاهرة».

وفى طريقه إلى القاهرة مر على الشام وسواحله، يقول :

«فخرجت عن الوطن فى رفقة كرام، نؤم بعض المدن من سواحل الشام، حتى إذا صرت فى بعض ثغورها المحمية دعتنى همة علية أو علوية أن أصعد منه جبل «عاملة» فصعدته منصوبا على المدح وكنت عاملة، وأخذت من مشايخها ما أخذت، وبحثت مع فضلائها فيما بحثت، ثم ساقتنى العناية الإلاهية إلى أن دخلت حى دمشق المحمية فاجتمعت ببعض مشايخها من مشايخ الإسلام... ثم لم ألبث أن هبطت إلى مصر..».

ثم لم يزل الحكيم متديراً الديار المصرية يرتع بربوعها النضرة المعزية إلى أن حدى به حادى المسير وزمزم، وناداه منادى الحرم فلبى وأحرم، وأقام بمكة دون سنة إلى أن وافته المنية.

شيوخه وتلامذته :

لم تحدد معظم المصادر التى رجعت إليها فى ترجمته أسماء الشيوخ الذين كان لهم الفضل- بعد الله عز وجل- فى علم الحكيم ومنزلته.

وتشير بعضها إلى أنه أفاد من رجل، وصفه الحكيم بأنه «من أفاضل العجم، ذو قدر منيف، يدعى بمحمد شريف»، وكان قد نزل هذا الرجل من رباط اتخذه والد الحكيم للواردين، يقول الحكيم :

«فبعد أن ألقى فيه عصا التسيار، وكان لا يألف منزلاً كالقمر السيارة، استأذنه بعض المجاورين فى القراءة عليه، وابتدأ فى بعض العلوم الإلهية، فكنت أسابقه إليه..» إلى أن قال :

«فابتدأت عليه بقراءة المنطق، ثم أتبعته بالرياض، فلما تم شرعت فى الطبيعى، فلما أكملت اشرأبت نفسى لتعلم اللغة الفارسية، فقال : يابنى، إنها سهلة لكل أحد، ولكنى أفيدك اللغة اليونانية، فإنى لا أعلم الآن على وجه الأرض من يعرفها أحد غيرى، فأخذتها عنه، وأنا بحمد الله تعالى الآن فيها كهو إذ ذاك، ثم مابرح أن سار كالبدر يطوى المنازل لدياره، وانقطعت عنى بعد ذلك سيارة أخباره».

وكان هذا الشيخ الأعجمى سببا فى شفاء الحكيم داود من مرض لازمه فى طفولته إذ يقول عن نفسه :

«ثم إنى بلغت من السن عدد سيارة النجوم وأنا لا أقدر أن أنهض ولا أقوم، لعارض تحكم فى الأعصاب، منع قوائمى منه حركة الانتصاب».

ثم تحدث عن قدوم الشيخ محمد شريف ونزوله رباط والده، وقال :

«فلما رأى- أى الشيخ محمد- منى ما رأى، استخبر ممن هناك عنى فأجبته، ولم يكن هناك غير الدمع سائلا ومجيبا، فعند ذلك اصطنع لى دهنا مسدنى به في حر الشمس، ولفنى بلفافة من فرقى إلى قدمى حتى كدت أفقد عنده الحس، وتكرر ذلك منه مراراً ممن غير فاصل، فتمشت الحرارة الغريزية كالحميا فى المفاصل، فبعدها شد من وثاقى، وفصدنى فى عضدى وساقى، فقمت بقدرة الواحد الأحد بنفسى لا بمعونة أحد، ودخلت المنزل على والدى فلم يتمالك سروراً، وانقلب إلى أهله فرحاً مسروراً، وضمنى إلى صدره، وسألنى عن حالى، فحدثته بحقيقه ما جرى لى، فمشى من وقته إلى الأستاذ، ودخل حجرته، وشكر سعيه، وأجزل عطيته، فقبل منه شكره، واستعفاه بره، وقال : إنما فعلت ذلك لما رأيت فيه من الهيئة الاستعدادية بقبول ما يلقى إليه من العلوم الحقيقية...الخ»[1].

---

(١) انظر: المحبى: خلاصة الأثر ١٩٠، د. أحمد عيسى : معجم الاطباء ١٨٨-١٨٩.

كما تشير بعض المصادر إلى أن الحكيم حين دخل دمشق اجتمع ببعض مشايخها من مشايخ الإسلام كأبى الفتح محمد بن محمد بن عبد السلام، والامام الغزى العامرى، وعلاء الدين العمادى».

ولما رحل الشيخ من مصر إلى مكة كان يحضر مجلس والد الشيخ عبد العزيز الزمزمي، وكان الشيخ عبد العزيز رئيس المؤذنين بمكة.

وأما تلامذته فليسوا بأحسن حظا من أساتذته، فلم أعثر منهم إلا علي اثنين:

الأول: هو الشيخ شهاب الدين محمود الخفاجي (ت١٠٦٩هـ)، إذ يقول في ريحانته :

«وكنت قرأت عليه الطب وغيره فى سن الصغر، فسمعت ما يغار له نسيم السحر، ويطرب من لطفه نغمات الوتر، ينثر فيه نثار العلوم على عرايس المنثور، والمنظوم».

والآخر: هو الشيخ أبو المعالى درويش الطالوى، مفتى دمشق، يقول عن ملازمته الحكيم :

«فما زجته امتزاج الراح بالماء القراح، ولزمته لزوم الظل فى الغدو والراح، فلما استشف غيب باطنى من الظاهر، واستشرف بقوة حدسه عما تكن السرائر، سمح لى بشئ من بعض علومه العربية، وأخصنى بدقائق حكمه العجيبة بما لو انتظم فى سلك البيان لسحر، أو ظهر عين الناظرين لبهر.

فإن كنت سهل القود فاطو حديثه   على كل طاو من جياد العزائم
وإلا فلا تعرض له فسبيله   أشق وأنأى عن طريق المكارم

هذا ولم أزل مدة إقامتى بمدينة القاهرة أرود حماه... تارة بالظاهرية مجمع إناسه، وأخرى بربع قيسون مربع إيناسه، ممليا على فيه من لطائف أسماره، وطرائف نكته البديعة من نوادر أخباره..».

ويقول الطالوى أيضاً:

«وأجازنى إجازة طنانة».

وأوردها فى كتابه «السانحات»[١].

ثقافته وأدبه:

قال الشيخ الخفاجى من علم أستاذه الحكيم: «له فى كل علم سهم مصيب، ومنطق محلى بتهذيب التهذيب».

وقال ابن معصوم «أعمى فائداه التوفيق والتسديد، محجوب كشف عنه غطاؤه فبصر ذكائه حديد، أدرك ببصيرته ما لم تدركه أولو الأبصار، وقطن بمصر فسار صيته فى الأمصار، جمع فنون العلم جمعا، أصبح به علماً فردا، وسرد متونه وشروحه عن ظهر قلب سردا».

وقال المحبى:

«وقد ذكره البديعى في «ذكرى حبيب» فقال في وصفه: ضرير، ماله فى العلوم الحكمية نظير، وطبيب ماله فى الأزمنة الغابرة ضريب».

كما قال المحبى:

«وكان ملازما لكتاب إخوان الصفا وخلان الوفا للمجريطى، ولكتابيه رتبة الحكيم وغاية الحكيم، ومن كتب الشيخ القانون،والشفا، والنجاه، والحكمة الشرقية، والتعليقات، ورسالة الأجرام السماوية، والإشارات، مع شرحه لنصير الدين الطوسى، وللإمام فخر الدين الرازي، والمحاكمات بينهما لقطب الدين الرازى، وحواشيه للسيد، ومن كتب السهروردى المشارق، والمطارحات، وكتاب التلويحات، وشرحه لهبة الله البغدادى».

كما قال عنه أيضا:

---

(١) انظر: ابن العماد: شذرات الذهب ٦ ٤١ .

«المتفرد بعلوم الأوائل، شيخ العلوم الرياضية، سما الفلسفة والعلوم الحكمية، وعلم الأبدان، القسيم لعلم الأديان، فإن بلغ فيه الغاية التى لاتدرك، وانتهى منه إلى الرتبة التى لاتكاد تملك، مع فضل فى جميع العلوم ليس لأحد وراءه فضله، وعلم لم يحو أحد فى عصره مثله، وأدب يغض منه الناظر، ويحار فى وصفه الفكر والخاطر».

وكان يقول عن نفسه- كما ذكر الخفاجي والمحبى:

«لو رآنى ابن سينا لوقف ببابى، أو ابن دنيال لاكتحل بتراب أعتابى».

وكان الحكيم قد حفظ القرآن فى صغره، وكفى مقدمات تثقيف اللسان، كما روى أبو المعالى الطالوى عنه.

وبجانب حفظه للقرآن وقراءته للمنطق والفلسفة والرياضيات والطبيعيات درس اللغة اليونانية فأحكمها كما سبق فى أثناء الحديث عن شيوخه.

وقد انتهت إلى الحكيم رياسة الأطباء فى زمانه، وكان له حجرة بالمدرسة الظاهرية اتخذها لاجتماعه بالناس، ومداوة أصحاب البأس.

وللحكيم شعر كثير، لكن لم يذكر الذين ترجموا له إلا أبياته المشهورة كما يقول المحبى.

ومما سمعه تلميذه الخفاجي من شعره قوله :

من طول أبعاد ودهر جائر ومسبس حاجات وقلة منصف
ومغيب إلف لا اعتياض بغيره شط الزمان به فليس بمسعف
أواه لو حلت لى الصهباء كى أنشا فأذهل عن غرام متلف[1]

---

(١) من الكامل.

وقد عقب عليها بقوله : وهو كقول شيخ المعرة :

تمنيت أن الخمر حلت لنشــوة　　فتذهلني كيف اطمأنت بى الحال
فأذهل أنى بالعراق علي شفى　　ردئ الأمانى لا أنيس ولا مال[١]

وقد ذكر المحبى الأبيات الثلاثة التى سمعها الخفاجى من أستاذه الحكيم.

أما ابن معصوم فقد ذكر للحكيم أشعاراً أخرى، وصدرها بقوله :«وها أنا أملى عليك من أبكار شعره وعونه ومحاسن قريضه وعيونه ما يروق، وتستهدى لمعانه البروق».

ثم ذكر قوله :

بروحى أفى من خلتها حين أقبلــت
على أثر حزن تنثر الدمع فى الخــد
قضيبا من الكافور يمطــر لؤلــؤاً
من النرجس الوضاح فى فرش الــورد[٢]

وقوله :

نظرت إليها والسواك قد ارتــوى　　بريق عليه الطرف منى باكــى
تــردده مــن فــوق در منظــم　　سناه لأنوار البروق يحاكــى
فقلت وقلبى قــد تفطــر غيــرة　　أيا ليتنى قد كنت عــود أراك
فقالت : أما ترضى السواك؟ أجبتها　　وحقك مالى حاجة بســواك[٣]

وقوله :

(١ . ٢ . ٣) من الطويل .

لقد فقت أرباب المحاسن كلهم وزدت عليهم بالرشاقة والعقـل
فمذ أعجب المغتاب شئ يقوله رماك بأوصاف القطيعة والبخـل
فلا تثبتى بالهجر زور مقالـه ولكن صلينى أو عدينى بالوصل
ولا تمطلى بالوعد شيـاً معذبـاً وإن قيل إن الشئ يعذب بالمطل(١)

وقوله :

أقول لها هل تسعفين بـزورة مريضا كواه البين بالهجر والسقم
فقالت إذا ما فارق الروح زرته لأن محالاً جمع روحين في جسم(٢)

وقوله فى الجناس:

هواك مازج روحى قبـل تكوينـى
وأنت ظلما بنار الهجر تكوينى
صبرت فيك على أشيـاء أيسرهـا
ذهاب نفسى وقوم عنك تلوينـى
وكلما قلت صحـت لـى محبتهـا
أرى ودادك ممزوجـاً بتلوينـى
قد حل عقد اصطبارى طول هجرك لـى
وليس غير وصال منك يبرينـى
إذا شممت شـذا ريـاك منتشقـا
فما نسيم أتى من نحو يبرين(٣)

وقوله :

أفدى فتاة فتنت مهجتـى وقد أذيب القلب من صدهـا
مالى وللدنيا إذا لم تـزر وليس يحلو العيش من بعدهـا

(١ ، ٢) من الطويل.

(٣) من البسيط.

يقول لى الأسى وقد راعه ... ما بفؤادة من جوى بعدها
خذ ماء ورد ولسان معاً ... واشربه بالماء ذى من شهدها
قد صدق الأسى فهذا الدوا ... هو الشفا لو كان من عندها
بأن يكون الشهد من ثغرها ... يجنى وماء الورد من خدها[(١)]

وقوله موجهاً بأشكال الرمل[(٢)]:

سألتها عن بياض ... فى وجنتيها وحمرة
إذا طريق اجتماع ... قالت ورأيه فصرة

وقد عقب ابن معصوم على هذين البيتين قائلا : وأحسن منه قولي:

وذو هيف مازال بالرمل مولعاً ... إذا ما سألت الوصل منه تبلدا
ووشى نقد الخد منه بحمرة ... نقلت طريق للوصال تولدا[(٣)]

مؤلفاته:

خلف حكيمنا تآليف كثيرة فى الطب وغيره، وكان معظمها فى الطب، «فله فيه مؤلفات حرر مطولاتها بباع غير ذي قصر، وهذب موجزاتها ففاقت كل مبسوط ومختصر» كما يقول ابن معصوم[(٤)] وهذا ثبت بمؤلفاته كما دونتها المصادر التي ترجمت له ورجعت إليها :

---

(١) من الرجز.

(٢) الرمل عند العرب عبارة عن الشعر الموصوف بالبناء والنقصان عن الأصل، وعامة المجزوء يجعلونه رملاً، والأبيات المذكورة من البحر المجتث، وهو مجزوء وجوباً. راجع معنى الرمل فى لسان العرب (رمل).

(٣) من الطويل.

(٤) انظر سلافة العصر ص ٤٢٨.

- استقصاء الملل ومشافي الأمراضى والعلل[١].
- ألفية فى الطب.
- بغية المحتاج إلى معرفة أصول الطب والعلاج[٢].
- بهجة الناظر.
- تذكرة أولى الألباب فى الجامع للعجب العجاب فى الطب.
- تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق[٣].
- تشحيذ الأذهان، وهو اختصار لكتاب التذكرة.
- الدرة المنتخبة فيما صح من الأدوية[٤] المجربة.
- رسالة تتعلق بالسن الثالث إلى آخر العمر[٥].

(١، ٢) ذكرهما فى مقدمة كتاب التذكرة ص ٣٠ دار الفكر، ومن البغية نسخة خطية في دار الكتب رقم ٥٩٢٤ خط ١٢٦٤هـ.

(٣) هذا الكتاب فى الأدب، وهو مطبوع بمصر فى سنتى ١٢٨١، ١٣٠٨هـ وغيرهما، وقد فصل المؤلف فيه أحوال العاشقين، وذكر من استشهد منهم وما أصابهم من العجائب والغرائب، وهو مبني على كتاب السراج البغدادى «مصارع العشاق». انظر: جرجى زيدان: آداب اللغة العربية ٣٥٧/٣ .

(٤) ذكر حاجى خليفة فى كشف الظنون ص ٧٤٤ «الأغذيه» مكان «الأدوية»، ونسب الكتاب إلي محمد بن أحمد الصونى، ثم نقل عن صاحب خلاصة الأثر نسبته إلى داود الحكيم.

(٥) طبعت فى آخر الجزء الثالث من التذكرة وهو الذيل (من ص ٢٠١-٢٠٤) ط ١٣٧٢هـ.

- رسالة فى الحمام.
- رسالة فيما يتعلق بالسفر (من المسائل الطبية).
- رسالة في علم الهيئة.
- زينة الطروس فى أحكام العقول والنفوس.
- شرح أبيات السهروردى، التى أولها :

خلقت هياكلها بجرعاء الحمى وصبت لمقتنها القديم تشوقا

- شرح القانون لابن سينا، فى الطب[1].
- شرح نظم القانون[2].
- طبقات الحكماء[3].
- غاية المرام فى تحرير[4] المنطق والكلام.
- قواعد المشكلات[5].
- الكحل النفيس لجلاء عين الرئيس، وهو شرح لقصيدة ابن سينا فى النفس والروح، والمعروفة بالعينية، وأولها :

---

(١) ذكر فيه أنه تكفل بحل جل هذه الفنون واستقصاء المباحث الدقيقة بحيث لم يحتج مالكه إلى كتاب سواه. انظر : حاجى خليفة: كشف الظنون ١٣١٣، ومقدمة كتاب التذكره ص٣.

(٢) ذكره فى مقدمة كتاب التذكرة ٣ , ٩

(٣) ذكرة فى مقدمة كتاب التذكرة ص٢٠.

(٤) هذا عند المحبى وكحالة، وقال المحبى : هذا الاسم للإمام الآمدى، له كتاب سماه: «غاية المرام فى علم الكلام» الخلاصة ١٤٦. وذكر الزركلى «تحرير» بدل «تجريد». وذكر حاجى خليفة واسماعيل البغدادى، د. أحمد عيسى الكتاب بعنوان : غاية المرام في تفاصيل السعادة بعد انحلال الظلام. انظر : كشف الظنون ٥/٣٦٢، وهدية العارفين ١/٣٦٢، ومعجم الأطباء ١٩٢.

(٥) ذكرها فى أول التذكرة.

هبطت إليــك من المحل الأرفــع

- كفاية المحتاج في علم العلاج.
- لطائف المنهاج في الطب[١]، ألفه بمكه.
- مجمع المنافع البدنية.
- مختصر القانون لابن سينا[٢].
- نزهة الأذهان في طب[٣] الأبدان، (جمع فيها الأهم من قواعد الطب).
- النزهة المبهجة في تشحيذ الأذهان وتعديل الأمزجة في الحكمة الإلهية[٤].
- نظم القانون جك، لابن سينا[٥].

مذهبه ومعتقده:

ذكر الشهاب الخفاجي- ونقله عنه المحبى وغيره- أن الأنطاكي كان على مذهب الحكماء، ومشرب القدماء، ولذا كثر كلام الناس في اعتقاده، ونقل عنه رشح قطرات من خفي إلحاده، ثم لما كثر اللغط فيه ارتحل إلى البيت العتيق.

وذكرت بعض المصادر أن الأنطاكي كان شيعيا، يقول المحبي:

(١, ٢) ذكرها في أول التذكرة.

(٣) ذكر د. أحمد عيسى والزركلي «إصلاح»، ومنها نسخة خطية بعنوان «نزهة الأذهان في طب الأبدان» في دار الكتب رقم ٤٣١١٤، وفيها أيضاً عدة نسخ خطية بعنوان «نزهة الأذهان لإصلاح الأبدان» في دار الكتب، كتبت واحدة منها سنة ١١٤٦هـ. (انظر فهارس دارالكتب ص٢٤٣٤).

(٤) طبعت على هامش التذكرة، انظر مثلا طبعة ١٣٢١هـ.

(٥) انظر: حاجي خليفة: كشف الظنون ص ١٣١٣، وذكر في جـ٥/ ٣٦٢ واسماعيل البغدادي في هدية العارفين أنه نظم القانونية للجقميني.

«قد رأيت مدين القوصوني قد ترجمه وجزم بأنه شيعي، وعبارته في

حقه هكذا :

وكان شيعيا مخالفا لعقيدة الأشعرية، وهم الذين يثبتون لله صفات قديمة ويثبتون الإمامة بالاتفاق والنص، وموافقاً لعقيدة الشيعة، وهم بايعوا عليا وقال بإمامته نصا ووصية..فكم له من اعتقادات فاسدة وأقاويل كاذبة.. إلخ»(١).

ودافع عنه بعض من ترجموا له ومن يعرفه عن قرب :

قال المحبى قبل أن يسوق كلام القوصونى السابق الذكر :«قلت : وله في التذكرة فصل عقده لدعوة الكواكب، وهو الذى فتح عليه باب الوقيعة حتى استهدفه كثير من الناس بسهام الذم بذكر مناجاة الكواكب والسجود لها»، ثم قال :

«وفيه إخلال بنواميس شرعنا لايملكه إلا من يخرقه، وحاشا أن مثل هذا الأستاذ يرضى لنفسه خرق الشريعة، وإنما ذكر مثل هذا فى كتابه ليكون مشتملا على فنون شتى».

كما ينقل المحبى عن مفتى دمشق أبى المعالى درويش الطالوى، الذى لازم الشيخ وخبره عن قرب قوله:

«وأما فرقه من المعاد، وخشيته من رب العباد فلم تر لغيره من أهل هذا الطريق وأصحاب أولئك الفريق، وكثيراً ما يتمثل بهذين البيتين،وهما لعبد الله طاهر بن الحسين :

إلام تطيلى العتب فى كل ساعة
فلم لاتملين القطيعة والهجرا
رويدك إن الدهر فيه كفاية
لتفريق ذات البين فانتظرى الدهرا(٢)

---

(١) انظر تفاصيل ذلك عند المحبى: خلاصة الأثر، د. أحمد عيسى: معجم الأطباء ص ١٨٦-١٨٧.

(٢) انظر: المحبى: الخلاصة ١٩٠.

كما رأى المحبي في رحلة الشيخ عبد الله العياشي المغربي[١] أن الشيخ عبد العزيز الزمزمي- رئيس المؤذنين بمكة- أخبره أن الشيخ داود كانت له وجاهة عظيمة عند أمراء مكة، ثم ذكر قول الشيخ الزمزمي:

«وكان يحضر مجلس والدي في التدريس، وكان الوالد يجله، وكنت أنا في نفسي أبغضه وأستثقله، وأعاتب الوالد على إجلاله إياه وتعظيمه، وأقول : كيف تجل رجلا فيلسوفيا من شأنه كذا وكذا، فيقول لي: إن الرجل من حكماء الإسلام، وله مهارة في العلوم العقلية، وعقيدته سليمة، وله وجاهة عند الدولة، وقديما قيل :

وما عجب إكرام ألف بواحد بعين تفدّه ألف عين وتكرم

ويذكر الشيخ الزمزمي أنه مرض وعالجه الحكيم داود.

وقد دافع ابن معصوم عن الحكيم ورأى أن الحسدوراء هذه التهمة، إذ يقول :

«وكان قد هاجر في ابتداء حاله إلى مصر فباهي ببحر علم نيلها، وأنال أهلها فواصل فضل ما كان سواه لينيلها، حتى دب داء الحسد في علمائهم، وثقلت وطأته على هام عظمائهم فرموه بالإلحاد وفساد الاعتقاد، وزعموا أنه يرى رأى القدماء من الفلاسفة والحكماء، ويعتقد أن العالم قديم».

كمادافع عنه تلميذه الذي أكمل نقص تذكرته (كما سيأتي)، ونبه على «كلمات سطرت عن الشيخ في بعض مواطن، ذكرها الشيخ على سبيل الحكاية أو على فقد غيرها إذا لم يوجد، كقوله في الخمر:مفرح لايوجد مثله، محمول على إنقاذ الروح، حيث لم يوجد ما لاينقذ الروح غيره، كإساغة اللقمة

---

(١) صاحب فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار أهل القرن الحادي عشر.

به، وكقوله : ينفع لكذا، مراعيا فيه بإذن الله تعالى وإن لم يصرح به، وكقوله فى الطلاسم: افعل لى كذا » وقال :

« وأما قوله : « واسجد » فمدسوس عليه، أو على سبيل الحكاية كما تقدم، أو يؤول، فلا تعتديا أخى بما ذكر فى حقه من الإلحاد وغيره، و لتعلم يا أخي وتعتقد أن الأدوية والأغذية وسائر المفردات والمركبات ليس فى طبعها ولا قوتها أن تجلب نفعاً ولاتدفع ضررا، وإنما الله سبحانه وتعالى هو الفاعل المختار، والنافع الضار، يحدث عند تعاطيها النفع والضرر عادة، وقد تتخلف » (١).

رحم الله الشيخ الحكيم، لقد أثنى على ذكائه كل من ترجموا له، فقال عنه تلميذه الخفاجي :

« ضرير بالفضل بصير، كأنما ينظر ما خلف ستارة الغيب بعين فكر خبير، لم تر العين مثله، بل لم تسمع الآذان، ولم تحدث بأعجب منه مسائل الركبان.. فسبحان من أطفأ نور بصره، وجعل صدره مشكاة نور، فإنها لاتعمى الأبصار، ولكنه تعمى القلوب التى فى الصدور ».

وحكى له المترجمون عجائب لاتحصى وغرائب ولاتستقصى، ومما ذكره المحبى من ذلك قوله :

« أخبرنى من أثق به بالقاهرة المعزية قال : كان له - أى لداود الحكيم - حجرة بالمدرسة الظاهرية، اتخذها لاجتماعه بالناس ومداواة أصحاب الباس، فورد عليه فى بعض الأيام رجل من الأجناد مجهراً بالسلام، فمذ سمع سلامه عرف مرامه، وقال : اذهب فلا شفي الله لك علة، ولا برد له غلة، تشرب الخمر،

---

(١) انظر مقدمة ذيل التذكرة، وهو جـ٣/ ص ٢-٣.

وتفعل ذلك الأمر، حتى يحدثا لك هذا الداء، وتأتي الضرير تروم منه الدواء، ثم استتابه وشفاه من دائه بعد ما أشفاه، وما فهم كنه علته إلا من تحرك شفته».

وفاته:

تعددت الأقوال في تاريخ وفاة حكيمنا، فقيل توفي في ١٠١١هـ، أو ١٠٠٩هـ، أو ١٠٠٨هـ، أو ١٠٠٧هـ، أو ١٠٠٦هـ، أو ١٠٠٥هـ أو ٩٨٩هـ، أو في حدود ٩٩٠هـ.

ولكن الراجح أنه توفي في ١٠٠٨هـ، فقد ذكر حاجي مرة أن وفاة الحكيم كانت في ١٠٠٥هـ[1]، ومرتين في ١٠٠٦هـ، ويؤيده المحبي[2]، وست مرات في ١٠٠٨هـ[3]. ويؤيده إسماعيل البغدادي، وجرجي زيدان، د. أحمد عيسى، وكحالة، والزركلي.

وانفرد ابن معصوم وحده بالتأريخ لوفاته في ١٠٠٩هـ، والشوكاني في ١٠٠٧هـ، وابن العماد في ٩٨٩هـ ظنا كما قال، أما ١٠١١هـ فقول جاء في هامش شذرات الذهب وزعم ناقله أن هذا تحقيق، وكذا نقل عن الكواكب أن وفاته في حدود ٩٩٠هـ، وكانت وفاة الحكيم في مكة المكرمة عن ست وستين سنة.

وأما سبب الوفاة فكان الإسهال عن تناول عنب كما يذكر المحبي وغيره، وقال المحبي: وبعضهم يزعم أنه سم، والله أعلم.

---

(١) كشف الظنون ص ٣٨٦.

(٢) السابق ١٠٠٦، ١٣١٣، ١٥٥٥.

(٣) السابق ٧٤٤، ١٣٤٢، ١٣٦٠، ١٣٣٩، ١٩٤٦، جـ٥/٣٦٢.

ثانياً: تذكرة داود ونزهته

أ) التذكرة:

(اسمها- سبب تأليفها- الخطة التي تسير عليها- مصادرها- تاريخ تدوينها- شهرتها وذيوعها):

اسمها :

تذكرة أولي الألباب، والجامع للعجب العجاب، وتعرف بتذكره داود، أو تذكرة الأنطاكي.

سبب تأليفها :

ذكر الحكيم في مقدمة التذكرة تفاضل أفراد النوع الإنساني بعضها بعضا، وأن هذا التفاضل لايكون إلا بقدر تحصيلها من العلوم التي بها يظهر تفاوت الهمم، وبخاصة ما كثر الاحتياج إليه منها وعم الانتفاع به، وأن هذا محصور في متعلق الأديان والأبدان.

ورأى أن الدين مشيد الأركان وثابت البنيان، أما الآخر فرآه «قد نبذ ظهريا، و جعل نسيا منسيا، وتوازعه الجهلاء، فتماروا بنقله، وانتسب إليه من ليس من أهله، فترتب على ذلك من الفساد ما أقله قتل العلماء القائمين بالسداد».

ثم ذكر أنه ممن أنفق في تحصيله برهة من نفيس عمره «فأتى البيت من بابه، وتسنم من هذا الشأن أعلى هضابه، فقرر قواعده ورد شوارده وأوضح دقائق مشكلاته، وكشف للمتبصرين وجوه معضلاته، وألف فيه كتبا مطولة، تحيط بغالب أصوله، ومتوسطة تتضمن غالب تعليله، ومختصرة لتحفظ، ونظماً يحيط بالغميض».

ثم ذكر بعضا من مؤلفاته فى هذا الميدان، وخص الشرح الذى وضعه على نظم القانون بالثناء، ثم ذكر أنه عن له ألا يكتب بعده فى هذا الفن مسطوراً، ولا يدون دفتراً ولامنشوراً، إلى أن انبلج صدره بكتاب التذكرة، الذي وصفه بأنه «كتاب غريب، مرتب على نمط عجيب لم يسبق إلى مثاله، ولم ينسج ناسج على منواله، ينتفع به العالم والجاهل، ويستفيد منه الغبى والفاضل، قد عرى عن الغوامض الخفية، وأحاط بالعجائب السنية، وتزين بالجواهر البهية، وجمع كل شاردة، وقيد كل آبدة، وانفرد بغرابة الترتيب ومحاسن التنقيح والتهذيب، لم يكلفنى أحد سوى القريحة بجمعه، فهو إن شاء الله خالص لوجهه الكريم، مدخر عنده جزيل نفعه، بالغت فيه بالاستفضاء واجتهدت فى الجمع والإحصاء، راجياً بذلك- إن وفق الله لميل القلوب- نصح كل واقف عليه»[1].

كما رأى الحكيم أن حاجة المسلمين إلى هذا الفن عامة، فقد ذكر أن هذا الطب كان من علم الملوك «حتى جاء أبقراط فبذله للأغراب، فحين خرج عن آل اسقلميوس توسع فيه الناس حتى تعاطاه أراذل العالم كجهلة اليهود، فرذل بهم ولم يشرفوا به... هذا على أنه قد يكون لباذل العلم مقصد حسن فلم يؤاخذه الله بما امتهنه بناء على قول صاحب الوجود عليه أفضل الصلاة والسلام «إنما الأعمال بالنيات»، فقد نقل إلينا أن أبقراط عوتب فى بذله الطب للأغراب فقال : رأيت حاجة الناس إليه عامة، والنظام متوقف عليه، وخشيت أنقراض آل اسقلميوس ففعلت ما فعلت»، ثم قال الحكيم :

«ولعمرى قد وقع لنا مثل هذا فإنى حين دخلت مصر ورأيت الفقيه الذى هو مرجع العلوم الدينية يمشى إلي أوضع يهودى للتطبب به، فعزمت على أن

---

(١) انظر مقدمة التذكرة ص٢-٣.

أجعله كسائر العلوم يدرس ليستفيد منه المسلمون، فكان فى ذلك وبالى، ونكد نفسى وعدم راحتى من سفهاء لازمونى قليلاً، ثم تعاطوا التطبب فضروا الناس فى أبدانهم وأموالهم،وأنكروا الانتفاع بى وأفحشوا فى أفاعيلى، أسأل الله مقابلتهم عليها».

وهكذا أراد الحكيم بتذكرته أن يحيى فن الطب الذى صار نسيا منسياً، ويعلمه أن ينقذه ممن انتسب إليه من ليس من أهله، وينشره بين المسلمين، فاستحق أن تنتهى إليه رياسة الطب في عصره.

الخطة التى سارت عليها :

لقد رتب الحكيم تذكرته على مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة[١]:

- أما المقدمة ففى تعداد العلوم، وحال الطب معها، ومكانته، ومايبنغى له ولمتعاطيه، وما يتعلق بذلك من الفوائد[٢].

ولقد صنف العلوم تصنيفات ستة باعتبارات مختلفة، ثم ذيلها برأيه، أوصل فيه العلوم إلي ستين علماً هى أصول العلوم كلها، وصنفها إلى أربعة أصناف، يقول :

«ولنا ضابط غير هذه، وهو أن مدار العلوم إما الأذهان، وأصول علومها خمسة عشر علماً: المنطق والحساب والهيئة والهندسة والفلسفة الأولى والثانية، والإلهيات والطبيعيات والفلكيات والسماء والعالم والأحكام والمرايا

---

(١) السابق ص٣.

(٢) شغلت هذه المقدمة الصفحات من ٢ إلى ٩ من الجزء الأول، فى الطبعة التى اعتمدنا عليها وهى طبعة الحلبى ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م.

والموسيقى والأرتماطيقى والصناعات الخمس.وإما اللسان، وأصول علومه كذلك، اللغة والمعانى والبيان والبديع والعروض والقافية والاشتقاق والنحو والصرف والقراءة والصوت والمخارج والحروف وتقسيم الحروف وتوزيع اصطلاحات الأدب، أو الأبدان، وأصولها كذلك، التفسير للكتاب، والسنة والرواية والدراية والفقه والجدل والمناظرة، والافتراق واستنباط الحجج وأصول الفقه والعقائد وأحوال النفس بعد المفارقة والسمعيات والسحر للوقاية وضبط السياسات من حيث إقامة الحكم والعلم بالصناعات الجالبة للأقوات، فهذه ستون علماً هى أصول العلوم كلها وإن كان تحتها فروع كثيرة ويتداخل بعضها فى بعض، وإن بعد فى الظاهر، فقد قال بعض المحققين: إن علم العروض دينى شرعى؛ لأن فى القرآن آيات موزونة حتى على الضروب البعيدة، فإن قال قائل : إنها شعر، رده العروضى بأن شرط الشعر مع الوزن القصد، فتزول شبهته وزوالها شرعى بلا نزاع، وعلى هذا فقس»(١).

- وأما الباب الأورل فخصصه لكليات علم الطب والمدخل إليه(٢).
- وأما الباب الثانى فخصصه لقوانين الإفراد والتركيب(٣).
- وأما الباب الثالث فخصصه للمفردات والمركبات وما يتعلق بها من اسم وماهية ومرتبة ونفع وضرر وقدر وبدل وإصلاح مرتبا علي حروف المعجم(٤).

---

(١) السابق ص٧.

(٢) شغل هذا الباب فى الطبعة التى اعتمدنا عليه من الصفحة ٩ إلى ١٨ من الجزء الأول.

(٣) شغل هذا الباب أيضا من الصحفة ١٩ إلى ٣٤ من الجزء الأول.

(٤) شغل هذا الباب أيضا من الصفحة ٣٤ إلى ٣٤٢ من الجزء الأول.

- وأما الباب الرابع فخصصه للأمراض وما يخصها من العلاج[١].
- وأما الخاتمة فخصصه لنكت وغرائب ولطائف وعجائب[٢].

مصادرها:

انتخب الحكيم داود تذكرته من كتب تزيد على مائة، ومن أمها كتب القراباذنيات (أى التراكيب)[٣].

وقد أفاد بلا شك من أهم الكتب التى جادت بها قريحة العلماء الحكماء، قبل الإسلام وبعده، من حكماء الروم والنصارى إلى الحكماء المسلمين.

ولذا نرى فى تذكرته ذكراً لأبقراط وجالينوس وهرمس الثانى، والشيخ المعلم ابن سينا، وشفائه، والفاضل أبا الفرج، أو الملطى، وشافيه، وابن القف، وغيرهم .

وقد سرد الحكيم نفسه أسماء مجموعة من الحكماء الذين عنوا بالمفردات والتراكيب[٤]، وقد أفاد منهم بلا ريب فذكر من حكماء الروم الأربعة الآتية :

- ديسقريدوس اليونانى، له «المقالات فى الحشائش» .
- فولس، له «مايقع فى الأكحال» .

---

(١) شغل هذا الباب الجزء الثانى كاملاً، وهو يقع في ١٦٤ صفحة ثم أكمل هذا الباب أحد تلاميذ المؤلف وخصصت له الصفحات من ٢ إلى ١٨٥ من الجزء الثالث وهو يبدأ بالأمراض المبدوءة بحرف الياء.

(٢) وضعها التلميذ السابق، وقد شغلت ما تبقى من الجزء الثالث من ص ١٨٥ إلى ٢٠٠ ، وذيلها بتتمته إلى ٢٠٤.

(٣) انظر: التذكرة جـ١/ ٣٤ .

(٤) نفسه جـ١/ ١٩ .

- أندروماخس الأصغر، له «مفردات الترياق الكبير» .
- رأس البغل، الملقب بجالينوس (وهو غير الطبيب المشهور)، له «المفردات» .

كما ذكر من حكماء النصارى الثلاثة الآتية :

- دويدرس، البابلى، الذى هذب المفردات اليونانية .
- الفاضل المعرب، والكامل المجرب، إسحق بن حنين النيسابورى، الذى عرب اليونانيات، والسريانيات، وأضاف إليها مصطلح الأقباط، فقد أخذ العلم من حكماء مصر وأنطاكية .
- ولده حنين .

وللنجاشعة كثير من الكناشات، كما ذكر، وأفاد منها من غير شك، ولكنه لم يذكر أصحابها .

ثم أفاد من الحكماء الذين جاءوا فى الإسلام، وذكر منهم مايأتى:

- الإمام محمد بن زكريا الرازى .
- الحسين بن عبد الله بن سينا، وقد وصفه رئيس الحكماء والأطباء، وصدر اسمه بقوله (مولانا الفرد الأكمل) .
- ابن الأشعث .
- أبو حنيفة .
- الشريف بن الجزار .
- الصائغ .
- جرجس بن يوحنا .
- أمين الدولة .
- ابن التلميذ .
- ابن البيطار .
- صاحب «مالايسع» .

- يحيى بن جزلة، صاحب «منهاج البيان»، وقد سار الحكيم داود على نهجه في ترتيب المفردات في التذكرة، كما صرح بذلك.[١]
- محمد بن على الصورى .

وقد ترجم الحكيم لهؤلاء وغيرهم في «طبقاته»، وصرح بهذا أيضاً في تذكرته..[٢]

ولم يعن الحكيم فى تذكرته بذكر الكتب التى نقل منها، أو بذكر أصحاب الأقوال غالباً، طلباً للاختصار، إلا مااشتهر منهم فى زمانه، كما نبه[٣] .

وقد فاق كتاب التذكرة غيره من كتب الطب السابقة عليه، فأكمل نقصها، واستدرك عليها، وأصلح عيوبها، لذا فرح الحكيم به أيما فرح، وحق له أن يفرح، فقد جاء وكما قال: «مغنياً لمن أتقنه عن كل جامع مختصر ومطول ينتج قانوناً قويماً، ومنهاجاً مستقيماً، بإرشاد إلى هداية المرتاض، وبرء العلل والأمراض، منتخباً من كل كناش مهذب، منتقى من كل مقالة أتقنها محررها وهذب، مغترفاً هذه الكتب وغيرها على وجه قد خلا من الإملال والإسهاب، والاختصار والإطناب» .

ويؤكد الحكيم علو قدر كتابه قائلاً:

«ولولا العلم بأن مواهب الواهب مجردة مطلقة، وأشعة فضل فيضه بكل امرأة على وجه الأرض مشرقة لجزمت بأنه على صفحات الدهر خاتمة التآليف، مأمون من الشعع إلى انقطاع التكاليف» .

---

(١) نفسه ج١/ ٣٣ .

(٢) نفسه جـ١/ ٢٠ .

(٣) نفسه جـ١/ ٣٣، ٣٤ .

وكـان الحكيم يخشى الحاسدين، ولذا لهج لسانه بهذا الدعاء: «والله يكفينى وإياه ألسنة الحاسدين، ويكف عنا أقلام المعاندين، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، وينفعنى به يوم الدين، وأن يغفر لكاتبه والناظر فيه والداعى لمصنفه بخير آمين، إنه خير من وفق للصواب، وأولى من دعى فأجاب»(١).

تدوينها :

يفهم من كلام حكيمنا في الباب الثانى من تذكرته أنه كان يدون فيه «فى مفتتح ربيع الآخر من شهور سنة ست وسبعين وتسعمائة من الهجرة، على مشرفها أفضل الصلاة والسلام»(٢).

ولم تصلنا نهاية التذكرة كما كتبها الحكيم حتى نعرف إن كان سجل تاريخ انتهائه من تدوينها أم لا، فكل نسخها تشير إلى نقص من حرف الطاء، من الباب الرابع إلى آخر الكتاب، وأكمله أحد تلاميذ الحكيم. بل ذكر غيرواحد ممن ترجموا للحكيم أنه لم يكمل التذكرة، ولكن حاجى خليفة يرى غير هذا، يقول :

«ذكر داود في بعض تآليفه أن مالكه-(أى كتاب التذكرة)- لم يحتج إلي كتاب سواه، وفيه مايدل على أنه أتمه، وهو المنقول الشائع، لكن المدون المنتشر على أن فيه نقصا من حرف الطاء، من الباب الرابع إلى آخر الكتاب،ويروي أنه لم يخرج بعد وفاته إلا هذا، وذهب بعض التجار ببعض أجزائه إلي الهند، فضاع وبقى ناقصا»(٣).

---

(١) نفسه جـ١/٣٤ .

(٢) جـ١/٢٠.

(٣) انظر : كشف الظنون ص ٣٨٦-٣٨٧.

وأنا مع صاحب كشف الظنون، فالحكيم دون تذكرته كاملة، ومما يؤيد هذا اختصاره لها فى مصنف آخر، سماه «النزهة المبهجة» كما سيأتى قريبا، وقد شمل المختصر كل أبواب التذكرة. وقد اعتمد عليه تلميذ الحكيم فى إكمال النقص، ونقل منها نقلاً حرفياً.

وأيضا مقدمة النزهة تشهد بأنه أتم التذكرة، يقول الحكيم فيها عن تذكرته التى رآها أجل كتبه:

«استأصلت فيها شأفة هذه الصناعة، وتتبعت كل علم له تعلق بها فى أوجز بلاغة وبراعة، جعلت فيها الطب مقصوداً بالذات، ثم ضممت إليه كل علم يحتاج إليه الطبيب ولو بأدنى تعلق وإضافات، فعزمت حين رأيتها جامعة شمل ما تبدد، مقيدة ما كان من أوابد الحكميات قد شرد، أن أجعلها خاتمة التصانيف المنسوبة إلى، علماً منى بأن ذلك غاية ما انتهت إليه قوى عقلى الفاتر وذهنى القاصر..إلخ»(١).

أما سبب هذا النقص فقد يرجع إلى ذهاب بعض التجار به إلي الهند فضاع كما ذكر حاجى خليفة، أو يرجع إلى واحد من أمرين ذكرهما تلميذ الحكيم الذى أكمل النقص معتمداً على النزهة، يقول فى أول ذيله :

«هذا آخر ما وقع أعين الناظرين عليه، واشتهر نقصها بالتصريح والإشارة إليه، وذلك إما من اغتيال بعض الحسدة على جل مفرداتها من مظهر بكارتها، أو لعدم البحث والاعتناء بهذا العلم العظيم، لقصور الهمم فى هذا القطر من القيام بوظيفة التعلم والتعليم»(٢).

---

(١) انظر النزهة المبهجة (على هامش) التذكرة فى طبعتها السابقة جـ١/٤.

(٢) انظر جـ٣/٢.

ومما يؤيد اغتيال بعض الحسدة لهذا الكتاب خشية مؤلفه عليه منهم، وبحثه عن ثقة أمين يودعه عنده، فبعد أن رجا- إن وفق الله لميل القلوب إليه الكتاب- نصح كل واقف عليه، فقال :

«بيد أني لما شاهدت من فساد المتلبسين بالإخوان، اللابسين على قلوب الأسود شعار الرهبان، كتمنة في سويداء القلب وسواد الأحداق، متطلبا مع ذلك إيداعه عند متصف بالاستحقاق؛ لأني جازم باغتيال الزمان وطروق الحدثان، وذهول الأذهان،والله المسئول في وضعه حيث شاء، ومعاملتي فيه بمقصدي بما يشاء، إنه خير من وفق للصواب، وأكرم من دعى فأجاب»[١].

شهرتها وذيوعها:

لقد ذاع صيت التذكرة في الآفاق، واعتبرت موسوعة طبية تمثل الطب القديم أحسن تمثيل.

وقد اختصرها أكثرمن واحد، علاوة على صاحبها نفسه، فقد اختصرها الجبرتي المؤرخ، وخليل الجزائري وغيرهما[٢].ونسخها النساخ كثيراً، وطبعها الطباعون مراراً:

فتقتني دار الكتب المصرية منها ثلاثة عشرة نسخة خطية[٣]، كما تقتني المكتبة الأزهرية منها نسخة خطية عتيقة[٤].

---

(١) انظر جـ١/٢.

(٢) انظر: جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية جـ٣/٣٥٦.

(٣) منها نسخة كتبت في عام ١٠٤٤هـ (طب تيمور ٣١٧)، وأخرى في عام ١٠٩٩هـ (ط ١٩٠)، وثالثه في عام ١١٢٨هـ (طب ١٩)، ورابعة وفي عام ١١٣١هـ (طب ٣٨٣)، وخامسة في عام ١١٦٦هـ (طب الحسيني ١١).
(راجع أرقام النسخ الأخرى في فهرس المخطوطات بالدار ص ٤٠٤ حرف التاء).

(٤) كتبت في عام ١٠٥٥هـ، (رقم ٧٥٨٦).

وشهدت الديار المصرية آلاف النسخ التى طبعتها مطابعها عبر القرنين الثالث عشر والرابع عشر،وكذا مطلع الخامس عشر، وعلى سبيل المثال طبعت التـــذكـــرة فى الأعـــوام ١٢٨١هـ، ١٢٩٤هـ، ١٣٠٢هـ، ١٣٠٨هـ، ١٣١٧هـ، ١٣٢١هـــ، ١٣٢٤هـــ، ١٣٢٩هـــ، ١٣٤٥هـــ، ١٣٧٢هـــ، (١٩٥٢م)[١]، ١٣٨٢هـ[٢].

(١) وهى الطبعة التى نستعين بها فى بحثنا هذا.

(٢) تقتنى مكتبة الأزهر نسخ من هذه الطبعات وغيرها، انظر فهرس المكتبة الأزهرية ٦/ ١٠٣.

ب) النزهة:

(اسمها- سبب تأليفها- الخطة التى تسير عليها- شهرتها وذيوعها):

اسمها :

«النزهة المبهجة فى تشحيذ الأذهان وتعديل الأمزجة»

سبب تأليفها :

لقد سبق أن ذكرت أن الحكيم أثنى على تذكرته ورآها أجل كتبه، وأنه عزم على أن يجعلها خاتمة تصانيفه،ولكنه ذكر أن «درويش حلبى» ابن المرحوم «مصطفى» أمير اللواء السلطانى، وقف عليها ، «وحين أجال قرائح الفكر فى معانيها وأطال تسريح النظر فى مبانيها وجدها عباب بحر تقصر عنه الأفكار..أشار مدت أيامه وإشارته .. أن أضع رسالة تكون لمستغلق أبواب معانيها مفتاحاً، ولمستصعب رقائق غوامضها هداية وإيضاحا، فحين استحالت المخالفة، وحقت الطاعة لصدق المؤالفة حررت هذه الرسالة الموسومة بالنزهة ..إلخ»[(١)].

وهكذا اختصر الشيخ تذكرته رغبة في رضاء الأمير السالف الذكر.

خطتها :

رتب الحكيم نزهته على مقدمة وثمانية أبواب وخاتمة:

أما المقدمة فخصصها لذكر ما تمس الحاجة إلى تقديمه فى هذه الصنائع الفاضلة[(٢)].

---

(١) انظر مقدمة النزهة (على هامش التذكرة) جـ١/ ٤-٦.

(٢) وقد شغلت من الصفحات على هامش التذكرة من ص ٧ إلى ص ٣٢ من الجزء الأول.

وأما الباب الأول فخصصه لكليات ما به صلاح الأبدان ومواد الأجسام وبيان حد الطب وموضوعاته وكيفية استخلاصه من الحكمة[١].

وأما الباب الثالث فخصصه للأسباب[٢].

وأما الباب الثالث فخصصه لأحوال بدن الإنسان[٣].

وأما الباب الرابع فخصصه للعلامات الدالة على أحوال البدن الثلاثة وما يكون عنها[٤].

وأما الباب الخامس فخصصه للقوانين والوصايا[٥].

وأما الباب السادس فخصصه للأمراض الباطنة الخاصة بعضو عضو من الرأس إلى القدم[٦].

وأما الباب السابع فخصصه للأمراض الظاهرة[٧].

وأما الباب الثامن فخصصه للأمراض التى لاتخص محلاً معيناً[٨].

---

(١) وقد شغل من ص ٣٢ إلى ص ١٨٨ من الجزء الأول.

(٢) وقد شغل من ص ١٨٨ إلى ص ٢٤٨ من الجزء الأول.

(٣) وقد شغل من ص ٣٤٨ إلى ص ٣٠٤ من الجزء الأول.

(٤) وقد شغل الصفحات من ص٣٠٤ إلى آخر الجزء الأول الذى ينتهى عند ص ٣٤٢، وبداية الجزء الثانى إلى ص ٦٥.

(٥) وقد شغل الصفحات من ٦٦ إلى ٩٣ من الجزء الثانى.

(٦) وقد شغل الصفحات من ٩٣ إلى أخر الجزء الثانى، ومن بداية الجزء الثالث (هامش الذيل) إلى ص ١٤٠.

(٧) وشغل الصفحات من ص ١٤٠ إلى ١٤٧ من الجزء الثالث.

(٨) وشغل الصفحات من ١٤٨ إلى ص ١٩١.

وأما الخاتمة فقد ضمنها فوائد تتصل ببعض الحشرات والحيوانات والطيور والنباتات والمعادن(١).

ولم يكن داود في نزهته كلا على كتاب، بل اقتصر على مافى قوى عقله من مسئلة وجواب، واعتمد على ما أرشد إليه الدليل والاجتهاد، وصح عليه التعويل والاعتماد، فإن نقل عبارة فللمناقشة، أو نظر فى كلام فللمفاتشة(٢).

شهرتها وذيوعها :

ذاعت النزهة ذيوع التذكرة :

فتقتنى منها دار الكتب المصرية اثنتى عشرة مخطوطة، منها واحدة كتبت فى عام ١١٢٦هـ، وأخرى فى عام ١١٦٣هـ، وثالثة فى عام ١٢٤٨هـ، ورابعة فى عام ١٢٦٨هـ، وخامسة فى عام ١٢٨١هـ، وسادسة فى عام ١٢٨٧هـ.

كما طبعت كثيراً على هامش التذكرة، كما فى الطبعات التى طبعت فى الأعوام ١٢٩٤هـ، ١٣٠٢هـ، ١٣٠٨هـ، ١٣٢١هـ، ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م.

---

(١) وشغلت الصفحات من ص ١٩١ إلى ص ٢٠١.

(٢) انظر مقدمة النزهة جـ١/٦ (على هامش التذكرة).

ثالثا: موضوعات دراسة لغة الحكيم الطبية

سبق أن ذكرت أن تذكرة الحكيم الأنطاكى موسوعة طبية تمثل الطب القديم أحسن تمثيل. وتعضدها نزهته المبهجة التى سلك فيها طريقا لم تسلك قبله لوارد، وبسط فيها نمطاً لم ينسجه ناسج، ولانحوه قاصد، كما يقول .

وهذا الحكيم الذى انتهت إليه رياسه الطب فى زمانه يحتاج إلى جهد وصبر في داسة لغته، فقد ملك ناصية البيان، وأجاد لغة اليونان، وحاز قصب السبق فى علم الأبدان، لذا رأيت أن أبدأ بتعرف دلالات الألفاظ عنده، وهى ألفاظ تتصل من غير شك بالداء والدواء، ويقتضى هذا في نظرى أن أعد معجماً لألفاظ الأمراض وآخر لألفاظ الأدوية، وأذيل كل معجم بدراسة صرفية ودلالية ومعجمية، سأكشف النقاب عن خطتها فى حينها.

أما معجم الأمراض فيشتمل على أسماء اثنى عشر نوعاً من الأمراض، هى :

١- أمراض العين.

٢- أمراض الفم والأسنان واللسان والشفة.

٣- أمراض الأنف والأذن والحنجرة.

٤- أمراض البطن، وتشمل (أمراض المرئ والمعدة والأمعاء والكبد والمرارة والطحال والقلب والجذام).

٥- أمراض الحميات.

٦- أمراض مسالك البول.

٧- أمراض التناسل.

٨- أمراض العظام والمفاصل.

٩- أمراض الأعصاب والنفس.

١٠- أمراض الدم.

١١- أمراض الجلد.

١٢- أمراض النساء والولادة.

وأما معجم أسماء الأدوية فيشتمل على ثلاثة أنواع :

الأول: معجم النبات.

الثاني: معجم الحيوان.

الثالث: معجم المعادن.

ونبدأ أولاً بمعجم أسماء الأمراض؛ وهو يقوم على النظام الألفبائي، فقد رتبت الألفاظ فيه ترتيبا ألفبائيا وفق حروفها الأصول، داخل كل مجال أو صنف من الأصناف المرضية الإثنى عشر، أما الألفاظ الأعجمية فإنى أضعها في موقعها الألفبائي وفق صورتها.

وإن تعددت فروع الصنف الواحد فإنى أرتب ألفاظ كل فرع ترتيبا ألفبائيا مستقلا، كما في الصنف الثاني الخاص بأسماء أمراض الفم والأسنان واللثة واللسان والشفة، فألفاظ الفم ترتب ألفبائيا، يليها الأسنان كذلك، يليها اللثة الخ. والأمر نفسه بالنسبة لأمراض الصنف الثالث الخاص بالأذن والأنف وجهاز التنفس، وكذا أمراض الصنف الرابع الخاص بالبطن، الذى يشمل ألفاظ أمراض المرئ والمعدة والأمعاء والكبد والمرارة والطحال والقلب والجذام. وكذا أمراض الصنف التاسع الخاص بألفاظ أمراض الأعصاب والنفس.

ويقوم منهجي فى التعريف بألفاظ الأمراض على مابيان مايعنيه الشيخ الحكيم بها من دلالة مرضية، ونقتصر على ما ذكره من مفهوم المرض وبيان أسبابه وعلاماته فى الغالب، دون التعرض لما ذكره من ألوان العلاج المختلفة، لكفاية هذه الأمور للدراسة المطلوبة وفق خطتنا.

الباب الأول

معجم أسماء الأمراض

أولاً: أسماء أمراض العين

أسماجونى : (انظر الماء).

البياض[١] : نتوء يمنع البصر إذا حاذاه.

وهو من أمراض القرنية، يخص ظاهرها إن رق، وإلا عمقها.

ويحدث غالبا عن- سوء علاج الطرفة والرمد وبعد الجدرى .

وقد يكون عن قرحة إذا اندملت.

ومن أكثر ربط عينه وتغميضها فقد أعدها للبياض.

التبغ : (راجع الوردينج).

التفاحى : (راجع القروح).

التوتة[٢] : من أمراض الجفن السافل غالبا.

وهى لحم رخو أحمر إلى سواد ذات عروق ترشح بالدم المتعفن.

وأسبابها كثرة الدم وترك تنظيف العين.

وعلاماتها: اكمداد لون العين، والحكة بلذع وثقل.

الجحوظ[٣] : بروز العين إلى خارج مع عظم أو غيره.

وسببه ما أزعج الرأس من صيحة وخلط غليظ يندفع إلى المقلة.

وقد يكون عن نحو طلق وزحير وكثرة نوم على الوجه.

---

(١) التذكرة ٢/٤٧، والنزهة المبهجة ٢/١٥١-١٥٢ وذيل التذكرة ٣/١١٨-١١٩.

(٢) النزهة ٣/٦، والذيل ٣/١٢٢.

(٣) النزهة ٣/٣، والذيل ٣/١٢١.

الجرب [١] : خشونة الأجفان ولذعها.

وهو ثلاثة :

- ما يشبه حب التين ملتصقا مستديرا محدودا.

ومادته فساد الدم وغليانه فينصب منتشرا.

- ونوع يسمى الحصفى، أبيض الرؤوس ينتشر عنه كالنخالة.

- ونوع منبسط لايدرك منه إلا الخشونة.

وسبب الجرب بعد الاستفراغ وكثرة الامتلاء وسوء مزاج الدماغ.

والأخيران قد يكونان عن خطأ فى علاج الرمد وطوله، بل قيل إن الثالث لايكون إلا كذلك.

وعلامته استلذاذ حكة الجفن وغلظه وضعف حركته وحرارة العين والخشونة ونتوء الحصف.

الجسا [٢] : (بالمهملة آخرا والمعجمة أولا): صلابة الجفن وضعف حركته مطلقا، لا الانطباق خاصة لخلط فى العضل، فإن كان أكالاً لزمته حكة وكأنه تشنج فى الحقيقة.

وقد يكون عن فرط يبس إن اشتد عسر الحركة، ويكون فى الجفن أصالة إن لزم حالة واحدة، وإلا فمن الدماغ.

والجسا نوع شمله فى الحقيقة جنس الورم والصلابات، وإنما أفرد علما على مايعيق الجفن عن الحركة الطبيعية لأكثرية حدوثه فيه، ولأنه يطلق على مايمنع الحركة المذكورة بلا ورم ظاهر.

وسببه انصباب الخلط الغليظ أو اليابس إلى الجفن، أو برد منهك، أو بقايا رمد تطرق إلى علاجه الخطأ خصوصا في الفصد.

---

(١) النزهة ٢/١٤٦-١٤٧، والذيل ٣/١١٧-١١٨.

(٢) التذكرة ٢/٨٢ والنزهة ٢/١٥٠، والذيل ٣/١١٨.

الجصى : (انظر الماء).

الجهر[١] **(بالتحريك)** : قلة الإبصار أو عدمه نهاراً فقط.

وهو إما جبلى لا علاج له، أو طارئ، فإن كان فى الصيف أكثر دل على أن أسبابه حدة المواد ورقة الرطوبات والروح الباصر، فتضره الأضواء والأشعة قبل انتقاش الصور.

وعلاماته: اليبس وقلة الدموع وخفة شعر الهدب.

ويعترى زرق العيون غالباً.

ويسمى الجهر خفشا (راجع العشا).

الحرقة (والغلظ والخشونة والصلابة)[٢]: من أمراض الأجفان، تحدث غالبا عن السلاق والرمد، وقد تكون من خارج كدخان وصنان.

الحافر : (راجع القروح).

الحكة[٣] : مادتها وأسبابها كالسلاق والدمعة.

الحول[٤] : زوال موضع البصر الطبيعى عن موضعه، ويقع للأطفال غالبا.

وأسبابه: سوء المزاج والتربية كخفض الرأس، والإرضاع من جانب واحد دائماً أو غالباً، وشد ربط الرأس، وتنكيسه، وأخذ مايخلط من الأطعمة، وقد يكون لصوت مهول ينظر إليه فازعاً.

وفى الكبر نزول ريح أو خلط أو صعودهما بين الطبقات.

وعلاماته تغير الشكل والنظر عن الجرى الطبيعى.

---

(١) النزهة ٣/ ١١، والذيل ٣/ ١٢٣.

(٢) النزهة ٢/ ١٥٧، والذيل ٣/ ١٢٠.

(٣) النزهة ٢/ ١٦١، والذيل ٣/ ١٢٠.

(٤) النزهة ٣/ ٢، والذيل ٣/ ١٢١.

الخشونة : (راجع الحرقة).

الخفش : (راجع الجهر والعشا)

التخيلات[١]: وهى أن الشخص إذا اختل بصره الطبيعى وشاهد مالا وجود له- كما يسمع مسدود الأذن مالاوجود له- فلا يخلو:

- إما أن يري ما يرى متصاعدا إلى الأعلى.
- أو العكس.
- أو ثابتا أمامه.

والأول تكون المادة فيه من المعدة.

والثانى من الدماغ.

والثالث منهما مع امتلاء ماحول العين من الأوعية.

ثم على كل التقديرات إن كان الغالب على لون المشاهد مثل الدخان والظلمة فالمادة سوداوية، أو كالنار والبروق فالصفراء، أو كان إلى البياض ومثل السحب الصافية وكان يزول عند نحو العطاس فمن البلغم، وإلا فمن الدم.

الدبيلة[٢] : وهى الدمل، قرحة تبدو محمرة الرأس فى الملتحم، وربما خرقت القرنية.

والأمر فيها خطر، إذ قلما يسلم معها البصر.

وأسبابها الامتلاء والصداع فى مقدم الرأس، وتنذر بها الحمرة.

وعلاماتها النخس والدمعة والإحساس بتجذب عروق العين.

---

(١) النزهة ٣/٨-٩، والذيل ٣/١٢٣.

(٢) التذكرة ٢/٩٥ والنزهة ٣/٦، والذيل ٣/١٢٢، ١٨٥.

الدمعة[١] : عدها أهل الصناعة من أمراض الملتحم.

وأقول : إنه ليس بصحيح، بل هي من أمراض العين كلها.

وحقيقتها: زيادة رطوبة فوق الطبيعة.

وسببها: امتلاء وفرط احد، الكيفيات غير اليبس، وقلة الإسهال، وضعف الهضم، والمسك، وتغير الدماغ، وقد تكون عن مرض آخر كتقادم السبل، وقوة الجرب، وخطأ في كشط نحو الظفرة، فينتقص لحم الجفن أو الماق.

الاسترخاء[٢]: من أمراض الجفن.

وأسبابه رطوبة تنحل فى الأعصاب.

وعلاماته: انطباق الجفن.

الرصاصى : (انظر الماء).

الرمد[٣] : من أمراض الطبقة الملتحمة،وهو تغيرها عن أصل الصحة.

وأسبابه إما من خارج كشمس وهواء ونوم تحت السماء وتغير ماعلى الرأس، ونظر إلي أرمد، واستنشاق حاد كالفلفل، وشم ما يحرك المادة.

أو من داخل، ويحصره فساد أحد الأخلاط.

الزرقة[٤] : سوء مزاج الجليدية، وفى المشايخ يبسها، وفى الأطفال لفساد اللبن وكثرة التخم. والحادث منها عن قرب سهل المزايلة.

الأزرق : (راجع الماء).

---

(١) التذكرة ٢/ ٩٥، والنزهة ٢/ ١٤٣، والذيل ٣/ ١١٦-١١٧.

(٢) النزهة ٣/ ١٠-١١، والذيل ٣/ ١٢٣.

(٣) النزهة ٢/ ١٣٤-١٣٩، والذيل ٣/ ١١٤-١١٥.

(٤) النزهة ٣/ ٣، والذيل ٣/ ١٢١.

السبل[١] : من أمراض الملتحمة والقرنية.

يكون بينهما كالغبار المنتسج.

وغير المستحكم منه لايمنع البصر وإن أضعفه، والغليظ يدرك منتسجا على الحدقة قد امتلأت عروقه دما كدرا.

وغايته أن يبيض العين ويحجب البصر.

وهو إما رطب إن صحبته الدمعة والثقل، وإلا فيابس.

وسببه: إما من خارج كضربة أو سقطة.

أو من داخل كضعف الدماغ وتراكم البخار وفساد الخلط.

السحاب : (انظر القروح)

السرطان[٢]: ورم صلب فى القرنية كثير العروق.

وأسبابه : زيادة المواد السوداوية في العين والدماغ، وكثرة برد، ومبرد، وسوء علاج مرض سابق.

وعلاماته: نخس شديد وألم ونزول مادة حادة.

العفة[٣] : قروح فى أصول شعر الهدب تجعله محروقا كأصول سعف النخل.

وأسبابها: أحد الباردين، أوهما.

وعلاماتها: الغلظ وسقوط الشعر،ووجود القروح بيضا إن كانت عن البلغم وإلا سودا.

السلاق **(والحكة)**[٤]: رطوبة بورقية تبدأ فى الماق غالبا ثم تنتشر فتئول إلى فساد العين.

---

(١) النزهة ٢/١٣٩- ١٤٠، والذيل ٣/٥٨، ١١٦.

(٢) النزهة ٣/٧، والذيل ٣/٥٧، ١٢٢.

(٣) النزهة ٣/٧، والذيل ٣/٥٦، ١٢٢.

(٤) النزهة ٢/١٥٨، والذيل ٣/٥٦، ١٢٠.

وسببها فساد مزاج العين عن نحو رمد.

وعلاماتها حمرة وغلظ وانتشار هدب.

السماري : (راجع القروح).

الشترة[(١)] : تقلص الجفن بحيث لاينطبق مستقيما.

وأسبابه: سوء علاج نحو السلاق والسبل والشعر الزائد.

وعلاماته: تغير الأجفان في الوضع، فإن كان إلى فوق ولاسبب ظاهر كقطع فتشنج، أمر إلي تحت فاسترخاء.

الشرناق[(٢)] : يخص الجفن الأعلى. وهو جسم شحمي تعسر معه الحركة.

وأسبابه الرطوبة والحرارة الغريبتان.

وعلاماته الثقل والغلظ وظهوره بين الأصابع.

الشعرة[(٣)]: من أمراض الجفن، ويخص الأعلى على الصحيح.

وهو إما زائد أو منقلب من الهدب، وهو من الأمراض الخطرة العسرة الموروثة.

وسببه رطوبات متعفنة في الدماغ والحجاب، وقد يكون عن تقادم نحو: السبل والدمعة، وخطأ في علاجهما.

وعلاماته وجوده، والإحساس بنخسة في العين، و الحمرة، وضعف البصر.

الشعيرة[(٤)] : ورم مستطيل في الجفن صلب، ومنه رخو يسمى العروسي.

وأسبابها نحو الزفرة.

---

(١) النزهة ٣/ ٥ ، والذيل ٣/ ١٢٢.

(٢) النزهة ٣/ ٨، والذيل ٣/ ١٢٢.

(٣) النزهة ٢/ ١٤٤-١٤٥، والذيل ٣/ ١١٧.

(٤) النزهة ٢/ ١٤٦، والذيل ٣/ ١١٧.

الشقيقة[١] : من أمراض الشبكية.

وهى ناخس شديد من غير ظهور شئ

وغائلتها عظيمة تفضى إلى الماء وغيره.

الأصفر : (راجع الماء).

الصلابة : (راجع الحرقة).

الصوفى : (راجع القروح).

ضعف[٢] : يكون عن كثرة النظر فى نحو الخطوط الدقيقة النفش بنحو أقلام الشعر وعمل التصاوير، ويسمى الكلال.

ضمور الحدقه: (راجع الورم والالتواء).

الضيق[٣] : هو أن تصغر العين فيرى الشئ أكبر لاجتماع البصر، عكس الاتساع.

وأسبابه نقص البيضة وفرط اليابس، واجتماع الخلط فى الثقب.

الطرفة[٤] : نقطة تظهر فى العين تكون إلي الحمرة أولا ثم تتلون فيسود القديم منها أو يكمد لموت الدم، وتعقب ورما.

وعلاماتها: وجودها وحمرة الحدقة منها.

ووقع الاجماع منهم على أنها من أمراض الطبقة الملتحمة لظهورها فيها، وكأنى لا أراها خاصة بها، لأنها عبارة عن انبعاث دم يخرق الطبقات حتى يظهر فى سطح الملتحم نقطة مستديره حمراء أو سمراء بحسب احتباس الدم.

---

(١) النزهة ٣/١٤، والذيئل ٣/١٢٤.

(٢) النزهة ٣/١٥، والذيل ٣/١٢٤.

(٣) النزهة ٣/٤، والذيل ٣/١٢٢.

(٤) التذكرة ٢/١٥٢-١٥٣ والنزهة ٢/١٤٢ والذيل ٣/١١٦.

وأسبابها امتلاء تضيق به الأوعية لبعد الاستفراغ أو قوة القوة، أو صيحة تفجر العرق، أو سوء حركة، أو مزيد غم. أو من سبب خارج كضربة ولطمة.

الظفرة[١] : زيادة من طرف الملتحم كالزق.

وهى أنواع أربعة :

- مايبتدئ من طرف الموق ولايجاوز السواد أصلا، وهو أخفها.
- ونوع من أى جانب كان، يمتد شفافا رقيقا.
- ونوع يغطى السواد ويغلظ، وهو أضرها.
- وآخر مضاعف، إحدى طبقتيه من الملتحم، والأخرى من الصلبة لا علاج له لما فى قطعه من حدوث الكزاز والخطر.

والظفرة سبل فى الحقيقة إلا أنها لاتكون من كل الجوانب فى وقت واحد وليس فيها عروق، وعلاجها كعلاجه.

العجز عن مقاومة الأشعة ونقص الضوء[٢]:

وسببه : إما طول مقام فى نحو المطامير فتغلظ الرطوبات، أو خروج إلى النور دفعة فتتسع ويتبدد الضوء.

العشا وضعف البصر[٣]: من الأمراض العارضة لجملة العين.

ويسمى الشبكرة والخفشة تشبيها لصاحبه بالخفاش فى ضعف البصر، كذا ترجموه، والأولى اللائق بالتعليل أن يسمى الجهر بالخفش، فإن الخفاش لايبصر نهاراً ويبصر ليلاً، والأعشى هو الذى لايبصر بعد غروب الشمس، فتأمله.

---

(١) النزهة ١٤١/٢، والذيل ١١٦/٣.

(٢) النزهة ١٤/٣، والذيل ١٢٤/٣.

(٣) النزهة ١٤٨/٢-١٤٩، ١١/٣-١٢ والذيل ١١٨/٣، ١٢٣-١٢٤.

والعشا عبارة عن الضعف بسبب غلظ الرطوبة وإفراطها، عكس الجهر كذا قرروه. والظاهر أن يكون عن رقة الرطوبات وكثرتها فينصرف البصر زمن التسخين حتى إذا توارت الشمس غلظ برد الهواء تلك الرقة فامتنع البصر من الانتعاش.

وقد يكون عن مرض آخر يطول أو يسوء علاجه، أو عن فساد المزاج بأنواعه، أو عن فساد بعض أجزاء العين.

الغرب(١) : خراج يخص المأق الأكبر فى الغالب، تجتمع فيه المادة ثم ينفجر ويعود هكذا، ويعظم ويطول حتى يخرق الصفاق.

وحالة فى العين حال الناصور فى المقعدة.

وسببه اندفاع رطوبات بورقية من الدماغ.

- والإكثار من الحمل علي الدماغ.
- والنوم بعد الأكل.
- وقلة الاستفراغ.

الغلظ : (راجع الحرقة).

الغمام :(راجع الماء).

الغائر : (راجع القروح).

القتام : (راجع القروح).

القروح(٢) : اسم جامع لغالب أمراض العين، ولاتختص بمحل منها، غير أن الذى يظهر منها ما يخص الملتحمة.

وعلاماته نقطة حمراء فى البياض.

---

(١) النزهة ٢/ ١٥٠-١٥١، والذيل ٣/ ١١٨.

(٢) النزهة ٢/ ١٦١-١٦٣، والذيل ٣/ ١٢٠-١٢١.

والعنبية:

وعلاماته: كذلك، لكن النقطة هنا محفوفة بعروق القرنية، وعلامته نقطة بيضاء في السواد، وربما أخذت بعض البياض.

وأنواع القروح سبعة :

- ما يشبه الدخان في اللون، ويعرف بالقتام، ودائرته كبيرة.
- السحاب، وهو دون الأول، وهو أصغر وأميل إلى الصفاء.
- الإكليلي،وهو دون الثاني، محيط بالسواد ما يحاذيه من البياض.
- الصوفي، وهي نقطة تشبه الصوف أو القطن ذات عروق شعرية.

وهذه الأربعة ظاهرة.

وثلاثة في باطن الطبقات:

- أحدها مستدير ضيق إلى الحمرة يسمى التفاحي.
- وثانيها أقل غورا يسمى الحافر، وقيل السماري.
- وثالثها الغائر، وهو أخبثها لتولد الأوساخ والخشكريشات.

ومن القروح ثامن لايختص بموضع من العين، وهو نقطة تحيط بها عروق كثيرة وشعب تبعد معها سلامة العين.

وبالجملة فأسباب قروح العين سوء العلاج في نحو الرمد والجدري ووضع الروادع قبل التنقية، والأكحال الحادة في الأمراض اليابسة.

القمل(١): يكون في الأجفان وغيرها، ويعبر عنه هنا بالقمقام، وفي اللحية بالطبوع، ويقال للكل مطلقا هوام الجسد.

وسببه عفونة وقلة استحمام وحرارة غريبة تشكل المادة المذكورة.

وعلامته حكة ودغدغة وضعف في الشعر، ووجود حيوانات كثيرة الأرجل شديدة الالتصاق بأصول الشعر.

---

(١) النزهة ٢/ ١٦٠، والذيل ٣/ ١٢٠.

الكزاز[١] : هو امتناع الأعصاب والعضل عن حركتى قبض العين وبسطها معاً أو على الانفراد، لدخول المادة بين أنواع الليف، وكأنه غاية التشنج.

الإكليلى :(راجع القروح).

الكلال : (راجع الضعف).

الكمتة[٢] : بخار يابس تحت الطبقات يلازمه انتفاخ في العروق. وعلامته أن يحس عند الانتباه بمثل الرمل، وكأنها فى الحقيقة رمد يابس.

اللؤلؤى :(راجع الماء).

الالتصاق[٣]: التحام الجفنين بحيث يمتنع البصر أو يقل. وسببه رطوبة غروية، ويبس، وسوء علاج من نحو حك الجرب.

الالتواء : الإحساس بميل العين إلى جانب، (راجع الورم).

الماء[٤] : رطوبة تتحيز بين البيضة وصفاق القرنية، فتسد ثقب العنبية فيمنع البصر.

وأسبابه : من خارج: نحو ضربة وحمل ثقيل.

---

(١) الذيل ١٢/٣.

(٢) النزهة ١٥٧/٢، والذيل ١٢/٣.

(٣) النزهة ٥/٣، والذيل ١٢/٣.

(٤) النزهة ١٥٤/٢-١٥٥، والذيل ١١٩/٣.

ومن داخل: امتلاء، وبعد تنفية، ونوم بعد أكل، وأخذ مبخر عند النوم، والحركة العنيفة، والجماع قبل الهضم، وصب الماء الشديد الحرارة على الرأس.

وعلامته :

- رؤية مثل الذباب أمام البصر في الواحدة أولا من غير أن تذهب تارة، وتجئ أخرى.
- والتكدر وصفاء البصر إذا قلب الرأس إلى خلف.
- واتساع الحدقة إذا غمضت الأخرى .

ومن لازمه الصداع فى مقدم رأسه فليعتد للماء.

ثم هو سبعة أقسام :

- رقيق أبيض براق شديد الصفاء، يعرف باللؤلؤى.
- أبيض غير شفاف، لكنه يذهب بالغمز ويعود، ويرى صاحبه عند العطش شعاعات، ويحس بالخيالات والأضواء
- الرصاصى، تجمد معه حركة العين ويكمد لونها.
- الجصى، تكون العين معه كلون الجصى إلى الغبرة.
- بين حمرة وصفرة، ويقال له أسمانجونى.
- الغمام، يرى صاحبه دائما مثل السحاب والدخان، ولايصفو معه لون العين.
- أزرق تجحظ معه العين ويحمر الملتحم.

ورأيت باليونانية لفولس ما معناه أن من الماء ماء أصفر شفافا تتواتر معه حركة العين، وماء رقيقاً ينتشر بين الطبقات، على هذا تكون أنواعه تسعة.

---

(١) النزهة ٢/١٥٤-١٥٥، الذيل ٣/١١٩.

النتوء[١]: هو انصباب مادة زائدة لموجب داخل كامتلاء، أو خارج كضربة تملأ مابين الطبقات والرطوبات فتبرز العين عن الحد الطبيعي بجملتها أو بعضها بحسب تحيز المنصب.

وأسبابه تعود مع كثرتها إلى اندفاع الخلط.

وعلاماتها الألم والبروز والثقل والدمعة، ولايلزمه ذهاب البصر لجواز أن يبقى.

الانتثار[٢] (بالثاء المثلثة): هو سقوط الهدب.

وسببه ورم أو سلاق واحتراق ويبس وحدة ورطوبات بورقية تفسد المنبت والمادة، وقد تفحش حتى تكون ناصوراً ويخرق.

وعلاماتها الغلظ والحدة وسقوط الشعر.

الانتشار[٣]: (بالشين المعجمة): هو اتساع المقلة على وجه لايخرج معه الضوء على خط مستقيم لتفرقه، فإن كان مع ذلك استاع ثقبة التجويف قيل له الاتساع مع الانتشار، ولجواز انفراد أحدهما عدهما الأكثر اثنين.

وسببه استرخاء العضل لسوء المزاج وفساد الدماغ.

وعلامته تفرق البصر وضعفه من غير ألم يحس.

النملة[٤]: مثل السعفة محلاً، وعكسها مادة.

وعلاماتها الإحساس بمثل دبيب النمل، وتشقق الشعر.

الودقة[٥]: قطعة بيضاء تشبه الشحمة، تظهر في الملتحمة.

---

(١) النزهة ٢/١٥٨-١٥٩، والذيل ٣/٥٣، ١٢٠.

(٢) النزهة ٢/١٥٩، والذيل ٣/ ١٢٠.

(٣) النزهة ٣/٤، والذيل ٣/ ١٢١.

(٤) النزهة ٣/٧، والذيل ٣/٥٧، ١٢٢.

(٥) التذكرة ٢/١١٣، والنزهة ٣/١٥، والذيل ٣/١٢٤.

سببها احتباس خلط وامتلاء، وقد تشتبه ببعض قروح القرنيه، يعنى الموسرج، والفرق اللون الأبيض هنا والمحل، ولا فرق فى العلاج لزوال كل بالنوم على الظهر والترفيد.

الوردينج[٢]: عبارة عن امتلاء الشبكية بالدم غالبا فيرتفع حتى يغطى البياض الحدقة، وتنقلب الأجفان.

وعلامته علامة الخلط المنصب حينئذ، فإن صلب وسال بالرطوبة فعسرجدا، وربما زال فى الأطفال من يومه. وأبقراط يسميه فى البالغين تبغا (بالمعجمة).

الورم (والالتواء)[٣]: هذان من علل الطبقة الصلبة، وتكونان إما عن رطوبة، وتعرف بالثقل والاسترخاء والتجذب إلى تحت، أو عن يبوسة، وعلامتها العكس.

والالتواء الإحساس بميل العين إلى جانب، والورم معروف.

وقد يشارك هذه الطبقة غيرها فيهما، كما لو تأذت الجليدية أو البيضة فتشترك باقى الطبقات فى الإطباق، وعلامة ذلك الضيق والصغر، ويسميه بعضهم ضمور الحدقة.

الورم العروسى: (راجع شعيرة).

اليرقان الخاص[٤]: هذا المرض قد يعم البدن، وسيأتى فى علل الكبد. ويخص العين. فمع اليبس يكون من الملتحمة، ومع الدموع يكون من علل الشبكية.

وسببه انصباب الصفراء إليها فتصبغ بها أجزاء العين، فإن كان معه غور وجذب إلى داخل فسدة، وإلا فخلط رقيق.

---

(١) التذكرة ٢/١١٣، والنزهة ٣/١٤، والذيل ٣/١٢٤.

(٢) النزهة ٣/١٢-١٣، والذيل ٣/١٢٤.

(٣) النزهة ٣/١٣-١٤، والذيل ٣/١٢٤.

ثانياً: أسماء أمراض الفم والأسنان واللثة واللسان والشفة

(أ) الفم

جراحة الفم[1]: - تكون إما من آلة أو أكل أشياء صلبة.

- وربما جرح الفم من داخل بغير ما ذكر كطول نوم وجوع تحرق فيه المادة.

(ب) الأسنان واللثة

تآكل الأسنان[2]: - إن كانت عن فرط رطوبة تعفنت واندفعت في أصولها.

وعلامته بقاء السن على حاله، وإلا العكس.

- وقد يكون عن دود.

الحفر[3]: علة اختلف في تعريفها:

- فقال أبقراط: جسم بخاري يستحجر مع أصول السن بعد تصاعده وانعقاده في نحو النوم وترك الأكل.

- وقال جالينوس: هو تغير لون جوهر السن بشرط النفوذ.

ويظهر أنه لاخلاف بينهما؛ لأن البخار إذا اندفع من تجاويف العصب لم يظهر منه في السن إلا التغير، وإلا انعقد على ظاهرها، وعليه ما كان من الدماغ فتغير، وإلا فجرم زائد من المعدة.

- وأسباب هذه العلة: زيادة الخلط والغفلة عن السواك، والسنونات، وطبق الفم عند النوم، وتغطية الوجه، والنوم قبل حلول الهضم، وقلة الرياضة.

---

(١) النزهة ٣/ ٢٩، والذيل ٣/ ١٥، ١٣٧.

(٢) النزهة ٣/ ٢٩، والذيل ٣/ ١٣٧.

(٣) التذكرة ٢/ ١٤٩، والنزهة ٣/ ٣٠-٣١، والذيل ٣/ ١٣٧-١٣٨.

حكة الأسنان(١): لخلط حار مالح، أو عفن لذاع اندفع إليها.

الدود المتولد في الأسنان(٢):

يكون عن رطوبة غضة في أصولها، وهو والتآكل غالبا من بقايا المتخلف من الغذاء فيتغير، ويكون دوداً أو مادة آكالة.

الاسترخاء وتحرك الأسنان(٣):

- يكون غالبا من ارتخاء العصب ولحم اللثة بما ينصب إليهما من المواد الرطبة، حارة كانت أو باردة.
- وما كان منه في الصغر لسقوط اللبنات وظهور غيرها.
- أو في الكبر لضمور السن ونقص المادة.
- أو يكون عن أسباب كفرط الرطوبة واحتراق الخلط وتعفن اللثة، ونحو ضربة وورم.
- أو يكون عن جوع مفرط.

سقوط الأسنان(٤):

- تارة يكون في الصغر، لعظم اللحم والعصب، وكون الأسنان لبنية ضعيفة المادة فتهيئ الطبيعه، بإذن واهبها مادة غليظة يكون منها سن يمارس الأغذية القوية والخدمة الطويلة.
- وتارة يكون في الكبر، وهذا يكون لعجز اللثة ونقصانها فلا تحمل الأسنان القوية فتنسل العصاب وينحسر اللحم فتسقط، وحينئذ قد يكون هناك مادة قد تصلبت فتنبت ضعيفة التركيب كاللبنات فتسقط برسعة.

---

(١) التذكرة ٢/ ٢١.

(٢) النزهة ٣/ ٣٣.

(٣) النزهة ٣/ ٢٧-٢٨، والذيل ٣/ ١٣٦-١٣٧.

(٤) التذكرة ٢/ ٢١-٢٢.

تصعب نبات الأسنان[١]:

قد تعجز اللثة عن مواد تندفع إليها عند الإنبات فيشتد الوجع والورم، وربما قاحت وابتلعه الطفل فيتغير بسبب ذلك مزاجه.

وعلامات ذلك أن يكون ورم اللثة غير متناسب الأجزاء لزيادة موضع السن.

الضرس[٢]: وهو عجز السن عن المضغ لخلط، أو تناول ما يضعف كالحوامض والموالح.

تغير الاسنان والصدأ[٣]: مادته ما مر فى الحفر، وكذا علاجه.

فساد الأسنان[٤]:

قد تفسد فى أنفسها بسبب قلة الاكتراث بتضيفها من بقايا الأطعمة فتفسد بعفونتها.

وقد تفسد بفساد الدماغ فتندفع أبخرته فى أعصابها.

قروح اللثة وبثورها[٥]:

- يكون عن فساد المادة.
- وعلاماتها الألوان وكثرة الرطوبات مع الطرب والتلهب فى الحار والعكس.

أرجاع الاسنان[٦]:

- قد يكون من قبل ريح فى الأعصاب، وعلامته سرعة التموج والانتقال.

---

(١) النزهة ٣/٣٢-٣٣، وفيه تسهل نبات الأسنان، وذلك باعتبار ما سيترتب على العلاج.

(٢) النزهة٣/٤١.

(٣) النزهه٣/٣٤.

(٤) التذكرة٢/٢١.

(٥) الذيل٣/١٤-١٥، ١٣٦.

(٦) النزهة٣/٢٨، والذيل ٣/١٣٧.

- وقد يكون من قبل المعدة، وعلامته الاشتداد عند التخم والنوم وأكل ذى بخار كريه.
- وقد يستند إلى سبب ظاهر كفساد لثة وتآكل وكسر.
- وقد يكون عن سوء مزاج وانصباب بعض الأخلاط الحارة.

وعلاماتها شدة الضربان والتلهب والضرر بملاقاة الحار، أو باردة، وعلاماته العكس.

الورم الخارج من اللثة[١]:

- سببه امتلاء.
- وعلاقته طيب طعمه، وحسن لونه، وعفونته، وعلامته الملوحة والسواد.

(جـ) اللسان

البطء والتلجلج واللثغة[٢]:

ما كان عن استرخاء أو تشنج فكالفالج، وإلافكالثقل واللثغة يتحرى فيها مواقع الحروف من الأعصاب فتحلل بما ذكر.

بطلان الذوق والحس[٣]:

- يكون عن انصباب خلط في أعصابه، فإن لم يحس بحرارة ولا غيرها فهو الخدر، وإن وجد مرارة فالغالب الصفراء، أو عفونة فالسوداء، أو حلاوة فالدم، أو حموضة فالبلغم مع سوداء، أو ملوحة فهو مع الصفراء.

ثقل اللسان[٤]: إما جبلى فلا علاج له.

---

(١) النزهة ٣/٣٣.

(٢) النزهة ٣/٤٠.

(٣) النزهة ٣/٤٠.

(٤) النزهة ٣/٣٨، والذيل ٣/١٤.

- أو طارئ، وأسبابه انحلال البلغم في أعصابه، أو أخذ الأخلاط اللزجة.
- وقد يكون لطول مرض منهك، وتناول الحوامض في الحارة فيضعف العصب.

وعلاماته تلونه بلون الخلط.

سيلان اللعاب(١):

- يكثر في الصغار لرطوبة المزاج وعجز الطبيعة.
- ويكون في غيرهم، إما في النوم خاصة، ويكون من الديدان.
- ويكون مطلقا، فإن غلظت، فالبلغم، وإلا فمن الحرارة.

وغالب ما يسيل وقت الامتلاء عن برد، وبالعكس.

التشقيق والخشونة والحرقة والحكة(٢):

- من أمراض اللسان، متقاربة السبب، وهو حرافة الخلط وحدته وقوة الحرارة.

الضفدع(٣): خلط تحت اللسان كالخراج، وعلاماته كالخلط.

القلاع(٤): بثور في الفم واللسان.

سببها مادة أكالة ورطوبة بورقية وفساد أي خلط كان.

وتنتشر كالساعية، وأسلمها الأبيض فالأحمر، وأردؤها الأزرق فالأخضر، ولا سلامة معهما قطعا، وأما الأسود فمع، التلهب والحرقة قتال.

ويكثر القلاع في الأطفال لفرط الرطوبة، وعلاماته علامات الأخلاط.

---

(١) النزهة ٣/٣٢، والذيل ٣/٥٧.

(٢) النزهة ٣/٤١.

(٣) النزهة ٣/٤٠.

(٤) النزهة ٣/٣٩، والذيل ٣/١٤.

أورام اللسان[١]: سببها اندفاع أحد الأخلاط.

وربما انتفخ اللسان بفرط الرطوبة ويسمى الدلع.

(د) الشفة

شقاق الشفة[٢]: يكون عن استيلاء اليبس وفساد المادة، وتعرف باللون فإنها إن تشققت مع بياض فالفاسد هناك البلغم.

ثالثاً: أسماء أمراض الأذن والأنف وجهاز التنفس

(أ) الأذن

الحصاة[٣] .

الديدان والهوام[٤]: قد تتولد من داخل الرطوبة مجتمعه، وقد تقع من خارج، وعلامتها الإحساس بالحركة، وربما خرج بعضها.

الدوى والطنين[٥]: قيل هما مترادفان، والصحيح أن الأول صوت غليظ، مثل نحو الرعد مستمر، والطنين رقيق يتقطع.

وأسبابهما: رياح إن كان هناك غدد، وأخلاط إن كان ثقل، وإلا فبخارات تحيزت في الوجه.

السدد[٦]: - إما من خارج كوقوع جسم غريب.

- أو من داخل لغلظ الرطوبات وتحجرها في العصب.

---

(١) النزهة ٣/٣٩، والذيل ٣/١٤.

(٢) الذيل ٣/٣٦.

(٣) النزهة ٣/٢١، والذيل ٣/١٤٣.

(٤) النزهة ٣/٢١، والذيل ٣/١٤٣.

(٥) النزهة ٣/١٩-٢٠.

(٦) النزهة ٣/١٨.

الصدمة والضربة[١]:

الصمم[٢]: هو مرض خلقى من أمراض الأذن. وقال جالينوس هو سدد بين التجاويف، وقد يحدث عن سوء مزاج، أو لطعن فى السن، أو لضربة ونحوها.

الطرش[٣] : هو نقص السمع مطلقا أو عن قرب، وقال جالينوس : هو ضعف العصب.

قيل: الصمم والطرش مترادفان عند العامة.

، والصحيح أن الصمم خلقى، والطرش عارض (راجع الصمم).

وقد يحدث إثر الحميات الحادة صمم لكثرة ما صعدته الحمى عن البخار إلى الدماغ.

وقال فى التذكرة :

وهو إما خلقى أو لفرط الكبر أو عارض فى غير السن المذكور.

الطنين : (راجع الدوى).

القروح وسيلان الرطوبات[٤]:

سببهما فى الأطفال رطوبة اللبن وتحريكهم فيسيل ما فى الرأس، وفى غيرهم حرافة المادة، ونحو ضربة ومزعج.،

الماء[٥]:

---

(١) النزهة ٣/ ٢٠، والذيل ٣/ ١٤٣.

(٢) التذكرة ٢/ ١٥٣، والنزهة ٣/ ١٨-١٩، والذيل ٣/ ١٤٢-١٤٣.

(٣) التذكرة ٢/ ١٥٣، والنزهة ٣/ ١٨-١٩، والذيل ٣/ ١٤٢-١٤٣.

(٤) النزهة ٣/ ٢٠، والذيل ٣/ ١٤٣.

(٥) النزهة ٣/ ٢١، والذيل ٣/ ١٤٣.

أوجاع الأذن العارضة[١]:

- إما حارة، وعلاماتها : الالتهاب، والنخس وسيلان الأنف والعين، والعطش إن كان من المعدة، وانتفاخ الوجه إن كان من الدماغ، والكرب، وامتلاء العروق في الرطب، وورم صلب.
- أو باردة وعلاماتها : عكس ما ذكر كثقل بلا وجع، أو ورم رخو.

الوقر[٢]: قال جالينوس: هو بطلان الفرجة، وقيل هو تقادم الصمم، وقيل هو المبطل للسمع أصلا.

(ب) الأنف

باسور الأنف: (انظر الخشم)

جفاف الأنف[٣]: لفرط الحرارة لاغير.

الحكة والورم[٤]: احتقان أخلاط رديئة الكيفية في الحكة، كثيرة الكمية في الورم.

وتكون الحكة عن الحارين (الصفراء والدم) غالبا، والورم بالعكس.

الخشم[٥]: علة تشتمل على كل مامنع الشم والكلام الطبيعي أو أحدهما منعا تاما أو ناقصا.

وأسبابه : إما مدة في الزائدتين فما تحتهما، أو لحم زائد، ويسمى البواسير، أو خلط منعقد.

---

(١) التذكرة ٢/١٨، والنزهة ٣/١٦-١٧.

(٢) التذكرة ٢/١٨، ١٥٣.

(٣) التذكرة ٢/٢٠-٢١.

(٤) النزهة ٣/٢٣.

(٥) التذكرة ٢/١٩، والنزهة ٣/٢٣.

وعلامة السدة: عدم دخول الهواء وثقل الرأس.

والبواسير: إدراكها بالحس.

رض الأنف[١]:

الرعاف[٢]: انبعاث الدم من نفسه.

وأسبابه : فرط الامتلاء، فيفجر العروق بكثرته.

أو فساد الكيفية فيبثرها بحدته، أو لضربة ونحوها.

وعلامة الفاسد من حيث الكمية غلظه وكثرته. والكيفية رقته وانقطاعه أحيانا.

العطاس[٣]: حركة قسرية خاصة بالدماغ، أولها إرادى.

وسببها: من داخل غلبة الحر والرطوبة فينحل الهواء إلى الفضاء طلبا للخروج فيصادف عائقا ما فيحتبس فتدفعه الطبيعة.

ومن خارج فى استنشاق ما غلظ كدخان وغبار خصوصاً عن نحو فلفل، وهذا العطاس فى الأمراض محمول على ما إذا أفرط، أما قليله فمطلوب لما فيه من التنقية.

قروح الأنف[٤]: بثور صغار تتفرق وتتصل.

وتكون إما رطبة أو يابسة بحسب المادة، وأصعبها الداخل والمعفن، وربما خرقت إذا اشتدت حدتها.

وعلاماتها: كالأصل وتلهب ما كان عن الصفراء.

---

(١) التذكرة٣/٢٦.

(٢) النزهة٣/٢١-٢٢،التذكرة٢/١٩.

(٣) النزهة٣/٢٤-٢٥.

(٤) التذكرة٢/٢٠،والنزهة٣/٢٥-٢٦.

النتن والبخر [١]:

- قد يكون عن بواسير وقروح.
- أو عن بخار أو خلط ورطوبات غليظة تغيرت بالاحتباس فى المجارى.

وعلاماتها: الإحساس بكراهة الريح، وأن تنشق المسك ووجدان العفونة.

الورم: (راجع الحكة).

جـ - جهاز التنفس

البحوحة [٢]: هى كلال فى الصوت لحرافة خلط تخشن المجرى فلايسلس انعقاد الهواء والصوت، فإن اشتدت فهى انقطاع، وإلا فهو البحوحة.

وقد تكون عن رطوبات فى نفس الحنجرة، أو من الرأس، أو المعدة تقذفها إلى المرئ فيتزاحم غشاء القصبة فيمنع الهواء أو اليبس فى المجرى.

العلامات: كثرة الريق والبلغم والإحساس بالمنصب والجفاف في اليابس.

وقد يكون عن استعمال كثير كقراءة، وعن نحو ضربة.

البهر: (راجع الربو)

الخوانيق: (راجع أوجاع الحلق واللهاة).

ذات الرئة [٣]: هو ورم جرم الرئة خاصة.

وأسبابه: أحد الأخلاط والبخارات من الأعلى إن تقدم صرع وذبحة، وإلا فمن غيره.

وعلاماته: الوجع وضيق النفس والعطش والحمي والنفث الكثير إن كانت المادة رطبة، وخفة الحمى، والناخس إن كانت باردة، وإلا العكس.

أما حمرة الوجه والوجنة والسعال والانتصاب فلازم فى الكل.

---

(١) النزهة ٣/ ٢٥.

(٢) النزهة ٣/ ٤٢، والذيل ٣/ ٥٠.

(٣) النزهة ٣/ ٤٨، والذيل ٣/ ٥١.

الربو[١]: اشتغال قصبة الرئة بمواد تعاوق المجرى الطبيعى، فإن ضر بالتنفيس فهو ضيق النفس، أو حلل المفاصل والقوى فهو البهر، أو لم يمكن معه السكون إلا قائما مادا عنقه فهو الانتصاب.

وأسبابها: إما رطوبة أو يبوسة، وعلى كلا الأمرين إما أن تملأ المجارى مطلقا، أو تضيق تضييقا غير تام.

وعلامة البلغم خروجه والخرخرة وقلة العطش.

وقد تكون عن بخارات فى القلب، وعلاماتها : عظم النبض والعطش وامتلاء العروق.

وعلامات الكائن عن اليبس جفاف وعطش وانتفاع الصوت بالمرطبات ورقة الصوت. وقد تكون عن ورم فى الرئة،وعلاماته الوجع.

السعال[٢]: حركة يحاول بها حماية الرئة عن واصل، أو متولد فيها، وهل هى قسرية أو إرادية؟ أقوال، أصحها ثالثها وهو التركيب.

وأسبابه: أحد الأمراض المذكورة، أو سوء مزاج أحد الاخلاط، أو بخار دقيق حاد يدغدغ القصبة، أو دخان وغبار يخشنها.

وعلاماته : تقدم ما ذكر، وكثرة الغضب، والبصاق فى الرطب، وقلة العطش فى البارد، وبالعكس فى العكس.

أما تهيج الوجه والخرخرة وتغير الصوت فلازم للكل، خلافا لمن خص الأول بالحار، والثانى بالرطب والثالث بالبلغم.

السل[٣]: وهو قرحة الرئة.

---

(١) النزهة ٣/ ٤٣-٤٤، والذيل ٣/ ٥٠.

(٢) النزهة ٣/ ٤٨،والذيل ٣/ ٥٧.

(٣) النزهة ٣/ ٤٧،والذيل ٣/ ٥١.

وأسبابه سعال مزمن وأخذ أكال كالزرنيخ ودق، وذات رئة، وأكل لحم نحو البقر.

وعلاماته: دقة الصوت، وغور العين، وخضرة الأظفار، وإفراط الهزال،وحمى خفيفة تشتد قرب الهضم، وتغير النفس وخروج المدة نتنه، ورسوبها، وبهما تمتاز عن الخلط.

ضيق النفس: (راجع الربو).

العلق(١): من أمراض الحلق العارضة له كالناشب ونحوه من الشوك والحديد.

انقطاع الصوت: (انظر البحوحة).

نزول الحلق: (انظر أوجاع الحلق واللهاة).

الانتصاب: (راجع الربو).

نفث الدم(٢): هو خروجه من الفم قصداً وإرادة. وهذه العلة لاتختص بآلات النفس، بل هى أغلبية فلذلك ذكرت معها.

وأسبابها: امتلاء وانفجار بفرطه، أو بنمو ضرب، وقرحة فى نحو الرئة، وخراج انفجر، وجرح غائر، ونحوها.

وقد يكون من الرأس والمعدة.

أوجاع الحلق واللهاة(٣):

وهو جوهر الحمى فوق الحنك، يعرض لها ما يعرض لجملة الحلق وتزيد السقوط والاسترخاء، وربما سدت المجرى.

وهذه الأوجاع تكون عن ورم إن زادت المادة، وإلا ساذجة.

---

(١) النزهة٣/٣٦-٣٧، الذيل٣/١٢٥.

(٢) النزهة٣/٤٦-٤٧، والذيل٣/٥١.

(٣) النزهة٣/٣٤-٣٥.

وأسبابها: غلبة أحد الأخلاط فتندفع من الدماغ وتكثر فى الأطفال، فتشال بالأصابع، وربما قاحت ويسمى نزول الحلق.

وعلامة الحار زيادة الورم والحرارة.

والكائن عن السوداء صلابة الورم.

وقد تنصب المادة إلى جانبى الحلق فتنشأ منها الغدد المحشو بها عصب الفك الأسفل، ويسمى اللوزتين. وقد يشتد الورم فيضيق المجرى ويسمى الخوانيق.

رابعاً: أسماء الأمراض البطنية

(أ) أمراض المرىء

حكة المرىء(١):سببها خلط لذاع يستلذ معه بلع الأشياء اليابسة والتنحنح.

الانطباق(٢): استرخاء عضلة المرئ لغلبة البرودة فيمنع من بلع ماليس له جرم صلب كالمرق دون غيره.

عسر الابتلاع(٣): سببه انصباب غير الصفراء- على الأصح- لرقتها وتعرف بالعلامات.

(ب) أمراض المعدة

بوليموس(٤): يونانى، معناه الجوع البقرى، سمى بذلك لأنه يعترى البقر كثيرا لا لعظم الأعضاء فيه.

---

(١) النزهة ٣/٥٤ وذيل التذكرة ١٣٨.

(٢) النزهة ٣/٥٤، وذيل التذكرة /١٣٨.

(٣) النزهة ٣/٥٤، وذيل التذكرة /١٣٨.

(٤) التذكرة ٢/٤٥، والذيل ٣/٢٢.

لأن معنى «بولى» البقر لا الشئ المستعظم، وإلا لنسب إلى نحو الجمال، و«موسى» الجوع.

وهو من الأمراض الباطنية يذكر فى أقسام مرض الأحشاء، وهو «جوع الأعضاء بحيث تخلو من الغذاء مع إدبار المعدة عن الطعام، عكس الشهوة الكلبية، وربما كانت مقدمة له، خصوصا فى الأمزجة الحارة ويتمادى الأمر فيه حتى يفضى العليل إلى الغشى.

الجشا[١]: مادة من بخار دخانى كثيف لم يجاوز فم المعدة.

وهو والرياح والنفخ علل متحدة المواد تكون عن برد المعدة، إما بالخلط الغليظ البارد، أو إفراط الرطوبة، أو تناول ما شأنه ذلك كاللبن، أو زيادة الامتلاء.

الجوع[٢]: عبارة عن فراغ الغذاء ونفوذه من الأعضاء :

وحقيقته انعطاف الغريزية على مافى الأعضاء من الرطوبات، فإنها لها كالدهن للسراج إذا نفذ انطفأ.

فإذاً الموت بالجوع شدة الاحتراق وفناء الحرارة، وقد مر البقرى منه فى «بوليموس»، وغيره إما أن يشتد بحيث يجاوز الحد المعلوم فى طوق البشر بحيث يأكل ما لايمكن أكله لأمثاله،وهذا مما امتلأت به الكتب وثبت فى النفس. وأما الجوع العادى التابع للصحة فهو الحاصل عن شهوة وقد خلا البطن عن الطعام،وإذا كثرت استغنت الأحشاء بذلك وإن قل، وأحسنه ما ثار فى اليوم والليلة مرة، وأكثره ما ثار مرتين.

الحرقة[٣]: هى الإحساس باللذع والحدة وفساد الطعام.

---

(١) التذكرة ٢/ ٨١-٨٢، والنزهة ٣/ ٦٢، والذيل ٣/ ٢٠.

(٢) التذكرة ٢/ ٨٤.

(٣) النزهة ٣/ ٦٤-٦٥ والذيل ٣/ ٢١.

وسببها التخليط وأكل ماله رطوبه سريعة التعفن كالفواكه، وتحدث هذه بعد أكل الطعام زمن الامتلاء.

وقد تكون الحرقة لكثرة ما يدفعه الطحال من السواد إلى المعدة، وهذا النوع يكون وقت الجوع خاصة.

حلة المعدة[١]: تكون إما عن خلط لذاع، وعلامتها اشتدادها وقت الجوع.

- أو بثور فى سطح المعدة، وعلامته الحرقة وقت الأكل.

اختلاج المعدة[٢]: يكون عن ريح وأخلاط متبخرة يلزمها الخفقان لاتصال الحركة بينهما.

وعلامة الاختلاج حكة المعدة، وعلاجه علاجها.

الخلفة والذرب[٣]: هو فساد الغذاء وخروجه بصورته أو بتغير ما، ممزوجا بالمرارة والأخلاط، قيئا أو إسهالا.

وأسبابه : إما ملامسة المعدة إن خرج كما أكل بصورته من غير ألم لرطوبة لزجة فيها.

- أو ضعفها بخلط أكال إن كثر المرار والحرقه بعد الأكل.
- أو نزلات من الدماغ، وعلامتها نحو الزكام واللعاب.
- أوضعف الطحال، وعلامته خروج السوداء.
- أو ضعف الكبد، وعلامته يكون الخارج خوصا إلى البياض، والخضرة، والهزال، والعطش.
- أو سدد فى الدقاق، وعلامته صحة الهضم ورقه الخارج والثقل.

---

(١) النزهة ٣/٦٩، والذيل ٣/٢٢.

(٢) النزهة ٣/٦٩، والذيل ٣/٢٢.

(٣) النزهة ٣/٧١، والذيل ٣/٢٢-٢٣، ١٨٣.

- أو لفساد أحد الأخلاط، وعلاماته مع ما مر علامات الحميات، فيأتي الاختلاف هنا والذرب غبا عن الصفراء أو ربعا عن السوداء، أو نائبا عن البلغم، أو بلا دور عن الدم.

الدبيلة[1]: هي اجتماع ورم في المعدة يلزمه سقوط شهوة وحمى وتأذى بنزول الأطعمة والماء، فإذا انفجرت لزمها قشعريرة وحمى.

وعلاماتها التأذي بنحو الحوامض والحريف، وفي الكل لابد من ظهور المادة في القئ والإسهال وجفاف اللسان.

ديابيطس[2]: يوناني، معناه الدولاب.

وهو عبارة عن منع الكبد والكلى عن التصرف في الماء فيخرج كما يشرب كالأكل مع إزلاق المعدة.

وسببه فرط الحرارة على أعضاء الماء حتى تعجز، وربما وقع معه ذوبان.

وعلامته كثرة الشرب مع عدم الري والنحافة وفساد اللون وحرارة الجانب الأيمن إذا كان في الكبد، وخروج الماء إلى الحمرة، وإن كان في الكلى فعلى لونه.

الاسترخاء[3]: يكون في نفس المعدة إذا ارتفع الصدر وانخفض الظهر، وإلا ففي الرباطات.

وأسبابه كثرة الأخلاط الرطبة.

- وقد يعرض من كثرة التداوى والقئ بحيث يتهلهل شحمها ونسجها فيعجز عن إخراج مافيها إلا بالدواء.

---

(١) النزهة ٣/٦٥، والذيل ٣/٢١.

(٢) التذكرة ٢/٩٨-٩٩.

(٣) النزهة ٣/٧٠، والذيل ٣/٢٢.

الرياح :(انظر الجشاء).

زلق المعدة[١]: هكذا وسم هذا المرض فى كتب أبقراط وجالينوس.

ووسمه المتأخرون بفساد الهضم.

وصرح بعضهم بأن فساد الهضم أعم، لأن المراد بالزلق خروج الغذاء على الصورة التى دخل بها، وفساد الهضم خروجه قبل أن يلبس الصورة العضوية. وعليه يصير الخلاف لفظيا لاختلاف المغزى، لكن الأسباب الموجبة لنقص الهضم وبطلانه وفساده وزلق المعى متحدة، فيجب عد ما ينشأ عنها وهى هذه المذكورات واحداً.

سوء الهضم والتخم[٢]: هو خروج غير منهضم على المجرى الطبيعى.

إن لم ينهضم الطعام أصلا فهى التخمه، أو انهضم مع بقاء الثقل والتمدد والجشاء والقراقر: فإن كان أصل الطعام رديئا فمنه، وإلا فمن المعدة نفسها. فإن كان ما يخرج من جشاء وبراز نتنا كثير الدخانية والحدة فالفساد عن فرط الحرارة، وإلا من البرد.

الشهوة الكلبية[٣]: سميت بذلك لمكالبة صاحبها وحرصه على الأكل كالكلاب.

وأسبابها : فرط الحرارة.

وعلاماتها قلة البراز وسخونة البدن والعطش.

- واجتماع بلغم فاسد الكيفية.

وعلامته حموضة الطعام والجشاء والثقل.

---

(١) التذكرة٢/١١٦.

(٢) النزهة ٢/٦٦، والذيل ٣/٢١، ٥٨.

(٣) النزهة٣/٦٧-٦٨، والذيل٣/٢٢.

- أو سوداء يدفعها الطحال.

وعلامته كثرة البراز والهزال وسرعة الهضم.

- أو دود يأكل الطعام.

وعلامته الصفرة والإحساس بحركة الديدان.

- وقد يكون عن أثر مرض لاستفراغ مافى الأعضاء واشتياقها إلى الغذاء.

وعلامته التأذى بالأكل وإن قل.

العطش(١): يكون عن سوء المزاج بأقسامه المذكورة فى وجع المعدة، وعن أخذ يابس مكثف، أو لطيف مهيج الحرارة كالسمك، أو عن الثلج لجمعه البخارات.

أو عن الشراب العتيق ليبسه.

وقد يكون عن فساد الصدر والرئة إن سكن الهواء البارد، وعن فرط الإسهال لجفاف البدن.

وعن ضعف الكبد كما فى الاستسقاء والكلى.

وقد يكون عن خلط مالح ملزج، وعلامته أن لايسكن بالشرب لتكثف الماء بالخلط.

الغثيان(٢): ضعف أعالى المعدة والإحساس بالقئ دون خروج.

ويطلق الغثيان على ما ذكر إن كان بارد السبب، وإلا سمى وجع الفؤاد عند أبقراط والعامة لقربه من القلب، وسماه بعضهم القلق والكرب، وهذا يكون عند كثرة المراد أو فساد أحد الأخلاط، وربما أوجبها السكر على الامتلاء أو جوع مفرطين.

---

(١) النزهة ٣/٦١، والذيل ٣/٢٠، ٢٥.

(٢) النزهة ٣/٦٠، والذيل ٣/٢٠، ١٨٤.

وعلامة الكائن عن الأخلاط الحارة فتور البدن والعجز والعطش والالتهاب.

وعلامة الكائن عن الأخلاط الباردة العكس.

وعلامة الكائن عن فرط الرطوبة كثرة الريق.

وعلامة الكائن عن البلغم دلاعة الفم.

وعلامة الكائن عن الصفراء مرارة الفم.

وعلامة المنحل عن الرأس تقدم الصداع.

فساد الهضم: (انظر زلق المعدة)

الفواق[١] : هو حركة المعدة لدفع ما يجتمع من الرياح الغليظة.

وسببه: إفراط إحدى الكيفيات والكائن عن اليبس، والامتلاء، والرياح الغليظة، والبرد.

قذف الدم[٢]: بقئ وغيره: سببه الفجار أو انصداع إن كان صافيا.

أو تجلب من عضو إلى آخر إن كان جامداً إلى السواد.

أو يكون عن قروح إن كان معه مادة.

انقلاب المعدة[٣]: كثيراً ما تذكر هذه العلة فى المعدة، والصحيح أنها من علل الأمعاء، وهو أن يتقيأ الإنسان ما أكله بعد الهضم، وذلك لضعف ماتحتها من الأعضاء عن الدفع إلى تحت، فترده إلى المعدة فتقذفه، لكن غير متغير، وبه يفرق بينه وبين إيلاوس.

النفخ : (راجع الجشاء والرياح).

---

(١) النزهة ٣/٥٩، والذيل ٣/١٩-٢٠.

(٢) النزهة ٣/٦٣، والذيل ٣/٢١.

(٣) النزهة ٣/٦٩، والذيل ٣/٢٤.

الهيضة[١] : فساد المعدة بعنف فتتحرك لدفع ما فى أعلاها بالقئ، وأسفلها بالإسهال معا أو مختلفة.

وأسبابها الحركة العنيفة وتخليط الأطعمة بلا ترتيب، حيث تجتمع أغذية كثيرة فى المعدة، والشرب الكثير. وحقيقتها ضعف ما عدا الدافعة من القوى فى المعدة والأمعاء، (أى الهاضمة والماسكة، والجاذبة).

وجع المعدة[٢]: - يكون عن سوء مزاج مفرداً ومركباً ساذجا، أو ماديا على مافيه.

- وقد يكون الوجع عن ورم، وعلامته الثقل من غير أكل وظهوره للمس رخوا إن كان رطبا، وإلا العكس، وظهور المادة الممرضة مع الخارج خصوصا القئ.

- أو عن قروح، وعلامته النخس وخروج المادة.

الوحام[٣] : هو فساد الشهوة والميل إلى أكل نحو الطينة والفحم.

وسببه احتراق باقى دم الحيض خلطا حريفاً يدغدغ المعدة، هذا إذا وقع قبل الخامس.

وقد يكون من نبات الشعر على بطن الجنين فيشك البطن. وأما البواقى فأسبابها أخلاط رديئة فى الكيفية تجتمع مخالفة المزاج العادى فتطلب ما يضادها. ولاشك فى كوب المضاد للمعتاد غير معتاد ما ثبت فى القواعد من كون المنافاة فى الأطراف.

---

(١) التذكرة ٢/١٠١، و،النزهة ٣/٦٦-٦٧، والذيل ٣/٢١-٢٢.

(٢) النزهه ٣/٥٦-٥٧، والذيل ٣/١٩.

(٣) النزهة ٣/٦٣-٦٤، والذيل ٣/٢١.

وقد يكون الميل إلى الأطعمة الرديئة أو الحوامض والكرائح من نفس الطبيعة لا على سبيل التداوى، وهذا الأخير لاتفارقه الصحة بخلاف الأول.

(جـ) أمراض الأمعاء

إيلاوس : (راجع القولنج).

الزحير[١] : من أمراض المعى المستقيم أصالة وإن تعلق بعض أسبابه بغيره.

-وهو قيام قسرى يلزمه تمدد وخروج ماقل من الخلط والقصلة، فالقيام جنس يشمل الإسهال الإرادى، ومابعده يخرج إسهال نحو التخم.

- ورسمه الشيخ بأنه وجع تمددى وانجرادى، وهو رسم للصورية مع تحوله نحو القولنج. ويكون الخارج يسير رطوبة لعوبية.

-وعرفه صاحب الأسباب بأنه حركة من المستقيم تدعو إلى دفع البراز اضطراراً، وهو رسم بالمادة والغاية، وفيه مافيه.

وبالجملة هو مرض يكثر معه القيام والإحساس بأن هناك مايخرج وليس كذلك لاختلاف فعل القوى بالأسباب، وهو إما فساد الصفراء أو انصباب مايخرج منها عن المجرى الطبيعى، أو ملوحة البلغم، أو السوداء، أو الدم. ولكل سبب علامة.

وأسبابه وعلاماته وسائر أحكامه مافى السحج.

الاسهال المعائى[٢]: ويسمى إسهال الدم من المعى دوسنطاريا معائى.

الدوسنطاريا[٣]: يونانية معناها إسهال الدم.

---

(١) التذكرة ٢/١١٩، والنزهة ٣/٨٤، والذيل ٣/٤.

(٢) النزهة ٣/٨٣، والذيل ٣/٢٣.

(٣) التذكرة ٢/١٠٠.

وأكثرهم يذكر هذه العلة فى أمراض الكبد لا لاختصاصها، بل لخطرها هناك، وبعضهم يذكرها فى الأمعاء، وألغاها قوم اتكالاً على مافى الاسهال.

وبالجملة فهى علة خطرة لمضادتها الحياة فى إخراج الدم الذي به القوام.

وسببها فى الأمعاء حبس البراز وكثرة استفراغ المرتين لبشرهما العروق بالحدة، وقد تكون عن حقن حادة أو بواسير، وتسمى حينئذ فوهات العروق.

والدوسنطاريا قد تحفظ أدواراً كالحيض لتوليد الطبيعة الدم وفصله على نسب مخصوصة، وعلاج هذا النوع بالقطع من بادئ الرأى يوقع فى الاستسقاء أو فى الطحال، وربما قتل بسرعة.

وعلاماتها بياض الشفة وفحواتها، وصفرة البدن، وخضر الأظفار لاحتراق الأخلاط والخفقان.

وعلامة الكائن عن الكبد نزول الدم بعد البراز لتأخر انفصاله وخلوص حمرته وجموده وعدم رائحته، ولزوم الحمى. وهذا إن كان معه عطش والتهاب فموت فى الأسبوع لامحالة.

وعلامة الكائن عن الأمعاء سبقه البراز ووجود القوة معه وإن طال، والمغص والقراقر والزجير وانفكاك الحمى أحيانا، بل ربما عدمت، وعدم نقصان شهوة الغذاء.

ديدان[١] : حيوان يتولد فى الجوف عن مادة بلغمية فاعلها الحرارة الغريبة، وصورته مختلفة، وغايته الإضرار بالبدن.

(١) التذكرة ٢/٩٦، والنزهة ٣/٨٨.

وهذه الحيوانات تتولد في البطن، طوال كالحيات إن تولدت في الدقاق، وعراض كحب القراع إن نشأت في الغلاظ، وصغار كدود الجبن في المستقيم.

وسبب الكل رطوبات لزجة تشبثت بالمعي فتهيئها فيها الحرارة.

وسبب الرطوبة المذكورة غالبا الشرب على اللحوم قبل الهضم، وتناولهما نيئة، والجمع بين اللبن واللحم، والإكثار من نحو الهريسة والحمص.

زلق الأمعاء[١]: عدم لبث الطعام وخروجه كما هو، أو مهضوماً بعض الهضم.

وسببه ضعف الأمعاء وارتخاؤها.

وعلامته حدوث نحو الفالج من برد وخدر وسوء مزاج حار إن كان هناك لذع وحدة وخروج مواد، وإلا فبارد رطب إن لم يخرج الرطوبات مع الخارج.

السحج[٢] : جرح المعى وانتفاخ عروقها.

فإن كان خروج الدم لانفجار عرق خرج الغائط أولاً ممتزجاً بالدم، ثم وحده، هذا إذا كان الانفجار في الغلاظ منها.

وإن كان في الدقاق خرج الغائط وحده ثم الدم.

وسببه: انحراف أحد الاخلاط أكالاً بقرحه. وكثيراً ما يكون المغص والإسهال والسجح من احتباس سدة.

الإسهال[٣] : أحد أنواع الاستفراغ يعدل به إذا وقع طبيعيا، وهو إما رافع من قبل الطبع من غير ضرر بالقوى ولا مصاحبة حمى ولا وجع،

---

(١) النزهة ٢/٨٩، والذيل ٢/٢٥.

(٢) النزهة ٣/٨٣، والذيل ٣/٢٣-٢٤.

(٣) التذكرة جـ١/٢٦، ٣٤، جـ٢/١٥.

ويسمى الاسهال الطبيعي، أو بمصاحبة ما ذكر، فإن كان معه دم فهو الدوسنطاريا كبدية كانت أو معائية، أو بمحض خالصاً عن الدم وهي الهيضة، فإن صحبه القيء، فتامة، وإلا فناقصة.

وإما مجلوب بالدواء، وهذا هو الإسهال الصادق على الاستفراغ المعدود في الضروريات.

القولنج(١) : يوناني.

معناه وجع الأمعاء.

وهو في الحقيقة مغص قوي مشتد النخس، يقال لنوع منه إيلاوس، يقئ الأبراز ويخيل أنه يثقب الجنب.

ويفارق المغص بالثقل وعموم الظهر والجنب ووجع الكلى كذلك أيضاً مع ابتدائه من الأيسر، وذلك بالعكس.

وبالجملة فكل مرض يشتبه به كوجع الكبد والرحم يخص موضعه بخلاف القولنج.

وأسبابه : ١- إما لزوجة الخلط فتتماسك به الأثقال فتجف ويسد ويحبس.

وعلامته احتباس مايخرج حتى البول لمزاحمة الأغشية، وتقدم الأغذية الغليظة، والثقل.

٢- أو ريح يحتبس في الطبقات عن أغذية كثيرة الريح كالباقلا وحصر خروج الأرياح.

وعلامته النتوء والنفخ والقراقر والوجع الثاقب والجشاء حامضاً إن غلبت السوداء. وفي هذا النوع لايكثر القبض، وربما سكن الوجع عند الغمز والتكميد بالمسخنات.

---

(١) النزهة ٣/ ٨٥-٨٦، والذيل ٣/ ٢٤.

٣- أو ورم والتـواء، وعلامـة الورم الحمى، وعـلامـة الالتـواء تقـدم ضربة ونحوهما، والوجع فيهما لازم.

المغص[١] : وجع يعم المعى

وأسبابه : إما ريح، وعلامته النفخ والتمدد والقراقر.

أو احتباس مادة حارة، و علامته النخس أو اللذع والحدة.

أو خلط غليظ سحج بمجل واحد، وعلامته لزوم ذلك المحل.

أو سوء مراج.

أو دود.

(د) أمراض الكبد

الدوسنطاريا الكبدية: (راجع الدوسنطاريا المعائية).

السدد[٢] : من أمراض الكبد.

والسدد تمنع النفود منها وإليها.

وسببها غلظ الخلط أو لزوجته، والامتلاء، وبعد العهد بالدواء.

وعلامتـها رقة البول، أو فى المقعر فالبراز والثقل مطلقا بلا شرطا وجع.

الاستسقاء[٣]: هو مرض مادى، سببه مادة غريبة باردة تداخل الأعضـاء على غيـر نمط طبيـعى فتـربو فـوق مـايجب على غيـر مـاينبـغى، إمـا بنفسهـا أصاله، أو تقع المادة فى فرجهـا فتـمتلئ وتزدحم، أو فيـها معاً، وهو غاية المرض. وأعظم أسبابه ضعف المعدة فيـصل الغذاء إلى الكبد غير منهضم فتعجز عنه.

---

(١) النزهه٣/٨١-٨٢، والذيل٣/٢٣.

(٢) النزهة٣/٧٥.

(٣) التذكرة٢/٨، والنزهة٣/٧٥.

واشتق له هذا الإسم إما عن كثرة طلب صاحبه للماء فيستسقى أى يطلب، وبهذا التفسير يتناول أقسامه كلها، أو من صيرورة البطن كزق الماء، فيكون الاسم للزقي أصاله، وللآخرين عرضا، وهو من أمرض الكبد أصاله فى الأصح.

ولا شبهة فى أن أصله وإن كان من فساد الكبد إلا أنه لابد من أن يكون بواسطة فساد أعضاء الغذاء أو بعضها. ويترتب على هذا استحكام التهبيج وتغير اللون.

وأنواعه الثلاثة لحمى وزقى وطبلى.

الاستسقاء الزقى[1]: هو شر أنواع الاستسقاء.

وسببه إجتماع صديد إن غلبت الحرارة، وإلا فمائى بين الصفاق والتراب، أو مجرى السرة وتقعير الكبد، ويزيد حتى تربو الأحشاء وتنحل القوى ويظهر الترهل.

وعلامته قلة البول ولزوم الحمى في الحار، وارتخاء اللحم فى البارد وسماع صوت البطن وخضخضة الماء كالزق عند القرع عليه والانتقال من جنب إلى آخر.

الاستسقاء الطبلى[2]: ويسميه أبقراط الحكيم اليابس، وغيره المجبن، وهو عبارة عن احتباس ريح فى الكبد أو فى فرج الأحشاء فيزحمها فتعجز عن التوليد الصحيح فيفج الغذاء وتكثر الرياح.

وسببه وقوع سدة في المجارى لتوفر مايوجبها.

---

(١) التذكرة ٢/٩، والنزهة ٣/٧٦.

(٢) التذكرة ٢/٩، والنزهة ٣/٧٧.

وعلامته إنتفاخ وتمدد وكبر فى البطن مع خفة وصوت كصوت الطبل إذا قرع، مع ميل إلي الأكل.

فالمجتمع هنا -بدل اللحم والرطوبات - ريح.

الاستسقاء اللحمى[1]: وهو أسلم الأنواع.

وعلامته الانتفاخ وبياض البول، والاستطلاق وبقاء الموضع غائرا بعد الغمز، وكبر البطن بواسطة ما يتحيز من الرطوبات فى فرج الأعضاء.

وسببه برد الكبد أو ما يشاركها بوجه ما وإن بعد كالرئة والكلى، وأخطره ما كان عن المعدة.

الوجع[2] : من أمراض الكبد.

والقول فيه كذلك كالمعدة أسباباً وعلامات وعلاجاً.

غير أن العلامات هنا أشد، فإن الهزال وقئ المرارة وتغير اللون مثلاً عن ضعف الكبد أشد منها فى المعدة.

وتظهر الأوجاع والحرارة ونحو الصلابة فى الأيمن عند الخلف من الأضلاع.

فإذا ضعفت الجاذبة فعلامتها كثرة البراز.

أو الماسكه فالبول.

أو الدافعة فقلتهما.

أو الهاضمة فخروج الأكل مراريا قريباً من صورته الأصلية.

---

(١) التذكرة ٢/٨-٩، والنزهة ٣/٧٦.

(٢) النزهة ٣/٧٣-٧٤.

أورام الكبد[١]: سببها انصباب أحد الأخلاط.

ويظهر للحس حارا فى الحار، ورخوا فى البارد والرطب، وبالعكس.

ويلزم سائر أعلال الكبد سعال وضيق نفس.

سواء القنية[٢]: عبارة عن أول التهييج وتغيير اللون، وهومقدمة الاستسقاء.

سوء مزاج[٣] : من أمراض الكبد.

(هـ) من أمراض المرارة

اليرقان الأصفر[٤]: من أمراض المرارة.

وذلك لأن المرارة وعاء الصفرة، وبينها وبين الكبد ممرها، فإذا عرضت السدد قبل وصول الماء الأصفر إليها تفرق فى البدن من الكبد فيتغير به ما عدا الوجه تدريجياً مع الهزال، وقد تضعف الحرارة عن تفريق مافيها من الماء الأصفر فيحدث اليرقان دفعة حتى العين.

ومن اليرقان نوع أخضر قليل الوقوع بغير الهند، وسببه اجتماع سبب النوعين (الأصفر والأسود).

---

(١) النزهة ٣/٧٤، والذيل ٣/١٢.

(٢) النزهة ٣/٧٥، وذيل التذكرة ٣/٥٨.

(٣) النزهة ٣/٧٣، والذيل ٣/١٢.

(٤) النزهة ٣/٨١، والذيل ٣/٥.

(و) أمراض الطحال

سدد[١] : تكون عن غلظ الخلط.

وقد مر في الكبد.

وجع الطحال[٢] : يكون إما عن ورم، والألم يكون نخساً في الأيسر.

أو عن سوء مزاج، حيث يضعف الطحال بإفراط كيفية، وتظهر دوالها :

والخاص بالرطوبة من العلامات الثقل والترهل وكدورة الخلط وماء القارورة، وغلظ النبض، وفساد الهضم وعظم الجانب الأيسر وظهور الطحال للحس.

وبالحرارة سخونة الملمس والساقين، لانحلال الخلط وصفاء الماء وسقوط الشهوة. وضد كل بعكسه.

وتعظم المذكورات في المادي لتركبه، ثم من المعلوم لزوم كبر البطن وتغير اللون ودقة الساق وثقل الجانب الأيسر في هذا المرض وتغير القارورة إلى الكمودة مطلقا، وظهور الطحال للحس صلبا في اليابس، رخواً في غيره.

اليرقان الأسود[٣]: من أمراض الطحال.

سببه ضعف جاذبة الطحال فيدفع ما عليه إلى البدن فيسود الجلد بذلك الخلط، وذلك علامه اليرقان الأسود، وقد يكون الدفع إلى فم المعدة، وعلامته الجوع وكثرة البراز.

---

(١) النزهة٣/٧٩.

(٢) التذكرة٢/١٥٢ ،والنزهة٣/٧٩.

(٣) النزهة٣/٨٠، والذيل ٣/٥.

(ز) من أمراض القلب

الخفقان:[١] دوام حركة القلب فوق مايجب لانحصاره بما وصل إليه.

وأسبابه طول مرض سقطت معه القوى، أو سوء تدبير فيما يؤكل ويشرب، أو كثره خروج دم، أو لخلط فاسد، فإن كان مع سوء فكر وتخيل فسوداء، أو عطش وحركة فصفراء، أو ثقل وامتلاء فرطوبة من دم إن كانت علاماتها، وإلا فبلغم .

وقد يكون الخفقان لامتلاء المعدة.

الغشي:[٢] بخارات تتجمع في القلب وماحوله فيغيب بتكاثفها الحس.

وأسبابه: نهوك مرض، وإفراط جوع، وغلبة الصفراء إن كان معه حرارة، وإلا غيرها، فإن وقع لاعن سبب وتواتر وروده دل علي الموت .

(ح) الجذام

الجذام:[٣] من الجذم، وهو القطع، سمى بذلك لأنه يقطع الأعضاء أو النسل أو العمر .

ويعرف بداء الأسد لجعله سحنة الإنسان كسحنة الأسد، أو لأنه يعتريه، أو يفترس البدن كافتراسه، وهو علة معدية موروثة، ويقال له أيضاً السرطان العام.

وهو عبارة عن فساد أعضاء الغذاء فلا تحيل غذاء إلى سوى السوداء ولو مرق الفراريج والعنب .

---

(١) النزهة ٣/ ٥١-٥٢، والذيل ٣/ ٨٢، ١٨٣.

(٢) النزهه ٣/ ٥١.

(٣) التذكرة ٢/ ٧٥-٧٦، والنزهة ٣/ ١٧٢-١٧٣ .

وسببه المادى: كل غذاء بادراً كان كحلم البقر والتيوس والعدس، أو حاراً لكنه غليظ لاتعمل فيه الهواضم إلا وقد أخذ فى الاحتراق كالباذنجان .

ومن أسباب فساد الهواء بنحو الجيف والقتلى والعفونات، وقرب المجذومين، ومن أسبابه الجبلية الجماع بعد أكل كل. ماحرف وملح كالخردل والثوم والكوامخ والقديد .

وعلاماته: بريق بياض العين مجمداً، واستدارتها، وكمودة اللون واحمرار البدن والبول ثم اسودادهما، ثم العرق الكثير الملون، ثم تتنه، ثم تغير الصوت بالخشونة فالبحوحة، فنتن النفس، فتقلص الأنف، واستدارة الوجه، فتدرن البدن فتقيحه إن كان الجذام عنها واعوجاج الأطراف ثم سقوطها .

ويكون عن غليان الدم، وعلامته تحجر الوجه وشدة الحمرة وبعض تساقط الشعر. وعن احتراق الصفراء، وعلامته سرعة الانتشار، وقلة الحمرة، والهزال .

وعن السوداء المحترقة أصالة، وعلامته اليبس المفرط، وتمرط وغلظ الأطراف، واعوجاج الأصابع، وتكرج الأظفار.

وعلامة الثلاثة تقدم القوابى والحمرة المظلمة وكدورة بياض العين واستدارة الحدقة والبحوحة، وأسهله الأول وأبعده عن البرء الثالث. وكله قابل للعلاج مالم ينتشر فى الأطراف .

خامساً: الحميات

الحميات:[١] هى حرارة غريبة تشتعل فى القلب وتنبث أو تنصب منه إلى الأعضاء (عن القانون).

أو هى: حرارة طارئة زائدة على قدر الحاجة تختلف زمناً وغيره، بها تخرج الأفعال البدنية عن مجرى الصحة حتى ينفذها القلب ولو بواسطة إلى نهاية البدن مع عدم المانع .

وأقسامها العقلية ستة وتسعون قسماً، وهى ترجع إلى ثلاثة أجناس رئيسية :

١ - حمى الخلط «العفن»، وهى أكثرها تشعباً .

٢ - حمى الدق .

٣ - حمى الروح، أو اليوم .

٣ - حمى الدق:[٢]

حرارة تجاوز الاعتدال حتى تتشبث بالعظام ومافيها تدريجياً .

ويقال لأولها الدق، ولثانيها الذبول، وآخرها التفتت .

١ - حمى الروح:[٣] وتسمى حمى اليوم لانقضائها به فى الأغلب .

وهى حرارة تسخن دون أن تغير الأفعال الطبيعية وتقلع بالعرق الخفيف، ولابرد فيها ، والقبض والبول لحالهما في الصحة إلا إذا كان السبب نحو غضب أوفرح فيعظم، أو غم فيصغر، وتتغير القارورة يسيراً، وقلما تفوت نوبتها يومين .

---

(١) التذكرة ٢/١٢١ - ١٢٣ ، والنزهة ٣/١٦٦ - ١٦٧ .

(٢) النزهة ٣/١٧١ .

(٣) التذكرة ٢/١٢٣-١٢٦ ، والنزهة ٣/١٦٧ .

وأسبابها إما:

- من خارج كمشى فى الشمس .
- أو من داخل كإفراط نفس كغم وفرح، أو بدنى «فى كتعب وسهر.
- أو مجلوبة كإفراط سكر .

وعلاجها التبريد بالأدهان والأشربة، والاستحمام خاصة .

٢ - **حمى العفن:** [١] هى الكائنه عن فساد الخلط بالعفونة المسبوقة بالامتلاء والأغذية الغليظة كلحوم البقر، فتسد العروق وتعمل الحرارة الغريبة فى الخلط .

وذلك الفساد إن كان داخل العروق فالمطبقة، وإلا النائبة، وكان الإطباق لعسر التحليل وقرب الخلط من القلب .

والمطبقة إما مستمرة على الحالة الواحدة، وهى المصاحبة والمساوية، أو زائدة يتلاحق فيها التحليل الأول فتشتد، أو ناقصة عكسها .

وأما النوائب فراجعة فى القصر والطول إلى كثرة الخلط وسهولة انحلاله والتوسط فيهما، والعكس، ومن ثم كانت : البلغمية تنوب كل يوم لكثرة البلغم وسهولة اجتماعه، والسوداء كل ثلاث بعكس ذلك، والصفراء يوماً ويوماً لتوسطها بينهما .

ولانائبة للدم لأنه إن فسدت فى العروق فليس إلا فى الأورام الحادة، فتكون مطبقة أيضاً، لكن أظن فيما يظهر أنها الناقصة .

فالمطبقة مطلقاً هى الكائنة عن الدم خاصة، وغالباً مايطلقون ذلك على الداخل منها لكون الخارج تابعاً لغيره .

---

(١) النزهة٣/١٦٧-١٦٨ .

الحمى المختلطة والمركبة: [١]

سميت بذلك لاختلاط أدوارها وتركبها أكثر من خلط لسوء التقدير وفساد المزاج.

وأشهر ماركب من جنس مع جنس الحمى المعروفة بشطر الغب، وهى تركب الغب مع نائبة البلغم وغيره .

والحمى المعروفة بالورد ، وهى كشطر الغب لكن البلغم فيها أكثر إلى ذلك ممايسوغ تأليفه .

- **حمى انفاليوس:** [٢]

وهى حمى يسخن فيها ظاهر البدن باشتعال قليل من الخلط وظهور بخارات خفيفة،ويبرد باطنه لامتلاء العروق بالبلغم الزجاجى.

- **المغشية:** [٣] لوقوع الغشى في نوبتها ، وذلك لكثرة ماتحلل من المواد الفاسدة إلى فم المعدة والقلب، فتضعف القوى والحركات وتذهب الحس غالباً، ويظهر معها العجز بسرعة وسقوط النبض. وهذه تكون تارة من البلغم الغليظ المرارى فتنوب نوبته، وتارة تكون عن الصفراء فتنوب نوبة الغب .

الحمى الفائتة: [٤] وتسمى المتراقية والمتعدية عن المجرى الطبيعى، وهذه تسمى باسم أداوها ، فيقال خمس خمس إن وقعت كل خامس، وهكذا .

---

(١) النزهة ٣/ ١٧٠/ ١٧١ .

(٢) التذكرة ٢/ ١٣٦ .

(٣) التذكرة ٢/ ١٣٦ .

(٤) التذكرة ٢/ ١٣٥ .

حمى لنقوريا:[١] وقياسها أن تكون عن الصفراء المحترقة داخل العروق، وبلغم جصى قارب سطح الجلد لاتبلغ الحرارة حله ولا تخرج ببرد البدن عن اسم الحمى .

- **حمى الوباء:**[٢]

وهى الكائنة عن تغير الرطبين وخروجهما عن البساطة، أو أحدهما. وإنما يقع ذلك لأسباب :

- إما علويه كتناثر الشهب والصواعق أو شروق ذى شعاع كالمريخ فتنفصل أجزاء رسمية فى الهواء والماء يلزم منها تعفن يوجب فساد الأبدان .
- أو أرضية كدخان وغبار، ونحو جيف .

سادساً: أمراض المسالك البولية

بول الدم وجموده:[٣] يكون بول الدم عن انفجار إن كان خالصاً، وضعف الكلى إن كان كغسالة اللحم .

ويكون جمود الدم عن ضربة أو حمل ثقيل، وعلامته برد الأطراف والنافض وصغر النبض وسبق دم البول إلى الكمودة والتغير .

البول فى الفراش:[٤] كالسلس فيما سيأتى.

وكثيراً مايعترى الأطفال والشيوخ لضعف مزاجهم، ومن يستغرق فى النوم لفرط الرطوبة .

---

(١) التذكرة ١٣٦/٢.

(٢) التذكرة ١٣٧/٢ .

(٣) النزهة ٩٨/٣ والذيل ٢٦/٣ .

(٤) النزهة ٩٦/٣، والذيل ٢٥/٣.

احتباس البول وتقطيره: [١]

أسباب هذا المرض كثيرة، فإنه قد يكون عن :

- جميع أمراض الكلى والمثانة كورم وغيره .
- أو لحم ينبت إثر قروح في أعلى المثانة إن كان الثقل في الأعلى، وإلا العكس .

حرقة البول ولذعه: [٢] يكون إما عن ورم أو قروح ونحوها .

أو لحدة البول بسبب حرارة المزاج وحرافة الخلط .

وعلامته خروج مع الاحتراق غير مصاحب لشيء .

الحصا والرمل: [٣]

من أمراض الكلى والمثانة .

وهي أجساد تصلبت عن حرارة غريبة في مادة غليظة لزجة، تكون في أي فضاء لحجت به وتتابع عليها الخلط المشاكل مثل الكبد والطحال والجنبين .

وأسبابها أخذ ماء لزج وسدد كالهريسة والبيض النضيج والماء الكدر وقلة الحركة .

وعلامتها الثقل والتلهب والتمدد والكرب حالة النوم على الوجه وأوجاع البطن والكلى فيها والعانة والقضيب، وعسر البول في المثانة، ورسوب مثل الرمل في البول ضارباً إلي الحمرة في الكلى، والغبرة في المثانة .

---

(١) النزهة ٣/٩٦-٩٧، والذيل ٣/٢٥-٢٦ .

(٢) النزهة ٣/٩٥ .

(٣) التذكرة ٢/١٣٩، والنزهة ٣/٩١-٩٢، والذيل ٣/١٣، ٢٥، ١٦٦ .

وغالب حصى الكلى فى الكهول والسمان، والمثانة فى الصبيان والذكور والمهازيل، وربما اتصل الوجع بالبيضة والرجل المحاذيين لجانبها .

الدولابى: (انظر ديابيطس)

ديابيطس: [١] يونانية ومعناه خروج الماء كما شرب، كخروج الطعام فى الإزلاق إما لسوء مزاج، أو للهزال .

ويقال لهذا المرض الدولابى لأن الماء كما يشرب يخرج ويزيد العطش فيحتاج إلى الشرب وهكذا .

ريح الكلية: [٢] هو احتقان ريح بسدد ، أو كثرة شرب أو غذاء بارد ، وعلامته التمدد والنفخ مع قلة الوجع .

السدد : [٣] **(جمع سدة)** من أمراض الكلى

تكون عن خلط لزج أو غليظ أو ورم .

وعلامتها: رقة الماء، والألم في الورم والحمى .

سلس البول: [٤] يكون خروج البول فيه من غير إرادة .

فإن وقع إثر سقطة أو ضربة على الصلب فهو لزوال الفقرات، أو ارتخاء الأربطة، وإلا فلارتخاء العضلة والعصب والمثانة بإفراط الرطوبات والبرودات إن كان البول أبيض، ولاعطش ولاتلهب، وإلا فلإفراط الحرارة .

---

(١) النزهة ٣/٩٤ - ٩٥ .

(٢) النزهة ٣/٩٤، والذيل ٣/١٣ .

(٣) النزهة ٣/٩١، ٣/١٢.

(٤) النزهة ٣/٩٥-٩٦، والذيل ٣/٢٥ .

القروح: [١] من أمراض الكلى والمثانة .
تكون عن انفجار عرق إن كثر خروج الدم .
أو دبيلة إن كثرت المادة .
أو خلط أكال إن كثرت القشور .
وعلامتها: وجع البطن وموضع الكلى، وكون الخارج أحمر والبول متعسر، عكس المثانة .

الهزال: [٢] من أمراض الكلى. وهو قلة شحم الكلى وتخلخلها لفرط حرارة أو نكاح أو أخذ مفتح. وعلامته بياض البول وكثرته، وضعف الصلب وسقوط شهوة النكاح .

وجع الكلية والمثانة: [٣]
يترتب عليه سوء مزاج، ويكون لفساد الخلط .
وعلامة الحار منه قوة الحرارة والعطش والهزال، وصبغ القارورة وشدة الشبق .
وعلامة البارد عكس ذلك .

ورم الكلية: [٤] إما حار، وعلامته الحمى المختلطة، والصداع، والعطش، ووجع البطن والكلى وعدم القدرة على غير الاستلقاء .
أو بارد، وعلامته قلة الوجع، وكثرة الثقل والتمدد .

---

(١) النزهة ٣/ ٩١، والذيل ٣/ ١٢، ٢٥.
(٢) النزهة ٣/ ٩٣، والذيل ٣/ ١٣.
(٣) النزهة ٣/ ٩٠، والذيل ٣/ ١٢، ٢٥.
(٤) النزهة ٣/ ٩٤، والذيل ٣/ ١٣.

سابعاً: الأمراض التناسلية

- **الأدرة:** (انظر الفتوق)
- **الحكة:**[١] من أمراض الأنثيين .
- **الاحتلام:** [٢] وهو خروج المنى فى النوم من غير إرادة.

سببه: توفر الماء، والامتلاء، وكثرة أخذ مايولده، والنوم على الظهر، وبعد العهد بالجماع، والتفكر فيه، والبرد، أو من ضعف الكبد أو الكلى أو المثانة والإحليل .

الحمى والوجع والانتفاخ والحمرة:[٣] من أمراض الأنثيين .

درور المذى والودى والمذى والمنى دون إرادة:[٤].

- لإفراط كيفية أو خلط .
- أو لامتلاء وطول عهد بالجماع .
- أو توالى أغذية منوية .
- أو فساد أوعيتها .

الدوالى: (الخاصة بالأنثيين):[٥]

عروق ملتفة إلى الصفرة، وكثير ماتعرض فى الشمال للبرد فى الجبهة وزيادة العرق فى الخصية .

---

(١) النزهة ٣/١١٧، والذيل ٣/٣٦.

(٢) النزهة ٢/١٧، والذيل ٣/٣٦.

(٣) النزهة ٣/١١٥، والذيل ٣/٣٦.

(٤) النزهة ٣/١١٣، والذيل ٣/٣٥.

(٥) النزهة ٣/١١٧، والذيل ٣/٣٦.

ارتخاء جلدة الخصية: [١]

كثيراً مايطول هذاالجلد عن الحد لاستيلاء الرطوبة .

سرعة الإنزال: [٢]

- الأغلب أن يكون من البرد والرطوبة، وعلامته كثرة مايخرج .
- أو إفراط حر، وعلامته اللذع والحدة ورقة الخارج وقلته.

ضعف الباه (نقصانها): [٣]

يكون عما يأتى:

- إفراط الكبر، وهذا لاعالج له .
- مرض أجحف بالبدن .
- توالى جوع وصوم وسوء معيشة، وقلة غذاء يولد الدم .
- لبس مايهزل كالخشن من الشعر .
- النوم على الحجر .
- ترادف الهموم والكدورات النفسية.
- ميل النفس إلى الزهد والخلوة وتفكر أمور الآخرة .
- رغبة النفس فى التوحش .
- كثرة الممارسة كالملل من طعام كوثر من أخذه .
- عيب خلقى «العنة»، ولاعلاج لها .
- تشويش عضو رئيس.
- الدماغ أو القلب أو الكبد .

---

(١) النزهة ٣/١١٧، والذيل ٣/٣٦.

(٢) النزهة ٣/١١٤، والذيل ٣/٣٦.

(٣) النزهة ٣/١٠٦-١٠٨، والذيل ٣/١٤٤-١٤٥ .

- يبس المزاج أو برده أو حرارته .
- قلة ماينفخ الأعصاب .
- احتباس أخلاط باردة فى نفس القضيب .
- توهم وحياء من المجامع.
- اعتقاد السحر والرباط .
- طول عهد بالجماع، فتعرض القوى عن توليد الماء كما تعرض عن توليد الحيض أيام الرضاع .

العظم: [١] قد يعرض لأ لورم، بل لخصب، وخلط بين الأغشية، فمع الأوجاع حار، ودونها بارد .

عاقويا: [٢]مثل القريوس فى المادة والعلاج، لكنها لاتكون إلا باردة، ويكثر فيها تمدد القضيب واختلاجه، وربما احتيج إلى حجمه أو إرسال العلق .

العقم: [٣] (خاص بالرجال) ، وهو عبارة عن عدم الإحبال. (وراجع العقر فى أمراض النساء).

اعوجاج القضيب وانسداده: [٤]

يكون ذلك إما لقروح وحدة أخلاط، وعلامته الوجع والحرقة. أو لخلط لزج، وعلامته عسر البول بلا وجع، وربما خرج الخلط مع البول.

---

(١) النزهة٣/١١٦ .

(٢) النزهة٣/١١٥ ، والذيل ٣/١٣٦.

(٣) التذكرة ٢/١٤٤ ، والذيل ٣/ ١٢٥ .

(٤) النزهة٣/١١٧ ، والذيل ٣/ ٣٧ .

الغيوط: [١] هو من تقارن إنزاله ببرازه من غير إرادة .

وسببه: مزيد الإفراط فى اللذة فترتخى عضل المقعدة بما ينحل إليها من الرطوبات .

الفتوق: [٢] وتسمى القرو والقيلة والأدرة. وقيل القرو الماء، والقيلةاللحم، والأدرة نزول الثرب، والفتق يعمها. وهى علة رديئة عسرة تكثر فى البلاد الرطبة.

وأسبابها: كثرة الامتلاء والشرب والجماع والحركة قبل الهضم .

- وقد تكون عن صيحة ووثبة وحمل ثقيل .

ثم هى إما من نفس المعى: وعلامته أن ينفتق ويظهر أولاً قريباً من السرة، ثم يزيد وتتحول إليه الفضلات شيئاً فشيئاً .

وإذا غمز عاد بعسر ووجع وقد لبخ .

أو نفس الثرب: وعلامته أن يرجع حال الاستلقاء بنفسه، وفى غيره بالغمز دون ألم ولاقراقر .

وقد يكون ريحاً: وعلامته الخفة والقرقرة والطلوع أو النزول بسرعة.

وقد يكون ماء: وعلامته الثقل وبريق الجلد والعروق والزيادة المتصلة، وألا يصعد .

وقد يكون عن مادة غليظة، وهذا هو اللحمى، لانعقاده إذا لم يتدراك، وعلامته الكبر والصلابة مع سلامة الثرب، فهذه أقسام هذه العلة .

---

(١) النزهة ٣/١١٥، والذيل ٣/١٨٤ .

(٢) النزهة ٣/١١٧-١١٨، والذيل ٣/١٣٥-١٣٦ .

القروح فى الأنثيين والقضيب: وتسمى المذاكير .

القرو: (انظر الفتوق)

فريسموس:(١) يونانية، معناه دوام انتصاب القضيب من غير شهوة.

وسببه: انقلاب المنى ومافى أوعيته من الرطوبات ريحاً غليظاً انفاخاً، لتقدم امتلاء وغذاء منفخ، وكثرة نوم على الظهر .

التقلص والارتفاع والصغر:(٢)

تعرض هذه الأمراض للأنثيين حيث يستولى البرد على مزاجهما فيصغر، وربما ارتفعا وغابا فأوجبا عسر البول وعدم الإنزال .

القيلة: (انظر الفتوق) .

كثرة الشهوة:(٣) مثل سرعة الإنزال وعلامات .

ثامناً: أمراض العظام والمفاصل

البتر:(٤) يقع التفريق فيه فى الأوردة .

البتق:(٥) يقع فى العصب عرضاً .

البثق:(٦) يقع التفريق فيه فى الشريان عرضاً .

برد الأطراف وفسادها:(٧)

حيث تحتقن المادة بأطراف اليدين والرجلين فتنقص الحس ثم تغير اللون، ويتدرج الأمر إلى التعفن والسقوط .

---

(١) النزهة ٣/١١٤، والذيل ٣/١٣٦ .

(٢) النزهة ٣/١١٧ .

(٣) الذيل ٣/٣٦ .

(٤) التذكرة ١/١٤-١٥، ٢/٨٥ .

(٥، ٦) التذكرة ٢/٨٥ .

(٧) النزهة ٣/١٤٧، والذيل ٣/١٨٤ .

البزق:[١] يقع التفريق فيه فى الشريان طولاً .

الحدبة:[٢] هى خروج بعض الفقرات عن السمت الطبيعى بخلط ونحوه قسراً فتبرز وتدخل فى مادة نحو الفالج، غير أن المادة هنا فى العصبانيات والعظام، حيث يضعف الدماغ عن تصريف ماصار إليه دفعة من طريق النخاع والأعصاب، وتحيز بين فقرتين وفرق بينهما ، ووقع البروز إلي الخلف، سواء كان الفاعل لذلك خلطاً خرج فى الكم أو الكيف، كمزيد برد أو لزوجة، أو رياح غليظ، وتسمى ريح الأفرسة اصطلاحاً، معدولاً عن الفرسة، ومثل ريح الأفرسة الحدبة مطلقاً، وقيل الميل خاصة .

وأسبابها: الجماع حال ضعف الدماغ، والامتلاء، والحركة العنيفة بعد التغذى بنحو الهرائس، وبعد الاستفراغ .

وعلامتها: وجع الأعصاب والارتخاء، وفرط اليبس مع الامتلاء، وكثرة الأغذية المولدة للخلط والبخار الغليظين .

اختناق الدم تحت الظفر:[٣] وذلك لانشراح عصب أو امتلاء عرق انفجر أو ترشح .

الخلع:[٤] زوال العضو عن تركيبه بخلقته، ووقع فى عظمين بمجرد مفارقة أحدهما للآخر .

---

(١) التذكرة ٢/ ٨٥ .

(٢) التذكرة ٢/ ١٤٩، والذيل ٣/ ١٦ .

(٣) الذيل ٣/ ١٨٤ .

(٤) التذكرة ٢/ ٨٥، والنزهة ٣/ ١٨٤ .

وربما خفي في العضد بأن يدخل في الإبط والفخد والأرنبة. ويعلم بورم أو ظهور جلد أو منع حركة أو مقايسة عضو إلى آخر فيطول ويقصر .

داحس: [١] يوناني، معناه ورم الأظفار، وهو انصباب مادة حارة في الأغلب بين الأغشية تنتهي إلى منابت الأظفار، فتخبث، وتسقطها، إن عمت. ويلزمها شديد ألم وضربان لشدة حس العضو وكثرة العروق هناك. وعلامته نتوء وحمرة ووجع شديد إن تمحضت الحرارة، وإلا كان خفيفاً .

الدوالي: [٢] سميت بذلك لامتدادها وكثرة تلافيفها كدوالي الكرم. وتكون عن انصباب أي خلط غلب ولو كيفا سوى الصفراء إلى عروق الساقين والقدمين كداء الفيل، هذا هو الصحيح. وماقيل من أن الدوالي عبارة عن تحيز المادة في الساقين، وداء الفيل في القدمين فكلام من لم يرسخ له قدم في الصناعة .

والصحيح وقوع كل من المرضين في كل من العضوين، بل قد يجتمعان في وقت واحد .

والفرق بينهما تحيز ماانصب بين الأغشية والعظم والجلد واللحم في داء الفيل، وفي هذه إنما يكون المنصب في تجاويف العروق خاصة، ومن ثم تظهر في الرجل ملتفة ملتوية كحبل ملفوف تثقل وتنقص الحركة والقوة .

---

(١) التذكرة ٢/٩٤، والنزهة ٣/١٤٥، والذيل ٣/١٨٤ .

(٢) التذكرة ٢/٩٣، والنزهة ٣/٣٩ والذيل ٣/١٦، ١٨ .

ثم اختلفوا فى هذه العروق الظاهرة للحس هل هى أصلية ظهرت لكثرة ماينصب إليها، أو هى عروق كونتها المادة تكويناً غير طبيعى كالسمن الخارج ؟

المعظم على الأول، ومنهم الشيخ والطبيب، لأن الطبيعة لاتتكون على وزان العروق لضيق المكان وبعد اختصاص الحرارة العاقده على هذه الكيفية .

وقوم من المحققين على الثانى، ومنهم الرازى وهذا هو الأصح عندى .

وأسبابها: ماسيأتى فى داء الفيل من نحو الوقوف وحمل الأثقال.

وتتلون بلون الخلط المنصب إليها، فإن كان سوداء كانت كدرة إلى الغبرة، وقد تكون إلى الخضرة إذا غلب احتراق الخلط، أو بلغما كانت إلى البياض والشفافية، أو دماً فإلى الحمرة بحيث تغير الدم، وتكون من اجتماع المذكورات كلها أو بعضها .

داء الفيل:(١) سمى بذلك لاعترائه الفيل، أو لشبه الرجل فيه برجله.

وحقيقته: انصباب أحد الباردين فى الرجل فتتغلظ فى مجاريها من لدن الركبة إلى نهايتها، فهو زيادة غير طبيعية تحدث دون الركبة، وقبل تخص القدم. وربما قرحت وأضعفت الرجل، ويكون عن دم أو بلغم .

ومادتها الإكثار من كل مايولد السوداء الغليظة كلحم البقر والأسماك الكبار، ويزيده مع ذلك المشى، وحمل الثقيل، والشرب قبل الهضم، وأكل ماينهضم قبل أن ينخلع صورة الغذاء، والجماع على الامتلاء .

---

(١) التذكرة ٢/٩٢-٩٣، والنزهة ٣/١٣٩، والذيل ٣/١٦، ١٨ .

الرض[١]: يقع التفريق فيه في الأوتار والأعصاب معاً، أو هو فساد مافوق العظم من عصب وغيره ولو غشاء، وقد يخص الرض بما حصل من ضربة أو صدمة ولم يخرج منه دم .

ريح الأفرسة: (انظر الحدبة)

السمن المفرط:[٢] قد ثبت في سائر الأحوال والقوانين أن الاعتدال في كل شئ حسن، فأحسن حالات البدن، أن يكون معتدلاً في السمن والهزال أيضاً كباقي الحالات، مائلاً إلى الثاني في الذكور، والأول في الإناث، وذلك لأن السمن المفرط يوجب ضيف النفس والربو وعسر الحركة وموت الفجأة، لأن الطبيعة ترسل الغذاء فلا يصادف محلاً لضيق العروق فينصب إلى القلب أو يفجر العروق .

وأسبابه: قلة الرياضة، وكثرة الفرح والسرور، والغذاء الدسم كاللحم والحلويات ونعومة الشباب، والاستحمام علي الشبع، والأدهان المرطبة .

الشق:[٣] يقع في العصب طولا، والأصح أنه يقع في العظم.

الصدمة والضربة.[٤]

الظليعة[٥]: علة تصير معها الأظفار براقة البياض تنكسر كالزجاج.

وسببها: برد ويبس كثف وحبس .

---

(١) التذكرة ٢/٨٥ .

(٢) النزهة ٣/١٧٦-١٧٨، والذيل ٣/٦٩ .

(٣) التذكرة ٢/٨٥ .

(٤) الذيل ٣/١٤٣ .

(٥) النزهة ٣/١٤٦، والذيل ٣/١٨٤ .

عرق النسا: [(١)] هو انصباب المادة من رأس الورك إلى الأصابع من الجانب الوحشى، وقيل لايشترط عموم المادة فى المسافة المذكورة في التسمية دفعة. وأحكامه أحكام المفاصل مطلقاً .

القمطلاس: [(٢)] يونانية، أى انتفاخ الظفر، وهو ورم بحكة ينصب فى الأصابع حين يمسها البد فى غدوات الشتاء والخريف لتكثف الظاهر وغلظ المنحبس، وربما كثر وطال الانتفاخ .

الفسخ: [(٣)] يقع التفيرق فيه في العضل طولاً .

القصع والقعس: [(٤)] حيث يضعف الدماغ عن تصريف ماصار إليه دفعة من طريق النخاع والأعصاب، وتحيز بين فقرتين وفرق بينهما ودفع البروز إلى قدام .

التقلص والاسترخاء: [(٥)] سببه: استيلاء المادة على الظفر فينقلب أو يسترخى، وربما انقلع .

الكسر: [(٦)] هو تفرق اتصال العظام، أو زوال العضو عن تركيبه بخلقته، ووقع فى عظم واحد كأن تجزأ كباراً أو صغاراً، أو تشظى، أووقع في عظمين .

---

(١) الذيل ٣/١٧-١٨، والنزهة ٣/١٣٧ .

(٢) النزهة ٣/١٤٧، والذيل ٣/١٨٤ .

(٣) التذكرة ٢/٨٥ .

(٤) التذكرة ٢/١٤٩ .

(٥) النزهة ٣/١٤٦، والذيل ٣/١٨٤ .

(٦) التذكرة ٢/٨٥، والنزهة ٣/١٨٣ والذيل ٣/١٤ .

- أو هو عبارة عن انفصال أجزاء العظم أو العظام بحيث يصير الجزء الواحد بعد شكله الطبيعى جزأين فصاعداً، وكل إما صغاراً أو كباراً، وكل إما مع الشظايا أو لا، وكل إما بحيث لو ألقيت لانتظمت طبيعية أو لا .
- أو هو تفرق اتصال العظم .

مرض الملوك: (راجع وجع المفاصل).

الميل والصدع والتعوج:[١] حيث يضعف الدماغ عن تصريف ماصار إليه دفعة من طريق النخاع والأعصاب وتحيز بين فقرتين وفرق بينهما ووقع البروز إلى أحد الجانبين. (راجع الحدبة) .

النقرس:[٢] هو احتباس المادة فى إبهام الرجلين وعظام القدم كلها بحيث يكثر الألم والنخس لضيق المحل وكثرة المادة، وربما كان معه الورم.

الهتك:[٣] يقع التفريق فيه في العضل عرضاً .

الهزال:[٤] هو نقص ماعدا الأعضاء الأصلية من لحم وشحم نقصاً غير طبيعي.

ويتقارب بحسب الأقاليم، فإن وجوده فى نحو الزنج لاكوجوده فى الصقالبة، فإن مبادئه فى أهل الثانى كغاياته فى الأول .

والأبدان المهزولة مستعدة لقبول الأمراض لتخلخلها .

وأسبابه: إما غذائية: قلته أو لطفه أو رداءته .

---

(١) التذكرة ١٤٩/٢، والذيل ١٦/٣ .

(٢) النزهة ١٤٧/٣-١٣٨، والذيل ١٨/٣.

(٣) التذكرة ٨٥/٢ .

(٤) التذكرة ١٠٢/٢-١٠٣، والنزهة ١٧٨/٣.

- أو بدنية: كضعف الأعضاء .

أو نفسية: وأعظمها الهم فالغم ثم الاهتمام بنحو السياسات الملكية والمناظرات العلمية وتحصيل نحو الأموال، فإن كلاً من هذه صارف للقوة عن التصرف الطبيعي فى الغذاء، فقد قال أبو قراط: ليس للأعضاء المهمومة أو المهمة من الغذاء إلا ثقلها به .

- أو خارجة عن الثلاثة: كالإفراط فى الرياضة، وتعاطى نحو الحدادة من الصناعات المحللة، ووجود الديدان والمشى في الحر والرمل، وأكل كل حامض ومالح .

- ثم الهزال إما طبيعي، وعلامته القدرة على الجماع والنشاط وصحة الأعضاء وامتلاء العروق لإعراض الطبيعة عن توليد الدم غذاء. أو مرض، وعلامته سقوط القوى والجفاف ورقة الشعر .

الوثى:(١) هو زوال التركيب يسيراً، وهو كالخلع فى أن كلاً منهما تابع لحركة المفصل، فإن كان كالركبة يقبل الحركة إلي الجهات الأربع جاز انخلاعه إليها، وإلا فبحسبه .

أوجاع الركبة:(٢) هى كالورك فى انحصار المادة وسائر الأحكام .

وجع المفاصل:(٣) يكون عن المرار غالباً إذا خالطت ماغلب من خلط فأكثر، فإن اتفق بلا مرار صفراوية فعن البلغم، وهو نادر، وحقيقته أورام لاتنضج ولاتجتمع لتشبثها بالعظام، وقل أن تعترى نحو النساء

---

(١) التذكرة ٢/ ٨٧ .

(٢) النزهة ٣/ ١٣٨، والذيل ٣/ ١٨ .

(٣) النزهة ٣/ ١٣٥، والذيل ٣/ ١٧ .

والصبيان لقلة مرائرهم، وكثيراً ماتكون في المترفهين لتوفر المواد، ومن ثم يعرف عند كثيرين بمرض الملوك .

وأسبابه: كثرة أكل اللحوم وشرب الخمور والجماع على الامتلاء، وكل حركة عنيفة، وإدمان الحوامض، وماغلظ كلحم البقر.

وجع الورك: أسبابه كأسباب وجع المفاصل السالف الذكر .

الوهن: [١] كالكسر فى جواز عروضه لكل جزء من الأعضاء .

تاسعاً: الأمراض العصبية والنفسية

أ - الأمراض العصبية

أم الصبيان: [٢] انصباب مواد على الصدر تصب النفس وتغير العين، وتمسك أعصاب اليد والرجل ثم تنحل .

وهو مرض يعترى الأطفال، وسببه عند الأطباء فرط الرطوبة المزاجية واللبنية، وضعف الحرارة فتصعد الرطوبة بخاراً رطباً يضرب الرأس فيخمره، ثم يسيل الصاعد فيحبس النفس ويغشى، وقد يبرد الأطراف، ولافرق بينه وبين الصرع إلا عدم الزبد على الفم هنا، والأولى عده من أمراض الدماغ، وبعضهم أدرجه فى الاختناق، وبعضهم فى الحميات، وقوم فى العامة.

وقد يكون سببه التخم الحادثة للمراضع أو للأطفال أنفسهم بواسطة مايمازج اللبن من الريحية الكائنة عنها، إذ لاقدرة لحرارتهم على تحليلها كالحمامات والأدوية والأعتاب فيبعثون بالطفل لخفة روحانيته .

---

(١) التذكرة ٢/٨٧ .

(٢) التذكرة ٢/١٣-١٤، والنزهة ٢/ ١٣٠، والذيل ٣/ ١٨٠، وراجع (الصرع) .

وعـلامـة النوعين الغـشى، وبرد الأطفـال، وتغـيـر اللون، وتقلص الأعضاء، وحركة اليد والرجل بغير الإرادة، ومداومة حركة الرأس.

إيلينسيا: (انظر الصرع)

البرسام:[١] إن تعلقت المادة فى كل من (السرسام والقرانيطس، والليثرغس والسقاقيلوس والغاغرغانا) الآتى ذكرها بالحجاب الفاصل بين الصدر والمعدة سمى المرض حينئذ برساماً .

البيضة:[٢] تطلق على ماخص وسط الدماغ، وقد تطلق على الصداع العام وتكون عن شدة البخار واحتباس المادة وفسادها .

والعلامات: كثرة الضربان في الحار، والدموع والتهيج والثقل في البارد ، والبهتة، وعسر الكلام وتغير الذهن، ونقص الحواس فى الكل .

الجمود:[٣] من حقهم أن يعدوه مرضاً عاماً، لأنه عبارة عن وقوف الجلد في مجرى الماء من التجاويف عن التداخل الطبيعى، وهذا واقع لكل عضو، وإنما ذكره بعضهم قسماً من الشوصة لأكثريته هناك، وعده بعضهم مع ذكر البرد وشقوق العصب، وآخرون أدرجوه فى الخدر، والصحيح ماقلناه .

وهو فى الأغلب سوداوي، ولايكون من غير برد ، والساقط منه من الرأس يوقف العضو علي الحالة التى كان عليها قبل نزوله، كما إذا طرق اليد وهى مبسوطة لم يمكن قبضها ، وبالعكس، فإن

---

(١) الذيل ٣/٥٥، ١٧٨ .

(٢) النزهة ٢/١٠١، ١٠٢ وراجع (الصداع) .

(٣) التذكرة ٢/ ٧٥ .

صادف الشريان كان الموت فجأة، وربما كان معه غطيط واضطراب إن أفرطت رطوبته، وأكثر مايقع هذا للسمان، ومن يغتذى باللبن كثيراً ويلازم الحمام بلا بطء،وينقع رأسه فى الأبازير الحارة، وأسرع من ذلك الجلوس فى الشمس .

وأما الجمودالعام فأكثر مايقع لنحو القصارين ومن يشرب الثلوج كثيراً .

ومن أسبابه في المعدة خاصة معالجة شرب نحو البطيخ من فوق ماله غروية أو دهانة كالهريسة أو الألية .

وبالجملة كل ماأفضى إلي قهر الحرارة الغريزية فهو يوجبه داخلاً كان كشرب نحو البنج، أو خارجاً كتلقى الهواء البارد مع مفتح للمسام كحمام وجماع، ومنه مزايلة البارد اليابس كالأفيون .

الجمود: (١) شدة برص الصدر فيسكن النفس والحركة .

وسببه: الإكثار من المبردات من داخل، أو خارج كالإكثار من أكل اللبن والثلج والأفيون والرصاص والبنج، وربما قتلت فجأة .

الجمرة: (٢) تظاهر المرض فى أجزاء الرأس مع عموم الداخل واختلاط العقل، واشتداد الحمرة، وإطباق الحمى، وكان عن الصفراء أو عن الحارين.

الجنبشة: (انظر سقاقيلوس).

الجنون والهذيان: (٣) عبارة عن زوال العقل أو استتاره بحيث ينقص، أو يعدم التميز أو الشعور .

---

(١) النزهة ٣/٥٠-٥١ .

(٢) الذيل /٥٦ .

(٣) التذكرة ٢/٨٤-٨٥ .

وهو إما مطبق أو متقطع، إما بأدوار معلومة أولا، وكلها إما تامة أو ناقصة، وأنواعها كثيرة كالصرع والماليخوليا والسرسام، وكل في موضعه .

الحمرة: [١] (بالمهملة): تظاهر المرض فى أجزاء الرأس، ولكن مع عموم الداخل مثل الجمرة، ولكن سلم العقل وخفت الحمى، وهو ورم براق شفاف قوى الالتهاب .

الخدر: [٢] نقصان حس الأعضاء أو بعضها لسدة تحبس الروح غير تامة، وكأنها مبادئ السكتة، وقد تكون لالتواء عضو وانضغاط عصب، وخطأ في نحو فصد وقطع يصيب العصب .

وأسبابه أسباب السكتة، لكن إن كانت ضعيفة .

الاختلاج: [٣] احتباس بخار فى محل من البدن لغلظه، فتطلب الطبيعة دفعه فيتحرك العضو وإن لم يكن كذلك كالزلزلة .

وسببه: غلظ المادة وقلة الرياضة واستعمال الأشياء الغليظة .

وعلاماته: التثاؤب.

ويختص الوجه بالسعوط، فإنه تنقية أعضاء الرأس.

قالوا: ولايتفق اختلاج في متضادين بين كل مانحف أو عظم .

الاختناق: (انظر الصرع) .

الخودة: [٤] (انظر البيضة والصرع)

---

(١) النزهة ٣/١٤٩-١٥٠، والذيل ٣/٥٦، ١٨٥ .

(٢) النزهة ٢/١٢٥، والذيل ٣/١٧٩ .

(٣) النزهة ٢/١٢٦، والذيل ٣/١٧٩-١٨٠.

(٤) النزهة٢/١٠١-١٠٢.

تطلق على المرض الذى يأخذ دائر الدماغ، وقد تطلق على الصداع كالبيضة، وعليه يترادفان .

راجع الأسباب والعلامات في الكلام عن البيضة .

الدوار: [١] عبارة عن تلاقى الأبخرة بحركات مختلطة يشعر معها بالدوران وعدم التماسك .

العلامات: كثرة الدوى والطنين واختلاط العقل، وعدم القدرة علي الوقوف والجلوس وكثرة الغشى والسبات .

وهو من أمراض الرأس فى الأصح، وقيل من أمراض الدماغ، والاسم للصفة اللازمة لالعين المرض .

وصورته تخيل الشخص أنه دائر بجملة أجزائه، أو أن المكان دائر عليه. وفاعله: مااحتبس .

ومادته: الخلط والبخار .

وغايته: فساد العقل والذهن .

وسببه الخاص: بخار أو خلط احتبس في العروق أو التجاويف لغلظ أو تراكم، أو سبب خارج كضربة .

وكل من الخلط والبخار إن صح الهضم ولم يتغير بشبع ولاجوع فأصله فى الدماغ، وإلا فمن المعدة إن ازداد بتناول مبخر وامتلاء، ومن الكبد إن ثار بعد الهضم، ولافمن احتباس الرحم والحيض .

وكيف كان فهو مقدمة الصرع وغيره لمن خصص .

وسببه العام: ماسيأتى في الصداع، لأنه من أنواعه وينحل كل بالآخر، لأن الخلط إن اندفع من البطون إلى الخارج فالصداع وإلا فالدوار .

---

(١) التذكرة ٢/ ٩٩، والنزهة ٢/ ١٠١-١٠٢، والذيل ٣/ ٥٤-٥٥ .

الداء السبعي: (انظر الماليخوليا) .

داء الكلب: (انظر الماليخوليا) .

ذات الجنب: (انظرالشوصة) .

ذات الصدر: (انظر الشوصة) .

ذات العرض: (انظر الشوصة).

الاسترخاء:[(١)] (انظرالفالج).

عبارة عن سيلان الخلط الرطب إلى قصبات عضو فتنقص أو تبطل أفعاله، ويعبر عنه بالإعياء وقد يعم بحسب توفر المادة .

وسببه لزوم المآكل الرطبة، وقلة الرياضة، والاستفراغ، والجماع، والجلوس في الأماكن الرطبة .

والاسترخاء أصل لسائر أمراض العصب من الفالج وغيره .

الرعشة:[(٢)] اختلاط الحركة الإرادية بغيرها لسدة عظيمة إن ظهرت علامات الامتلاء، وكأنها حينئذ مبادئ الفالج، وإلا فهي كالتشنج والكزاز اليابسين .

وسببها ماسيأتي في الفالج، وقد تكون عند إفراط سكر أو غضب. إن كثرت في الأعالي، أو جماع إن تساوت فيها الأعضاء، وقد تكون لكبر أو مرض منهك .

الرعونة والحمق:[(٣)] (من الماليخوليا) .

وعلامتها: التكدر والصفاء بلا موجب واختلاط الأفعال المتضادة من الرعونة والخوف والصبوة، وهو أن يميل إلى أوصاف الشيوخ والصبيان، وصدورها من الشبان أدل مع استحكام العلة .

---

(١) النزهة ٢/١٢٦-١٢٧، والذيل ٣/ ١٨٠ .

(٢) النزهة ٢/ ١٢٤، والذيل ٣/ ١٦٦، ١٧٩ .

(٣) الذيل ٣/ ١٦٥ .

المراقى: (انظر الماليخوليا) .

الزكام: [١] هو فى الحقيقة من أمراض الدماغ، وقل من عده فيها. والجل جعله من أمراض الأنف، ويتضح عندى أنه من أمراض العصب، لأن المندفع إنما هو منه، وهو اندفاع فضلات من الدماغ إلى الأنف تحلباً من الزائدتين، فهو أخص من النزلة، لكونها مقولة على ماندفع من الدماغ مطلقاً.

وتنحل فضلات من مقدم الدماغ إجماعاً إلي الزائدتين إلى الخيشوم إلى الأنف، لكن هل ذلك من البطن المقدم خاصة ؟

أقوال، ثالثها منهما، وأضعفهما كونه من الأوسط خاصة لعدم مسامتته استقلالاً .

وسببه: إما من داخل كضيق الدماغ بما صعد إليه من الفضول فتندفع بكثرتها، والغضب والغم ومايحرك النفس، أو من خارج كمقابلة حار بالفعل من دهن وحمام وشم مارائحته حادة مفتحة كالياسمين والورد، وحمل الثقيل وعنف الحركة وتغير ماعلى الدماغ من دثار، وأجمعوا على أنه قد يكون عن برد أيضاً، فيحبس الحرارة عن الصعود فتكون هى المحللة. ويعلم بقوام السائل، فإن كان شديد الرقة فعن الحرارة مطقاً، وإلا فعن سابق برد .

وهو أمان من الجزام، كذا عن صاحب الشرع عليه الصلاة والسلام وفاقاً للقواعد .

---

(١) التذكرة ٢/١٩، ١١٤، ١١٥ .

السبات: [١] عبارة عن سيلان خلط أو صعود بخار يضرب على الحواس فتنقص أو تبطل بحسب المادة .

وهو نوعان: أحدهما يلزمه مع الكسل والبلادة وفتور النوم وهو السبات مطلقاً، والآخر السهر ويقال له السبات السهرى، والسهر السباتى، والسابق بحسب الأكثر .

وسببه: غالباً البرد مطلقاً، وقد يكون عن دم، وندر عن الصفراء، والسهر عكسه لأنه عن اليبوسة المحضة، بل لايمكن عن غيرها ،

السدر: [٢] انسداد منافذ الروح الصاعد إلى الدماغ بأخلاط غليظة لافى الغاية، وإلا جاءت السكتة .

وهو فى الدماغ كالخدر فى باقى الأعضاء .

العلامات: (راجع الدوار).

سرسام: [٣] بفتح السين، لفظة فارسية معناها: ورم الرأس، لأن «سام» الورم و«سر» الرأس، هكذا وضعت هذه اللفظة فى الأصل المطلق مايوجب ورماً فى أجزاء الرأس .

والذى حررته عن اليونانية أن هذه اللفظة تطلق عندهم على الحار خاصة، وأن الفرس حرفت اللفظة، وأصله سيرسيموس، يعنى ورم الدماغ الحار .

وماحتبس فى بطون الدماغ أوجبه فيها إن كان حاراً، وكان عن الدم فهو الرسام .

---

(١) النزهة ١٠٣/٢-١٠٤ ، والذيل ٥٥/٣ .

(٢) النزهة ١٠٢/٢-١٠٣ ، والذيل ٥٤/٣-٥٥ .

(٣) النزهة ١٠٥/٢-١٠٦ ، والذيل ٥٥/٣ .

أو عن الصفرا فالقرانيطس .

السعوط: (انظر الاختلاج) .

سقاقيلوس:[١] مااحتبس فى بطون الدماغ، أوجبه فيها إن كان بارداً، وكان عن السوداء، واستحكم وتقف معه الأعضاء ويبطل الحس. وقد يسمى إذا عليه الحر ضباراً، وقيل ضبار اسم سريانى، ومعناه الجنون .

وقد يسمى هذا المرض الخبيثة، ولايكون بالبلاد الحارة إلا ندوراً؛ لأنه يطلب التكثف، وذلك بالبرد المفرط .

السكتة:[٢] سدة كامنة فى بطون الدماغ مانعة من نفوذ الروح، وهى كل مايأتى فى الصرع من سبب وغيره، غير أن البارد منها ينحل إلى الفالج غالباً، وأعسرها ماكان معه الزبد والغطيط .

ومن علامات الحار العرق، والبارد جمود الحركة حتى الضوارب.

السهر: هو تتمة السبات، (راجع السبات) .

الشقيقة:[٣] مرض يأخذ نصف الرأس من أحد الجانبين .

وعلاماتها الخاصة: امتلاء الشرايين وإفراط حركتها. (راجع الصداع).

التشنج:[٤] هو تعطيل الأعصاب (الأعضاء) عن الحركة الكائنة بها مطلقاً، فإن كان مع انتفاخ وامتلاء وحدوث فجأة وصاحبه بعيد العهد بالاستفراغ فهو الرطب، وإلا فاليابس .

---

(١) النزهة ١٠٦/٣، ١٤٩، والذيل ٥٥/٣، ٧٠ .

(٢) النزهة ١٢٠/٢، والذيل ٥٦/٣ .

(٣) النزهة ١٠٠/٢ .

(٤) النزهة ١٢٣/٢، والذيل ١٧٩/٣ .

الشوصة: [١] عبارة عن تحيز مافسد من الأخلاط بين الأغشية، فإن كان في أحد الجانبين فذات جنب .

وعلامته: الحمى ومنشارية النبض والسعال مطلقاً وضيق النفس غالباً، وأسلمه البلغمي وأردؤه السوداوي، وقد ينفجر ولو من الخارج في النادر، وإلا بأن استبطن الخلط غير ماذكر فهو الشوصة.

ويقال لما بين الكتفين منها ذات العرض، ومقابلها ذات الصدر، ومنها البرسام وتقدم .

وتكون في العضل، وفي المنتصب، وأي جهة حلتها منعت الميل إليها والنوم عليها ، وقد تعم فتمنع من الكون على سائر الأشكال.

وعلامتها: يبس العصب وعدم الحركة .

الصبار: (انظر الماليخوليا) .

الصداع: [٢] ألم في أعضاء الرأس مناف للطبيعي، ويختلف الإحساس به من حيث المادة، ويكون عن خلط فأكثر ساذجاً أو مادياً، وعن بخار كذلك، وغيرها .

سببه: - يكون في الحار إما من خارج كالمشي والمكث في الحمام، أو من داخل كإفراط غضب، أو أخذ مسخن كزنجبيل .

- وكذا الباردوبعكس ماذكر .

---

(١) النزهة ٣/٤٩-٥٠، والذيل ٣/١٧٧-١٧٨ .

(٢) التذكرة ٢/٤٧، ٩٦-٩٧، والذيل ٣/١٤٠ .

(٣) النزهة ٢/١١٧-١١٨، والذيل ٣/١٤٢ .

وإن عم الألم جميع أجزاء الرأس سمى صداعاً وخودة، أو وسط الرأس فالبيضة، أو أحد الجانبين فالشقيقة، إلى غير ذلك من الأنواع .

الصرع: اجتماع خلط أو بخار فى منافذ الروح فى وقت مضبوط ولو غير محفوظ. وهو إما خاص بالدماغ إن صح البدن، وإلا فبمشاركة عضو معروف، أو منه خاصة إن صح الدماغ .

ويكون عن البلغم غالباً، فالسوداء، فالدم. ويندر عن الصفراء، فإن حدث عنهما فهو أم الصبيان. والعسرة من مطلق الصرع يسمى ايلنسيا .

ويعلم بعلامة الخلط الكائن عنه، وضعف العضو ككبر الطحال، وبكمية الزبد وكيفيته، والزبد فيه من غلظ الرطوبة والريح وحركة القلب وضيق النفس وغيبة الحس عن الحبس والسدة، وقد يشتبه بالاختناق، والفرق بينهما عدم الزبد فى الاختناق وتقدم المغص وطول العهد بالجماع فيه .

ثم الصرع قد يكون أدوراً محفوظة وأوقاتاً مضبوطة، وقد تتحقق الأدوار دون أوقات وجوده، والعكس، أو هما وهذا الأخير عسر وأبعد عن البرد .

صغر الرأس:(١) وقد يصغر الرأس عن الشكل الطبيعى :

- إما لسدة فى العصب، وعلامته صحة غيره من الأعضاء .
- أو لقلة الغذاء أو يبسه، وعلامته عمومه .

ضباراً: (انظر سقاقيلوس) .

---

(١) الذيل ١٧٨/٣ .

الإعياء: (١) هو عجز البدن أو العضو عن فعل مامن شأنه فعله لكلاله بواسطة ماانصب إليه من الخلط .

وسببه: فرط رطوبة ولو مزاجية تسيل على غير الوجه الطبيعي، إما لفرط حرارة أسالت الخلط، أو معالجة ماشق على البدن، كحمل الثقيل ولعب الصوالج وإفراط الرياضة والاستحمام والمشى الكثير، إلى غير ذلك خصوصاً فى المرطوبين.

غاغرغانا: (٢) ماحتبس فى بطون الدماغ، أوجبه فيها إن كان بارداً، وكان عن السواد، ولم يستحكم .

الفالج: (٣) نزول سدة موجبة للسكتة من الدماغ إلى حيث يتفرق النخاع، فإنه إن عم جانباً واحداً من أعضاء الوجه فاللقوة، أو البدن فالفالج، أو أحد الجانبين، فبعضهم يسميه فالجاً، والأكثر استخراءً، وكلها عسرة إن أبطلت الأفعال والحس، وإلا فسهلة، ومأأزال الفقرات حدبة، والمادة واحدة .

والأسباب: إفراط البرد والرطوبة من خارج كالاستشقاع بالماء البارد، أو داخل كالإكثار من سمك أو لبن أو شرب على الريق أو حركة عنيفة أو جماع .

قرانيطس: (٤) ماحتبس فى بطون الدماغ أوجبه فيها إن كان حاراً، وكان عن الصفراء، وقد يطلق على السرسام .

---

(١) التذكرة ١٤/٢ .

(٢) النزهة ١٠٦/٢ ، والذيل ٥٥/٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ .

(٣) النزهة١٢١/٢ ،والذيل١٣٨/٣ .

(٤) الذيل ٥٥/٣ .

القطرب: (انظر الماليخوليا)

كبر الرأس وزيادته: [١]

- إما لتفسح شتون الرأس بما يداخلها من الخلط، أو يحتبس تحتها من الرياح الغليظة .

وعلامته الوجع وعدم إدراكه باللمس، وهذه العلة قد يختلط معها العقل، وأحياناً تسكن الحمى وسائر الأمراض إلا الصداع .

- أو لاحتباس رطوبات بين الصفاقات، وتورك بالغمز، وعلامته عكس مامر .

الكابوس: [٢] تحيز بخارات فى مجرى النفس تتراقى أو تنصب منه دفعة حين الدخول فى النوم .

وسببها: إفراط ماعدا الصفراء والإكثار من أغذية توجبه، وإنما يقع فى النوم لانحصار الحرارة، وينقضى بالتحلل أو الاضطراب، وحقيقته تأذى الأعضاء بما ذكر، والمدرك منه ثقيل يبطل الحركة والكلام، وهو مقدمة الصرع .

وعلامته: الثقل ولوازم الرطوبة إن كان عنها، وإلا السواد .

الكزاز: [٣] (كغراب ورمان): امتناع الأعصاب أو العضل أو هما عن حركتى القبض والبسط معاً أو على الإفراد أو لدخول المادة بين أنواع الليف، وكأنه غاية التشنج .

اللقوة: (انظر الفالج) .

---

(١) الذيل ١٧٨/٣ .

(٢) النزهة ١٢٩/٢، والذيل ٦/٣، ٣٢ .

(٣) النزهة ١٢٤/٢، والذيل ١٧٩/٣ .

ليثرغس: [١] أي الورم البارد الرطب .

مااحتبس في بطون الدماغ، أوجبه فيها إن كان بارداً وكان عن البلغم .

الماثريا: (انظر الماليخوليا).

الماشرا: [٢] تظاهر المرض في أجزاء الرأس مع عموم الداخل واختلاط العقل واشتداد الحمرة وإطباق الحمى وكان عن الدم .

ويتقدم هذا المرض وجع في الصلب لتولد مادته في شريانه، ويرتقي حتى يظهر في الوجه والحلق بشدة حمرة والتهاب وكثرة دم.

الماليخوليا: [٣] اسم جنس تحته أنواع كثيرة، تختلف يسيراً بحسب علامات ظاهرة، يجمع الكل فساد الدماغ والعقل بسبب فرط اليابسين غالباً .

وتفصيل ذلك أنه:

- إن تشوش الفكر وساء الخلق وفسدت الظنون وكثرة التخيلات فهو الماليخوليا مطلقاً، وتكون عن امتلاء البدن كله بالمرار فإن كان الزائد الدم مال اللون إلى الحمرة، وتختلف ألوانها .
- وإن كان البدن صحيحاً عبلاً ولم تزد العلة بجوع ولاشبع وغارت العين واختلط العقل فالعلة من الدماغ أصالة .
- وإن اشتدت وقت الجوع والأخذ في الهضم وأكل المبخرات فمن شركة المعدة، ويعرف هذا النوع بالمراقي، وعلامته استيلاؤه

(١) النزهة ٢/١٠٦، والذيل ٣/٥٥ .

(٢) النزهة ٣/١٥٠، والذيل ٣/٥٥-٥٦، ١٨٥ .

(٣) النزهة ٢/١١٠- ١١١، والذيل ٣/٢٧، ١٦٥ .

مطلقاً وحب الخلوة، وقلة الكلام وتخيل الشخص أنه زجاجة تنكسر، وثبوت مالم يكن فى الذهن كتخيله من يريد قتله .

- وإن كثر اختلاف مشيه وتقليب وجهه ونفوره من الناس والأمكنة فهو القطرب، وغالبه من السوداء .
- أو اختلط غضبه باللعب وضحكه بالبكاء وطال سكوته فهو الماثريا، ويقال ماثريا معناه داء الكلب، ويقال له الداء السبعى لشبه أفعاله بأفعال الكلاب والسباع .

وهذا المرض إن كان السكون فيه والنحافة والكمودة فعن احتراق السوداء نفسها، وإلا فعن الصفراء، ولابد فيه من العطش، وإن تغير العقل واختلفت الأفعال مع موجود السرسام فهذا النوع هو الصبار .

النزلة: [1] هى المشهورة بمصر بالحدرة أو الحادر .

وهى رطوبات تجتمع فى الدماغ فيضعف عن تصريفها على الوجه الطبيعى فتسيل إلى بعض الأعضاء، فتسمى بحسب المحال أسماء مخصوصة كحدرة وزكام وشقيقة، ورمد إلى غير ذلك .

وإذا أطلقت النزلة والحادر فالمراد بهما مالم تختص باسم كورم الوجه والحنك وأوجاع الأسنان والأذن والصدر، وقد تنصب فى الأنثيين وأحد الرجلين، وهى من الأمراض التابعة لمزيد الرطوبة سناً وبلداً وغيرهما .

وأسبابها كثيرة: التخم والاستحمام والبرد وتغير لبس الرأس والنوم قبل الهضم .

---

(١) النزهة ٢/١٢٧-١٢٨، والذيل ٣/٥٢-٥٣، ١٨٠ .

النسيان: (١) مرض يعترى الذهن عن تغير الدماغ بخلط أو بخار تصير حالة القوى العقلية معه كالمرآة الصدئة لاتقبل ارتسام الصور.

وأسبابه كثيرة، أعظمها شغل النفس بعشق أو فقر أو هم أو حاجة يشتد طلبها ويتعذر الوصول إليها، فإن انتفت هذه الأسباب فالنسيان من جهة فساد المزاج، فإن حفظ ونسى بسرعة فالطارئ الصفراء وعكسه السوداء، أو أسرع حفظه وأبطأ نسيان فالطارئ الدم، وعكسه البلغم، ثم إن تعلق ذلك بلوازم الخيال فالفاسد مقدم الدماغ، أو الحافظة بمؤخره، وإلا الوسط، أو عم فالكل. وعلامات كل معلومة، ومن علامات فساد التخيل نسيان المقام، وفساد الوسط عدم القدرة على الفكر، والمؤخر عدم الحفظ .

ب - الأمراض النفسية

العشق: (٢) هذه العلة أدخلها الأطباء فى أمراض الدماغ مع أنها علة عامة .

وهو شغل القلب والحواس بتأمل العين أو الأذن، ثم بريد بحسب صحة الفكر ولطف المزاج .

ومادته: استحسان بعض الصور والأصوات، والتفكر .

وصورته: الاستغراق فيما استحسن .

وغايته: الإعراض عما سوى المعشوق .

قيل: وعنه إذا أفرط .

ويحصل غالباً للمتفرغين عن الشواغل والشبان وأهل الثروة .

---

(١) النزهة: ٢/١٠٨، والذيل: ٣/٥٢ .

(٢) النزهة ٢/١١٥، والذيل ٣/١٢٦ .

الغم: [١] انقباض النفس بسبب شئ مكروه، إما بنفسه أو بغايته.
وهو من التغطية والغمر اللذين وقعا على القلب .
وهو يجمع الغريزية إلى القلب فيغلى الدم بسبب ذلك ويتفرق عنه البخار المفسد للحواس .
والغم أسهل بالإجماع من الهم وإن عظم، لإحاطة النفس بغايته، بخلاف الهم، فإن النفس تذهب فى غايته كل مذهب وقد يجتمعان، وقد يقالان بالتشكيك، إذ ليس الهم بسبب غاية ذهاب النفس كهو بسبب قصاراه ذهاب بعض المال .
وأقل الناس هماً وغماً ذو الأمزجة الباردة سيما المرطوبين .

التكدر النفسانى: [٢] ويسمى الانزعاج، وبمصر يسمى الخضة .
وبسببه تحدث أمراض كثيرة .
وحقيقة نكد منبعث يرد على القوى، وهى غير مستعدة، فيعطل أفعالها الطبيعية. وأشده ماورد على الدواء والصوم والصفراء وبعد غذاء ردئ الكيفية كالباذنجان .

الهم: [٣] هو إشغال النفس بمكروه بنفسه أو بغايته، وهو مأخوذ من الاهتمام، وهو التهيؤ للشئ قبل وقوعه، وهو يجمع الغريزية إلي القلب فيغلى الدم بسبب ذلك ويتفرق عنه البخار المفسد للحواس.
وأكثر الناس هماً من غزر عقله وصح حدسه لتوفر نظره فى العواقب.

---

(١) التذكرة ٢/١٠٣ .

(٢) الذيل ١٦/٣ .

(٣) التذكرة ٢/١٠٣ .

عاشراً: أمراض الدم

الأبنة: [١] هي انحلال مادة بورقية في عروق المقعدة تلدغ وتدغدغ فينسحبّ بسببها الشرج حتى يصير كاللحم القروجي يستلز من العبث به .

قد جمعوا على أنه مرض موروث، وقد يوجبه الفعل أولاً لاختلاف المادة في الحرافة ونحوها .

وتنعكس في صاحبها الشهوة من القضيب إلى المقعدة، وتقع غالباً في المؤنثين ومن أكثر من مجالسة ذوي الزينة كالصبيان والنساء .

قالوا: وعلامتها الفجة واللين، وعدم نضارة الوجه، وذبول الشفة، وغلظ الوجه، وكبر العجز .

فوهات العروق: [٢] هو انتفاخها بأنزفة الدم، إما لفرط الامتلاء، أو لرداءة الكيفية، وانقلابها، حادة أكالة، أو لمخالطة ماحترق من باقي الأخلاط، وتعرف بألوانها، والامتلاء مقدمة .

وقد تكون الأفواه وإدمان الأغذية الحريفة كالجبن العتيق والثوم وماشابه .

ثم الفوهات قد تكون بأدوار محفوظة كحيض النساء، وذلك مشكل جداً، وقد تكون مختلفة، وهي أسهل .

النزيف: [٣] وقد يعبر عنه بالإدرار والسيلان .

وهذه العلة إن كانت لإفراط الامتلاء فلا علاج لها مابقيت القوة واللون، لاستغناء البدن عن الخارج، وإلا عولجت إن كانت عن باسور وقروح ونحوها بما لذلك السبب .

---

(١) الذيل ٣/٤٩-٥٠ .

(٢) الذيل ٣/١٣٨ .

(٣) الذيل ٣/٥٢.

وإن كـان عن سـوء مـزاج وإفـراط خلط فـعـلامـتـه ظهـور لونـه فى القطن إذا جف .

حادى عشر: الأمراض الجلدية

الإبرية: (راجع الخزاز)

أبو رسما: [١] معناه سيلان الدم .

وهو هنا نتـوء تحت الجلد يزوغ من اللمس ويظهر باسوداد ، ويفرق بينه وبين الخراج بلينه وتغيير لون الجلد فيه، إلا إذا كان بلغماً فيكون قريباً من الصفاء علي أنه لايمكن أن يكون من غير دم .

- وسببه انبثار عرق ولو وريداً بسبب ولو خارجاً ولم يتخرج الجلد فيجتمع الدم تحته .

الأكلة: [٢] بثـور تبتـدئ بورم ونخس شـديد يتـزايد ويسـود مـاحـوله وينغط وينفجر، وقد أكل اللحم والعظم ساعـياً بتوسع، وربما تحدث عن سوداء .

أم الدم: [٣] من (أبورسما) إلا أنهم يطلقونها غالباً على ماكان دائم النزف، وقد يخص هذا الاسم على ماينزفه الشريان خاصة .

البخر: [٤] عبارة عن تغيير رائحةالبدن بسبب تعفن الخلط، أو سببه الحرارة قوةوضعفاً .

- وصورته تكثف البخار والدخان عن لزوجات.

---

(١) التذكرة ١٧/٢ .

(٢) النزهة ١٢/٢، ١٥٥/٣، والذيل ١٨٢/٣ .

(٣) التذكرة ١٧/٢ .

(٤) التذكرة ٣٨/٢ .

- وغايته تغير الحل، فإن كانت الطبيعة صحيحة والدافعة سليمة وتمييز الجاذبة طبيعياً أخرجه من الفروج المعدة:

شعر العانة، مسام الرجلين، الإبطين، الفم، الأنف، الرأس، المعدة.

البواسير: [١] من أمراض المقعدة .

وهى زيادة تكون علي جوانب المخرج عن الحرارة الغريبة فى المادة السوداوية. فإن قلت وصلبت كان الكائن أجساماً صغاراً صلبة تسمى الثألولية لشبهها بها .

أو كبرت مع الصلابة استعرضت تلك الأجسام واستدارت كالعنب، وقيل لهذه العنيبة كذلك .

أو مع الرخاوة واللين لغلبة الرطوبة تخلخلت تلك الأجسام الكائنة محمرة، ويقال لهذا التوتية لشبهها به .

وكل من الثلاثة إما إما داخل أو خارج، وكل من الحاصل إما نازف للدم أو لا، ويقال له: الصمم والعمى .

وعلامة تولد البواسير بياض الشفة وتقشفها وصفرة اللون والخفقان وسواد اللسان وضعف القوى وثقل المقعدة وخروج البراز قليلاً .

وقد تكون الحكة فى المقعدة مقدمة للبواسير (وكذا النواصير).

بثور: [٢] واحدها بثرة، عبارة عن تأكل الجلد، أو نتوء على أوضاع مخصوصة، مادتها الخلط الفاسد ولو بسيطاً .

وسببها الفاعلى: اندفاع مافسد بالحرارة الغريبة أو الصحيحة بحيث تماس الجلد .

---

(١) التذكرة ٢/ ٤١-٤٢، والنزهة ٣/ ١٠٢ .

(٢) التذكرة ٢/ ٤٣، والنزهة ٣/ ١٦٠ .

وغايتها: فساده وتأكله .

وصورتها مختلفة.

* ثم منها ماله اسم، وهو قسمان :

- قسم اسماؤه باعتبار المكان، كبثرات الصدغ والفقرات .

- وقسم باعتبار الزمان، كبنات الليل، فإنها سميت بذلك لهيجانها فى الليل خاصة، وكالبثور للبنية، لخروجها فى زمن اللبن .

وقسم لااسم لأنواعه، بل يسمى بثوراً بالقول المطلق، وربما اشتق لها اسماً بحسب ذاتها حجماً وقواماً: يقال بثور صغار، وصلبة، وعدسية إلى غير ذلك.

وكلها إن لم ترفع بل كانت فى الجلد كالشوك فهى الحصف، وإلا فإن نبتت محدودة الرأس فهى ذات الرأس، وإلا فإن استدارت ولم تتسع فجاورسية[١]، أو وسعت فأنواع النملة بالقول المطلق أو بحسب الموضع[٢] والشكل[٣]، فيقال:

- البثور اللبنية: تخص الوجه، وقيل الأنف .

وعلامتها شبه مايخرج منها باللبن، ولطف مسها، واستدارتها.

- البثور البلخية: بثور وجدت أولاً ببلخ ثم تنقلت .

---

(١) وبحسب الهيئة أيضاً، يقال البطم لما كان كحبه .

(٢) فيقال قروح الساقين .

(٣) كالشهدية والتوتية والبلحية .

سببها حرارة غريبة دفعتها الغريزية عن القلب فقرحت ماحولها من غشاء الأضلاع والصدر، ومن ثم يصحبها غشى وخفقان، وقد يتأكل منها حجاب الصدر فتقتل .

- البثور البطمية: الشبيهة بالبطم فى اللون والاستدارة، وسببها فساد الباردين معاً مع غلبة السوداء، وتختص بالساقين.
- البثور الغريبة، القليلة الوجود، وتعرف بذات الأصل، وسببها فساد السوداء إن كانت إلي البياض، والدم إن كانت إلي الحمرة وكلا النوعين حلب محدود الرأس .
- بثور الشيلم: صغار مستطيلة سود على صورة الشيلم تخص الوجنة أولاً، فإن تركت استوعبت الوجه ودخلت فى الأعماق .
- بثور الصدغ: هى فى صورة الدماميل، إذاشرطت خرج منها دم خالص، وربما استرخت وذهبت، والمقرح منها مأيوس من برئه. أو هى: مابثر الجلد وطال تقريحه ونزف وجمع .

برش: [١] (بالمعجمة): نقط بيض تكون إثر نحو الجدرى، أو عن نكد يفاجئ بعد تناول نحو اللبن (راجع الكلف) .

البرص: [٢] عبارة عن تغير اللون إلى بياض أو سواد غير طبيعيين، وهو مرض ينخفض معه الجلد، فإن غرز بالإبر خرجت منه رطوبة بيضاء، والمستحكم منه مابيض شعره ولم يحمر بالدلك، والأسود منه أسهل .

---

(١) التذكرة ٢/٤٧ .

(٢) التذكرة ٢/٣٩، والنزهة ٣/١٦٢ .

وكلها عبارة عن اختلاط الدم بالبلغم حتى يبرد العضو ويحيل غذاءه. كذلك ويصير صدفياً .

وأسبابه كثرة ماكان كذلك كالسمك واللبن وشرب الماء إثر الفاكهة ودلك البدن بالثياب الدنسة وطول العهد بالحمام والاستفراغ وقلة الرياضة .

المبارك: (انظر الحب الأفرنجي)

البهق: [١] بياض يختص بالجلد دون ماتحته وماينبت فيه ويحمر بالدلك، وإذا نخس خرج الدم من سهله، وهوكالبرص سبباً وتقسيماً، ويسمى الأسود منه عند كثير القوابى والحزاز والتعطيش، قالوا: لأنه لايكون عن إفراط العطش، ويسمى الأبيض منه الوضح .

وهو أيضاً من الأمراض التى تعدى إجماعاً، وصوته تغير الجلد عن اللون الطبيعى إلى سواد، إن غلبت السوداء، أو بياض إن غلبت البلغم، وقد يتقدم الأبيض ضعف الكلى، والأغلب فى تولد الأسود تقدم ضعف الطحال .

والفرق بينه وبين البرص: اختصاص التغير بالجلد بحيث لو شرط اللحم خرج الدم، أو دلك الجلد احمر، وعدم تغير الشعر هنا، والبرص بخلاف ذلك كله .

وكثيراً مايحدث الوضح فى البلغميين صيفاً ويختفي شتاء لرقته، ويبتدئ بين الأصابع، وغالبه في البلاد المرطوبة، وكثيراً مايكون الأسود مقدمة للجذام إلا فى الحبالى ومن حبس حيضهن لاستناده حينئذ إلى فضلات الدم.

---

(١) التذكرة٢/ ٤٠-٤١،والنزهة٣/ ١٦٢، ١٦٣ .

الثآليل: [١] تسمى بمصر الضبط .

وهى رطوبة استحجرت، من السوداء غالباً، تنبت مختلفة ذات طول وقصر وقروح وشقوق، تدق أصولها ويغلظ باقيها، وربما ألمت بحسب المادة .

الجدرى: [٢] بثور مخصوصة، مادتها مااغتذى به الجنين من دم الحيض، تدفعه الطبيعة عند نهوضها، ولذلك يخرج فى زمن الطفولة ويتأخر بحسب ضعف القوى .

والجدرى ماكبر، و(الحصبة) ماصغر، وكل تلزمه حمى، هى فى الحصبة أشد .

وتبدأ كقرص البراغيث ثم تتزايد حتى يتكامل خروجه، وأقله ثلاثة أيام وأكثره سبعة :

فمنها الحمقى: حبات قليلة متفرقة كبار بيض لايتأذى بها أحد .

ويليه اللؤلؤة: وهو مااستدار وابيض، وهو جيد فى الغاية .

ويليه الأحمر: وهو عسر يكثر معه العطش وحكة الأنف والتلهب.

والأصفر: وهو أشد خطراً.

والأزرق والأخضر المشطب بالبياض المعروف بالورشكين، والأغبر المتصل النزاف للدم، وهو من أمراض السنة الوبائية، ويعدى برائحته .

---

(١) النزهة ٣/١٥٩-١٦٠ واذيل ٣/١٨١، ١٤٣ .

(٢) التذكرة ٢/٧٨، والذيل ٣/١٦١ .

الجرب:[١] من الأمراض الظاهرة في سطح الجلد .

وهو بثور وقروح تخص المفاصل والمغابن والمراق غاباً، وقد تعم بحسب المادة.

وقيل العظيم النتوء المشتمل على نحو الصديد جرب .

ومالم يظهر من الجلد واستلذ بحكه حكة .

وقيل الرقيق الكيفية الحاد القليل الكم حكة، وضده جرب .

أو المتقادم هو الجرب، والحادث حكة .

وكيف كان فالمادة والعلاج واحد والأسباب كذلك .

الجمرة:[٢] ورم شديد الحرارة فاسد المادة يشبه ألمه حرق النار يستدير ويلتهب وينتفخ بخنشكريشة، ويقتل غالباً إذا غارت أو حازت القلب، أو اسودت .

الجاورسية: (انظر النملة) .

الحب الأفرنجى:[٣] يعرف فى مصر بالمبارك تفاؤلاً .

وعند بعض العرب والحجاز بالشجر .

وهو مرض عرف من أهل أفرنجة أولاً، وتناقل فرؤى بجزيرة العرب سنة سبع وثمانمائة، وتزايد حتى كثر .

ولم تذكره الأطباء فألحقه المتأخرون بالنار الفارسي وهو جهل، وهو مرض يعدى بمجرد العشرة، وأسرع مايفعل ذلك بالجماع، ومادته عن الأخلاط كلها .

---

(١) التذكرة ٢/ ٨٠، والنزهة ٣/ ١٥٨ .

(٢) التذكرة ٢/ ٨١، والنزهة ٣/ ١٥٢ .

(٣) النزهة ٣/ ١٧٩ .

فـيكون عن الدم، وعن البلغم، وعن السـوداء، أو عن أكـثـر من واحد.

الحرق: [١] كل ما تآكل منه جزء فـأكثر من البدن بسبب خارج، وحيث أطلق فالمراد حرق النار، إذ لايحرق غيرها فى الحقيقة إلا ماتفعله المادة كالبصل والبلادر .

الحزاز: [٢] من أمراض الرأس الظاهرة، وتسمى الإبرية .

وهو عبارة عن خشونة منفصلة تتسلخ قشوراً كالنخالة، ويطلق هذا الاسم على القوابى إلا أن الأكثر استعمالاً إطلاق الحزاز على مايخص الرأس، والقوابي على غيره، ويحدث عن فساد خلط تحت جلد الرأس .

وصورته أجسام خشنة نازة وغير نازة .

وغايته انسلاخ الجلد، وفساد منابت الشعر.

الحصبة: [٣] فضلات مايبقي من دم الطمث تتأخر عن الجدرى غالباً فى ضعاف الأمزجة لعدم نهوض القوى بدفع الكل دفعة. وجميع ماتقدم فى الجدرى آت هنا. (راجع الجدرى) .

الحصف: [٤] رطوبة حارة تبقى بعد رشح العرق فى البلاد الحارة عند برد الهواء فتتكثف به وتخرج كالذرة فما دونها بيسير حكة ووجع .

ويسمى بمصر حمو النيل لحدوثها عند زيادة النيل .

---

(١) التذكرة ٢/١٤٨ .

(٢) التذكرة ٢/١٤٧ .

(٣) التذكرة ٢/١٤٨، والذيل ٣/١٦١ .

(٤) التذكرة ٢/١٤٧، والنزهة ٣/١٥٩ .

وغالباً أسبابها قلة التنقية وكثرة الماء البارد.

فهي بثور شوكية مختلفة الأوضاع أنتأمن الحكة، والكلام فيها كالحكة من غير فارق.

الحكة: [١] تغير سطح الجلد في اللمس مع لذع مستلذ إذا حك، وكثير من الناس لم يفرق بينهما وبين الجرب .

والفرق بينهما من وجهين :

الأول: أن الحكة لاتنتؤ عن سطح الجلد بخلاف الجرب .

الثاني: أنها أردأ منه كيفية وأقل كمية .

الثالث: أن الحكة لاتقرح، ولأن الجرب عبارة عن تقادمها لأن الخلط يفسد الحكة، فإن طال زمنه تحول جرباً، وأيضاً من الحكة ماينحل بنحو الدلك والاستحمام كالعارض عن البرد .

وأسبابها: بعد العهد بالاستحمام، ولبس الخشن فيحبس ويكثف، والإكثار من الحريف والمالح والقديد، وممارسة الغبار والدخان، والجماع بعد تناول نحو الكراث والخردل .

ومادتها أخلاط رقيقة تجاوز سطح الجلد في الأصح، أو مااستعصى من العرق عن الرشح، وهو رأي الشيخ، ولامانع من كونها عنهما .

وصورتها بثور خفية الإدراك غالباً، وخشونة أكالة .

حمو النيل: (انظر الحصف) .

الخلد: (انظر النملة) .

الخنازير: [٢] سميت بذلك لاعترائها الخنازير غالباً .

---

(١) التذكرة ١٤٦/٢-١٤٧، والنزهة ١٥٨/٣ .

(٢) النزهة ١٥٧/٣، والذيل ٣٨/٣ . ١٨٢، (وراجع أمراض الجهاز التنفسي).

وهى ألصق وأصلب من السلع .

وتكون متعددة في موضع واحد، وغالباً فى العنق، ومنها ماينفجر ظاهرة ومابنبسط ويقرح متشققاً .

وأسبابها التخم وتخليط الغذاء وقلة التنقية .

ومنها نوع يسمى سقيروس .

وماخرج قرب الأذن منها فهو الذبحة .

وحكمها كالخوانيق(*).

الخيلان: (راجع الكلف)

داء الحية والثعلب:[(١)]

صورتها: نقص الشعر أو ذهابه .

وغايتها: فساد منابته .

وسميا بذلك لاعترائهما الحيوانيين المذكورين .

وقيل لأن الثعلب يفسد الزرع بتمرغه منه كما يفسد هذا الداء الشعر الذى له هو زرع البدن .

كما يسمى بداء الحية تشبيهاً له بأثرها عند مشيها فى نحو رمل.

ويوجدان فى جميع منابت الشعر، ويكثران فى اللحية والرأس.

وقيل داء الثعلب انتشار الشعر فقط علي هيئة مخصوصة، والآخر انتشاره وتقشر الجلد تحته طويلاً بتقاريح كأسنان الحية، وربما حدثا فى غير الوجه .

الدمامل:[(٢)] ورم صنوبرى شديد الحمرة، ومنه مفرطح هو أصبعه، إذا انفجر كان كثير العيون .

---

(١) التذكرة ٢/٩٢، وذيل التذكرة ٣/١٤٢.

(٢) التذكرة٢/٩٤، والنزهة٣/١٥٥.

ومادته دم غليظ المادة يبتدئ متزايداً، ثم يجتمع بشدة وجع قبل الفجر، ويسكن بعد العصر، ثم يصير قرحاً.

وهي ضرب من الخراج يكون عن فرط امتلاء تنتفخ له العروق فيسيل منها إلى تجاويف الأغشية مادة تدفعها الحرارة الغريزية إلى الأعضاء الرخصة والمراق .

الذبحة: (راجع الخنازير) .

الرطبة: (راجع النملة)

سرطان: [١] يخص القفا غالباً .

السعفة[٢] وهي قروح في الرأس وأجزائه من اللحية وغيرها تنشأ عن فساد الخلط يفسد معها الموضع، وربما صحبها ورم .

وعلامتها: إن كانت عن أحد الرطبين تكون رطبة .

فإن كانت عن البلغم ضربت موادها إلى البياض وإلا إلى الحمرة.

- وماكان عن أحد اليابسين فعلامته التقشف واليبس وكمودة السوداوي وصفرة الآخر وخروج قشر كالنخالة منها .
- وربما كان مع الصفراوية رطوبة مرارية، وتكثر حال الصغر الرطوبة .

وتسمى هذه العلة السنج والقراع .

ومنها الشهدية، تثقب جلد الرأس كثقوب قرص الشهد. ومنها مايشبه التين تشقيقاً وتبزيراً. ومنها مايحمر معها الجلد بالغاً ويسيل الدم معه عند إزالة الشعر، وتختلف كثيراً بحسب الأسنان والبلدان والأزمنة.

---

(١) الذيل ٣/٥٨ .

(٢) النزهة٣/١٤٠-١٤١،والذيل٣/٥٧-٥٨ .

الساعية: (راجع النملة) .

سقريوس: [١] هو نوع من الخنازير .

وهو ورم صلب من أحد الباردين أو هما .

وعلاجه علاجهما ماعدا القطع .

السلع: [٢] بلغم غليظ يتولد فى غشاء مع العروق غير مستمسك بها يزوغ تحت الجلد، وتختلف فى الحجم .

وهى إما شحمية صلبة لاعلاج لها إلا القطع، أو عسلية رخوة تنشق عن مثل العسل، أو شيرجية أو أرد هلجية، وهذه الثلاثة يجوز شقها لكن إذا لم تخرج بكيسها انعقدت ثانياً .

الشجر: (راجع الحب الأفرنجى) .

الشرا: [٣] بثور مختلفة إلى التسطيح تحدث دفعة غالباً ويعسر فيها الورم. وسببها غليان البخار لمقابلة دخان، أو نحو فلفل ومخزون كثيف، وربما أوجبه السكر فى الحر .

وهو إما عن دم إن اشتدت حمرته وتهيج بالنار، وإلا فعن بلغم.

الشقوق: [٤] هو انبثار الجلد بسبب خرج كشمس ومباشرة مايجفف كالزرنيخ، أو داخل مثل فساد الخلط وحدته.

شقاق الشفة: [٥] يكون عن استيلاء اليبس وفساد المادة وتعرف باللون، فإنها إن تشققت مع بياض فالفاسد هنا البلغم .

---

(١) النزهة ٣/١٥٧، والذيل ٣/ ٧٠، ١٨٢ .

(٢) النزهة ٣/١٥٦، والذيل ٣/ ٧٠ .

(٣) النزهة ٣/١٥٣، والذيل ٣/١٧٧ .

(٤) النزهة ٣/١٦٤، والذيل ٣/١٧٦.

(٥) الذيل ٣/١٣٦.

شقاق المقعدة:[١] هو تغرز المقعدة.

وسببه: خلط أكال، وعلامته سيلان الدم أو يبس البراز لإدمان أكل الجافة، أو الجلوس الطويل على السروج والأخشاب، أو يبس المزاج إن لم تسل المادة .

الشامة: (راجع الخيلان والكلف).

الصلع:[٢] تساقط شعر الرأس وانتثاره. وهذه العلة تكون من :

- نقص البخار الدخاني لنقص الغذاء الموجب له كأواخر الأمراض الحادة، ويعلم بذلك .
- أو لتخلخل المنبت والساعة، وعلامته سرعة السقوط .
- أو لانسداد المنبت إما ليبس، وعلامته: تقصف الشعر وضعفه، أو لرطوبة باردة تحيل بين البخارات المتتابعة، وعلامته الضعف وبطء السقوط.

الصنط: (راجع تآليل) .

صنان:[٣] (راجع النتن وتغير الرائحة) .

وفي ألسنة العامة أنه خاص بالإبط ومن خارج بالعين .

الطاعون:[٤] باليونانية، كل ورم يظهر للحس، ثم خصص بالحار القتال السريع التعفن الكائن في نحو المراق والمغابن، وهو علة تحدث في الزمن الوبائي غالباً، أول مباديها الأطفال ومن يليهم في لطف

---

(١) النزهة ٣/١٠٠، والذيل ٣/٢٦ .

(٢) النزهة ٣/١٤٣، والذيل ٣/١٤٣، ١٧٨ .

(٣) الذيل ٣/١٤٣ .

(٤) التذكرة ٢/١٥٠ والنزهة ٣/١٥٤.

المزاج كالحبشة خصوصاً الأعراب لعدم إيلافهم الهواء، وهو خراج يقع غالباً في المراق السخيفة، كخلف الأذن والإبط والمغابن فجأة. فإلم يتغير معه العضو ولم يقترن بحمى ولاخفقان فسليم، وإلا فمهلك خصوصاً ماقرب إلى السواد أو الخضرة أو الكمودة، وهو سمي يقتل بإيصال الكيفيات إلى القلب .

وهو في الحقيقة بثر كالباقلا فأزيد، مادته الدم المتعفن، وفاعله الحرارة النارية. صورته شئ مستدير ينزف الدم والصديد، وغايته إزهاق النفس، وشره مافي الإبط الشمال لمجاورته القلب، فالفخذ الأيمن، فالإبط الأيمن، فالفخذ الأيسر، فالعنق .

هذا من حيث المكان، ومن حيث الزمان ماكان عند زيادة الدم وهيجانه، وذلك في الأيام الربيعية ولو في الخريف .

الطلوعات: [١]

تطلق على كل خراج، سواء كان ذا خشكريشة أو لا، ومنها الدبيلة[٢] والجمرة والنملة وغيرها، وكل في بابه .

عروض الشيب في غير محله: [٣] سببه استيلاء المائية على الدم وقلة دسومة الغذاء .

العرق: [٤] يقع به الفساد والنفع من جهة كثرته وقلته واعتداله، فإفراط ذروره يسقط القوى ويضعف بالتحليل، ويكون إما :

---

(١) التذكرة ٢/١٥٤ .

(٢) سبقت من أمراض العين .

(٣) النزهة ٣/١٤٣-١٤٤، والذيل ٣/١٧٨ .

(٤) النزهة ٣/١٧٥، والذيل ٣/١٢٥-١٢٦، ١٣١ .

- لحركة عنيفة .
- أو لعجز القوى والمعدة عن الغذاء للتخليط والكثرة خصوصاً إن اشتد فى النوم .
- وقد يكون لضعف المساسكة وقوة الدافقة، أو لغلبة الحرارة فيرق ويفتح العروق والمسام .

وقلته توجب التعفين والنتن والامتلاء وعسر الحميات، وذلك إما:

- لغلظ الخلط والغذاء، وعلامته الامتلاء والثقل .
- أو لتكرج الجلد بنحو البرد، وعلامته حصول ذلك .

العرق المديني: (١)

نسبة إلى المدينة الشريفة لكثرته بها، وهو بثرة تظهر فى سطح الجلد بتنفط، ينفجر عن عرق يخرج كالدودة شيئاً فشيئاً .

- **التعطيش:** (راجع البهق).

العقد: (٢)

تنشأ من اجتماع أخلاط، وهى مثل البندق يزوغ إلى الجانبين فقط.

الغدد: (٣)

تنشأ من اجتماع أخلاط .

وهى تخالط الجلد ولاتزوغ أصلاً، وهذه قد تكون ريحسية تذهب بالغمز وتعود، ويقال لما خلف الأذن منها فرجيلاً، ومنها مايكون صلباً تولد بعد كسر، أو شق لاعالج له .

---

(١) النزهة ١٥٧/٣ .

(٢)(٣) النزهة ١٥٦/٣، والذيل ١٨٢/٣ .

فرجيلاً: (راجع الغدد) .

فساد الألوان:[١]

هو تغيرها عن المجرى الطبيعي إلى مايشابه الخلط الغالب إلى الصفرة والسواد فى اليرقان، وغلبة الرصاصية فى البلغم، وشدة الحمرة فى الدم .

وهذا إن استندت إلى مرض كالصفار مثلاً وقت نزف الدم وضعف الكبد فعلاجها علاج ذلك المرض، وإلا فإن كانت من غير موجب فلتغير الدم بخلط آخر .

وقد يكون تغير اللون لوحم وهم وإفراط تحليل كجماع محبوب تشتد معه اللذه فيعظم الاستفراغ .

ومن فساد الألوان أيضاً مايحدث من الرائحة الحادة بالأطفال فى مصر، فقد غفل عنه الأطباء كافة، وهو مهم، يموت بسببه كثير من الأطفال، أو تنشأ عنه أمراض تكون كالجبلية، وحاصل الأمر فى تعليل هذا أن هواء مصر كما علمت شديد اللطافة والرطوبة والتخلخل، وماشأنه ذلك تنطبع فيه الروائح بسهولة، خصوصاً الحادة والثقيلة، والأطفال شأنهم ذلك فتتأثر لشدة التشابه والعلاقة، ألا ترى إلى الورد كيف يحدث الزكام لتفتيحه، والغربيون لحدته فى سائر الأماكن، والياسمين الصداع للمحرور، ولايبعد أن يقع هذا التأثير فى غير مصر لكن لم يشعر به لقلته.

القروح:[٢] عبارة عن تقادم زمن الجرح والبثور .

---

(١) النزهة٣/١٧٤-١٧٥، والذيل٣/١٥.

(٢) النزهة٣/١٦٦، والذيل٣/١٧٧ .

قروح اللثة والشفة وبثورهما:(١)

تكون عن فساد المادة، وعلاماتها الألوان، وكثرة الرطوبات فى الرطب، والتلهب فى الحار، والعكس .

قروح المقعدة:(٢) تكون إما :

- عن سوء مزاج .
- أو جرح تقادم .
- أو سحج .

القمل:(٣) فى الأجفان وغيرها، ويعبر عنها بالقمقام والصئبان، وفي اللحية بالطبوع، ويقال لكل مطلقاً هوام الجسد .

وسببه: عفونة وقلة استحمام وحرارة غريبة تشكل المادة المذكورة .

وعلامته: حكة ودغدغة وضعف فى الشعر ووجود حيوانات كثيرة الأرجل شديدة الالتصاق بأصول الشعر .

القوابى:(٤) هى الحزاز .

وبعضهم يخص الحزاز بما فى الرأس، والقوابى بغيره، وكيف كان فهو خشونة، ويلزمها إذا خبثت حكة وسعى، وتكون فى الأغلب من مقدمات الجذام .

الكلف:(٥) سواد يظهر على الوجه إلى الاستدارة بلا نمو، والمتقطع نمش، والناتئ برش (بالموحدة والراء المفتوحة، والمعجمة المثلثة)، والخافي منه الصغار خيلان، جمع خال، ويقال له الشامة .

---

(١) الذيل ١٣٦/٣ .

(٢) النزهة ٩٩/٣ .

(٣) الذيل ١٢٠/٣، ١٤٤ .

(٤) النزهة ١٥٩/٣، والذيل ١٤٤/٣.

(٥) الذيل ١٣/٣، ١٤١ .

وكلها إما خلقية لاعلاج لها، أو حادثة، فإن كانت فى الحوامل انتظر الوضع، فربما يذهب مع دم الولادة، لأنها منه، وماعدا ذلك يعالج، وتبدو نادراً فى غير الوجه .

النتن: [١] تغير الرائحة، وسببه العفونة واحتباس الخلط وقلة الاستفراغ وكثرة تناول مايحرك الأخلاط إلى الظاهر، والسمن سبب في ذلك لكثرة طى المغابن .

النواصير: [٢] من أمراض المعقدة.

وهى قروح غائرة تمتلئ وتنفجر لغرب، وقد تنعقد فيخرج الريح والنجو من أغوارها .

وقد تكون الحكة فى المقعدة مقدمة لها .

النفاخات: (راجع النفاطات).

النفاطات: [٣] ويقال لها النفاخات: بثور حمر تبتدئ بارتفاع يرق، معها الجلد وتعطى اللمس رخاوة كالزق، وتنطفئ عن ماء وصديد، ثم تصير قروحاً .

ومادتها كالنار الفارسى إلا أن المائية هنا أكثر .

النمش: (انظر الكلف) .

النملة: [٤] بثور، والظاهر أنها من لطيف الصفراء الحادة تدفعها الحرارة، فقد تكثر بحسب المادة، وربما تجاوزت وانتقلت وتسمى الساعية، ولابد

---

(١) النزهة ٣/١٧٦، والذيل ٣٣/٥٣ .

(٢) النزهة ٣/١٠٤، ١٦٦، والذيل ٣/١٧٧ .

(٣) النزهة ٣/١٥٣، والذيل ٣/٤٨.

(٤) النزهة ٣/١٥١-١٥٢، والذيل ٣/٥٠ .

أن تقرح، وقد تستدير وتسمى الجاروسية، وقد تنضح ماء صديداً وتسمى الرطبة، ومنها نوع كلما اندمل قرح من محل آخر، وله عيون متعددة، وأهل الزردقة تسميه الخلد تشبيهاً بعمل ذلك الحيوان في الأرض .

النار الفارسي: [١]

سمي بذلك لكثرته بالفرس، ولأن الآثار والبثور الكائنة فيه تشبه حرق النار حمرة وتلهباً، وربما استطال خطوطاً، واستدار أحياناً، أو تآكل وظهر بسرعة، ومادته خلط صفراوى مع يسير دم رقيق .

الوسم: [٢] (بالمهملة): ماكان عن ضرب قوى ألصق الجلد بالأعصاب الناشبة ولصق بعضها ببعض فاحتبس مافيها وجمد لقصور الحرارة عنه، ويظهر لونه فى الجلد .

الوضح: (راجع الحزاز) .

ثانى عشر: أمراض النساء

باسور الرحم: [٣]

بثور الرحم: [٤]

البروز: [٥]

- تكون إما من سقطة أو عسر ولادة أو من خوف شديد أو انصباب رطوبات .

---

(١) النزهة ٣/١٥٢-١٥٣، والذيل ٣/٤٨ .

(٢) التذكرة ٢/١١٤ .

(٣) النزهة ٣/١٢٧ .

(٤) النزهة ٣/١٢٧ .

(٥) النزهة ٣/١٢٢ .

وعلامته: وجع العانة وما يليها وظهور النتوء.

احتباس الطمث: (١)

إن كان عن نهوك البدن نحو جوع ومرض فعلاجه الأغذية الجيدة.

- أو تعب جفف الدم، فالراحة.
- أو سمن مفرط، فالتهزيل.
- أو مرض عضو ونحو ورم، فعلاجه إزالة السبب.
- وإلا فهو سوء المزاج.

وعلامة الحار: تغير اللون والكرب والخفقان وثقل ما يلي العانة وانتفاخ العروق، وإلا فالعكس.

الحكة: (١)

الاختناق: (٣) علة شبيهة بالصرع في النوائب والأفعال.

وسببها: متى يحتبس في الأوعية فيعفن ويرقى عنه بخار إلى الدماغ، أم دم كذلك.

وعلامته: وجع في السرة وما تحتها أولاً، ثم سقوط شهوة، وخفقان، واضطراب في الساقين، وصفرة لون. وقرب النوبة تشتد الأعراض المذكورة ويأخذ الذهن في الاختلاط ويزيد الكرب والقلق وسواد اللسان والصرع ثم تسقط مضطربة مع عدم الزبد وبقاء بعض الشعور، وبهما تفارق الصرع.

---

(١) النزهة ٣/١٢٣.

(٢) النزهة ٣/١٢٧.

(٣) النزهة ٣/١٢١.

درور اللبن وكثرته: [١]

وأسبابه عكس أسباب قلة اللبن .

الإدرار (استرسال الدم): [٢]

بأن يتدفق الدم بكثرة وقوة جريان فى غير أيام العادة.

وأسبابه: إما امتلاء مفرط أو انفجار عرق .

ويعلم الأول ببروز العروق وانتفاخ البدن وشدة حمرة اللون .

والثانى: بتقدم وثبة أو ضربة أو مفاجأة رعب، وقد يقع بعد ولادة صعبة. ويقال لأمثال هذا الدم النزيف .

قال أبقرط: وكثيراً مايسمى الأطباء استرسال الدم كثرة الحيض، والحال أن كل دم جاوز أيام الحيض نزيف .

وبالجملة قد يكون إدرار الحيض لضعف الكبد إن اشتدت حمرة الدم، والطحال إن ازداد كمودة، والكلى إن كان كغسالة ا للحم، ومتى كانت حمرته مشرقة وتلون تارة بكدورة وأخرى بصفرة إلى غير ذلك فمن ضعف البدن كله .

الرتق: [٣]

- قد يكون خلقياً، أو لقرحة سدت، أو للحم نبت .

سؤر الحية: [٤]

عيب فى الرحم يمنع من الجماع .

---

(١) النزهة ٣/٥٦، والذيل ٣/١٨٢ .

(٢) التذكرة ٢/١٤١، والنزهة ٣/١٢٣-١٢٤ .

(٣) النزهة ٣/١٢٨ .

(٤) النزهة ٣/١٢٨ .

السعة بلا سبب:[١]

عيب يمنع من الجماع، وهذا يكون لارتخاء العصب .

سوء مزاج الرحم وأوجاعه.[٢]

علاماته: الحار يعلم بمزيد الحرارة وقلة الطمث والكرب والخفقان والرطب بسيلان الرطوبة، واللين وكثرة الإسقاط، مع سرعة الحمل، ومتى وقع الإسقاط قبل النفخ فمن إفراط الرطوبة، وبعده فمن ضعف الأربطة والأعصاب .

وعكس المذكورات علامات المتروكات .

وقد يكون الوجع لكثرة الجماع أو لكبر الآلة.

السيلان:[٣]- إما أن يكون دماً، وقد سبق الحديث عنه فى الإدرار .

- وإما أن يكون رطوبات تجتمع فيها أو تنجلب إليها من سائر البدن .

وعلامة الأول: لزوم حالة واحدة فى اللون وغيره وقلة نقص القوة، والثانى بالعكس .

وسبب ذلك تعاطى المرطبات، والامتلاء، وغلبة أحد الأخلاط، وتعلم بلون الخارج .

---

(١) النزهة ٣/١٢٨ .

(٢) النزهة ٣/١٢٨ .

(٣) النزهة ٣/١٢٤، والذيل ٣/٥٢ .

شقاق الرحم: [٥] تغرزه،وقيل لايكون هذا هنا، وإنما في المقعدة .

الصلابات والسرطانات: [٢]

تكون عقب الأورام غالباً فيجب ويضيق فمه ثم يقل إحساسه ويبدأ فيه الوجع، فقد يقرح وتسيل منه رطوبات فاسدة وربما تولد فيه على شكل السرطان بعروق كالأرجل، وقد يتحرك. وعلامته الشريان واختلاط العقل والإحساس بالثقل والصلابة .

انضمام الرحم وامتلاؤه: [٣]

وهو عيب يمنع من الجماع .

الطلق: [٤]

هو تغير المزاج عند إرادة الوضع، ويبتدئ بنخس شديد في البطن ومغص تحت السرة حين يتحول الجنين إلى الأسفل ويمزق الأغشية. وأشد الطلق وجعاً وأعسره طلق الأبكار وذوات الأمزجة الجافة والسمان، ومايبتدئ بالدم .

والطبيعي منه ماسبق الولادة فيه ماء أبيض .

عسر الولادة: [٥]

- تارة تكون لقلة الرطوبات، وعلامته شدة الطلق وعدم خروج الماء.
- وقد يكون لانضمام فمه لقلة الجماع، أو كونها بكراً .

---

(١) النزهة ١٢٧/٣ .

(٢) النزهة ١٢٥/٣ .

(٣) النزهة ١٢٨/٣ .

(٤) التذكرة ١٥٣/٢ .

(٥) النزهة ١٢٧/٣-١٢٨ .

العقـــر: [١]

وهو يختص بالإناث، بخلاف العقم فهو يختص بالرجال، وقيل بإطلاق كل على كل، وهو عبارة عن عدم الإحبال .

وأسبابه كثيرة، أوصلها فى التذكرة إلى نحو مائة سبب، لأن عدم الحمل قد يكون:

- لطول الآلة فيصيب الماء داخل معدن التوليد .
- أو العكس فيضمحل، فكبرها ليقلص الفرج فيزلق الماء.
- أو لوجود ماذكر من جهة المرأة .
- أو لاتفاقهم في اليبس فلا يتمدد الماء كما فى البغال، أو الحرارة فيحترق .
- أو عكسهما فيسيل أو يجمد، ويعلم كل بعلامات الأمزجة، فتظهر فى جميع البدن إن عمت، وإلا ففى الحمل، ولاعلاج لهذا إلا التعديل، وربما لم يظهر نتيجة إلا بالتعدل .
- وقد يكون لفساد الماء، ويعلم بخضته على وجه الماء وتغيره عن الثخانة والبياض .
- أو لمرض أحد الأعضاء .
- أول سبق أحدهما بالإنزال فيفسد قبل الالتئام .

فهذه أصول الأسباب المانعة .

القـــروح: [٢]

أسبابها هنا كثيرة، وتؤخذ من علاماتها ومايخرج منها:

---

(١) التذكرة٢/١٤٤-١٤٥،والنزهة٣/١٢٥-١٢٦.

(٢) النزهة٣/١٢٢.

- إن كان كالدردى والمادة فخراج انفجر .
- أو دماً أسود كريهاً مع وجع فخلط مرارى تآكلت منه العروق
- أو كغسالة اللحم فقرحة وسخة .
- أو مدة بيضاء بلا رائحة فقرح نقى .
- أو دماً أحمر فإنهاك عرق إما بنحو رطوبة أو سوء ولادة .

القـــرن: (١)

عظم أو خلط تصلب داخل المحل .

قلة اللبن: (٢)

- لاشك أنه عن الدم، فقلته تابعة له .
- وأسبابه جوع، وحرارة، وهزال، وتولى أغذية مجففة كمالح، وحامض، وكثرة خروج الدم.

ميل الرحم إلى البرد: (٣) وهو ضر بالمجامع ويسقط القوى ويفسد الماء.

النزيف: (انظر الإدرار، أو استرسال الدم).

ناصور الرحم: (٤)

الانتفاخ: (٥)

سببه احتباس رياح غليظة فى الرحم لحركة أو إمتلاء أو غذاء شأنه ذلك .

---

(١) النزهة ٣/١٢٨ .

(٢) النزهة ٣/٥٦، والذيل ٣/١٨٢ .

(٣) النزهه ٣/١٢٨ .

(٤) النزهة ٣/١٢٧ .

(٥) النزهة ٣/١٢٧ .

وعلامته: نتوء ماتحت السرة والوجع والقرقرة، وربما ظهرت وقت الجماع .

أورام الثدى: [١]

- إما لخلط من الرأس، وعلامته تقدم الصداع والرعدة ونحو القشعريرة عند نزول الخلط .

وعلامة الحار الحرارة وشدة الحمرة فى الدم على القواعد، وقد يرم الثدى لتعقد اللبن أو لردة فى عضله .

(١) النزهة ٣/ ٥٥، والذيل ٣/ ١٨١ .

الباب الثاني

دراسة معجم أسماء الأمراض

ستتناول - بمشيئة الله تعالى - دراسة أسماء الأمراض السالفة الذكر وفق تصنيفها الوارد في المعجم والذي بلغ اثنى عشر صنفاً، دارساً كل صنف على حدة، ثم أذيل الدراسة بنتائج عامة مستخلصة من نتائج كل صنف .

ويقوم منهجنا في الدراسة هنا علي عدة أمور أهمها :

- حصر ألفاظ المجال المرضى .
- دراستها صرفياً، فنبين الألفاظ العربية من الأعجمية، ثم نتعرف على الأوزان التي جاءت عليها الألفاظ، وعلى ماجاء مركباً أو على صورة النسب.. إلخ .
- دراستها معجمياً في ضوء المعجمين الكبيرين: لسان العرب والقاموس المحيط، لنبين مدى استيعاب كل منهما لألفاظ الطب ودلالتها من ناحية، ومدى ماتفرد به الشيخ الحكيم من ناحية أخرى .
- دراستها دلالياً، فنبين مدى المناسبة التي تربط بين الألفاظ والأمراض، وهذا يستدعي بيان العلاقة بين المعاني الطبية للألفاظ والمعاني اللغوية لجذورها .

ونبدأ الدراسة بما بدأنا به المعجم وهو الألفاظ المتصله بأمراض العين عند الشيخ الحكيم داود الأنطاكي .

أولاً: دراسة أسماء الأمراض
المتصلة بالعين عند الحكيم الأنطاكى

ذكر الشيخ الحكيم تسعة وستين لفظاً دالة علي الأمراض التى تعرض للعين، وهى: الأسمانجونى، والبياض، والتبغ، والتفاحى، والتوتة، والجحوظ، والجرب، والجسا، والجصى، والجهر، والحرفة، والحافر، والحكة، والحول، والخشونة، والخفش، والتخيلات، والدبيلة، والدمعة، والاسترخاء، والرصاصى، والرمد، والزرقة، و(الماء) الأزرق، والسبل، والسحاب، والسرطان، والسعفة، والسلاق، والسمارى، والشترة، والشرناق، والشعرة، والشعيرة، والشقيقة، و(الماء) الأصفر، والصلابة، والصوفى، والضعف، وضمور الحدقة، والضيق، والطرفة، والظفرة، والعجز عن مقاومة الأشعة ونقص الضوء، والعشا وضعف البصر، والغرب، والغلظ، والغمام، والغائر، والقتام، والقروح، والقمقام والقمل، والكزاز، والإكليلى، والكلال، والكمتة، واللؤلؤى، والالتصاق، والالتواء، والماء، والنتوء، والانتثار، والانتشار، والنملة، والودقة، والوردينج، والورم، والورم العروسى، واليرقان .

الرؤية الصرفية لهذه الألفاظ :

يغلب على الألفاظ الطابع العربى، فهى تنتمى إلى جذور عربية عدا ثلاثة ألفاظ هى: الأسمانجونى، والتبغ، والوردينج، فإنها أعجمية، ولم يحدد الشيخ الحكيم اللغة التى ينتمى إليها كل لفظ من هذه الثلاثة، إلا أنه نسب (التبغ) إلى أبقراط، مما يدل على أنه لفظ يونانى، والمعروف أن الحكيم داود أجاد اللغة اليونانية كما سبق .

ورأى ابن سينا أن لفظ «وردينج» فارسى [١]

وألاحظ أن ثمانيه ألفاظ جاءت وصفاً لاسم مرضى رئيسى، على صورة النسب بغرض التشبيه، فالقرح يكون تفاحياً وسمارياً وصوفياً وإكليلياً، والماء يكون جصياً ورصاصياً ولؤلؤياً، والورم يكون عروسياً .

كما ألاحظ أن الألفاظ المتبقية، وعددها ثمانية وخمسون، جاءت على اثنين وعشرين وزناً، يكشف عنها الجدول الآتى:

الوزن	نوعه	ألفاظه المرضية
فعل	اسم-مصدر	جرب، جساء جهر، حول، خفش، رمد، سبل، عشا، ورم.
فعل	اسم-مصدر	ضعف، عجز، غرب، قرح، ماء
فعل	اسم-مصدر	ضيق
فعل	مصدر	غلط
فعلة	اسم-مصدر	دمعة، شعرة، طرقة، نملة، ودقة .
فعلة	اسم	حكة
فعلة	اسم-مصدر	توتة، حرقة[٢]، زرقة، كمتة
فعلة	اسم	سعفة[٣]، شترة، ظفرة .
فعال	اسم-مصدر	بياض، سحاب، غمام، قتام، كلال
فعال	اسم-مصدر	سلاق - كزار[٤].
فعول	اسم-مصدر	جحوظ، ضمور- نتوء

(١) انظر: معجم أمراض العين عند ابن سينا والغافقى الذى أعده د. عبد الصبور شاهين، وجعله ذيلاً لكتابه: العربية لغة العلوم والتقنية صـ٤٦٣ الطبعة الثانية، دار الاعتصام.

(٢)(٣) يأتيان على فعلة أيضاً (بفتح الفاء وسكون العين) .

(٤) يأتى على فعال أيضاً، كرمان .

الوزن	نوعه	ألفاظه المرضية
فعوله	مصدر	خشونة
فعيلة	اسم	شعيرة
فعيلة	مصغر	دبيلة
فعيلة	مصغر	شقيقة
فعالة	مصدر	صلابة
فعلان	اسم-مصدر	سرطان - يرقان
تفعل	مصدر	تخيلات
اتفعال	مصدر	التصاق، التواء، انتثار، انتشار
استفعال	مصدر	استرخاء
فاعل	اسم فاعل	حافر، غائر
أفعل	وصف	(ماء) أزرق، وأصفر .
فعلال	مصدر	شرناق، قمقام

ولاحظت أن واحداً من هذه الألفاظ جاء مركباً تركيباً إضافياً، وهو ضمور (الحدقة) وآخر جاء صدر عبارة، وهى العجز (عن مقاومة الأشعة)، فاكتفيت في بيان الأوزان بصدر كل من المركب والعبارة .

الرؤية المعجمية :

نعتمد فى دراستنا المعجمية لألفاظ أمراض العين على معجمى لسان العرب والقاموس المحيط وفق خطتنا ، لنعرف مدى استيعاب هذين المعجمين الكبيرين لما سجله الشيخ الحكيم فى كتابيه: التذكرة (وذيلها)، والنزهة.

وبالنظر فيما ذكره الحكيم في ضوء ماجاء في المعجمين تبين لي مايلي :

أولاً: لم يسجل المعجمان ستة ألفاظ من ألفاظ أمراض العين السالفة الذكر وعددها ثمانية وستون لفظاً، وهذه الألفاظ الستة هي: الأسمانجوني، والتبغ، والتوتة، والشرناق، والصلابة، والوردينج. ونسبة هذا العدد إلى العدد الكلي ٧٠ر٨٪ .

ثانياً: لم يسجل المعجمان الدلالة الطبية لاثنين وأربعين لفظاً، والتي سجلها الحكيم لأمراض العين، وهذه الألفاظ هي: البياض، التفاح، الجسا، الجصي، الحافر، الحكة، الخشونة، التخيلات، الدبيلة،[1] الدمعة، الاسترخاء، الرصاصي، (الماء) الأزرق، الزرقة، السحاب، السرطان[2]، السعفة[3] السماري، الشعرة، الشعيرة، الشقيقة، (الماء) الأصفر، الصوفي، الضعف، ضمور الحدقه، الضيق، العجز والنقص، الغلظ، الغمام، الغائر، القتام، الإكليلي، الكمتة، اللؤلؤي، الالتصاق، الالتواء، الماء، النتوء، الانتشار، الانتشار، الورم، الورم العروسي، اليرقان. ونسبة هذا العدد إلي العدد الكلي ٧٧ر٦٣٪ .

ثالثاً: أثبت المعجمان الدلالة الطبية لثمانية عشر لفظاً، والتي سجلها الحكيم أيضاً لأمراض العين، وهذه الألفاظ هي: الجحوظ، الجرب، الجهر، الحول، الخفش، الرمض، السبل، السلاق، الشترة، الطرفة، الظفرة، العشا، الغرب، القرح، القمقام، الكلال، النملة، الودقة .

ونسبة هذا العدد إلى العدد الكلي ٠٩ر٢٦٪ .

---

(١)(٢) سجل اللسان والقاموس لهما دلالة طبية أخرى لغير العين .

(٣) سجل اللسان له دلالة طبية خاصة بعين الحيوان .

ولم يأت التعبير عن دلالات هذه الألفاظ في المعجمين (اللسان والقاموس) والتذكرة والنزهة متطابقاً، أو متفقاً تمام الاتفاق، وإنما هو على ثلاثة أقسام :

١ - نرى تقارباً فى التعبير عن دلالات الألفاظ الآتية:

الجحوظ، الجرب، الجهر، الرمد، السلاق، القرح .

وهى تمثل ٣٣ر٣٣٪ من العدد الكلى للألفاظ التى أثبت المعجمان دلالتها الطبية.

فالجحوظ عند الشيخ الحكيم «بروز العين إلى خارج مع عظم وغيره»(١).

وفى اللسان (ج ح ظ)، «خروج مقلة العين وظهورها، أو خروجها ونتوءها من الحجاج، أو عظمها ونتوءها» .

وفي القاموس (ج ح ظ): خروج المقلة أو عظمها ،«جحظت عينه كمنع: خرجت مقلتها أو عظمت» .

والجرب عند الشيخ الحكيم: «خشونة الأجفان ولذعها»(٢).

وفى اللسان (ج ر ب): «كالصدا، مقصور، يعلو باطن الجفن، وربما ألبسه كله، وربما ركب بعضه» .

وفى القاموس (ج ر ب): ذكر عبارة اللسان إلى «الجفن» .

والجهر عند الشيخ الحكيم: «قلة الإبصار، أو عدمه نهاراً فقط»(٣).

---

(١) انظر اللفظ المعجم الذى أعددته لألفاظ العين فى صدر هذا البحث،

(٢) السابق .

(٣) السابق .

وفي اللسان والقاموس (ج هـ ر): عدم الإبصار في الشمس، «جهرت العين كفرح: لم تبصر في الشمس».

والرمد عند الشيخ الحكيم: «من أمراض الطبقة الملتحمة، وهو تغيرها عن أصل الصحة»[١].

وفى اللسان (رمد): «وجع العين وانتفاخها»

وفي القاموس (ر م د): «هيجان العين».

والسلاق عند الشيخ الحكيم: «رطوبة بورقية تبدأ فى الماق، ثم تنتشر فتئول إلى فساد العين، وسببها فساد مزاج العين عن نحو رمد، وعلاماتها حمرة وغلظ وانتشار هدب»[٢].

وفي اللسان (خ در)، (غ ر ب): «الغرب (بتحريك الراء)، والخذر والسلاق، مترادفة، وهو فتور العين وثقل فيها من قذى يصيبها».

ولم يشر الشيخ الحكيم إلى ترادف هذه الألفاظ الثلاثة.

وأما القاموس فقد جاءت دلالة السلاق فيه قريبة مما ذكره الشيخ الحكيم، فقد جاء فيه (س ل ق): «السلاق كغراب غلظ في الأجفان من مادة أكالة تحمر لها الأجفان، وينتشر الهدب، ثم تتقرح أشفار الجفن».

وأما الغرب فقد تقاربت دلالته فى تلك المصادر كما سيأتى.

والقرح عند الشيخ الحكيم: «تقادم زمن الجرح والبثور»[٣].

وفى اللسان والقاموس (ق ر ح): «هو البثر إذا ترامى إلى فساد».

---

(١) السابق.

(٢) السابق.

(٣) السابق.

٢ - ونرى إضافات عند الشيخ الحكيم لم ترد فى اللسان والقاموس، وهى إضافات تعين على توضح دلالات بعض الألفاظ، كما نرى العكس أيضاً فى المعجمين .

أما الألفاظ التى ظهر فيها إضافات الشيخ الحكيم، فهى الغالبة، وهى: الطرفة، والغرب، والقمقام، والكلال، والنملة .

وهذه تمثل ٢٢,٧٧٪ من العدد الكلى للألفاظ التى أثبت المعجمان دلالتها الطبية .

فالطرفة عنده «نقطة تظهر فى العين تكون إلى الحمرة أولاً، ثم تتلون فيسود القديم منها أو يكمد لموت الدم، وتعقب ورماً»[١].

وفى اللسان والقاموس (ط ر ف): «نقطة حمراء تحدث فى العين من ضربة وغيرها» .

والغرب عند الشيخ الحكيم «خراج يخص الماق الأكبر فى الغالب، تجتمع فيه المادة، ثم ينفجر ويعود، وهكذا، ويعظم ويطول حتى يخرج الصفاق، وحاله فى العين حال الناصور في المقعدة»[٢].

وفى اللسان والقاموس (غ ر ب): هو «بثرة تكون فى العين» .

وزاد فى القاموس «وورم فى المآقى» .

وهو فيهما أيضاً: «عرق فى مجرى الدمع يسقى ولا ينقطع، وهو كالناسور».

وزاد فى اللسان «هو عرق فى العين لاينقطع سقيه... والغرب (محرك) الخذر فى العين، وهو السلاق» .

---

(١) السابق.

(٢) السابق .

وأما الغرب (بسكون الراء) فيحمل في القاموس الدلالتين السابقتين، ولم يجعله مرادفاً للغرب (بالتحريك) .

والقمقام عند الشيخ الحكيم: «قمل يكون فى الأجفان»[١]

وفى اللسان والقاموس (ق م م): «ضرب من القمل» .

وزاد في اللسان «شديد التشبث بأصول الشعر، واحدتها قمقامة» .

وهذه الزيادة لم تخص الشعر بالهدب .

والكلال عند الشيخ الحكيم: «ضعف في العين يكون عن كثرة النظر فى نحو الخطوط الدقيقة النقش بنحو أقلام الشعر وعمل التصاوير»[٢].

ولم يخص اللسان والقاموس هذا اللفظ بالعين، ففى اللسان: «كل يكل كلا وكلالاً وكلالة (الأخيرة عن اللحيانى): «أعيا». وفى القاموس: «كل البصر والسيف وغيرهما يكل كلة وكلاً، بالكسر، وكلالة وكلولة وكلولاً» .

والنملة عند الشيخ الحكيم «مثل السعفة محلاً، وعكسها مادة»، أى «قروح فى أصول شعر الهدب»[٣].

وفى اللسان والقاموس «قروح في الجنب وغيره» .

أما ماجاء فيه إضافات فى المعجمين ولم ترد عند الشيخ الحكيم فلم أر منه إلا لفظاً واحداً، وهو السبل، وهو يمثل ٥٧ر٥٪ من العدد الكلى للألفاظ التى أثبت المعجمان دلالتها الطبية .

فهو عند الشيخ الحكيم «من أمراض الملتحمة والقرنية، يكون بينهما كالغبار المنتسج»[٤].

---

(١) السابق .

(٢) السابق .

(٣) السابق .

(٤) السابق .

وهو في اللسان (سل بل): «داء في العين شبه غشاوة كأنها نسج العنكبوت بعروق حمر» .

وهو في القاموس (س ب ل): «غشاوة في العين من انتفاخ عروقها في سطح الملتحمة، وظهور انتساج شئ فيما بينها كالدخان».

٣ - ونرى الشيخ الحكيم يذكر دلالة واحدة للفظ، بينما يذكر له اللسان أو القاموس أكثر من واحدة، ويتضح هذا في الألفاظ الآتية:

الحول، الخفش، الشترة، الظفرة، العشا، الودقة؛ وهي تمثل ٣٣ر٣٣٪ من العدد الكلي للألفاظ التي أثبت المعجمان دلالتها الطبية .

فالحول عند الشيخ الحكيم: «زوال موضع البصر الطبيعي عن موضعه»[(١)].

وهو في اللسان والقاموس «أن يظهر البياض في مؤخرها، ويكون السواد من قبل الماق. وقياس الحول: إقبال الحدقة علي الأنف.وقيل هو ذهاب حدقتها قبل مؤخرها. وقيل الحول أن تكون العين كأنها تنظر إلى الحجاج. وقيل هو أن تميل الحدقة إلى اللحاظ، وقد حولت وحالت تحال واحولت».

ومن الملاحظ أن المعجمين ذكرا للحول خمسة أقوال .

والخفش عند الشيخ الحكيم مرادف للجهر، وهو «قلة الإبصار أو عدمه نهاراً فقط»[(٢)].

وفي اللسان هو «ضعف البصر وضيق في العين. وقيل صغر في العين خلقة. وقيل فساد في جفن العين واحمرار تضيق له العيون من غير وجع ولاقرح». وفيه عن الجوهري «قد يكون الخفش علة، وهو الذي يبصر الشئ بالليل ولايبصره بالنهار، ويبصره في يوم غيم، ولايبصره في يوم صاح» .

---

(١) السابق .

(٢) السابق .

والشترة عند الشيخ الحكيم: «تقلص الجفن بحيث لاينطبق مستقيماً»[١].

وفى اللسان (ش ت ر) «الشتر انقلاب في جفن العين، قلما يكون خلقة... ابن سيده: الشتر انقلاب جفن العين من أعلى وأسفل وتشجنه. وقيل هو أن ينشق الجفن حتى ينفصل الحتار. وقيل هو استرخاء الجفن الأسفل، شترت عينه شتراً» .

وفى القاموس (ش ت ر) الأقوال الثلاثة الأخيرة .

والظفرة عند الشيخ الحكيم «زيادة من طرف الملتحم كالزق»[٢].

وفي اللسان (ظ ف ر): «والظفر والظفرة، بالتحريك: دواء يكون فى العين يتجللها منه غاشية كالظفر. وقيل هى لحمة تنبت عند المآقى حتى تبلغ السواد، وربما أخذت فيه. وقيل الظفرة بالتحريك جليدة تغشى العين، تنبت تلقاء المآقى وربما قطعت، وإن تركت غشيت بصر العين حتى تكل، وفي الصحاح: جليدة تغشى العين نابتة من الجانب الذى يلى الأنف على بياض العين إلى سوادها، قال: وهى التى يقال لها ظفر عن أبى عبيد... الفراء: الظفرة لحمة تنبت فى الحدقة. وقال غيره: الظفر لحم ينبت فى بياض العين،وربما جلل الحدقة».

واقتصر القاموس (ظ ف ر) على قول واحد، وهو قوله «الظفر: جليدة تغشى العين كالظفرة» .

والعشا عند الشيخ الحكيم «عدم الإبصار بعد غروب الشمس»[٣].

---

(١) السابق .

(٢) السابق .

(٣) السابق .

وفى اللسان (ع ش ا): «العشا، مقصور، سوء البصر بالليل والنهار، يكون في الناس والدواب والإبل والطير. وقيل هو ذهاب البصر (حكاه ثعلب)، قال ابن سيده: وهذا لايصح إذا تأملته. وقيل هو ألا يبصر بالليل. وقيل العشا يكون سوء البصر من غير عمى. ويكون الذى لايبصر بالليل ويبصر بالنهار، وقد عشا يعشو عشواً، وهو أدنى بصره، وإنما يعشو بعد مايعشى» .

واقتصر القاموس (ع ش ا) على القول الأول فقط .

والودقة عند الشيخ: «قطعة بيضاء تشبه الشحمة تظهر فى الملتحمة»[١].

وفى اللسان «ودق»: «الودقة والودقة (الفتح عن كراع) نقطة في العين من دم تبقي فيها شرقة. وقيل هو مرض ليس بالرمد ترم منه الأذن وتشتد منه حمرة العين، والجمع ودق... الأصمعى: يقال فى عينه ودقة خفيفة إذا كانت فيها بثرة أو نقطة شرقة بالدم» .

وفى القاموس (ودق) نحو هذه الأقوال .

رابعاً: لم يسجل القاموس الدلالة الطبية للفظ(الحرقة)، وهو يمثل ٤٤ر١٪ من العدد الكلى للألفاظ .

فهى عند الشيخ الحكيم من أمراض الجفن، وتحدث غالباً عن السلاق والرمد، وقد تكون من خارج كدخان وصنان»[٢].

وأما اللسان (ح ر ق) فقد سجل شيئاً من هذا حين ذكر عن الأزهرى عن الليث أن الحرقة «ماتجد فى العين من الرمد» .

---

(١) الساق .

(٢) السابق .

وقد عقدت مقارنة بين المعجم الذى أعددته لألفاظ العين عند الشيخ الحكيم داود، والمعجم الذى أعده أحد الباحثين [١] لألفاظ أمراض العين من قانون ابن يسينا والمرشد فى الكحل للغافقى، وتبين لى أن معجم ابن سينا والغافقى خلا من خمسة عشر لفظاً من الألفاظ الثمانية والستين، وهو مايحسب للشيخ داود إن كان ابن سينا والغافقى أهملا هذه الألفاظ حقاً، وهذه الألفاظ هى :

القرح(التفاحى)، الحرقة، الخفش، السعفة، الشقيقة، الصلابة، الورم (العروسى)، القرح الغائر، القمقام، الكثة، الكزاز، الكمتة، الالتواء، النملة، الودقة .

المناسبة بين أمراض العين والألفاظ الموضوعة لها :

لعلنا نتساءل عن سر اختيار كل لفظ بعينه من الألفاظ الثمانية والستين ليوضع بإزاء المرض الذى يدل عليه ؟

وتبين لى أن اختيار اللفظ المعين للمرض المعين لم يكن عبثاً، وآية ذلك أنى وجدت العلاقة واضحة في كثير من الألفاظ بين دلالتها الطبية وبين الدلالة اللغوية العامة لجذورها، والتى لمح نفر من العلماء - أو حاولوا أن يلمحوا - دوران ألفاظها حول معنى عام يجمعها .

---

(١) هو الدكتور عبد الصبور شاهين، فقد ذيل كتابه «العربية لغة العوام والتعذية» بمعجم أمراض العين عند ابن سينا والغافقي كما سبق. انظره من صـ٤١٣ إلى ص٤٦٤ ضمن الكتاب السالف اذكر، وابن سينا توفى (٤٤٤هـ)، ومحمد بن سقوم الغافقى من كحالى السابع الهجرى .

وقد استعنت بمعجم مقاييس اللغة لابن فارس (ت ٣٩٢هـ) للكشف عن هذه العلاقة، وخرجت بنتيجتين :

الأولى: وضوح العلاقة بين معانى ستين لفظاً طبياً والمعانى اللغوية العامة لجذورها .

وهذه الألفاظ تمثل ٨٦٫٩٥٪ من العدد الكلى لمعجم ألفاظ العين .

وقد لاحظت أن ثلاثة وعشرين لفظاً من هذه الألفاظ تميزت بقوة وضوح العلاقة بينها وبين دلالتها الطيبة حين شبه المرض بها:

فالبياض الذى وضع للنتوء الذى يمنع البصر، ويخص ظاهر القرنية أو يجمعها [١] لابد أن يكون الواضع قد لحظ فيه -حين وضعه لهذه الدلالة الطيبة- الدلالة اللغوية الأصلية العامةوهى البياض من الألوان، وهذا مايؤكده أيضاً دلالة اللفظ عند ابن سينا والغافقى. [٢]

ولفظ التوتة الموضوع لمرض من أمراض الجفن السافل غالباً، وهو لحم رخو أحمر إلى سواد ذات عروق ترشح بالدم المتعفن [٣]، مااختير إلا لوجود شبه بين المرض وثمر التوت المعروف .

ولفظ الزرقة الذى يدل علي سوء مزاج الجليدية [٤] لابد أن يكون مراعى فى اختياره اللون المعروف .

---

(١) انظر اللفظ فى المعجم الذى أعددته لألفاظ أمراض العين عند الحكيم داود والمثبت فى صدر هذا البحث .

(٢) انظرالمعجم الذى أعده د. عبد الصبور شاهين فى ص ٤٢٠ من كتابه العربية .

(٣) انظر اللفظ فى المعجم الذى أعددته لألفاظ أمراض العين عند الحكيم فى صدر هذا البحث .

(٤) السابق .

ولفظ الكمتة الذى يدل عي بخار يابس تحت الطبقات لابد أن يكون ملحوظاً فيه لون الكمتة المعروف .

ولفظ الشعرة الذى وضع لمرض من أمراض الجفن الأعلى[١] مااختير إلا لوجود شبه قوى بينها وبين الشعرة فى الرأس أو الجسد .

ولفظ الشعيرة الموضوع لورم مستطيل في الجفن[٢]، لابد أن يكون ملحوظاً فى أثناء وضعه لهذا المرض حب الشعير المعروف، وهو ماأشار إليه ابن سينا والغافقى حين أشارا إلى الشبه فى الشكل بين هذا الورم والشعير[٣].

ولفظ الظفرة الدال على زيادة من طرف الملتحم كالزق[٤]، يدل جذره على «قوة فى الشئ»، وقد أكد ابن فارس العلاقة بين اللفظ والمرض حين قال: «وأما قولهم ظفرة فذلك علي طريق التشبيه» .

ولفظ القتام الدال على نوع من أنواع القروح قد كفانا الشيخ الحكيم مؤنة كشف العلاقة بينه وبين دلالته حين ذكر أن هذا القرح يشبه الدخان فى اللون، وهو ماأكده ابن سينا أيضاً[٥]، وابن فارس حين ذكر أن (القاف والتاء والميم) تدل على غبرة وسواد .

ولايخفى عليك وضع ألفاظ السحاب والإكليل والصوفى والتفاحى والحافر والسمارى لأنواع مختلفة من القروح .

---

(١) السابق .

(٢) السابق .

(٣) انظر معجم ألفاظ أمراض العين عندها، فى كتاب د. شاهين: العربية ص٤٤٢ .

(٤) انظر اللفظ فى معجم ألفاظ أمراض العين عند الحكيم داود فى صدر هذا البحث .

(٥) انظر العربية ص٤٣١، ٤٥٢ .

فالقرح السحاب هو دون القتام، وهو أصغر وأميل إلى الصفاء،[١] وإن كان هو عند ابن سينا والغافقى «أشد بياضاً»[٢].

والقرح الإكليلى هو دون السحاب، محيط بالسواد ومايحاذيه من البياض.[٣] وهو ماأكده من قبل ابن سينا والغافقى[٤]، وابن فارس حين ذكر أن (الكاف واللام) يدلان على «إطافة شئ بشئ» .

والقرح الصوفى هو قطعة تشبه الصوف أو القطن ذات عروق شعرية[٥]، وهوماأكده ابن سينا.[٦]

والقرح التفاحى هو المستدير الضيق إلى الحمرة.[٧].

والقرح الحافر فى القرنية الأقل نحوراً من غيره، وقيل السمارى.[٨] مراعاة للونه ويؤيد التسمية بالحافر ماجاء فى المقاييس عن دلالة الحاء والفاء والراء على قلع الشئ سفلاً .

والعلاقة بين الماء الذى يصيب العين والماء المعروف واضحة، وكذا الحال بين أنواعه وماﺍستعير لها من ألفاظ على سبيل التشبيه .

---

(١) انظر: اللفظ فى معجم الحكيم داود فى صدر هذا البحث .

(٢) انظر: اللفظ فى العربية ص٤٣٠ .

(٣) انظر: اللفظ فى معجم الحكيم داود فى صدر هذا البحث .

(٤) انظر: العربية ص٤١٦ .

(٥) انظر: اللفظ فى معجم الحكيم داود فى صدر هذا البحث .

(٦) انظر: العربية ٤٤٣ ، ٤١٤ .

(٧) انظر لفظ القرح فى معجم الحكيم داود فى صدر هذا البحث .

(٨) السابق .

فـالماء اللؤلؤى هو الرقيق الأبيض البراق، شديد الصفاء [١]، وهو ماتؤكده (اللام والهمزة) فى المقاييس الدالان على «الصفاء والبريق».

والماء الرصاصى هو الذى تجمد معه حركة العين ويكمد لونها، [٢] وهو ماتؤكده (الراء والصاد) في المقاييس الدالان على «انضمام الشئ إلى الشئ بقوة وتداخل» .

والماء الجصى، وهو الذى تكون العين معه كلون الجص إلى الغبرة[٣].

والماء الغمام، وهو الذى يرى صاحبه دائماً مثل السحاب والدخان، ولايصفو فيه لون العين، [٤] ويؤيده ماذكره ابن فارس من أن (الغين والميم) للتغطية والإطباق .

والماء الأزرق، وهو الذى تجحظ معه العين ويحمر الملتحم[٥].

والماء الأصفر، الشفاف الذى تتواتر معه حركة العين[٦].

والماء الأسمانجونى الذى بين الحمرة والصفرة[٧]، وهو ماأكده ابن سينا. [٨]

والورم العروسى الذى هو ورم مستطيل فى الجفن رخو[٩]، على التشبيه بالعروس، وهو ماأكدته (العين والراء والسين) الدالة على الملازمة كما يذكر ابن فارس .

وأما الألفاظ الأخرى - وعددها سبعة وثلاثون لفظاً - والتى تتضح العلاقة بين معانيها الطبية والمعانى اللغوية العامة لجذورها - فيكشف عنها الجدول الآتى:

---

(١)-(٧) انظر لفظ الماء في معجم الحكيم داود فى صدر هذا البحث .

(٨) انظر: العربية ٤١٣ .

(٩) انظر: اللفظ فى معجم الحكيم داود فى صدر هذا البحث .

اللفظ	دلالته الطبية عند الحكيم	الدلالة اللغوية لجذره في مقاييس اللغة
الجحوظ	بروز العين إلي خارج مع عظم أو غيره	(ج ح ظ): كلمة واحدة، جحظت العين إذا عظمت مقلتها وبرزت.
الجرب	خشونة الأجفان ولذعها	(ج ر ب): الشئ البسيط يعلوه كالنبات من جنسه .
الجسا	صلابة الجفن وضعف حركته مطلقاً	(ج س أ): صلابة وشدة .
الحرقة	من أمراض الأجفان (معروفة)	(ح ر ق): حك الشئ بالشئ مع حرارة والتهاب .
الحكة	(معروفة)	(ح ك): أن يلتقى شيئان يتمرس كل واحد منهما بصاحبه .
الحول	زوال موضع البصر الطبيعي عن موضعه	(ح و ل): تحرك في دور.
الخشونة	من أمراض الأجفان (معروفة)	(خ ش ن): خلاف اللين .
التخيلات	أن يختل بصر الشخص الطبيعى ويشاهد مالا وجود له .	(خ ي ل): حركة فى تلون .
الدبيلة	الدمل، قرحة تبدو محمرة الرأس في في الملتحم .	(د ب ل): يدل على جمع وتجمع .
الدمعة	زيادة رطوبة فوق الطبيعية .	(د م ع): ماء أو دمعة .
الاسترخاء	من أمراض الجفن، ويؤدى إلى انطباقه	(ر خ و): لين .
الرمد	هو تغير الطبقة الملتحمة عن أصل الصحة	(ر م د): يدل علي مرض .

اللفظ	دلالته الطبية عند الحكيم	الدلالة اللغوية لجذره في مقاييس اللغة
السبل	يكون بين الملتحمة والقرنية كالغبار المنتسج	(س ب ل): إرسال شئ من علو إلى سفل.
السرطان	ورم صلب في القرنية كثير العروق يؤدى إلى نخس شديد وألم.	(س ر ط): غيبة في مر وذهاب .
السعفة	قروح في أصول شعر الهدب تجعله محروق كأصول سعف النخل ويؤدى إلى غلظ وسقوط الشعر .	(س ع ف): يبس شئ وتشعثه .
الشترة	تقلص الجفن بحيث لاينطبق مستقيماً	(ش ت ر): خرق في شئ .
الشقيقة	ناخس شديد في الشبكية من غير ظهور شئ	(ش ق): انصداع في الشيء.
الصلابة	من أمراض الأجفان	(ص ل ب): الشدة والقوة .
الضعف	معروف	(ض ع ف) خلاف القوة .
الضمور	ضيق الحدقة وصغرها	(ض م ر): دقة في الشئ .
الضيق	أن تصغر العين فيرى الشئ أكبر لاجتماع البصر .	(ض ى ق): خلاف السعة .
الطرقة	نقطة تظهر في سطح الملتحم تكون إلى الحمرة أولا ثم تتلون فيسود القديم منهـا أو يكمد لموت الدم	(ط ر ف): حد الشئ حرفه .

اللفظ	دلالته الطبية عند الحكيم	الدلالة اللغوية لجذره في مقاييس اللغة
العجز	هو العجز عن مقاومة الأشعة	(ع ج ز): الضعف .
العشا	هو عدم الإبصار بعد غروب الشمس	(ع ش و): ظلام وقلة وضوح في الشئ .
الغرب	خراج يخص المأق الأكبر في الغالب	(غ ر ب): الحد .
الغائر	هو قرح أكثر غوراً من باقي الأنواع	(غ و ر): خفوض في الشئ وانحطاط وتطامن.
القرح	اسم جامع لغالب أمراض العين	(ق ر ح): ألم بجراح أو ماأشبهها .
القمقام	نوع من القمل يكون في الأجفان	(ق م): جمع الشئ. (ق م ل): حقارة وقماءة.
الكزاز	امتناع الأعصاب والعضل عن حركتي قبض العين وبسطها .	(ك ز): قبض وتقبض .
الكلال	ضعف النظر	(ك ل): خلاف الحدة .
الالتصاق	التحام الجفنين بحيث يمتنع البصر أو يقل	(ل ص ق): ملازمة الشئ للشئ .
الالتواء	الإحساس بميل العين إلي جانب	(ل و ى): إمالة للشئ .
النتوء	انصباب مادة زائدة لموجب ... فتبرز العين عن الحد الطبيعي .	(ن ت أ): خروج شئ عن موضعه من غير بينونة.
الانتثار	هو سقوط شعر الهدب	(ن ث ر) إلقاء شئ متفرق .
الانتشار	اتساع المقلة على وجه لايخرج معه الضوء على خط مستقيم لتفرقه، وعلامته تفرق البصر .	(ن ش ر): فتح شئ وتشعبه .

اللفظ	دلالته الطبية عند الحكيم	الدلالة اللغوية لجذره في مقاييس اللغة
النمل	مثل السعفة محلاً، وعكسها مادة، ويحس الإنسان بمثل دبيب .	(ن م ل): تجمع فى شئ وصغر وخفة .
الورم	من علل الطبقة الصلبة، معروف	(ورم): أن ينفر اللحم.

النتيجة الثانية: عدم وضوح العلاقة بين تسعة ألفاظ طبية ومعانيها، ويرجع هذا إلى مايأتى:

- كون اللفظ أعجمياً، كما فى لفظى التبغ والوردينج .
- أو شذوذه عن معنى جذره كما في الودقة، فإن جذره (ودق) يدل على إتيان وأنسة، ولكن ابن فارس قال: «ومما شذ عن الباب الودق: نقط حمر تخرج فى العين، الواحدة ودقة» .
- أو عدم تمكن ابن فارس من إيجاد معنى عام للجذر، كما فى (س ل ق)، فقد رأى أنها كلمات متباينة، ومنه - بلا شك - لفظ السلاق الذى يدل على الرطوبة بورقية تبدأ فى الماق غالباً ثم تنتشر فتئول إلى فساد العين».
- أو عدم تسجيله الجذر أصلاً كما فى الخفش والشرناق، والغلظ واليرقان.
- أو ضدية العلاقة - فى الظاهر - بين معنى اللفظ ومعنى جذره، كما فى

لفظ الجهر الذى يدل على قلة الإبصار أو عدمه نهاراً فقط، أما جذره (ج هـ ر) فيدل على إعلاق الشئ وكشفه وعلوه، فأى علاقة بين قلة الإبصار والإعلان والكشف! اللهم إلا إذا ربطنا بين ضوء الشمس وأشعتها وبين ضعف البصر، فتكون التسمية ملحوظاً فيها جزء من السبب، فأسباب المرض كما ذكر الحكيم: «حدة المواد، ورقة الرطوبات، والروح الباصر، فتضره الأضواء والأشعة قبل انتقاش الصور» .

وعلى كل حال فإن هذه الألفاظ قليلة ولاتمثل إلا ١٣/٠٤٪ من العدد الكلى لمعجم ألفاظ العين عند الحكيم داود .

وإلى لقاء آخر إن شاء الله

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

قسم اللغويات

جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية إيتاى البارود
قسم اللغويات

المختلف فى إعرابه من عطف النسق فى سورة البقرة

إعداد
أ.د/ أحمد محمد أحمد خالد

١٩٩٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبى الأمى، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد

فعطف النسق فى القرآن الكريم من الأساليب التى لم يتفق النحاة والمفسرون فى تخريج الكثير منها، ومن تخريجاتهم المخالف لظاهر السياق، أو الضعيف الذى لاينبغى تخريج آى القرآن الكريم عليه، أو الخطأ الصريح الناتج من إغفال المعنى عند التوجيه.

ومن أساليب العطف أيضا مايوقع فى إشكال عند التخريج بسبب تدفق المعانى المحتملة التى تجعل الباحث يحار فى معرفة أى المعانى هى الأنسب فى توجيه الأسلوب القرآنى.

وقد رأيت أن هذا الموضوع يحتاج إلى ذكر لآراء النحاة والمفسرين فى أساليب العطف المختلفة، ودراستها، ومناقشتها، وتوجيهها، وجعلت بحثى هذا قاصرا على دراسة ما جاء فى سورة البقرة من أساليب لعطف النسق وسميته :(المختلف فى إعرابه من عطف النسق فى سورة البقرة).

وقسمت هذا الموضوع إلى أربعة مباحث :

المبحث الأول: الاختلاف فى بيان المعطوف عليه.

المبحث الثانى: الاختلاف فى بيان كل من المعطوف والمعطوف عليه.

المبحث الثالث: الاختلاف فى بيان معني حرف العطف.

المبحث الرابع: الاختلاف فى بيان حقيقة الحرف.

هذا وأرجو من الله تعالى أن يكون عملى هذا خالصا لوجهه، وأن يعم به النفع، وهو ولى التوفيق.

أ.د. أحمد محمد خالد

المبحث الأول

الاختلاف في بيان المعطوف عليه

اختلف النحاة والمفسرون في بيان المعطوف عليه فى الآيات التالية وسأبين بمشيئة الله القول فيها :

١- «فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين.وبشر الذين آمنوا». البقرة : ٢٤، ٢٥

اختلف فيما عطف عليه قوله عز وجل :(وبشر).

قال الجمل :«قوله :(وبشر الذين آمنوا إلى آخره) عطف على مضمون آية فإن لم تفعلوا إلى آخره»(١).

وقال الزمخشرى :«فإن قلت علام عطف هذا الأمر ولم يسبق أمر ولانهى يصح عطفه عليه. قلت: ليس الذى اعتمد بالعطف هو الأمر حتي يطلب له كل من أمر أو نهى يعتمد عليه، وإنما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين فهى معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول: زيد يعاقب بالقيد والإرهاق، وبشر عمرا بالعفو والإطلاق»(٢).

ونقل أبو حيان عبارة الزمخشرى السابقة ثم قال :«وتلخص من هذا أن عطف الجمل بعضها على بعض ليس من شرطه أن تتفق معانى الجمل فعلى هذا يجوز عطف الجملة الخبرية على الجملة غير الخبرية، وهذه المسألة فيها اختلاف، ذهب جماعة من النحويين إلى اشتراط اتفاق المعاني، والصحيح أن ذلك ليس بشرط وهو مذهب سيبويه»(٣).

---

(١) حاشية الجمل على الجلالين ٢٩/١.

(٢) الكشاف ٢٥٣/١.

(٣) البحر المحيط ١١٠/١.

وبالتأمل فى كلام الزمخشرى نجد أنه ليس فيه مايفيد جواز عطف الإنشاء على الخبر؛ لأن العطف إنما هو لمعنى المعطوف، ولذلك قال ابن هشام : بعد أن ذكر قول الزمخشرى المتقدم :

«وأتم من كلامه فى الجواب أن يقال المعتمد بالعطف جملة الثواب كما ذكر، ويزاد عليه فيقال : والكلام منظور فيه إلى المعنى الحاصل منه، وكأنه قيل: والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات فبشرهم بذلك»(١).

وقال الأمير فى قول ابن هشام : ويزاد إلى آخره :«فيه أنه لا زيادة فإن مراد الزمخشرى بجملة ثواب المؤمنين المعنى المتحصل منها فهو عطف لمعنى المعطوف، وأما لو حمل الزمخشرى على نفس الجملة فهو صريح فى عطف الإنشاء على الخبر فينافى غرض المصنف»(٢).

وأجاز الزمخشرى أيضا عطف قوله تعالى: (وبشر) على قوله : **(فاتقوا)**.

قال الزمخشرى:«ولك أن تقول هو معطوف على قوله :(فاتقوا) كما تقول : يابنى تميم احذروا عقوبة ماجنيتم، وبشر يافلان بنى أسد بإحسانى إليهم»(٣).

وفى هذا التوجيه إشكال فإن قوله تعالى :(فاتقوا) جواب للشرط، وقوله :(وبشر) لايصلح أن يكون جوابا.

وقد خطأ أبو حيان الزمخشرى فى هذا التوجيه.

---

(١) مغنى اللبيب ٢/ ١٠٠.

(٢) حاشية الأمير على مغنى اللبيب ٢/ ١٠٠.

(٣) الكشاف ١/ ٢٥٤.

قال أبو حيان :«وهذا الذى ذهب إليه خطأ؛ لأن قوله : (فاتقوا) جواب للشرط، وموضعه جزم، والمعطوف على الجواب جواب، ولايمكن فى قوله : (وبشر) أن يكون جوابا؛ لأنه أمر بالبشارة مطلقا لا على تقدير إن لم تفعلوا بل أمر أن يبشر الذين آمنوا ليس مترتبا على شئ قبله، وليس قوله : وبشر على إعرابه مثل ما مثل به من قوله : يابنى تميم إلي آخره لأن قوله : احذروا لاموضع له من الإعراب بخلاف قوله : (فاتقوا) ولذلك أمكن فيما مثل به العطف ولم يمكن فى وبشر»[1].

وقد دفع ابن هشام هذا الإشكال.

قال فى قول الزمخشرى بجواز عطف (وبشر) على (فاتقوا):

«فيه نظر؛ لأنه لايصح أن يكون جوابا للشرط؛ إذ ليس الأمر بالتبشير مشروطا بعجز الكافرين عن الإتيان بمثل القرآن، ويجاب بأنه قد علم أنهم غير المؤمنين، فكأنه قيل: فإن لم يفعلوا فبشر غيرهم بالجنات، ومعنى هذا فبشر هؤلاء المعاندين بأنه لاحظ لهم من الجنة»[2].

٢- **«أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون».** البقرة : ٤٤

اختلف فى بيان المعطوف عليه إذا وقع حرف العطف بعد همزة الاستفهام نحو قوله عز وجل فى الآية (أفلا تعقلون) وقوله : (أفتطمعون)[3].

ومذهب سيبويه والجمهور أن الهمزة الواقع بعدها حرف عطف هى مقدمة من تأخير فيكون المعطوف هو ا لمذكور قبل حرف العطف، وقيل حرف العطف

---

(١) البحر المحيط ١/ ١١٠.

(٢) مغنى اللبيب ١/ ١٠٠.

(٣) من الآية رقم ٧٥ من سورة البقرة.

بعد الهمزة واقع موقعه، والمعطوف عليه جملة مقدرة بين الهمزة وحرف العطف، والتقدير فى قوله :(أفلا تعقلون) أتغفلون فلاتعقلون[١]، وفى قوله : (أفتطمعون) أتسمعون أخبارهم وتعلمون أحوالهم فتطمعون[٢].

وقد خرج الزمخشرى كثيرا من الآيات على المذهب الثانى، وضعفه ابن هشام. قال :«ويضعف قولهم مافيه من التكلف، وأنه غير مطرد فى جميع المواضع، أما الأول : فلدعوى حذف الجملة، فإن قوبل بتقديم بعض المعطوف، فقد يقال : إنه أسهل منه؛ لأن المتجوز فيه على قولهم أقل لفظا مع أن فى هذا التجوز تنبيها على أصالة شئ فى شئ أى أصالة الهمزة في التصدير، وأما الثانى : فلأنه غير ممكن في نحو : (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت)[٣]، وقد جزم الزمخشرى في مواضع بما يقوله الجماعة»[٤].

وضعف بعض المحققين ومنهم رضى الدين ماذهب إليه الزمخشرى من أن العطف على جملة مقدرة بأنه لم يسمع هذا التركيب إلا بعد سبق شئ، فدل على أن العطف على السابق، ولو كان العطف على مقدر فيه لصح الإتيان ابتداء[٥]. وأجاز الأخفش زيادة الواو، والفاء بعد همزة الاستفهام[٦]، وهو قول ضعيف[٧].

---

(١) انظر حاشية الجمل على الجلالين ٤٧/١.

(٢) انظر تفسير أبي السعود ١١٦/١، وحاشية الجمل على الجلالين ٦٧/١.

(٣) من الآية رقم ٣٣ من سورة الرعد.

(٤) مغنى اللبيب ١٥/١، وانظر البحر المحيط ١٨٣/١.

(٥) انظر شرح الكافية للرضى ٣٦٨/٢ ،وحاشية الأمير علي مغنى اللبيب ١٤/١.

(٦) انظر معاني القرآن للأخفش ٣٢٦/١.

(٧) انظر البحر المحيط ٣٢٣/١.

٣- **«ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس، أفكلما جاءكم رسول بما لاتهول أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون».** البقرة : ٨٧

الظاهر في قوله تعالى (ففريقا كذبتم) أنه معطوف على قوله : (استكبرتم) [١]، وجوز الراغب أن يكون معطوفا على (وأيدناه) ويكون (أفكلما) مع ما بعده فصلا بينهما على سبيل الإنكار. وتجويز الراغب محتمل، وإن كان الأظهر في ترتيب الكلام هو الأول[٢].

٤- **«واتبعوا ماتتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل علي الملكين ببابل هاروت وماروت ومايعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلاتكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه».** البقرة : ١٠٢

اختلف المفسرون فيما عطف عليه قوله تعالى :«وما أنزل على الملكين فقيل ما موصولة في محل نصب وهى معطوفة على السحر» [٣].

وقيل : عطفت على (ما) في قوله :(ماتتلوا) أى واتبعوا ما تتلوا الشياطين والذى أنزل[٤].

---

(١) انظر البحر المحيط ١/ ٣٠٠، وروح المعانى ١/٣١٨، والتبيان للعكبرى ١/ ٧٦، وحاشية الجمل على الجلالين ١/ ٧٦.

(٢) انظر البحر المحيط ١/ ٣٠٠، وروح المعانى ١/٣١٨.

(٣) انظر البحر المحيط ١/٣٢٨، والكشاف ١/ ٣٠١، وروح المعانى ١/ ٣٤٠، والتبيان فى إعراب القرآن للعكبرى ١/ ٨٤، وحاشية الجمل على الجلالين ١/ ٨٦.

(٤) انظر البحر المحيط ١/٣٢٨، والكشاف ١/ ٣٠١، والتبيان فى إعراب القرآن للعكبرى ١/ ٨٤.

وقيل ما موصولة فى محل جر عطفا على ملك سليمان والمعنى: افتراء على ملك سليمان وافتراء على ما أنزل علي الملكين، وقيل المعنى: واتبعوا ما تتلوا الشياطين على زمن ملك سليمان، وعلى عهد الذى أنزل على الملكين[١].

وقيل (ما) فى قوله عز وجل (وما أنزل) حرف نفي والجملة معطوفة على (وماكفر سليمان) وذلك أن اليهود قالوا إن الله أنزل جبريل وميكال بالسحر فنفى الله ذلك[٢].

واختلف أيضا فيما عطف عليه قوله تعالى :(فيتعلمون).

فذهب سيبويه إلى أنه معطوف على كفروا.

قال سيبويه :«وقال عز وجل : «فلا تكفر فيتعلمون» فارتفعت لأنه لم يخبر عن الملكين أنهما قالا: لاتكفر فيتعلمون ليجعلا كفره سببا لتعليم غيره، ولكنه على كفروا فيتعلمون»[٣].

قال أبو حيان : يريد سيبويه أن فيتعلمون ليس بجواب لقوله : فلا تكفر فينصب كما نصب (لاتفتروا علي الله كذبا فيسحتكم بعذاب)[٤] لأن كفر من نهى أن يكفر فى الآية ليس سببا لتعلم من يتعلم، وكفروا فى موضع فعل مرفوع فعطف عليه مرفوع»[٥].

---

(١) انظر البحر المحيط ١/٣٢٨، ٣٢٩، والتبيان فى إعراب القرآن للعكبرى ١/٨٤.

(٢) انظر البحر المحيط ١/٣٢٩، والتبيان للعكبرى ١/٨٥، وتفسير الطبرى ١/٣٥٩.

(٣) الكتاب ٣/٣٨.

(٤) من الآية رقم ٦٢ من سورة طه.

(٥) البحر المحيط ١/٣٣١.

وأجاز الفراء أن يكون (فيتعلمون) معطوفا على قوله تعالي :(يعلمون الناس السحر)، وأن يكون معطوفا علي محذوف دل عليه الكلام أى فيأبون فيتعلمون، ورجح الفراء الثانى، واستحسنه الزجاج[١].

وأنكر الزجاج أن يكون قوله جل شأنه :(فيتعلمون) معطوفا على (يعلمون) قال : «وهذا خطأ؛ لأن قوله منهما دليل ههنا على أن التعلم من الملكين خاصة»[٢].

وأجاز أبو علي وغيره هذا الوجه الذي أنكره الزجاج إذ لايمتنع عطف فيتعلمون على (يعلمون) وإن كان التعليم من الملكين خاصة،والضمير فى منهما راجع إليهما؛ لأن قوله :(فيتعلمون منهما) إنما جاء بعد ذكر الملكين.

ويتبين من هذا أنه لا وجه أيضا للاعتراض علي سيبويه فيما ذهب إليه من أن (فيتعلمون) معطوف على (كفروا)، وقد اعترض عليه بما اعترض على الوجه الأول للفراء[٣].

ويجوز أن يكون (فيتعلمون) معطوفا على جملة (ومايعلمان) وهى وإن كانت منفية إلا أنها فى قوة المثبتة كأنه قال : يعلمانهم بعد ذلك القول فيتعلمون»[٤]. وهذا القول هو أقرب الأقوال إلى اللفظ.

وأجاز الزجاج أن يكون (فيتعلمون) معطوفا على (يعلمان) محذوفا واستغنى عن ذكره بما في الكلام من الدليل عليه، وذكر أنه الأجود[٥].

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١/٦٤، ومعانى القرآن للزجاج ١/١٨٥، والبحر المحيط ١/ ٣٣١.

(٢) معانى القرآن للزجاج ١/١٨٥، وإعراب القرآن للنحاس ١/٢٥٣.

(٣) انظر البحر المحيط ١/٣٣١.

(٤) انظر روح المعانى ١/٣٤٤، والبحر المحيط ١/٣٣١، وحاشية الجمل على الجلالين ١/ ٨٨.

(٥) انظر معانى القرآن للزجاج ١/١٧٨، والبحر المحيط ١/٣٣١.

وقيل يتعلمون خبر مبتدأ محذوف أي فهم يتعلمون عطف جملة اسمية على فعلية[١].

٥- ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال.
(البقرة : ١٥٥)

اختلف فيما عطف عليه قوله (ونقص) فقيل معطوف على شيء ويحسن هذا القول تنكير (نقص) فتحصل الموافقة في التنكير بين المعطوف والمعطوف عليه، والتقدير: ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع وبنقص.

وقيل معطوف على الخوف والتقدير: ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع وشيء من نقص. ويؤيده قرب المعطوف عليه، ودخوله تحت شيء[٢].

٦- لا جناح عليكم إن طلقتم النساء مالم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن. (البقرة: ٢٣٦)

اختلف فيما عطف عليه قوله: (ومتعوهن).

فقيل معطوف على فعل مقدر تقديره: فطلعوهن ومتعوهن وقال بذلك البيضاوى والعكبرى[٣].

وقيل معطوف على ماهو جزاد فى المعنى، والتقدير: إن طلقتم النساء فلا جناح ومتعوهن[٤].

---

(١) انظر البحر المحيط ١/٣٣٢، وحاشية الجمل علي الجلالين ١/٨٨، والتبيان للعكبرى ١/٨٥، وإعراب القرآن للنحاس ١/٢٥٣.

(٢) انظر روح المعانى للألوسى ٢/٢٢، والبحر المحيط ١/٤٥٠.

(٣) انظر تفسير البيضاوى ١/٥٣، والتبيان للعكبرى ١/١٥٣.

(٤) انظر روح المعانى للألوسى ٢/١٥٣.

ورجح التوجيه الثانى بأنه وإن كان علي مذهب الصغار وجماعة من جواز عطف الإنشاء على الإخبار فإنه أولى من تقدير فطلقوهن لأن طلاقهن معلوم من قوله: (إن طلقتم النساء)(١).

وقيل عطف الطلبى على الخبرى هنا؛ لأن الجزاء جامع جعلها كالمفردين أى الحكم هذا وذاك، أو لأن المعنى فلا جناح وواجب هذا، أو فلا تعزموا ذلك ومتعوهن(٢).

وجوز بعضهم أن يكون ومتعوهن عطفا على الجملة الخبرية عطف القصة على القصة(٣).

٧- ألم تر إلي الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لايشكرون. وقاتلوا فى سبيل الله.

(البقرة: ٢٤٣، ٢٤٤)

اختلف فيما عطف عليه قوله تعالى: (ثم أحياهم) فقيل معطوف على فعل محذوف تقديره: فماتوا ثم أحياهم.

وقيل: معني الأمر هذا الخبر، لأن قوله: (فقال لهم الله موتوا) أى فأماتهم، فكان العطف على المعنى(٤).

---

(١) انظر حاشية الجمل على الجلالين ١/١٩٣.

(٢) انظر روح المعانى للألوسى ٢/١٥٣.

(٣) انظر روح المعانى ٢/١٥٣.

(٤) انظر التبيان فى إعراب القرآن ١/١٥٦.

وقيل معطوف على (قال) لما أنه عبارة عن الإماته[١].

واختلف أيضا فيما عطف عليه قوله عز وجل: (وقاتلوا)

والظاهر أن الخطاب لأمة محمد صلى الله عليه وسلم وهو معطوف على (حافظوا على الصلوات)[٢] فهذه الآية أي قوله (وقاتلوا .. إلى آخره) ملتحمة بقوله عز وجل (حافظوا على الصلوات)، وبقوله (فإن خفتم فرجالا أو ركبانا)[٣]؛ لأن في هذا إشعار بلقاء العدو، وثم ماجاء بين هاتين الآيتين جاء كالاعتراض[٤].

وقيل المعطوف عليه محذوف تقديره: فأطيعوا وقاتلوا، أو فلا تحذروا الموت كما حذره من قبلهم ولم ينفعهم الحذر، أو فاشكروا فضله بالاعتبار مما قص عليكم وقاتلوا في سبيل الله[٥].

وقال الألوسي: «(وقاتلوا في سبيل الله) هو عطف في المعنى على (ألم تر)؛ لأنه بمعنى انظروا وتفكروا»[٦].

وقيل إن الخطاب لمن أحياهم لله، وهو معطوف على قوله تعالى: فقال لهم الله موتوا، أي وقال لهم قاتلوا في سبيل الله وهو غير ظاهر[٧].

---

(١) انظر روح المعاني للألوسي ٢/ ١٦١، وحاشية الجمل على الجلالين ١/ ١٩٧.

(٢) من الآية رقم ٢٣٨ من سورة البقرة.

(٣) من الآية رقم ٢٣٩ من سورة البقرة.

(٤) انظر البحر المحيط ٢/ ٢٥١.

(٥) انظر التبيان للعكبري ١/ ١٥٦، وحاشية الجمل على الجلالين ١/ ١٩٨، وروح المعاني ٢/ ١٦٢.

(٦) روح المعاني للألوسي ٢/ ١٦٢.

(٧) انظر البحر المحيط ٢/ ٢٥١.

المبحث الثانى
الاختلاف فى بيان كل من المعطوف والمعطوف عليه

اختلف النحاة والمفسرون فى بيان كل من المعطوف والمعطوف عليه فى الآيات الآتية:

١- ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة. البقرة: ٧
قرىء (غشاوة) بالنصب[١]، وفى هذه القراءة إشكال فى بيان كل من المعطوف والمعطوف عليه، وفيها توجيهات:

التوجيه الأول: أن يكون غشاوة منصوبا بفعل محذوف يدل عليه ختم أى وجعل على أبصارهم غشاوة، ويكون من عطف الجمل، عطفت جملة وجعل على أبصارهم غشاوة على جملة ختم الله[٢].

والتوجيه بأن نصب غشاوة بفعل محذوف يدل عليه ختم له نظير فى كلام العرب، ومن ذلك قول الشاعر:

علفتها تبنا وماء باردا [٣]

على القول بأن (ماء) منصوب بفعل محذوف، والتقدير : وسقيتها ماء.

---

(١) انظر الحجة فى القراءات السبع لابن خالويه ص٦٧، والتبيان للعكبرى ١/٢٦ ومعاني القرآن للفراء ١/١٣، وروح المعانى ١/١٣٦، وتفسير الطبرى ١/٨٨، وحاشية الشهاب على البيضاوى ١/٢٩٥.

(٢) انظر البحر المحيط ١/٤٩، والتبيان للعكبرى ١/٢٦، وروح المعانى ١/١٣٦، وحاشية الشهاب على البيضاوى ١/٢٩٦، والحجة فى القراءات السبع لابن خالويه ص٦٧.

(٣) شطر بيت من الرجز لم يعرف قائله.

و (ماء) منصوب على تقدير فعل أى وسقيتها ماء، أو على تضمين علفتها معنى أنلتها، أو قدمت لها، ومنع العينى وغيره نصب ماء على المعية؛ لانعدام المصاحبة. =

وقال الفراء : «ولو نصبتها (أي غشاوة) بإضمار وجعل لكان صوابا، وزعم المفضل[١] أن عاصم بن أبي النجود كان ينصبها على مثل قوله في الجاثية: (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة)[٢] ومعناهما واحد والله أعلم»[٣].

التوجيه الثاني: أن يكون المعطوف قوله عز وجل (وعلى أبصارهم) ويكون معطوفا على قوله: (على قلوبهم)، وغشاوة منصوب على حذف حرف الجر أي بغشاوة. وضعف أبو حيان هذا التوجيه[٤].

التوجيه الثالث: وهو لأبي حيان. قال: «ويحتمل عندي أن تكون (أي غشاوة) اسما وضع موضع مصدر من معنى ختم؛ لأن معنى ختم غشي وستر كأنه قيل تغشية على سبيل التأكيد وتكون قلوبهم وسمعهم وأبصارهم مختوما عليها مغشاة»[٥].

= انظر شرح ابن عقيل على الألفية ٢/٢٠٧، وشرح شواهد ابن عقيل للشيخ عبد المنعم الجرجاوي ص١٠٩، وشرح الأشموني على الألفية ٢/١٤٠، وشرح الشواهد للعيني بهامش شرح الأشموني ٢/١٤٠، ومعاني القرآن للفراء ١/١٤ وتفسير الطبري ١/٨٨، وشرح شواهد المغني للسيوطي ١/٥٨، ٢/٩٢٩، وحاشية الشهاب على البيضاوي ١/٢٩٦، والكليات ص٦٠٦.

(١) هو المفضل بن محمد بن معلى الضبي النحوي. أنظر بغية الوعاة ٢/٢٩٧.

(٢) الآية رقم ٢٣ من سورة الجاثية.

(٣) معاني القرآن للفراء ١/١٣.

(٤) انظر البحر المحيط ١/٤٩، وروح المعاني للألوسي ١/١٣٦.

(٥) البحر المحيط ١/٤٩.

وقال الألوسى : «وقيل يحتمل أن يكون مفعول ختم والظروف أحوال أى ختم غشاوة كائنة على هذه الأمور لئلا يتصرف فيها بالرفع والأزالة»[١].

ولكن العكبرى قال : ولا يجوز أن ينتصب بختم؛ لأنه لايتعدى بنفسه»[٢].

وفيما قاله العكبرى نظر ففى أساس البلاغة: (وختم الكتاب وعلى الكتاب) وذكر من المجاز: وقد ختموا علي زرعهم وختمنا زرعنا. قالوا لأنه إذا سقى فقد ختم عليه بالرجاء، وفلان ختم عليك بابه إذا أعرض عنك. وختم لك بابه إذا آثرك على غيرك[٣].

وقال ابن منظور: «ختمه يختمه ختما وختاما الأخيرة عن اللحياني طبعه .. والختم على القلب ألا يفهم شيئا ولا يخرج منه شيء كأنه طبع وفى التنزيل العزيز «ختم الله على قلوبهم» فلا تعقل ولا تعى شيئا»[٤]

فالصواب أن الفعل ختم يتعدي بنفسه وبحرف الجر.

٢- **ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق.** البقرة: ٤٢.

قوله تعالى: (وتكتموا) يجوز أن يكون مجزوما، ويجوز أن يكون منصوبا.

فإن كان مجزوما يكون معطوفا على قوله: (تلبسوا)، والمعنى النهى عن كل واحد من الفعلين.

---

(١) روح المعانى ١٣٦/١، وانظر حاشية الشهاب على البيضاوى ٢٩٦/١.

(٢) التبيان فى إعراب القرآن للعكبرى ٢٦/١، ٢٧.

(٣) انظر أساس البلاغة للزمخشرى ص١٠٣.

(٤) لسان العرب مادة (خ ت م).

وإن كان منصوبا يكون الناصب أن مضمرة، ويكون المصدر المؤول قد عطف على مصدر متصيد من الكلام السابق أي لايكن منكم لبس وكتمان، ويكون النهي عن الجمع بينهما، ويكون كل واحد منهما منهيا عنه بدليل آخر [١].

وقال الفراء: «إن شئت جعلت «وتكتموا» في موضع جزم، يريد به: ولا تلبسوا الحق بالباطل ولا تكتموا الحق، فتلقى (لا) لمجيئها في أول الكلام وفي قراءة أبي: «ولا تكونوا أول كافر به وتشتروا بآياتي ثمنا قليلا» [٢] فهذا دليل على أن الجزم في قوله: «وتكتموا الحق» مستقيم صواب، ومثله: «ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام» [٣]، وكذلك قوله: «يأيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون» [٤]؛ وإن شئت جعلت هذه الأحرف المعطوفة بالواو نصبا على مايقول النحويون من الصرف، فإن قلت: وما الصرف ؟ قلت: أن تأتي بالواو معطوفة على كلام في أوله حادثة لاتستقيم إعادتها على ماعطف عليها فإذا كان كذلك فهو الصرف، كقول الشاعر:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم [٥]

---

(١) انظر البحر المحيط ١/١٧٩، والتبيان في إعراب القرآن للعكبرى ١/٥٣، وتفسير الطبرى ١/٢٠٢، وروح المعاني للألوسي ١/٢٤٦، وشرح المفصل لابن يعيش ٧/٣٤.

(٢) من الآية رقم ٤١ من سورة البقرة.

(٣) من الآية رقم ١٨٨ من سورة البقرة.

(٤) الآية رقم ٢٧ من سورة الأنفال.

(٥) البيت من بحر الكامل، ونسبه سيبويه للأخطل، والمشهور أنه لأبي الأسود الدؤلي. انظر الكتاب ٣/٤١، ٤٢، والمقتضب ٢/٢٦، وشرح شواهد المغني للسيوطي ٢/٧٧٩، وشرح شواهد ابن عقيل للشيخ عبد المنعم الجرجاوي ص٢٠٩، والتصريح بمضمون التوضيح ٢/٢٣٨، وإعراب القرآن للنحاس ١/٢١٩.

ألا ترى أنه لايجوز إعادة «لا» فى تأتي مثله، فلذلك سمى صرفا إذ كان معطوفا ولم يستقم أن يعاد فيه الحادث الذى قبله»(١)

٣- وإذ نجيناكم من آل فرعون. البقرة: ٤٩.

اختلف فى بيان كل من المعطوف والمعطوف عليه فى قوله: (وإذ نجيناكم) فأجاز بعضهم أن يكون (إذ) معمولا لا ذكر مقدرا، فيكون ذلك من عطف الجمل أى يابنى إسرائيل اذكروا نعمتى، واذكروا إذ نجيناكم(٢).

وقيل عطفت (إذ) على)(نعمتى) أى يابنى إسرائيل اذكروا نعمتى وتفضيلى ووقت نجيناكم أى آباءكم، وتكون جملة (واتقوا يوما) اعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه تذكيرا لهم بنعمة الله على آبائهم لأنهم نجوا بنجاتهم(٣).

والقول الأول هو الظاهر؛ والأشهر عند المفسرين، وفيه عدم الفصل بين المعطوفين بأجنبى وهو (اتقوا)(٤).

٤- ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا.

البقرة ٩٦.

قوله تعالى: (ومن الذين أشركوا) قيل معطوف علي الناس من باب الحمل على المعنى؛ لأن المعنى أحرص من الناس، ويحتمل أن يكون من باب

---

(١) معانى القرآن للفراء ٣٣/١، ٣٤.

(٢) انظر حاشية الجمل على الجلالين ٥٠/١، وروح المعانى للألوسى ٢٥٢/١.

(٣) انظر حاشية الجمل على الجلالين ٥٠/١، والبحر المحيط ١٩٢/١، وتفسير البيضاوى ص١٠.

(٤) انظر روح المعانى ٢٥٢/١، ٢٥٣.

الحذف أى وأحرص من الذين أشركوا، فحذف أحرص لدلالة أحرص الأول عليه. وقيل (ومن الذين أشركوا) كلام مستأنف[(١)].

٥- وإذا جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى. البقرة: ١٢٥

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم والكسائى والجمهور (واتخذوا) بكسر الخاء على الأمر.

وقرأ نافع وابن عامر بفتحها جعلوه فعلا ماضيا[(٢)].

أما قراءة الأمر فقيل الخطاب لبنى إسرائيل، وهو معطوف على اذكروا أى اذكروا نعمتى واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى[(٣)]. وهذا القول بعيد لطول الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه.

وقيل الأمر لإبراهيم عليه السلام وأمته، أو لمحمد صلى الله عليه وسلم وأمته وهو معمول لقول محذوف أى وقلنا اتخذوا[(٤)]، ويكون حينئذ معطوفا على جعلنا أى جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا وقلنا اتخذوا من مقام ابراهيم مصلى.

---

(١) انظر البحر المحيط ١/٣١٣، والتبيان للعكبرى ١/٨١، والكشاف ١/٢٩٨، وحاشية الجمل على الجلالين ١/٨٠، ٨١.

(٢) انظر البحر المحيط ١/٣٨٠، وشرح الشاطبية للضباع ص١٥٦، وحاشية الجمل على الجلالين ١/١٠٣، وتفسير الطبرى ١/٤٢١، والحجة فى القراءات السبع لابن خالوية ص٨٧.

(٣) انظر حاشية الجمل على الجلالين ١/١٠٣، ١٠٤، وتفسير الطبرى ١/٤٢١، والبحر المحيط ١/٣٨١.

(٤) انظر حاشية الجمل على الجلالين، ١/١٠٤، والبحر المحيط ١/٣٨٠، ٣٨١.

وقيل هو معطوف على الأمر الذى تضمنه قوله مثابة كأنه قال ثوبوا واتخذوا، واستبعده أبو حيان[١].

وذكر أبو البقاء العكبرى أن قوله عز وجل (واتخذوا) بلفظ الأمر مستأنف[٢]، وقال النحاس: «ومن قرأ (واتخذوا) قطعه من الأول وجعله أمرا وعطف جملة على جملة»[٣].

وأما قراءة (واتخذوا) بفتح الخاء فمعطوف على ماقبله، فإما على مجموع إذ جعلنا فيحتاج إلى إضمار إذ، وإما على نفس جعلنا فلا يحتاج إلى تقديرها بل يكون فى صلة إذ[٤].

وذكر العكبرى أن المعطوف عليه محذوف تقديره: فثابوا واتخذوا[٥].

٦- إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. البقرة: ١٦١

قرأ الحسن: والملائكة والناس أجمعون بالرفع[٦].

وخرجت هذه القراءة على عدة وجوه.

الأول: وهو قول أكثر المعربين والمفسرين أن الملائكة معطوف على موضع

---

(١) انظر البحر المحيط ١/٣٨١، وحاشية الجمل على الجلالين ١/١٠٤.

(٢) انظر التبيان فى إعراب القرآن للعكبرى ١/٩٦.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ١/٢٥٩.

(٤) انظر البحر المحيط ١/٣٨١، والكشاف ١/٣١٠، وإعراب القرآن للنحاس ١/٢٥٩.

(٥) انظر التبيان فى إعراب القرآن للعكبرى ١/٩٥، ٩٦، وحاشية الجمل على الجلالين ١/١٠٣.

(٦) انظر البحر المحيط ١/٤٦٠، ٤٦١، روح المعانى ٢/٢٩، ومعانى القرآن للفراء ١/٩٦.

اسم الله؛ لأنه عندهم في موضع رفع والتقدير : أولئك عليهم أن يلعنهم الله والملائكة، أو أن لعنهم الله والملائكة، فلعنة مصدر أضيف إلى الفاعل(١).

ورد أبو حيان هذا التوجيه؛ لأن شرط العطف على الموضع أن يكون ثم طالب ومحرز للموضع لايتغير، وأن ينحل المصدر لأن والفعل، وهو هنا لاينحل لأن المقصود الثبوت(٢).

الثاني: أن الملائكة فاعل لفعل محذوف، والتقدير : ويلعنهم الملائكة وحينئذ تكون الجملة معطوفة على جملة عليهم لعنة الله.

الثالث: أنه معطوف على لعنة الله على حذف مضاف أي لعنة الله ولعنة الملائكة فلما حذف المضاف أعرب المضاف إليه بإعرابه نحو قوله عز وجل: (واسأل القرية) (٣).

الرابع: أن يكون مبتدأ حذف خبره لفهم المعنى أي والملائكة والناس أجمعون يلعنونهم، وتكون الجملة معطوفة على جملة عليهم لعنة الله(٤).

٧- **«إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة».** البقرة : ١٦٤

اختلف فيما عطف عليه قوله عز وجل : (وبث).

---

(١) انظر البحر المحيط ١/ ٤٦١، وروح المعاني ٢/ ٢٩، والتبيان للعكبري ١/ ١١٠، ومعاني القرآن للفراء ١/ ٩٦، والكشاف ١/ ٣٢٥.

(٢) انظر البحر المحيط ١/ ٤٦١، وروح المعاني ٢/ ٢٩.

(٣) من الآية رقم ٨٢ من سورة يوسف.

(٤) انظر روح المعاني ٢/ ٢٩، والبحر المحيط ١/ ٤٦١، ٤٦٢.

قال الألوسي :«ويث فيها من كل دابه. عطف إما على (أنزل) والجامع كون كل منهما آية مستقلة لوحدانيته تعالى وهو الغرض المسوق له الكلام مع الاشتراك في الفاعل، و(أحيا) من تتمة الأول كان الاستدلال بالإنزال المسبب عنه الإحياء فلايكون الفصل به مانعا للعطف. وإما على (أحيا) فيدخل تحت فاء السببية، وسببية إنزال (الماء) للبث باعتبار أن الماء سبب حياة المواشى والدواب، والبث فرع الحياة، ولايحتاج إلى تقدير الضمير للربط لإغناء فاء السببية عنه فى المشهور، وقيل: يحتاج إلى تقدير به- أي بالماء- ليشعر بارتباطه بأنزل استقلالا كأحيا وفاء السببية لاتكفى فى ذلك إذ يجوز أن يكون السبب مجموعهما، وحديث أن المجرور إنما يحذف إن جر الموصول بمثله أكثرى لا كلى»[١].

وقول الألوسي: وحديث أن المجرور إنما يحذف إن جر الموصول بمثله أكثرى لاكلى. يرد به على أبى حيان حيث قال : لايصح عطف (وبث) على أنزل، ولا على أحيا؛ لأنه على التقديرين يكون فى حيز الصلة فيحتاج إلى ضمير يعود على الموصول، وتقديره وبث به فيها من كل دابة، وحذف هذا الضمير لايجوز لأن شرط جوازه وهو مجرور بالحرف أن يجر الموصول بمثله وهو مفقود هنا[٢].

وخرج أبو حيان الآية بأنها على حذف موصول لفهم المعنى، تقديره : وما بث، وهو معطوف على (ما) من قوله تعالى: (وما أنزل)، وذكر أن حذف الموصول شائع فى كلام العرب، واستدل بأبيات منها قول حسان:

أمن يهجو رسول الله منكم ... ويمدحه وينصره سواء[٣]

---

(١) روح المعانى ٢/ ٣٢، وانظر الكشاف ١/ ٣٢٥، ٣٢٦.

(٢) انظر البحر المحيط ١/ ٤٦٦، وحاشية الجمل على الجلالين ١/ ١٣١.

(٣) استدل أبو حيان بالبيت على حذف الموصول. =

أى ومن يمدحه[١].

٨- يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر ولتكملوا العدة.

البقرة : ١٨٥

خرج النحاة والمفسرون قوله تعالى :(ولتكملوا) عدة تخريجات:

الأول: أنه معطوف على علة مقدرة والتقدير : ليسهل عليكم ولتكبلوا، أو لتعملوا ماتعملون ولتكملوا ومال الزمخشرى لهذا التوجيه[٢].

الثانى: أن اللام فى (ولتكملوا) زائدة، والفعل منصوب بأن مضمرة، والمصدر المؤول من أن والفعل معطوف على اليسر. أى يريد الله بكم اليسر وإكمال العدة.

وقال بذلك العكبرى، وأجازه الزمخشرى[٣].

واستبعد أبو حيان هذا التوجيه، قال :«فى هذا القول إضمار أن بعد اللام الزائدة وفيه بعد»[٤].

= وقال المبرد :«وقالوا فى بيت حسان: إنما المعنى: ومن يمدحه وينصره، وليس الأمر عند أهل النظر كذلك، ولكنه جعل (من) نكرة، وجعل الفعل وصفا لها، ثم أقام فى الثانية الوصف مقام الموصوف. فكأنه قال: وواحد يمدحه وينصره؛ لأن الوصف يقع فى موضع الموصوف إذا كان دالا عليه».

المقتضب ١٣٧/٢، وانظر ديوان حسان ص ٧٦.

(١) انظر البحر المحيط ٤٦٦/١، وحاشية الجمل على الجلالين ١٣١/١، ومغنى اللبيب ٢/ ١٦٥.

(٢) انظر التبيان للعكبرى ١٢٦/١، والكشاف ٣٣٧/١.

(٣) انظر التبيان للعكبرى ١٢٦/١، والكشاف ٣٣٧/١، والبحر المحيط ٤٢/٢.

(٤) البحر المحيط ٤٢/٢.

الثالث: أن بعد الواو فعلا مضمرا هو المعلل والتقدير وفعل هذا لتكملوا العدة. وذهب إلى ذلك الفراء[١].

وتكون الجملة معطوفة على جملة (يريد الله).

هذه أشهر التخريجات التى قيلت فى الآية، وهناك تخريجات بعيدة منها القول بزيادة الواو، والتقدير : يريد الله بكم اليسر لتكملوا العدة. وقال أبو حيان:«وهذا قول ضعيف»[٢].

٩- «ولاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام».

البقرة : ١٨٨

فى قوله تعالى :(وتدلوا) ثلاثة توجيهات:

الأول: أن (تدلوا) مجزوم بالعطف على (تأكلوا) أى لا تأكلوا، ولاتدلوا. ويؤيده قراءة أبى (ولاتدلوا) بإعادة لا الناهية[٣].

الثانى: أن (تدلوا) منصوب بأن مضمرة، والنهى عن الجمع أى لاتجمعوا بين أن تأكلوا وتدلوا.

وتكون الواو عاطفة للمصدر المؤول على مصدر متصيد من الكلام السابق أى لايكن منكم أكل وإدلاء.

وقال الألوسى :«ومثل هذا التركيب وإن كان النهى عن الجمع إلا أنه لاينافى أن يكون كل من الأمرين منهيا عنه»[٤].

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١/١١٣، وروح المعانى للألوسى ٢/٦٢.

(٢) البحر المحيط ٢/٤٣.

(٣) انظر حاشية الجمل على الجلالين ١/١٥١، ومعاني القرآن للفراء ١/١١٥، والبحر المحيط ٢/٥٦.

(٤) روح المعانى للألوسى ٢/٧٠، وانظر التبيان ١/١٢٨.

الثالث: أن (تدلوا) منصوب على الصرف، وقد شرح الفراء ذلك عند الكلام على قوله تعالى :«ولاتلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق»(١).

وقال هنا:«قوله :(وتدلوا بها إلى الحكام) وفي قراءة أبي : «ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ولاتدلوا بها إلى ا لحكام» فهذا مثل قوله :«ولاتلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق» معناه ولاتكتموا. وإن شئت جعلته إذا ألقيت منه (لا) نصبا على الصرف كما تقول : لاتسرق وتصدق. معناه : لاتجمع بين هذين كذا وكذا »(٢).

١٠- «فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه». البقرة : ١٩٦

قال أبو حيان:« أو به أذى من رأسه يجوز أن يكون من باب عطف المفردات فيكون معطوفا على قوله مريضا ويرتفع أذى على الفاعلية بالمجرور الذي هو به التقدير أو كائنا به أذى من رأسه، ومن باب عطف الجملة على المفرد لكون تلك الجملة في موضع المفرد فيكون تلك الجملة معطوفة على قوله مريضا ، وهي في موضع مفرد لأن المعطوف على المفرد مفرد في التقدير إذا كان جملة، ويرتفع أذى إذ ذاك على الابتداء وبه في موضع الخبر فهو في موضع رفع وعلى الإعراب السابق في موضع نصب، وأجازوا أن يكون معطوفا على إضمار كان لدلالة كان الأولى عليها التقدير أو كان به أذى من رأسه فاسم كان على هذا إما ضمير يعود على من، وبه أذى مبتدأ وخبر في موضع خبر كان، وإما أذى وبه في موضع خبر كان»(٣).

---

(١) من الآية رقم ٤٢ من سورة البقرة.

(٢) معاني القرآن للفراء ١/١١٥.

(٣) انظر البحر المحيط ٢/٧٥، والنهر الماد من البحر بهامش البحر المحيط ٢/٧٥.

والوجه الأول الذى ذكره أبو حيان يحتاج إلى توضيح، فقوله «يجوز أن يكون من باب عطف المفردات فيكون معطوفاً» المعطوف هو ماتعلق به الجار والمجرور (به) من قوله تعالى: أو به أذي من رأسه. وارتفاع أذى على الفاعلية بالجار والمجرور جائز لاعتماده على اسم كان(١).

١١- «فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتم». البقرة : ١٩٦

قرأ زيد بن على، وابن أبى عبلة: وسبعة بالنصب(٢).

وفيه توجيهان :

الأول: أنه معطوف على محل ثلاثة لأنه مفعول(٣).

وقال الزمخشرى : وقرأ ابن أبى عبلة وسبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة، كأنه قيل: فصيام ثلاثة أيام كقوله :(أو إطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما)(٤).

ورد أبو حيان هذا التوجيه لأن شرط العطف على المحل عنده وعليه جمهور البصريين وجود المحرز الذى لايتغير والمقصود بالمحرز الطالب للمحل(٥).

الثاني: أن سبعة منصوب بفعل محذوف والتقدير: ولتصوموا سبعة، أو وصوموا سبعة(٦).

---

(١) انظر حاشية الجمل على الجلالين ١٥٦/١.

(٢) انظر البحر المحيط ٧٩/٢.

(٣) انظر روح المعانى ٨٣/٢، وتفسير أبى السعود ٢٠٧/١.

(٤) البلد: ١٤، ١٥، وانظر الكشاف ٣٤٥/١.

(٥) انظر البحر المحيط ٧٩/١، ومغنى اللبيب ٩٥/٢.

(٦) انظر التبيان ١٣١/١، وروح المعانى ٨٣/٢، والبحر المحيط ٧٩/٢.

وعلى هذا التأويل فالمعطوف هو المقدر، والمعطوف عليه هو فصيام.

ورجح أبو حيان التوجيه الثاني وقال :«وهو التخريج الذى لاينبغى أن يعدل عنه»[(١)].

١٢- «يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه، قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام، وإخراج أهله منه أكبر عند الله». البقرة : ٢١٧

اختلف فى بيان المعطوف والمعطوف عليه فى قوله عز وجل : وصد عن سبيل الله ... إلى آخره.

فقيل: (صد) مبتدأ، و(أكبر) خبره، والجملة معطوفة على جملة (قتال فيه كبير)[(٢)].

وأجاز الفراء أن يكون وصد معطوفا على كبير[(٣)]. فيكون من عطف المفردات.

واختلف النحاة والمفسرون فى بيان المعطوف والمعطوف عليه فى قوله جل شأنه : (والمسجد الحرام).

فقيل المسجد معطوف على الضمير المجرور فى (به) وإن لم يعد الجار واختاره أبو حيان[(٤)].

---

(١) البحر المحيط ٧٩/٢.

(٢) انظر الكشاف ٣٥٧/١، والتبيان للعكبرى ١٤٢/١، والبحر المحيط ١٤٦/٢.

(٣) انظر معانى القرآن للفراء ١٤١/١.

(٤) انظر النهر الماد من البحر بهامش البحر المحيط ١٤٦/٢.

واعترض بأنه لامعنى للكفر بالمسجد الحرام وهو لازم من العطف، وأجيب بأن الكفر قد ينسب إلى الأعيان باعتبار الحكم المتعلق بها كقوله تعالى :(فمن يكفر بالطاغوت) (١).

واختار القاضي البيضاوي تقدير مضاف معطوف على صد أي وصد المسجد الحرام، واستشهد على جواز حذف المضاف، وإبقاء المضاف إليه مجرورا بقول أبي دؤاد:

أكل امرئ تحسبين امرأ . ونار توقد بالليل نارا (٢)

أي وكل نار، فحذف المضاف وأبقى المضاف إليه مجرورا.

وقال الألوسي :«واعترض بأن حذف المضاف وإبقاء المضاف إليه بحاله مقصور على السماع، ورد بمنع الإطلاق، ففي التسهيل: إذا كان المضاف إليه إثر عاطف متصل به، أو مفصول بلا مسبوق بمضاف مثل المحذوف لفظا ومعنى جاز حذف المضاف وإبقاء المضاف إليه على انجراره قياسا نحو: مامثل زيد وأبيه يقولان ذلك أي مثل أبيه، ونحو: ما كل سوداء تمرة، ولا بيضاء شحمة، وإذا انتفى واحد من الشروط كان مقصورا على السماع، وفيما نحن فيه سبق إضافة مثل ما حذف منه» (٣).

وقال الزمخشري :«والمسجد الحرام عطف على سبيل الله» (٤).

ورد هذا القول بأنه إذا كان معطوفا على سبيل الله كان متعلقا بقوله : (وصد) إذ التقدير: وصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام فهو من تمام عمل

---

(١) من الآية رقم ٢٥٦ من سورة البقرة، وانظر روح المعاني ٢/١٠٩.

(٢) انظر تفسير البيضاوي ص٤٦ ،وشرح ابن عقيل على الألفية ٣/٧٧، وشرح شواهد ابن عقيل للشيخ عبد المنعم الجرجاوي ص ١٤٩، وشرح شواهد المغني للسيوطي ٢/٧٠٠.

(٣) روح المعاني ٢/١٠٩، وانظر التسهيل ص ١٦٠.

(٤) الكشاف ١/٣٥٧.

المصدر، وقد فصل بينهما بقوله : وكفر به ولايجوز أن يفصل بين الصلة والموصول[١].

وأجيب بأن الكفر بالله، والصد عن سبيله متحدان معنى فكأنه لافصل بأجنبى بين سبيل وماعطف عليه[٢].

وقيل (المسجد) معطوف على الشهر الحرام، وضعف هذا القول بأن القوم لم يسألوا عن الشهر الحرام[٣].

وقال أبو البقاء :«والجيد أن يكون متعلقا بفعل محذوف دل عليه الصد، تقديره: ويصدون عن المسجد كما قال تعالى :«هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد»[٤].

أقول: وهذا غير جيد؛ لأن حذف حرف الجر وإبقاء عمله لايجوز إلا فى الضرورة نحو قول الفرزدق:

أشارت كليب بالأكف الأصابع[٥]

أى إلى كليب[٦].

---

(١) انظر البحر المحيط ١٤٧/٢.

(٢) انظر حاشية الجمل على الجلالين ١٧٣/١.

(٣) انظر البحر المحيط ١٤٧/٢، وروح المعانى ١٠٩/٢، والتبيان للعكبرى ١٤٢/١.

(٤) من الآية رقم ٢٥ من سورة الفتح، وانظر التبيان للعكبرى ١٤٢/١.

(٥) عجز بيت من الطويل، صدره :

إذا قيل أى الناس شر قبيلة

من قصيدة يهجو بها جريرا.

انظر مغنى اللبيب ٦/١، وشرح شواهد المغنى للسيوطى ١٢/١ ،وشرح ابن عقيل على الألفية ٣٩/٣ ،وشرح شواهد ابن عقيل للشيخ عبد المنعم الجرجاوى ص ١٣٩.

(٦) انظر البحر المحيط ١٤٧/٢، وروح المعانى ١٠٩/٢.

وقال ابن هشام : «والصواب أن خفض المسجد بباء محذوفة لدلالة ماقبلها عليها لا بالعطف، ومجموع الجار والمجرور عطف على به»(١).

وفيه ماتقدم من حذف حرف الجر وإبقاء عمله.

وبالتأمل فى الأقوال السابقة نجد أن أوجهها ماذهب إليه الزمخشرى من أن المسجد الحرام عطف على سبيل الله؛ لأن المعنى يقتضيه، ولا ترده الصناعة لما بيناه من أن الفصل ليس بأجنبي.

١٣- «لاجناح عليكم إن طلقتم النساء مالم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة». البقرة : ٢٣٦

اختلف فى إعراب قوله عز وجل :(أو تفرضوا).

فقيل هو معطوف على تمسوهن فهو مجزوم(٢).

وقيل الفعل بعد (أو) منصوب بأن مضمرة، وأو في الآية بمعنى إلا أو حتى(٣).وعلى هذا التخريج فالمصدر المؤول من أن والفعل معطوف على مصدر متصيد من الكلام السابق.

وقيل: (أو تفرضوا) معطوف على جملة محذوفة التقدير : فرضتم أو لم تفرضوا(٤).

وقال أبو حيان :«وفى هذا القول الثالث حذف جملة وهى قوله: فرضتم، وإضمار لم بعد أو، وهذا لايجوز إلا إذا عطف على مجزوم نحو: لم أقم وأركب معه على مذهب من يجعل العامل في المعطوف مقدرا بعد حرف العطف»(٥).

---

(١) مغنى اللبيب ١٢٥/٢.

(٢) انظر البحر المحيط ٢٣١/٢، وحاشية الجمل على الجلالين ١٩٢/١.

(٣) انظر الكشاف ٣٧٤/١، وروح المعانى ١٥٢/٢، والبحر المحيط ٢٣١/٢، والإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ١٥٨/١.

(٤) انظر البحر المحيط ٢٣١/٢.

(٥) البحر المحيط ٢٣٢/٢.

١٤- «أو كالذى مر على قرية». البقرة : ٢٥٩.

قال أبو حيان :«ومن قرأ أو بحرف العطف فجمهور المفسرين أنه معطوف على قوله :(ألم تر إلى الذى حاج) على المعنى؛ إذ معنى ألم تر إلى الذى: أرأيت كالذى حاج فعطف قوله أو كالذى مر على هذا المعنى، والعطف على المعنى موجود في لسان العرب. قال الشاعر:

تقى نقى لم يكثر غنيمة بنهكة ذى قربى ولابحقلد[1]

والمعنى فى قوله: (لم يكثر) ليس بمثكر، ولذلك راعى هذا المعنى فعطف عليه قوله : ولا بحقلد»[2].

وقد نص النحاة على أن العطف على المعنى لاينقاس[3].

وقال الزمخشرى: (أو كالذى) معناه: أو أرأيت مثل الذى مر فحذف لدلالة (ألم تر) عليه؛ لأن كلتيهما كلمة تعجيب[4]

قال أبو حيان :«وهو تخريج حسن؛ لأن إضمار الفعل لدلالة المعنى عليه أسهل من العطف على مراعاة المعنى، وقد جوز الزمخشرى الوجه الأول»[5].

وقيل الكاف زائدة، والتقدير : ألم تر إلي الذى حاج، أو الذى مر على قرية، فيكون الذى قد عطف على الذى[6].

---

(١) البيت من بحر الطويل من قصيدة لزهير بن أبى سلمى يمدح بها هرم بن سنان، والنهكة: الظلم، والحقلد: السئ الخلق الضيق البخيل. انظر شرح شواهد المغنى للسيوطى ٢/ ٦٤٢،٦٤٣.

وفى المعجم الوسيط ١/ ١٩٥: (الحقلد)(: البخيل. و-الضعيف. و-الأثم.

(٢) البحر المحيط ٢/ ٢٩٠، وانظر الكشاف ١/٣٨٩، والخصائص ٢/٤٢٣.

(٣) انظر البحر المحيط ٢/ ٢٩٠.

(٤) الكشاف ١/٣٨٩. (٥) البحر المحيط ٢/ ٢٩٠.

(٦) انظر التبيان للعكبرى ١/١٦٨، والبحر المحيط ٢/ ٢٩٠.

وذكر أبو حيان أنه يحتمل أن تكون الكاف اسما على ما يذهب إليه أبو الحسن فتكون الكاف فى موضع جر معطوفة على الذى، التقدير: ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم أو إلي مثل الذى مر على قرية[١].

وقال أبو حيان فى النهر الماد من البحر :«ونختار أن تكون الكاف اسما إذ قد ثبت اسميتها على ما تقرر فى النحو»[٢].

---

(١) انظر البحر المحيط ٢/ ٢٩٠، ومغنى اللبيب ٢/٩٨.

(٢) انظر النهر الماد من البحر بهامش البحر المحيط ٢/ ٢٩٠.

المبحث الثالث

الاختلاف فى بيان معنى حرف العطف

اختلف فى بيان معنى حرف العطف فى عدة آيات فى سورة البقرة ومنها:

١- «أو كصيب من السماء». البقرة : ١٩

اختلف فى معنى (أو) فى الآية.

واستظهر الجمل فى حاشيته على الجلالين أن تكون للتفصيل، بمعنى أن الناظرين فى حال المنافقين منهم من يشبههم بحال المستوقد الذى هذه صفته، ومنهم من يشبههم بأصحاب صيب هذه صفته(١).

وقيل (أو) فى الآية للشك وهو راجع إلي الناظر في حال المنافقين، فلا يدرى أيشبههم بالمستوقد، أو بأصحاب الصيب.

وقيل للإباحة، أو للتخيير أى أبيح للناس أن يشبهوهم بكذا أو بكذا أو خيروا فى ذلك.

وقيل للإبهام أى أن الله عز وجل أبهم على عبادة تشبيههم بهؤلاء، وبهؤلاء(٢).

وقال الجمل :«وزاد الكوفيون فيها معنيين آخرين : أحدهما: كونها بمعنى الواو، والثانى : كونها بمعنى بل»(٣).

وأنكر الألوسى أن تكون (أو) في الآية للإبهام، أو بمعنى الواو، أو بمعنى بل.

---

(١) انظر حاشية الجمل على الجلالين ١/٢٢، ٢٣.

(٢) انظر حاشية الجمل على الجلالين ١/٢٢، ٢٣، والتبيان للعكبرى ١/٣٥، والبرهان فى علوم القرآن للزركشى ٤/٢١١.

(٣) حاشية الجمل على الجلالين ١/٢٣، وانظر الإنصاف فى مسائل الخلاف ٢/٤٧٨.

قال :«وزعم بعضهم أن (أو) هنا بمعنى الواو وما فى الآيتين تمثيل واحد، وقيل بمعنى بل، وقيل للإبهام، والكل ليس بشئ»[١].

أقول : ولايبعد أن تكون (أو) في الآية بمعنى الواو، وقد ذهب إلى ذلك ابن جرير الطبرى، واستشهد بما يدل على صحة مجئ أو بمعنى الواو، ومنه قول توبة بن الحمير :

وقد زعمت ليلى بأنى فاجر   لنفسى تقاها أو عليها فجورها[٢]

وقول جرير :

جاء الخلافة أو كانت له قدرا   كما أتى ربه موسى على قدر[٣]

ويرى الزمخشرى أن (أو) فى الآية خرجت من معناها الحقيقى إلى معنى مجازى قال :«فإن قلت لم عطف أحد التمثيلين على الآخر بحرف الشك؟ قلت: أو فى أصلها لتساوى شيئين فصاعدا في الشك ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوى في غير الشك، وذلك قولك : جالس الحسن أو ابن سيرين، تريد أنهما سيان في استصواب أن يجالسا ، ومنه قوله تعالى :(ولاتطع منهم آثما أو كفورا)[٤] أى الأثم والكفور متساويان فى وجوب عصيانهما ، فكذلك

---

(١) روح المعانى للألوسى ١/ ١٧١.

(٢) البيت من بحر الطويل، والباء فى (بأنى) زائدة.

وليلى :هى ليلى الأخيلية، وتوبه من الحمير شاعر إسلامى

انظر شرح شواهد المغنى للسيوطى ١/١٩٤ ، ١٩٥ ، ولسان العرب فى (أو)

(٣) البيت من بحر البسيط، قاله جرير يمدح عمر بن عبد العزيز.

انظر شرح شواهد المغنى للسيوطى ١/١٩٨ ، وشرح شواهد ابن عقيل للشيخ عبد المنعم الجرجاوى ص ١٨٦ ، ١٨٧ ، وأوضح المسالك ٢/ ١٢٤ ، وتفسير الطبرى ١/ ١١٥ ، ١١٦ ، والهمع ٢/ ١٣٤.

(٤) من الآية رقم ٢٤ من سورة الإنسان.

قوله: (أو كصيب) معناه أن كيفية قصة المنافقين مشبهة لكيفية هاتين القصتين، وأن القصتين سواء فى استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل، فأيتهما مثلتها فأنت مصيب، وإن مثلتها بهما جميعا فكذلك»[١].

وقال ابن هشام : التحقيق أن أو موضوعة لأحد الشيئين أو الأشياء وهو الذى يقوله المتقدمون، وقد تخرج إلى معنى بل، وإلى معنى الواو، وأما بقية المعانى فمستفادة من غيرها »[٢].

٢- «فهى كالحجارة أو أشد قسوة». البقرة : ٧٤

اختلف فى معنى (أو) فى الآية، ولها عدة وجوه :

الأول: أو فى الآية للتنويع بمعنى أن قلوبهم على قسمين قلوب كالحجارة، وقلوب أشد قسوة من الحجارة[٣].

أو للتنويع بمعنى أن قلوبهم تارة تزداد قسوة، وتارة ترد إلي قسوتها الأولى، فجئ بـ (أو) لاختلاف أحوال قلوبهم[٤].

وذكرأبو حيان أن هذا المعنى هو أحسن ماقيل فيها[٥].

الثانى: للإباحة، يعنى إن شبهت قلوبهم بالحجارة فصواب، أو بما هو أشد فصواب[٦].

---

(١) الكشاف ١/٢١٣، ٢١٤.

(٢) مغنى اللبيب ١/ ٦٥، وانظر الإتقان ١/ ١٥٨، وهمع الهوامع ٢/ ١٣٤.

(٣) انظر البحر المحيط ١/ ٣٦٢، وتفسير الطبرى ١/ ٢٨٧.

(٤) انظر البرهان في علوم القرآن للزركشى ٤/ ٢١٠.

(٥) انظر البحر المحيط ١/ ٣٦٢.

(٦) انظر البرهان فى علوم القرآن ٤/ ٢١٠.

الثالث : للتخيير.

وقال الزركشي :«روى البيهقي في سننه في باب الفدية بغير النعم، عن ابن جريج، قال : كل شئ في القرآن فيه «أو» للتخيير، إلا قوله تعالى: (أن يقتلوا أو يصلبوا) (١)، ليس بمخير فيهما.

قال الشافعي : وبهذا أقول» (٢).

الرابع: هي للشك.

قال الألوسي :«وهو (أي الشك) لاستحالته عليه تعالى يصرف إلى الغير، والعلامة لايرتضي ذلك لما أنه يؤدي إلي تجويز أن يكون معاني الحروف بالقياس إلي السامع، وفيه إخراج للألفاظ عن أوضاعها فإنها إنما وضعت ليعبر بها المتكلم عما في ضمير، والحق جواز اعتبار السامع في معاني الألفاظ عند امتناع جريها على الأصل بالنظر إلي المتكلم فلا بأس بأن يسلك بـ (أو) في الشك مسلك لعل في الترجي الواقع في كلامه تعالى فتلك جادة مسلوكة لأهل السنة» (٣).

الخامس: أو في الآية للإبهام

قال الطبري :«قالوا ونظير ذلك قول القائل : أكلت بسرة أو رطبة وهو عالم أي ذلك أكل ولكنه أبهم على المخاطب كما قال أبو الأسود الدؤلي:

أحب محمدا حبا شديدا   وعباسا وحمزة والوصيا

فإن يك حبهم رشدا أصبه   ولست بمخطئ إن كان غيا

قالوا ولاشك أن أبا الأسود لم يكن شاكا في أن حب من سمى رشد ولكنه أبهم على من خاطبه به» (٤).

---

(١) من الآية رقم ٣٣ من سورة المائدة.

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٤/ ٢١٣، وانظر الكليات ص ٢٠٣.

(٣) روح المعاني ١/ ٢٩٥، وانظر تفسير الطبري ١/ ٢٨٧.

(٤) تفسير الطبري ١/ ٢٨٧.

السادس: أو في الآية بمعنى الواو

وقد تقدم ذكر شواهد لمجئ أوبمعنى الواو. ومن مجئ أو بمعنى الواو.

قول النابغة:

قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا   إلى حمامتنا أو نصفه فقد[1]

يريد ونصفه.

السابع: أو في الآية بمعنى بل، والمعنى: فهي كالحجارة بل أشد قسوة كما قال جل ثناؤه: «وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون»[2] بمعنى بل يزيدون[3].

الثامن: للترديد، ذكره البيضاوي وقال: «بمعنى أن من عرف حالها شبهها بالحجارة أو بما هو أقسى منها»[4].

وقال الألوسي: «للترديد بمعنى تجويز الأمرين مع قطع النظر عن الغير على ماقيل»[5].

---

(١) البيت من بحر البسيط، وقوله (فقد) قد بمعنى حسب، وهو مبتدأ حذف خبره أي فحسبي ذلك.

انظر شرح شواهد المغني للسيوطي ١/٧٧، ٢٠٠، وتفسير الطبري ١/٢٨٨، والخصائص ٢/٤٦٠، والانتصاف من الإنصاف للشيخ محمد محي الدين مع كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف ٢/٤٧٩.

(٢) الآية رقم ١٤٧ من سورة الصافات.

(٣) انظر تفسير الطبري ١/٢٨٨، وروح المعاني للألوسي ١/٢٩٥، ولسان العرب في (أو)، ومجالس ثعلب ١/١١٢.

(٤) تفسير البيضاوي ص ١٦.

(٥) روح المعاني للألوسي ١/٢٩٥.

٣- «من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين». البقرة : ٩٨

قال أبو حيان في بيان معنى الواو في الآية :«ودلت الآية على أن الله تعالى عدو لمن عادى الله وملائكته ورسله وجبريل وميكال، ولايدل ذلك على أن المراد من جمع عداوة الجميع فالله تعالى عدوه، وإنما المعنى أن من عادى واحدا ممن ذكر فالله عدوه إذ معاداة واحد ممن ذكر معادة للجميع، وقد أجمع المسلمون على أن من أبغض رسولا أو ملكا فقد كفر. فقال بعض الناس الواو هنا بمعنى أو وليست للجمع وقال بعضهم الواو للتفصيل»[١]، والتفصيل معنى من معاني (أو)[٢].

وأقول : لامانع من أن تكون الواو في الآية للجمع على بابها، وإفراد الملكين بالذكر دليل على أن معاداة الواحد والكل سواء في الكفر»[٣].

٤- «ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس» البقرة : ١٩٩

قيل الإفاضة المأمور بها هي من عرفات.

واستشكل على هذا القول العطف بثم، من حيث إن الإفاضة الثانية هي الإفاضة الأولى، فكيف يجاء بثم التي تقتضي الترتيب والتراخي؟ وفي الآية توجيهات :

أحدهما: أن ذلك من الترتيب الذي في الذكر لا من الترتيب في الزمان الواقع فيه الأفعال.

---

(١) البحر المحيط ١/٣٢١.

(٢) انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي ٤/٢١٠.

(٣) انظر تفسير البيضاوي ص ٢١، وتفسير الطبري ١/٣٤٩.

وحسن ذلك أن الإفاضة الأولى غير مأمور بها، إنما المأمور به ذكر الله إذا حصلت الإفاضة.

الثاني: أن ثم في الآية بمعنى الواو لاتدل على ترتيب كأنه قال : وأفيضوا من حيث أفاض الناس فهي لعطف كلام على كلام مقتطع من الأول.

وقد جوز بعض النحويين أن ثم تأتي بمعنى الواو فلا ترتيب(١).

الثالث: وهو للزمخشري وهو أن العطف بثم لتفاوت مابين الإفاضتين الإفاضة المأمور بها من عرفات، والإفاضة التي كان عليها قريش ومن على دينها وهم الحمس فكانوا يقفون بالمزدلفة.

قال الزمخشري: «(ثم أفيضوا) ثم لتكن إفاضتكم (من حيث أفاض الناس) ولاتكن من المزدلفة، وذلك لما كان عليه الحمس من الترفع على الناس والتعالي عليهم وتعظمهم عن أن يساووهم في الموقف، وقولهم نحن أهل الله وقطان حرمه فلانخرج منه فيقفون بجمع وسائر الناس بعرفات. فإن قلت : فكيف موقع ثم ؟ قلت : نحو موقعها في قولك: أحسن إلي الناس ثم لاتحسن إلى غير كريم، تأتي بثم لتفاوت ما بين الإحسان إلي الكريم، والإحسان إلى غيره وبعد ما بينهما، فكذلك حين أمرهم بالذكر عند الإفاضة من عرفات قال : ثم أفيضوا لتفاوت مابين الإفاضتين، وأن إحداهما صواب، والثانية خطأ»(٢).

وقال أبو حيان معترضا على الزمخشري :«وليست الآية كالمثال الذي مثله وحاصل ما ذكر أن ثم تسلب الترتيب وأنها لها معنى غيره سماه بالتفاوت والبعد لما بعدها مما قبلها، ولم يجر في الآية ذكر الإفاضة الخطأ فيكون ثم في

---

(١) انظر البحر المحيط ٢/٩٩، وحاشية الجمل على الجلالين ١/١٦٠، ومغني اللبيب ١/١٠٧.

(٢) الكشاف ١/٣٤٩.

قوله :(ثم أفيضوا) جاءت لبعد ما بين الإفاضتين وتفاوتهما ولانعلم أحدا سبقه إلى إثبات هذا المعنى لثم»(١).

ومعنى التفاوت هذا ذكره ابن برى(٢).

قال الزركشي :«قال ابن برى: قد تجئ «ثم» كثيرا لتفاوت ما بين رتبتين في قصد المتكلم فيه تفاوت مابين مرتبتي الفعل مع السكوت عن تفاوت رتبتي الفاعل، كقوله تعالى :(الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون)(٣) فـ (ثم) هنا لتفاوت رتبة الخلق والجعل من رتبة العدل، مع السكوت عن وصف العادلين.

ومثله قوله تعالى :(فلا اقتحم العقبة) (٤) إلى قوله :(ثم كان من الذين آمنوا)، دخلت لبيان تفاوت رتبة الفك والإطعام، من رتبة الإيمان، إلا أن فيها زيادة تعرض لوصف المؤمنين بقوله :(وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) (٥).

هذا وقيل إن الإفاضة المأمور بها هنا غير الإفاضة المشروط بها، وتكون هذه الإفاضة من جمع إلى منى، وقال بهذا الضحاك وقوم معه ورجحه الطبرى، وهو الذى يقتضيه ظاهر القرآن وعلى هذا فثم على بابها(٦).

---

(١) البحر المحيط ٢/٩٩.

(٢) هو عبد الله بن برى بن عبد الجبار أبو محمد المقدسي المصرى النحو اللغوى، ولد بمصر سنة تسع وتسعين وأربعمائه، وتوفى سنة ثنتين وثمانين وخمسمائه.
انظر بغية الوعاة ٢/٣٤.

(٣) الآية رقم ١ من سورة الأنعام.

(٤) الآية رقم ١١ من سورة البلد.

(٥) من الآية رقم ١٧ من سورة البلد، وانظر البرهان فى علوم القرآن ٤/٢٦٦.

(٦) انظر حاشية الجمل على الجلالين ١/١٦٠، والبحر المحيط ٢/٩٩، والكشاف ١/ ٣٤٩.

المبحث الرابع
الاختلاف فى بيان حقيقة الحرف

قد اختلف فى بعض الحروف فى كونها للعطف أو لغيره، وقد وقع الاختلاف فى الآيات الآتية :

١- «كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها». البقرة : ٢٥

اختلف فى حقيقة (الواو) في قوله جل شأنه : (وأتوا).

قال أبو البقاء :(وأتوا به): يجوز أن يكون حالا، و(قد) معه مرادة، تقديره: قالوا ذلك وقد أتوا به، ويجوز أن يكون مستأنفا »[١].

قال أبو حيان :«ومجئ الجملة المصدرة بماض حالا ومعها الواو على إضمار قد جائز فى فصيح الكلام. قال تعالي :(كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم)[٢] أى وقد كنتم، (الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا)[٣] أى وقد قعدوا، (وقال الذى نجا منهما وادكر بعد أمه)[٤] أى وقد ادكر»[٥].

ويجوز أن تكون الواو فى قوله عز وجل :(وأتوا) للعطف، عطفت جملة (أتوا به متشابها) علي قوله جل شأنه :(قالوا هذا الذى رزقنا من قبل)، والمعنى : كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل، وكلما رزقوا منها من ثمرة رزقا أتوابه متشابها[٦].

---

(١) التبيان ٤١/١، وانظر روح المعانى ٢٠٤/١.

(٢) البقرة : ٢٨.

(٣) آل عمران ١٦٨.

(٤) يوسف : ٤٥.

(٥) البحر المحيط ١١٥/١.

(٦) انظر البحر المحيط ١١٥/١، والنهر الماد من البحر ١١٧/١.

فالواو فى قوله تعالي :(وأتوا) يجوز أن تكون للحال، وأن تكون للعطف، وأن تكون للاستئناف.

وقال الزركشي فى واو الاستئناف:«والظاهر أنها الواو العاطفة، لكنها تعطف الجمل التى لامحل لها من الإعراب لمجرد الربط»(١).

وكذلك أبو حيان يرى فى واو الاستئناف أنها عاطفة.

قال فى قوله عز وجل: «زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا»(٢).

قال :«وهذه الجملة الفعلية (أى جملة ويسخرون) معطوفة على الجملة الفعلية من قوله زين، ولايلحظ فيها عطف الفعل على الفعل؛ لأنه كان يلزم اتحاد الزمان وإن لم يلزم اتحاد الصيغة، وصدرت الأولى بالفعل الماضى؛ لأنه أمر مفروغ منه وهو تركيب طباعهم على محبة الدنيا فليس أمرا متجددا، وصدرت الثانية بالمضارع لأنها حالة تتجدد كل وقت، وقيل هو على الاستئناف أى الفعل المضارع ومعنى الاستئناف أن يكون على إضمار (هم) التقدير: وهم يسخرون، فيكون خبر مبتدأ محذوف ويصير من عطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية»(٣).

٢- «وإذ قال موسى لقومه ياقوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم». البقرة : ٥٤

اختلف فى الفاء فى قوله جل شأنه : (فتاب عليكم).

---

(١) البرهان ٤٣٧/١. (٢) البقرة : ٢١٢.

(٣) البحر المحيط ١٣٠/٢.

قال أبو حيان :«ظاهره أنه إخبار من الله تعالى بالتوبة عليهم، ولابد من تقدير محذوف عطفت عليه هذه الجملة أى فامتثلتم فتاب عليكم، وتكون هاتان الجملتان مندرجتين تحت الإضافة إلى الظرف الذى هو (إذ) فى قوله تعالى: (وإذ قال موسى لقومه)، وأجاز الزمخشرى أن يكون مندرجا تحت قول موسى على تقدير شرط محذوف كأنه قال : فإن فعلتم فقد تاب عليكم، فتكون الفاء إذ ذاك رابطة لجملة الجزاء بجملة الشرط المحذوفة هى وحرف الشرط وماذهب إليه الزمخشرى لايجوز»(١).

وإنما لايجوز ماذهب إليه الزمخشرى؛ لأن حذف فعل الشرط، وأداة الشرط معا، وإبقاء الجواب لم يثبت من كلام العرب، ذكره أبو حيان(٢)، وفيه نظر ففى كلام المعربين مايفيد جوازه.

وأجازه الزمخشرى أيضا فى قوله عز وجل :(فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا)(٣).

قال الزمخشرى: (فانفجرت) الفاء متعلقة بمحذوف، أى فضرب فانفجرت، أو فإن ضربت فقد انفجرت كما ذكرنا فى قوله : (فتاب عليكم) وهى على هذا فاء فصيحة لاتقع إلا فى كلام بليغ»(٤).

والذى عليه المفسرون هو التقدير الأول أى فضرب فانفجرت(٥).

---

(١) البحرالمحيط ١/٢٠٩، وانظر الكشاف ١/٢٨١.

(٢) انظر البحر المحيط ١/٢١٠.

(٣) من الآية رقم ٦٠ من سورة البقرة.

(٤) الكشاف ١/٢٨٤.

(٥) انظر معانى القرآن للفراء ١/٤٠،والتبيان للعكبرى ١/٦٠، وحاشية الجمل على الجلالين ١/٥٧، والبحر المحيط ١/٢٢٧،وروح المعانى ١/٢٧٠، وتفسير الطبرى ١/ ٢٤٣.

٣- «كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته». البقرة : ٧٣

قوله تعالى (ويريكم) قيل مستأنف وهو الظاهر، وجوز أن يكون معطوفا على قوله عز وجل (يحيى)[١].

٤- «ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا». البقرة : ٨٩

اختلف في الواو في قوله جل شأنه (وكانوا).

فقيل عاطفة ومابعدها معطوف على جاءهم ويكون جواب لما مرتبا على المجئ والكون.

وقيل جواب (لما) محذوف، ويقدر قبل قوله تعالى (وكانوا)، وتقديره: كذبوه،ويكون ما بعد الواو جملة معطوفة على مجموع الجملة من قوله ولما.

وأجاز أبو حيان أن تكون الواو في (وكانوا) للحال، أي وقد كانوا ويكون الجواب مرتبا على المجئ بقيد في مفعوله وهو كونهم يستفتحون»[٢].

٥- «أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم». البقرة : ١٠٠

اختلف في الواو في قوله تعالي : (أو كلما).

فقيل: زائدة وأجازه الأخفش[٣].

وقيل هي (أو) الساكنة الواو حركت بالفتح وهي بمعنى بل قاله الكسائي، وقد قرئ شاذا بسكون الواو.

---

(١) انظر البحر المحيط ١/ ٢٦٠، وروح المعاني ١/ ٢٩٤.

(٢) انظر البحر المحيط ١/ ٣٠٣، والكشاف ١/ ٢٩٥، ٢٩٦، وحاشية الجمل على الجلالين ٧٧/١.

(٣) انظر معاني القرآن للأخفش ٣٢٦/١، وإعراب القرآن للنحاس ٢٥٢/١.

وضعف أبو حيان هذين القولين [١].

والصواب أن الواو للعطف، والأصل تقديم هذه الواو على همزة الاستفهام، وإنما قدمت الهمزة لأن لها صدر الكلام. وهذا مذهب سيبويه والجمهور [٢].

ويرى الزمخشري أنه لاتقديم للهمزة وأن المعطوف عليه محذوف.

قال الزمخشري : (أو كلما) الواو للعطف علي محذوف معناه أكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا » [٣].

٦- «ويتعلمون مايضرهم ولاينفعهم». البقرة : ١٠٢

قال أبو البقاء: (ولاينفعهم) هو معطوف علي الفعل قبله، ودخلت (لا) للنفي، ويجوز أن يكون مستأنفا، أي وهو لاينفعهم، فيكون حالا، ولايصح عطفه على (ما)؛ لأن الفعل لايعطف على الاسم» [٤].

والظاهر أن الواو في الآية للعطف، واحتمال كون الواو للحال أمر مستبعد. وقال أبو حيان في هذا الاحتمال :«وهذا ضعيف» [٥]، وقال الألوسي: «ولايخفى ضعفه» [٦].

---

(١) انظر البحر المحيط ١/٣٢٣، والتبيان للعكبري ١/٨٣، وحاشية الجمل على الجلالين ١/٨٤، وإعراب القرآن للنحاس ١/٢٥٢.

(٢) انظر البحر المحيط ١/٣٢٣.

(٣) الكشاف ١/٣٠٠، وانظر روح المعاني ١/٣٣٥.

(٤) التبيان للعكبري ١/٨٥.

(٥) البحر المحيط ١/٣٣٣.

(٦) روح المعاني ١/٣٤٥.

٧- **«وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون».** البقرة : ١١٧

قرأ الجمهور فيكون بالرفع، فقيل الفاء للاستئناف أى فهو يكون وعزى إلى سيبويه، وقيل الفاء عاطفة عطفت (يكون) على (يقول) (١). والبحث هنا عن فاء الاستئناف هل هى للعطف أو لغيره؟ والتحقيق أنها لم تخرج عن كونها عاطفة.

قال ابن هشام :«قيل الفاء تكون للاستئناف كقوله :

ألم تسأل الربع القواء فينطق (٢)

أى فهو ينطق لأنها لو كانت للعطف لجزم مابعدها، ولو كانت للسببية لنصب ومثله:(فإنما يقول له كن فيكون) بالرفع أى فهو يكون، وقوله :

الشعر صعب وطويل سلمه ... إذا ارتقى فيه الذي لايعلمه
زلت به إلى الحضيض قدمه ... يريد أن يعربه فيعجمه (٣)

أى فهو يعجمه، ولايجوز نصبه بالعطف؛ لأنه لايريد أن يعجمه.

والتحقيق أن الفاء فى ذلك كله للعطف، وأن المعتمد بالعطف الجملة لا الفعل، والمعطوف عليه فى هذا الشعر قوله: (يريد)، وإنما يقدر النحويون كلمة هو ليبينوا أن الفعل ليس المعتمد بالعطف» (٤).

---

(١) انظر البحر المحيط ١/ ٣٦٥، ٣٦٦، وحاشية الجمل على الجلالين ١/ ٩٩، والكتاب لسيبويه ٣/ ٣٩، وتفسير الطبرى ١/ ٤٠٦.

(٢) شطر بيت من الطويل لجميل بن عبد الله بن معمر تمامه :

وهل تخبرنك اليوم بيداء سملق

والقواء : الخرب، وسملق: أى لانبات بها.

انظر شرح شواهد المغنى للسيوطى١/ ٤٧٤، وحاشية الأمير على مغنى اللبيب١/ ١٤٤.

(٣) البيتان من الرجز للحطيئة. انظر شرح شواهد المغنى للسيوطى ١/ ٤٧٥.

(٤) مغنى اللبيب ١/ ١٤٤.

وقال السيرافي: «لم يرد الله عز وجل أن يقول للشئ: كن فيكون، وكن فيكون مقولان للشئ، والذى قيل للشئ: كن حسب. ثم خبر عنه أن يكون، فصار يكون كلاما منفردا مستأنفا. ودخلت عليه الفاء لأنه عطف جملة على جملة»(١).

٨- «وإذا قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا». البقرة : ١٢٦.

من في قوله عز وجل :(ومن كفر) يحتمل أن يكون في موضع نصب على إضمار فعل تقديره: وأرزق من كفر، وعلى ذلك فالفاء عاطفة عطفت أمتعه على الفعل المحذوف الناصب لـ (من).

ويحتمل أن تكون (من) في موضع رفع على الابتداء إما موصولا، وإما شرطا والفاء جواب الشرط أو الداخلة في خبر الموصول لشبهه باسم الشرط(٢).

وقال أبوالبقاء :«فأمتعه. عطف على الفعل المحذوف، ولايجوز أن يكون (من) على هذا مبتدأ و(فأمتعه) خبره؛ لأن (الذى) لاتدخل الفاء في خبرها إلا إذا كان الخبر مستحقا بصلتها، كقولك: الذى يأتيني فله درهم، والكفر لايستحق به التمتيع، فإن جعلت الفاء زائدة على قول الأخفش جاز، وإن جعلت الخبر محذوفا و(فأمتعه) دليلا عليه جاز، تقديره:ومن كفر أرزقه فأمتعه. والوجه الثاني: أن تكون (من) شرطية والفاء جوابها. وقيل الجواب محذوف

---

(١) انظر تحقيق الأستاذ /عبد السلام هارون على الكتاب ٣/٣٩.

(٢) انظر البحر المحيط ١/٣٨٤، وانظر حاشية الجمل على الجلالين ١/١٠٦، وروح المعانى ١/٣٨٢.

تقـديره : ومن كـفـر أرزقـه ومن على هذا رفع بالابتـداء، ولايجـوز أن تكون منصوبة؛ لأن أداة الشرط لايعمل فيها جوابها بل الشرط»[١].

وقد ناقش أبو حيان ما ذكره أبو البقاء ورد أكثره.

قال أبو حيان:«قوله أولا لايجوز كذا وتعليله ليس بصحيح؛ لأن الخبر مستحق بالصلة؛ لأن التمتع القليل والصيرورة إلى النار مستحقان بالكفر. ثم إنه قد ناقض أبو البقاء في تجويزه أن تكون من شرطية والفاء جوابها وهل الجزاء إلا مستحق بالشرط ومترتب عليه فكذلك الخبر المشبه به أيضا، فلو كان التمتع قليلا ليس مستحقا بالصلة وقد عطف عليه مايستحق بالصلة ناسب أن يقع خبرا من حيث وقع جزاء وقد جوز هو ذلك، وأما تقدير زيادة الفاء، وإضمار الخبر،وإضمار جواب الشرط إذا جعلنا من شرطية فلا حاجة إلي ذلك لأن الكلام منتظم في غاية الفصاحة دون هذا الإضمار وإنما جرى أبو البقاء في إعرابه في القرآن علي حد ما يجرى في شعر الشنفرى والشماخ من تجويز الأشياء البعيدة والتقادير المستغنى عنها ونحن ننزه القرآن عن ذلك»[٢].

٩- «أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت». البقرة : ١٣٣

الظاهر أن (أم) في الآية منقطعة. وقدرت في الآية ببل وهمزة الاستفهام، ومعنى الإضراب في الآية الانتقال من شئ إلى شئ لا إبطال لما قبله، ومعني الاستفهام الإنكار والتوبيخ فيؤول معناه إلى النفى أى بل أكنتم شهداء يعنى لم تكونوا.

---

(١) التبيان للعكبرى ٩٦/١، ٩٧.

(٢) البحر المحيط ٣٨٥/١.

ويعضهم يقدرها بل وحدها والمعنى: بل كنتم أى كان أسلافكم، أو نزل منزلة أسلافهم إذ كان أسلافهم قد نقلوا ذلك إليهم[١].

وأم المنقطعة ليست عاطفة[٢].

وقيل (أم) فى الآية بمعنى همزة الاستفهام، وهو قول ابن عطية والطبرى ومن تبعهما[٣].

واستبعد أبو حيان مجئ أم للاستفهام[٤]، وقد أثبته أبو عبيدة.

قال ابن هشام :«وزعم أبو عبيدة أنها قد تأتى بمعنى الاستفهام المجرد، فقال فى قول الأخطل :

كذبتــك عينــك أم رأيت بواسـط

غلــس الظلام من الربــاب خيــالا[٥]

إن المعنى : هل رأيت»[٦].

واختار الزمخشرى فى الكشاف أن تكون (أم) فى الآية متصلة.

قال: «ولكن الوجه أن تكون أم متصلة على أن يقدر قبلها محذوف كأنه قيل: أتدعون على الأنبياء أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت»[٧].

---

(١) انظر البحر المحيط ١/ ٤٠٠، ٤٠١، وحاشية الجمل على الجلالين ١/ ١١٠، والتبيان للعكبرى ١/ ١٠٠.

(٢) انظر حاشية الأمير علي مغنى اللبيب ١/ ٤٣.

(٣) انظر حاية الجمل على الجلالين ١/ ١١٠، والبحر المحيط ١/ ٤٠١، وتفسير الطبرى ١/ ٤٣٨، ومراح لبيد ١/ ٣٥.

(٤) انظر البحر المحيط ١/ ٤٠١.

(٥) البيت من الكامل ، وهو مطلع قصيدة للأخطل يهجو بها جريرا ، وواسط بلد بالعراق، والرباب اسم امرأة منقول من اسم السحاب.

انظر شرح شواهد المغنى للسيوطى ١/ ١٤٣، ١٤٤.

(٦) مغنى اللبيب ١/ ٤٣.

(٧) الكشاف ١/ ٣١٤.

وجوز ذلك الواحدى وقدر: أبلغكم ما تنسبون إلى يعقوب من إيصائه بنيه باليهودية أم كنتم شهداء»[١].

فعلى تقدير الزمخشرى والواحدي تكون أم متصلة، وحذف قبلها مايعادلها.

وقال أبو حيان ردا على الزمخشرى فى تجويز هذا الحذف :«ولانعلم أحدا أجاز حذف هذه الجملة، ولايحفظ ذلك لا في شعر ولا غيره، فلايجوز: أم زيد، وأنت تريد أقام عمرو أم زيد، ولا أم قام خالد، وأنت تريد أخرج زيد أم قام خالد، والسبب في أنه لايجوز الحذف أن الكلام فى معني أى الأمرين وقع فهى فى الحقيقة جملة واحدة»[٢].

ومثل الآية قول الله عز وجل :(أم أحسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم)[٣].

فالظاهر فى (أم) أنها منقطعة بمعنى بل والهمزة، فتتضمن إضرابا وهو انتقال من كلام إلي كلام، ويدل علي استفهام لكنه استفهام تقرير أو إنكار. ورام بعض المفسرين أن يجعلها متصلة، ويجعل قبلها جملة مقدرة تصير بتقديرها أم متصلة، فتقدير الآية : فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق فصبروا علي استهزاء قومهم بهم أفتسلكون سبيلهم أم تحسبون أن تدخلوا الجنة من غير سلوك سبيلهم.

وقيل أيضا إن (أم) هنا للاستفهام بمعنى الهمزة، وقيل للإضراب بمعنى بل وحدها، والصحيح هو القول الأول[٤].

---

(١) انظر مغنى اللبيب ٤٣/١.

(٢) البحر المحيط ٤٠١/١.

(٣) من الآية رقم ٢١٤ من سورة البقرة.

(٤) انظر البحر المحيط ١٣٩/٢، ١٤٠، وروح المعانى ١٠٣/٢.

١٠- «وإن تولوا فإنما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله».

البقرة : ١٣٧

قال أبو حيان فى قوله تعالي :(فسيكفيكهم):«عطف الجملة بالفاء مشعر بتعقب الكفاية عقيب الكفاية عقيب شقاقهم، والمجئ بالسين يد على قرب الاستقبال»[١].

وظاهر كلام أبى حيان أن العطف على جملة الجزاء، فتكون الفاء قد عطفت جملة فعلية على جملة اسمية وابن جنى يمنعه مطلقا، والفارسى يمنعه في غير الواو»[٢].

فإن قيل: هل يجوز أن تكون الفاء واقعة فى جواب شرط محذوف تقديره: إن تولوا فسيكفيكهم الله، فالجواب: أن أبا حيان لايجيز حذف فعل الشرط وأداة الشرط معا»[٣].

وقال الطبرى :«يعنى تعالى ذكره بقوله : فسيكفيكهم الله. فسيكفيك الله يا محمد هؤلاء الذين قالوا لك ولأصحابك كونوا هودا أو نصارى تهتدوا من اليهود والنصارى إن هم تولوا عن أن يؤمنوا بمثل إيمان أصحابك ...إلى آخره»[٤].

وقول الطبرى هذا قد يفهم منه جواز حذف فعل الشرط والأداة معا إلا أن يقال هذا تفسير معنى لاتفسير إعراب.

---

(١) البحر المحيط ١/ ٤١١.

(٢) انظر همع الهوامع ٢/ ١٤٠، ومغنى اللبيب ٢/ ١٠٠، ١٠١.

(٣) انظر البحر المحيط ١/ ٢٠٩، ٢١٠.

(٤) تفسير الطبرى ١/ ٤٤٤.

١١- «إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب». البقرة : ١٦٦

اختلف في الواوين في قوله عز وجل : (ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب).

فقد استظهر أبو حيان أنهما للعطف، قال : ورأوا العذاب. الظاهر أن هذه الجملة ومابعدها قد عطفتا على تبرأ فهما داخلان في حيز الظرف[١].

واختار الزمخشري أن تكون الواو الأولى للحال، والثانية للعطف.

قال : (ورأوا العذاب) الواو للحال أن تبرءوا في حال رؤيتهم العذاب (وتقطعت) عطف على تبرأ[٢].

وقيل الواو فيهما للحال[٣]، وأجاز أبو البقاء في الواو الأولى أن تكون للعطف أو للحال.

قال : (ورأوا العذاب) معطوف على تبرأ، ويجوز أن يكون حالا ،و(قد) معه مرادة[٤].

١٢- «وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لايعقلون شيئا ولايهتدون».

البقرة : ١٧٠

الواو في قوله تعالي :(أولو كان آباؤهم) فيها قولان :

أحدهما: وإليه ذهب الزمخشري أنها واو الحال.

---

(١) البحر المحيط ١/٤٧٣.

(٢) الكشاف ١/٣٢٧.

(٣) انظر البحر المحيط ١/٤٧٣.

(٤) التبيان في إعراب القرآن للعكبري ١/١١٤.

قال الزمخشري: (أولو كان آباؤهم) الواو للحال، والهمزة بمعنى الرد والتعجيب معناه : أيتبعونهم ولو كان آباؤهم لايعقلون شيئا من الدين ولايهتدون للصواب» [١].

والثاني: أنها للعطف وإليه ذهب أبو البقاء وابن عطية[٢].

وقد أحسن أبو حيان- رحمه الله- حين وفق بين القولين.

قال : «وظاهر قول الزمخشري أن الواو للحال مخالف لقول ابن عطية أنها للعطف؛ لأن واو الحال ليست للعطف، والجمع بينهما أن هذه الجملة المصحوبة بلو في مثل هذا السياق هي جملة شرطية فإذا قال : اضرب زيدا ولو أحسن إليك. المعنى: وإن أحسن،وكذلك : أعطوا السائل ولو جاء على فرس، ردوا السائل ولو بشق تمرة. المعنى فيهما : وإن. وتجئ لو هنا تنبيها على أن مابعدها لم يكن يناسب ماقبلها، لكنها جاءت لاستقصاء الأحوال التي يقع فيها الفعل، ولتدل على أن المراد بذلك وجود الفعل في كل حال حتى في هذه الحال التي لاتناسب الفعل؛ ولذلك لايجوز اضرب زيدا ولو أساء إليك، ولا أعطوا السائل ولو كان محتاجا، ولا ردوا السائل ولو بمائة دينار.

فإذا تقرر هذا فالواو في (ولو) في المثل التي ذكرناها عاطفة على حال مقدرة والعطف على الحال حال فصح أن يقال إنها للحال من حيث إنها عطفت جملة حالية على حال مقدرة، والجملة المعطوفة على الحال حال، وصح أن يقال إنها للعطف من حيث ذلك العطف، والمعنى والله أعلم : إنكار اتباع آبائهم في كل حال حتى في الحالة التي لاتناسب أن يتبعوا فيها وهي تلبسهم بعدم العقل وعدم الهداية.

---

(١) الكشاف ١/٣٢٨.

(٢) انظر التبيان للعكبري ١/١١٦، والبحر المحيط ١/ ٤٨٠، وحاشية الجمل على الجلالين ١/١٣٦.

ولذلك لايجوز حذف هذه الواو الداخلة على (لو) إذا كانت تنبيها على أن مابعدها لم يكن يناسب ماقبلها، وإن كانت الجملة الواقعة حالا فيها ضمير يعود على ذى الحال؛ لأن مجيئها عارية من الواو يؤذن بتقييد الجملة السابقة بهذه الحال، فهو ينافى استغراق الأحوال حتى هذه الحال فهما معنيان مختلفان، والفرق ظاهر بين أكرم زيداً لو جفاك، أى إن جفاك، وبين أكرم زيدا ولو جفاك» [١].

١٣- «والموفون بعهدهم إذا عاهدوا». البقرة : ١٧٧

الظاهر فى (الواو) فى قوله تعالى:(والموفون) أنها عطفت (الموفون) على (من) فى قوله تعالى :(ولكن البر من آمن بالله)، والتقدير: ولكن البر المؤمنون والموفون. واكتفى بهذا الوجه الكثير ومنهم الفراء، والزمخشرى، والبيضاوى. وقيل (الموفون) خبر لمبتدأ محذوف تقديره: وهم الموفون [٢]، وعليه تكون الواو للاستئناف.

١٤- «ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على مافى قلبه وهو ألد الخصام». البقرة : ٢٠٤

جوز المفسرون والمعربون فى قوله عز وجل (ويشهد) أن تكون الواو للعطف، وأن تكون للحال.

---

(١) البحر المحيط ١/ ٤٨١.

(٢) انظر التبيان للعكبرى ١/ ١٢٠،والبحر المحيط ٢/ ٧،وحاشية الجمل على الجلالين ١/ ١٤١، والكشاف ١/ ٣٣١، ومراح لبيد ١/ ٤٥، وتفسير البيضاوى ص ٣٧، وروح المعانى للألوسى ٢/ ٤٧، ومعانى القرآن للفراء ١/ ١٠٥.

قال أبو البقاء :«ويشهد الله يجوز أن يكون معطوفا على يعجبك، ويجوز أن يكون جملة فى موضع الحال من الضمير فى (يعجبك) أى يعجبك وهو يشهد الله، ويجوز أن يكون حالا من الهاء فى (قوله) والعامل فيه القول، والتقدير: يعجبك أن يقول فى أمر الدنيا مقسما على ذلك»(١).

واستظهر أبو حيان الوجه الأول وهو كون الواو للعطف وأن ويشهد من صلة (من)(٢)، وهو أوجه من القول بالحالية؛ لأن المعنى ليس على التقييد، ولما يلزم في الحال من الإضمار للمبتدأ؛ لأن المضارع المثبت ومعه الواو لايقع حالا بنفسه فاحتيج إلى إضمار كما احتاجوا إليه فى قولهم : قمت وأصك عينه أى وأنا أصك، والإضمار على خلاف الأصل(٣).

وقال ابن مالك فى ذلك :

و ذات بدء بمضارع ثبت ... حوت ضميرا ومن الواو خلت
وذات واو بعدها انو مبتدا ... له المضارع اجعلن مسندا(٤)

وجوزا فى الواو أيضا من قوله جل شأنه :(وهو ألد الخصام) أن تكون للعطف، وأن تكون للحال.

قال أبو حيان :«والظاهر أن هذه الجملة الابتدائية معطوفة علي صلة من فهى صلة، وجوزوا أن تكون حالا معطوفة على ويشهد إذا كانت حالا، أو حالا من الضمير المستكن فى ويشهد»(٥).

---

(١) التبيان فى إعراب القرآن ١/ ١٣٥.

(٢) انظر البحر المحيط ٢/ ١١٤.

(٣) انظر البحر المحيط ٢/ ١١٤.

(٤) انظر شرح ابن عقيل على الألفية ٢/ ٢٧٩.

(٥) البحر المحيط ٢/ ١١٤، وانظر التبيان فى إعراب القرآن للعكبرى ١/ ١٣٥، ١٣٦.

١٥- «وأيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر».

البقرة : ٢٦٦

اختلف فى (الواو) من قوله عز وجل : (وأصابه الكبر) ، فقيل هى للحال، وقيل للعطف.

وقال أبو حيان :«الظاهر أن الواو للحال، وقد مقدرة أي وقد أصابه الكبر»(١).

وعلى القول بأن الواو للحال تكون الجملة بعدها فى موضع نصب على الحال من فاعل يود أن أيود أحدكم ذلك في هذه الحال التى هى مظنة شدة الحاجة إلى منافع تلك الجنة(٢).

ومن قال بأن الواو للعطف اختلف فى توجيه عطف الماضى على المضارع فى الآية.

فقيل المعنى: ويصيبه فعطف الماضى على المضارع لوضعه موضعه(٣).

وقيل عطف أصابه على يكون حملا على المعنى فكأنه قيل: أيود أحدكم لو كانت له جنة وأصابه الكبر(٤).

وقد وضح الفراء- رحمه الله- مسألة عطف الماضى على المضارع المنصوب بـ (أن) بعد يود.

---

(١) البحر المحيط ٣١٤/٢، وانظر التبيان للعكبرى ١٧٦/١، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٣٣٦.

(٢) انظر روح المعانى ٣٧/٣.

(٣) انظر البحر المحيط ٣١٤/٢، وروح المعانى ٣٧/٣.

(٤) انظر الكشاف للزمخشرى ٣٩٦/١، وتفسير البيضاوى ص ٦١، وإعراب القرآن للنحاس ٣٣٦/١.

قال :«وقوله : أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب.. ثم قال بعد ذلك :(وأصابه الكبر) ثم قال (فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت). فيقول القائل : فهو يجوز في الكلام أن يقول : أتود أن تصيب مالافضاع، والمعنى : فيضيع؟ قلت : نعم ذلك جائز في وددت؛ لأن العرب تلقاها مرة بـ (أن)، ومرة بـ (لو) فيقولون: لوددت لو ذهبت عنا،ووددت أن تذهب عنا، فلما صلحت بلو وبأن ومعناهما جميعا الاستقبال استجازوا أن يردوا فعل بتأويل لو، على يفعل مع أن. فلذلك قال : فأصابها »(١).

ومعنى كلام الفراء أن الفعل (يود) يتصل مرة بـ(أن)، ومرة بـ (لو) فجاز أن يقدر أحدهما مكان الآخر، فيقدر هنا قوله :(أيود أحدكم أن تكون) بـ(أيود أحدكم لو كانت) ويكون العطف حينئذ حملا على المعنى. والله تعالى أعلى وأعلم.

---

(١) معاني القرآن للفراء ١/ ١٧٥.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد...

فإني أحمد الله عز وجل حمد الشاكرين على عونه وتوفيقه لى فى دراسة ماوقع من خلاف فى تخريج أساليب العطف الواردة فى سورة البقرة، وقد بذلت الجهد فى ذكر مسائل الخلاف، وتوضيحها، ومناقشتها، واختيار أرجح الأقوال فيها، وذلك بالرجوع إلي القواعد المقررة فى علم النحو، مع مراعاة أن تكون مطابقة للمعنى الذى يقتضية النص القرآنى.

فأرجو من الله ذى الفضل والمنة أن ينفع بهذه الدراسة، وأن يمنحنا الثواب والمغفرة وهو ولى التوفيق.

أ.د. أحمد محمد أحمد خالد

المراجـع

١- القرآن الكريم.

٢- الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى- المطبعة الحجازية المصرية- ١٣٦٨هـ.

٣- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبى السعود) للإمام أبى السعود محمد بن محمد العمادى- دار إحياء التراث العربى ببيروت.

٤- أساس البلاغة للزمخشرى تحقيق الأستاذ /عبد الرحيم محمود- طبعة دار المعرفة ببيروت.

٥- إعراب القرآن لأبى جعفر النحاس- عالم الكتب ببيروت- الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

٦- الانتصاف من الإنصاف للشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد مع كتاب الإنصاف فى مسائل الخلاف للأنبارى - دار الجيل.

٧- الإنصاف فى مسائل الخلاف للأنبارى- دار الجيل.

٨- أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوى) المطبعة العثمانية- ١٣٠٥هـ.

٩- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام- تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد- طبعة دار الفكر بيروت.

١٠- البحر المحيط لأبى حيان- الطبعة الأولى- مطبعة السعادة بمصر- ١٣٢٨هـ.

١١- البرهان في علوم القرآن للزركشي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- طبعة دار الفكر ببيروت.

١٢- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي- دار الفكر- الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

١٣- التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري- دار الفكر- الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

١٤- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد تحقيق محمد كامل بركات- دار الكتاب للطباعة والنشر-١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

١٥- التصريح بمضمون التوضيح للشيخ خالد الأزهري- طبعة عيسي الحلبي.

١٦- جامع البيان في تفسير القرآن (تفسير الطبري) للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري - دار المعرفة ببيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

١٧- حاشية الجمل علي الجلالين المسماة بالفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية - مطبعة عيسى الحلبي .

١٨- حاشية محمد الأمير على مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري - طبعة عيسى الحلبي .

١٩- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي - دار صادر .

٢٠- الحجة في القراءات السبع للإمام ابن خالويه تحقيق وشرح/ الدكتور عبد العال سالم مكرم - دار الشروق - الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م .

٢١- الخصائص لابن جنى - دار الهدى للطباعة والنشر ببيروت .

٢٢- ديوان حسان بن ثابت تحقيق الدكتور/ سيد حنفى حسنين - طبعة دار المعارف - الطبعة الأولى ١٩٨٣م .

٢٣- روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للألوسى - دار الفكر ببيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٢٤- شرح الأشمونى علي ألفية ابن مالك - طبعة عيسي الحلبي .

٢٥- شرح الشاطبية المسمى إرشاد المريد إلي مقصود القصيد للضباع - مكتبة ومطبعة محمد على صبيح .

٢٦- شرح شواهد ابن عقيل للشيخ عبد المنعم الجرجاوى - الطبعة الثالثة - المطبعة الوهبية المصرية - ١٢٩٥ هـ.

٢٧- شرح الشواهد للعينى مع شرح الأشمونى علي ألفية بن مالك مع حاشية الصبان - طبعة عيسى الحلبي .

٢٨- شرح شواهد المغنى لجلال الدين السيوطى - ذيل بتصحيحات وتعليقات الشيخ محمد محمود بن التلاميذ التركزى الشنقيطى - دار مكتبة الحياة ببيروت .

٢٩- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك - تحقيق الشيخ محمد محيى الدين - دار الفكر .

٣٠- شرح كافية ابن الحاجب للشيخ رضى الدين - دار الكتب العلمية ببيروت .

٣١- شرح المفصل لابن يعيش - عالم الكتب ببيروت .

٣٢- الكتاب لسيبويه تحقيق الأستاذ/ عبد السلام هارون - الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٣٣- الكشاف للزمخشري - دار الفكر ببيروت .

٣٤- الكليات - معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسينى الكفوى -مؤسسة الرسالة ببيروت - الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

٣٥- لسان العرب لابن منظور - طبعة دار المعارف .

٣٦- مجالس ثعلب - تحقيق الأستاذ/ عبد السلام هارون - دار المعارف .

٣٧- مراح لبيد - تفسير النووى - مطبعة عيسى الحلبي .

٣٨- معانى القرآن للأخفش - عالم الكتب ببيروت - الطبعة الأولي - ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .

٣٩- معانى القرآن وإعرابه للزجاج - عالم الكتب ببيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .

٤٠- معانى القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٨٠م .

٤١- المعجم الوسيط - الطبعة الثانية - دار المعارف بمصر .

٤٢- مغنى اللبيب لابن هشام - طبعة عيسى الحلبى .

٤٣- المقتضب للمبرد - تحقيق الأستاذ/ محمد عبد الخالق عضيمة - طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

٤٤- النهر الماد من البحر لأبى حيان مع البحر المحيط - الطبعة الأولى - مطبعة السعادة - ١٣٢٨ هـ .

٤٥- همع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطى - دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت.

جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية
بإيتاى البارود

من قضايا النحو

إبطال العامل وإلغاؤه

اعـــداد
دكتور/ جمعة طاهر عبد الله النجار

١٤١٩هـ/١٩٩٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلي آله وأصحابه وأتباعه وأحبابه إلى يوم الدين، وبعـــد:

فهذا بحث تناولت فيه إبطال العامل وإلغاءه .

ومن العنوان يتبين بوضوح أن البحث لايتناول كل الأدوات بل يتناول منها ماكان عاملاً إذا أبطل عمله، فهو لايتناول العامل الذى لايبطل عمله بحال، كما لايتناول الأداة التى لاتعمل.

والعامل أحد أنواع خمسة :

(النوع الأول) عامل لايبطل عمله بحال... سواء أكان عاملاً عند العرب جميعاً أم عند بعضهم .

(النوع الثانى) أداة لاتعمل أصلاً، فهى من المهمل .

(النوع الثالث) أداة لاتعمل عند قوم، فهى من المهمل عندهم، مثل (ما) عند بنى تميم .

وهذه الأنواع لاتدخل فى هذا البحث .

(النوع الرابع) عامل يعمل عند العرب جميعاً، ويبطل عمله لسبب أو لفقد شرط .

(النوع الخامس) عامل يعمل عند قوم، ويبطل عمله لسبب أو لفقد شرط .

وهذان النوعان هما موضوع البحث .

ويمكن أن يوضع النوع الثالث والنوع الخامس معاً، إذ موضوعهما واحد، وهو العامل عند قوم المهمل عند آخرين مثل (ما)، فهي عاملة عند الحجازيين مهملة عند بني تميم.

وأطلقت على هذا البحث: «من قضايا النحو: إبطال العامل وإلغاؤه».

والإلغاء نوع من الإبطال، فهو من باب عطف الخاص على العام .

والإبطال يشمل الإلغاء والتعليق :

أما الإلغاء فهو إبطال العمل جوازاً لغير مانع، كتوسط (ظن) أو إحدى أخواتها أو تأخرها.. وهو اختياري.

وأما التعليق فهو إبطال العمل لمانع، وهو إلزامي عند المانع .

والإبطال يشمل الأمرين جميعاً .

ولايدخل الإهمال في هذا البحث، لأن الإهمال يكون لأداة لم تعمل أصلاً، فلا يتعلق بها إبطال بأي حال .

وقد حصرت العوامل التي يقع عليها الإبطال فوجدتها العوامل التالية:

إن وكان ولكن و(لا) النافية للجنس و(لا) العاملة عمل (ليس) و(ما) الحجازية و(إذن)، وأفعال الشك واليقين (ظن حسب، خال، زعم، وجد، رأى، علم) واسم الفاعل واسم المفعول .

وقد وجدت هذه العوامل تعرض لها النحاة قديماً وحديثاً، ولكني لم أجد من حصرها في باب واحد حيث كان يذكر إبطال العامل في موقعه مع نظيره، كإن مع الحروف الناسخة، واسم الفاعل مع المشتقات العاملة عمل الفعل.. فأردت حصرها في بحث واحد يمكن الرجوع إليه مع معرفة أسباب ذلك دون معاناة .

وكان منهجى فى هذا البحث قائماً على أمرين :

(الأول) بدأت ببيان عمل العامل وشروط عمله، إن وجدت، مع التمثيل، والإحالة إلى المراجع الضرورية، ولم أدخل فى تفاصيل أو خلافات إلا بالقدر اليسير .

(الثانى) درست - بطريقة أوسع - أسباب إبطال العامل، وذكرت آراء النحاة فى ذلك مع التمثيل والاستشهاد .

وأرجوا أن أكون قد وفقت فيما قصدت إليه، وأن ينفع الله تعالى بهذا البحث، إنه سميع مجيب .

دكتور/ **جمعه طاهر عبد الله النجار**

إن

(إن) من الحروف الناسخة .

وهى تدخل على الجملة الاسمية لتوكيد مضمون الجملة.

وتعمل النصب فى الاسم باتفاق، وترفع الخبر عند البصريين، وذهب الكوفيون إلى أنه باق على رفعه، قبل دخولها[1].

واحتج الكوفيون لرأيهم بأمور منها :

---

(١) نظر الكتاب لسيويه، تحقيق الشيخ عبد السلام هارون - طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢/١٤٨، ٤/٢٣٣ - اللمع لابن جنى، تحقيق د/ حسين شرف ط. أولى سنة ١٣٩٩هـ عالم الكتب صـ١٢٤ - كشف المشكل لعلى بن سليمان الحيدرة، تحقيق د/ هادى مطر ط بغداد سنة ١٣٨٤هـ- صـ٣٤٧ - اللامات للزجاجى، تحقيق مازن المبارك دمشق سنة ١٣٨٩ - صـ١٤٧ - المفصل للزمخشرى ط ثانية، دار الجيل صـ٢٩٣ - شرح الأنموذج للأردبيلى، تحقق حسنى عبد الجليل، مكتبة دار الآداب صـ١٧٦- والإنصاف فى مسائل الخلاف للأنبارى، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد - دار الفكر م ٢٢ صـ١٧٨ - تسهيل الفوائد لابن مالك، تحقيق د/ محمد كامل بركات - ط أولى سنة ١٩٦٧ صـ٦١ - رصف المبانى للمالقى، تحقيق د/ أحمد محمد خراط، ط ثانية، دمشق سنة ١٤٠٠هـ صـ٩٨ - وارتشاف الضرب لأبي حيان الأندلسى، تحقيق د/ مصطفى النماس ط أولى سنة ١٤٠٤هـ ٢/١٢٨ - البرهان فى علوم القرآن للزركشي، تحقيق أ/ محمد أبوا لفضل إبراهيم - دار الفكر سنة ١٤٠٠هـ ٤/٢٢٩ - همع الهوامع للسيوطى - ط دار المعرفة ١/١٣٤، وشرح الأشمونى على الألفية - ط دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ١/٢٩٩ - الخلاف بين البصريين والكوفيين ورقة ٢١٧ رسالة دكتوراه بكلية اللغة العربية بالقاهرة إعداد الدكتور السيد رزق .

- أن (إن) نصبت الاسم لشبهها بالفعل، فهي فرع عنه، فتكون أضعف منه، لأن الفرع أبداً أضعف من الأصل... فلا يعمل عملين .
- وأنه يدخل على الخبر مايدخل علي الفعل، لو ابتدئ به، كقول الشاعر:

لاتتركني فيهم شطيرا إني إذن أهلك أو أطيرا[1]

فنصب بـ (إذن) .

- وأنه إذاوقع بينها وبين اسمها أدنى شئ بطل عملها، وقد روى أن ناساً من العرب قالوا: إن بك زيد مأخوذ، فلم تعمل في الاسم لضعفها .

وقد رد عليهم البصريون :

- بأن اسم الفاعل يعمل الرفع والنصب لمشابهته الفعل المضارع، فليس الفرع بأقل من الأصل دائماً. ويكفي للفرق بين (إن) والفعل أن الفعل يعمل الرفع فالنصب، وأن (إن)تعمل النصب فالرفع .

ويقوى التشابه بين (إن) والفعل التشابه لفظاً ومعنى[2].

- وأن (إن) تعمل مع وجود فاصل بينها وبين اسمها كقوله تعالى: «وإن لكم في الأنعام لعبرة»[3]، فقد عملت (إن) مع الفاصل في (عبرة).
- وأما البيت الذي ساقه الكوفيون فيمكن الرد عليه من ثلاثة أوجه:

(أحدها)أن هذا البيت شاذ، فلا يحتج به .

---

(١) من الرجز - انظر الإنصاف صـ١٧٧، وخزانة الأدب للبغدادي تحقيق الشيخ عبد السلام هارون ٣/٥٧٤، وأوضح المسالك صـ٢٣١، لابن هشام تحقيق الشيخ عبد المتعال الصعيدي المطبعة النموذجية بالقاهرة، وشرح الأشموني على الألفية ٣/٢٨٨ .

(٢) انظر الإنصاف صـ١٧٨ .

(٣) النحل من الآية/ ٦٦ .

(الثاني) أن الخبر محذوف.. وتقديره: إني أذل إذن أهلك.. فلم تدخل (إذن) على الخبر.

(الثالث) أن تكون (إذن) بمعنى (لن) فيجوز وقوعها خبراً .

- وأما قولهم: إن بك زيد مأخوذ، فتقديره: إنه بك زيد مأخوذ، ونظيره قول الأخطل:

إن من يدخل الكنيسة يوماً يلق فيها جآذراً وظباء[1]

والتقدير: إنه، أي الحال والشأن .

- وأنه ليس في كلام العرب عامل يعمل في الأسماء النصب إلا ويعمل الرفع باتفاق البصريين والكوفيين[2].

ولهذه الأسباب كان رأى البصريين أولى بالقبول .

وإنما تعمل (إن) إذا كانت مثقلة: أي مشددة .

متى يبطل عمل (إن)؟

يبطل عمل (إن) في حالتين:

(الأولي) إذا خففت .

(الثانية) إذا دخل عليها (ما) الكافة .

وبيان ذلك فيما يلي:

(الحالة الأولى) تخفيفها:

وتتضمن هذه الحالة أمرين :

---

(١) من الخفيف - انظر الأمالي الشجرية ط أولي - حيدر أباد ١٣٤٩ ١/ ٢٩٥ والخزانة ٤٩٨/١ .

(٢) معاني القرآن للفراء ورقة ٤٥ نقلاً عن الخلاف بين البصريين والكوفيين صـ٢١٧ .

(أحدهما) هل تخفف (إن)؟

(الثانى) هل تعمل (إن) مخففة ؟

أما عن الأمر الأول، فقد اختلف النحاة فيه :

فذهب البصريون إلى أنها تخفف، لثقل التشديد، وكثرة الاستعمال.(١)

وذهب الكوفيون إلى أنها لاتخفف، وإنما هى النافية(٢).

ففى قوله تعالى (إن كل نفس لما عليها حافظ)(٣)، تكون (إن) مخففة من الثقيلة عند البصريين، ونافية عند الكوفين .

والراجح: رأى البصريين، لأنها تعمل عمل المثقلة. وتؤدى معناها، ففى قوله تعالى (وإن كلاً لما ليوفينهم ربك أعمالهم)(٤):

قرئ بتخفيف (إن) و(لما).

وقرئ بتشديدهما .

وقرئ بتخفيف (إن) وتشديد (لما) .

وقرئ بتشديد (إن) وتخفيف (لما) .

وأجمع السبعة علي نصب (كلا)(٥)، فدل ذلك على أن (إن) مخففة .

---

(١) انظر الكتاب ٢٣٣/٤، سر صناعة الإعراب لابن جنى تحقيق د/ حسن هنداوى دمشق عام ١٤٠٥هـ صـ٥٤٨، والفوائد الضيائية فى شرح كافية ابن الحاجب للجامى، تحقيق أسامة طه رفاعى - العراق ١٩٨٢م ٢/٢٤٥ وأوضح المسالك صـ٦٥.

(٢) انظر مغنى اللبيب لابن هشام - دار إحياء الكتب العربية ٣٦/١. وهمع الهوامع ١/ ١٤٢ .

(٣) الطارق / ٤ .

(٤) هود من /١١١.

(٥) انظرالبحر المحيط لأبى حيان الأندلسى - دار الفكر - بيروت ٢٦١/٥، والبدور الزاهرة فى القراءات العشر المتواترة للشيخ عبد الفتاح القاضى ط سنة ١٤٠٠هـ صـ١٥٧ والمهذب فى القراءات العشر لمحمد سالم محيسن ط ثانية ١٣٨٩هـ ١/ ٣٢٨.

هى (إن) المشددة .

قال سيبويه: (إذا خففت (إن) فهى كذلك تؤكد مايتكلم به»[١] أ. هـ.

الأمر الثانى: (إن) المخففة بين الإعمال والإبطال:

جاءت (إن) المخففة عاملة كالآية السابقة، ولايجوز أن يكون قوله (كلا) منصوباً بالفعل (يوفى)، لأن لام القسم لايعمل مابعدها فيما قبلها[٢].

قال أبو حيان: «وإعمالها مخففة ثابت في لسان العرب، ففى كتاب سيبويه (إن زيداً لمنطلق) بتخفيف (إن)» أ. هـ[٣]

وجاءت غير عاملة - أى أبطل عملها - فى قوله تعالى: (إن كل نفس لما عليها حافظ)[٤]، بتخفيف (إن) و(ما) من (لما)[٥]. وإبطالها أكثر من إعمالها عند التخفيف .

قال ابن مالك: وخففت (إن) فقل العمل[٦].

وقال ابن يعيش: «وإذا خففت (إن) المكسورة فلك فيها وجهان: الإعمال والإلغاء، والإلغاء فيها أكثر» أ. هـ[٧].

---

(١) الكتاب ٤/٢٣٣.

(٢) الإنصاف صـ١٩٦ .

(٣) البحر المحيط ٥/٢٦٦ .

(٤) الطارق/ ٤ .

(٥) البحر المحيط ٨/٤٥٤، قال ابن خالويه «من قرأ (لما) بالتخفيف فـ(ما) صلة والتقدير إن كل نفس لما عليها حافظ) أعراب ثلاثين سورة صـ٥٩ تحقق محمدابراهيم سليم.

(٦) شرح الأشمونى ١/٢٨٨ .

(٧) شرح المفصل لابن يعيش ط عالم الكتب ٨/٧١ .

وقال السيوطى: «تخفف (إن) فيبطل اختصاصها[١]، ويغلب إهمالها .

وقد تعمل على قلة، إلا أنها لاتعمل فى الضمير بخلاف المشددة، فتقول: إنك قائم بالتشديد، ولايجوز أن تقول: إنك قائم بالتخفيف» أ. هـ[٢].

والقول بجواز إعمالها مخففة، علي قلة، هو قول البصريين، وهو ناتج عن قولهم إنها مخففة من الثقيلة، وأغلبهم يبطل عملها .

وقد علل المبرد لإعمالها بقوله:

«وجاز النصب بها إذا كانت مخففة من الثقيلة، وكانت الثقيلة إنما نصبت لشبهها بالفعل، فلما حذف منها صارت كفعل محذوف فعمل الفعل واحد وإن حذف منه، كقولك: لم يكن زيد منطلقاً، وكقولك: ع كلاماً، وأما الذين رفعوا بها فقالوا: إنها أشبهت الفعل فى اللفظ لافى المعنى، فلما نقصت عن عدد اللفظ الذى به أشبهت الفعل رجع الكلام إلى أصله، لأن موضع (إن) الابتداء، وهذا القول عندى هو المختار» أ. هـ[٣]

ومن هذا العرض يتبين أن (إن) إذا خففت فالأكثر إبطال عملها .

وهذه إحدى الحالتين .

---

(١) فتدخل على الجملة الاسمية والجملة الفعلية - النحو الوافي ٢/ ٣٨٦ للدكتور عباس حسن .

(٢) همع الهوامع ١/ ١٤١ وانظر البحر المحيط ٥/ ٢٦٦ .

(٣) المقتضب للمبرد تحقيق الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة - طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة ١٣٩٩هـ القسم الأول ١/ ١٨٦ وانظر رصف المبانى صـ١٠٨ وأهم القضايا النحوية والصرفية فى تفسير ابن عطية صـ١٤٧ وص١٥١ .

(الحالة الثانية) أن تدخل عليها (ما) الكافة :

إذا دخلت (ما) الكافة على (إن) منعتها العمل، كقوله تعالى: (إنما الله إله واحد»[١]. فلفظ الجلالة (الله) مبتدأ و(إله) خبره و(واحد) نعت الخبر.

ويبطل اختصاصها أيضاً، فتدخل على الجملة الاسمية، كما في المثال السابق، وعلى الجملة الفعلية، كقوله جل ذكره: (إنما يتذكر أولو الألباب)[٢].

وروى عن الأخفش والكسائي وابن السراج أن (إن) إذا دخلت عليها (ما) جاز الإعمال أيضاً، فرووا: إنما زيداً قائم .

قال ابن الورد في التحفة :

والأحسن الإلغاء إن يزدن (ما) أو خففت إن نحو: إن كل لما[٣]

و(ما) هذه حرف، وقيل: (مبهمة) بمنزلة ضمير الشأن، فتكون اسماً، والجملة بعدها خبرها .

وإذا عملت فـ (ما) زائدة حرفية كما في قوله تعالى (فبما رحمة من الله لنت لهم)[٤].

---

(١) النساء من الآية / ١٧١.

(٢) الزمر من الآية/ ٩ .

(٣) كتاب شرح التحفة الوردية لابن الورد تحقيق د/ سمير عبد الجواد ط أولى صـ٤٧ وانظر شرح الكافية الشافية لابن مالك تحقيق د/ أحمد هويدى ط سنة ١٩٨٢ ١/ ٤٨٠، ٤٨١ والرضى على الكافية ٣٤٨/٢ ط دار الكتب العلمية ببيروت وشرح عمدة الحافظ لابن مالك تحقيق عدنان الدورى - بغداد صـ١٣٥ .

(٤) آل عمران من / ١٥٩ .

والإلغـاء أولي باتفـاق لعـدم السـمـاع، وفـوت الاختـصـاص بسبب (مـا) وسيبويه يمنع الإعمال فى غير (ليتما) من الحروف الناسخة للسماع المشهور فى (ليتما) دون غيرها (١).

وفى قوله تعالى (إنما حرم عليكم الميتة) (٢).

قرأ ابن أبى عبلة برفع)الميتة) ومابعدها، فتكون (ما) موصولة، وخبر (إن) الميتة والعائد محذوف .

وقرأ أبو جعفر (حرم) مشدداً مبنياً للمفعول، فاحتملت (ما) وجهين:

(أحدهما) أن تكون موصولة و(الميتة) خبر (إن) .

(والوجه الثانى) أن تكون كافة و(الميتة) مرفوع ب (حرم) .

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمى (إنما حرم) بفتح الحاء وضم الراء مخففة. جعله فعلاً لازماً، و(الميتة) ومابعده مرفوع، ويحتمل (ما) الوجهين: فتكون (الميتة) فاعل بالفعل (حرم) إن كانت (ما) كافة وخبر (إن) إن كانت (ما) موصولة (٣).

---

(١) انظر الكتاب ١/٤٥٩، ٤٦٥ وشرح الرضى ٢/٣٤٨ وشرح عمدة الحافظ صـ١٣٤ وشرح العوامل المائة للأزهرى تحقيق د/ البدراوى زهران صـ٢٠٦ .

(٢) البقرة من/ ١٧٣.

(٣) انظر البحر المحيط ١/٤٨٦ وإملاء مامن به الرحمن للعكبرى ١/٤٢. والبيان فى إعراب القرآن لابن الأنبارى تحقيق د/ طه عبد الحميد طه سنة ١٤٠٠هـ ١/١٣٦ ومغنى اللبيب ٢/٨ ودراسات لأسلوب القرآن الكريم للشيخ محمد عبد الخالق عضيمة ط دار الحديث القسم الأول ١/١/٥٠٩ .

«كــأن»

حرف يفيد التشبيه، ويعمل عمل (إن) ويختص بالدخول على الجملة الاسمية.

ومن ذلك قوله تعالى: «وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة»(١).

ويكون خبرها مفرداً، كالمثال السابق، وجملة فعلية، كقوله جل ذكره : «كأنهم لايعلمون»(٢)، وشبه جملة كقوله تعالى: (كأن فى أذنيه وقراً) (٣) وهى عاملة فى هذه الأمثلة، لأنها مثقلة.(٤).

متى يبطل عمل (كأن)؟

يبطل عمل (كأن) إذا دخلت عليها (ما) الكافة، كما يبطل اختصاصها، حيث تدخل على الجملة الاسمية، تقول: كأنما الرجل أسد، وتدخل على الجملة الفعلية، كقوله تعالى: «ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد فى السماء»(٥).

ولم يسمع فيها الإعمال، وأجازه الكسائى وأكثر النحاة قياساً علي (ليتما) قال الرضى: «وعدم سماع الإعمال فى (كأنما ولعلما ولكنما) وقياسها فى الإعمال على (ليتما) سائغ عند الكسائى وأكثر النحاة، إذ لافرق

---

(١) الأعراف من/ ١٧١.

(٢) البقرة من/ ١٠١.

(٣) الجاثية من / ٧ .

(٤) انظر الكتاب ١/٤٧٤ والمقتضب ٤/١٠٨ والخصائص لابن جنى ١/٣١٧ تحقيق أ/ محمد على النجار وشرح الكافية للرضى ٢/٣٢١ ونتائج الفكر للسهيلى تحقيق د/ محمد البنا صـ٢٨١. دراسات لأسلوب القرآن القسم الأول ٢/٣٣٥-٣٣٦ .

(٥) الأنعام من / ١٢٥ .

بينها وبين ليتما، وإذا سمع فى (إنما) مع ضعف معنى الفعل به فما ظنك بهذه الحروف، لكن الإلغاء أولى بالاتفاق لعدم السماع وفوت الاختصاص بسبب (ما)، وسيبويه يمنع الإعمال في غير ليت.. »[1] أ هـ .

وهذه إحدى الحالتين التى يبطل فيهما عمل(كأن).

و(الحالة الثانية) أن تخفف (كأن):

وإذا خففت جاز إعمالها، إذ بقى لها فى التخفيف معنى التشبيه، وجاز الإبطال، قال الرماني: «فإن خففتها فلك وجهان: الرفع والنصب تقول: كأن زيد أسد وكأن زيداً أسد، وقد أجازوا مررت برجل كأن أسد علي زيادة (أن) كأنه قال: كأسد، وأنشدوا:

حموم الشد شاملة الذنابى وهاديها كأن جذع سموق[2]

أى كجذع سموق. و(أن) زائدة، وأما قول الآخر :

ويوماً ترى فيه بوجه متسم كأن ظبية تعطو إلى وارق السلم[3]

---

(١) شرح الكافية ٣٤٨/٢ وانظر الكتاب ١١٦٧/٣ .

(٢) البيت من الوافر للمفضل النكرى (اللسان: هدى) أو النمرين تولب (أدب الكاتب لابن قتيبة) وقوله (شائلة الذنابى) يعنى أنها ترفع ذنبها فى العدو و(الهادى) العنق لتقدمه، وكل متقدم هاد... » .

انظر معانى الحروف صـ١٢١ واللسان (حمم وهدى) وأدب الكاتب صـ٩٤ - المطبعة العامرة الشرقية والشاهد في (كأن جذع سموق) بزيادة (أن) وجر جذع بالكاف.

(٣) البيت من الطويل لأبن خريم اليشكرى - الكتاب ١٣٤/٢ - واسمه باغت أو باعث، وقيل صاحبه أرقم اليشكرى أو كعب بن أرقم اليشكرى، أو راشد بن سهاب اليشكرى أو علباء بن أرقم اليشكرى أو زيد بن أرقم اليشكرى . ===

فينشد على ثلاثة أوجه: بالرفع والنصب والجر :

فمن رفع جعل ظبية مبتدأ وأضمر الخبر، كأنه قال: كأن ظبية من صفتها كذا وكذا هذه المرأة .

ومن نصب أعمل (كأن) مخففة، كما أنه يعملها مثقلة، وجاز ذلك من قبل أنها إنما عملت لشبهها بالفعل من الوجوه التي تقدم ذكرها قيل، والفعل قد يعمل محذوفاً، وذلك قولهم: لم يك زيد منطلقاً... وقد حكى سيبويه والأخفش ذلك، قال الشاعر:

ووجه مشرق كأن ثدييه حقان[1]

ينشد رفعاً ونصباً .

فمن نصب فعلي أنه أعمل (كأن) مخففة .

=== و(تعطوا) تتناول ولكنه ضمن معنى الميل، و(وارق) مورق، والسلم بفتحتين نوع من الشجر بالبادية ويروى (توافينا) بدل (ترى فيه) .

أنظر المنصف ١٢٨/٣ والإنصاف ٢٠٢ وابن الشجرى ٣/٢ وابن يعيش ٧٢/٨، ٨٣ والخزانة ٣٦٤/٤، ٢٨٩، وهمع الهوامع ١٤٣/١، ١٨/٢ والأشموني ٢٩٣/١، ٣/ ٢٨٦ وشرح التحفة الوردية صـ٣١٢ .

(١) من بحر الهزج ويروى (ونحر) وهو الصدر أو أعلاه أو موضع القلادة منه. و(الحق) بضم الحاء وعاء ذو غطاء ينحت من الخشب والعاج مما يصلح أن ينحت.. وشاهده تحقيق (كأن) مع حذف اسمها. أو زيادة (أن)... انظر الكتاب ١٣٥/٢ وابن الشجرى ١/ ٢٣٧، ٣/٢، ٢٤٣، المنصف ١٢٨/٣ وابن يعيش ٧٢/٨ والخزانة ٣٥٨/٤ والهمع ١٤٣/١ والأشموني ٢٩٣/١ .

ومن رفع فعلى الإبتداء، وفى (كأن) ضمير المجهول، أى كأنه ثدياه حقان» [١] أ. هـ .

قال ابن مالك: «وتخفف (كأن) فتعمل فى اسم كاسم (إن) المخففة المقدر والخبر جملة اسمية أو فعلية مبدوءة ب (لم) أو (قد) أو مفرد وقد برز اسمها فى الشعر» أ. هـ [٢]

والأرجح إبطال عملها إذا خففت، لأنه لم يسمع من النصوص مايؤيد الإعمال إلا وهو محتمل الإبطال ..

---

(١) كتاب معانى الحروف للرمانى تحقيق د/ عبد الفتاح شلبى ط دار نهضة مصر ص١٢٠ - ١٢٢ بتصرف يسير .
وانظر الكتاب ٢/ ٤٨٠ والكامل للمبرد ط المكتبة التجارية ٢/ ١٢ .

(٢) تسهيل الفوائد ص٦٦ .
وانظر شرح الكافية للرضى ٢/ ٣٣٤، ٣٣٥ .

«لكـن»

حرف يفيد الاستدراك، ويتوسط بين كلامين متغايرين، نفياً وإثباتاً، فيستدرك النفى بالإثبات والإثبات بالنفي، كقوله تعالى: «وماكفر سليمان ولكن الشياطين كفرو»[(١)]، وقوله جل ذكره: «ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين)[(٢)].

وقديكون التغاير معنوياً نحو: فارقني زيد لكن عمر حضر .

وهى تعمل عمل (إن) إذا كانت النون مشددة فتنصب الاسم وترفع الخبر..

متى يبطل عملها :

يبطل عمل (لكن) إذا دخلت عليها (ما) الكافة، ولم يسمع إعماله[(٣)].

ويبطل عملها كذلك إذا خففت خلافاً ليونس والأخفش، حيث يجوز عندهما الإعمال مع التخفيف .

وإذا خفضت (لكن) فإما أن تسبقها الواو أو تكون بغير الواو .

فإذا سبقتها الواو كانت ابتدائية باتفاق، كقوله تعالى: «وماظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم»[(٤)]، وقوله جل ذكره: (وماظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين)[(٥)]، وقوله عز وجل: (وماكفر سليمان ولكن الشياطين كفروا)[(٦)] بتخفيف النون[(٧)].

---

(١) البقرة من الآية/ ١٠٢.

(٢) الأحزاب من الآية / ٤٠ .

(٣) الرضى ٤٤٨/٢ .

(٤) هود من الآية / ١٠١ .

(٥) الزخرف من الآية / ٧٦.

(٦) البقرة من الآية / ١٠٢ .

(٧) وهى قراءة ابن عامر وحمزة والكسائى وخلف العاشر .

ويتبين من الأمثلة السابقة أنها تدخل على الجملة الفعلية ذات الفعل التام، أو الناقص، كما تدخل علي الجملة الاسمية .

وقد اتفق النحاة على أنها حرف ابتداء، لأن حرف العطف لايدخل على حرف العطف.[١]

فإذا لم تسبقها الواو فهي حرف ابتداء أيضاً خلافاً للزمخشري، كقوله تعالى: «لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وماأنزل من قبلك..»[٢]، وقول زهير :

إن ابن ورقاء لاتخشى بوادره

لكن وقائعه في الحرب تنتظر[٣]

ولم تعمل (لكن) الابتدائية لدخولها على الجملتين الاسمية والفعلية، وماكان كذلك لايعمل، ولادليل ليونس والأخفش على إعمالها.[٥]

=== انظر تقريب النشر في القراءات العشر لابن الجزري تحقيق الشيخ ابراهيم عطوة عوض - الحلبي سنة ١٣٨١هـ صـ٩٣ والمهذب ١/٦٧ .

(١) انظرابن يعيش ٨/١٠٦ والرضى ١/٣٧٩ ومغني اللبيب ١/٢٢٤ وجواهر الأدب للأرديلي تحقيق د/ حامد نبيل صـ٥٠٤ وهمع الهوامع ١/١٤٣ .

(٢) النساء من الآية / ١٦٢ .

(٣) من البسيط انظر الجنى الداني للمرادي صـ٥٨٩ تحقيق د/ فخر الدين قباوة وآخر ط أولى وثانية .

(٤) انظرابن يعيش ٨/٨٠ والرضى ٢/٣٨٠ والهمع ١/١٤٣ وراجع رسالة الدكتوراة القضايا النحوية والصرفية في بصائر ذوي التمييز للباحث صـ٤٤١ .

(لا) حرف غير مختص، فهو يدخل على الأسماء والأفعال جميعاً، وماكان كذلك لايعمل قياساً، ولكنهم أعملواه فى الأسم إذا كان للنفى، فهو يدخل على الجملة الاسمية فيعمل عمل (إن) ويطلق عليه (لا) النافية للجنس أو عمل (ليس) إذا لم يقصد به نفى الجنس .

وتفصيل ذلك فيما يلى :

(لا) النافية للجنس

وهى التى يقصد بها النفى العام، وتقع جواباً لقول القائل: هل من كذا ؟.

ويقال: (لا) التبرئة[1]

وتعمل (لا) النافية للجنس عمل (إن) لما بينهما من أوجه اتفاق :

أوجه الاتفاق:

تتفق (لا) و(إن) فى عدة أمور منها :

١ - الحرفية .

٢ - التوكيد: فـ (لا) لتوكيد النفى و (إن)لتوكيد الإثبات .

٣ - الاختصاص بالدخول على الجملة الاسمية .

---

(١) انظرالرضى ١/ ٢٥٥، وتذكرة النحاة لأبى حيان الأندلسى تحقيق د/ عفيفى عبد الرحمن ط أولى سنة ١٩٨١م صـ٣٠٠ .

٤ - استحقاق صدر الجملة .

٥ - وقوع كليهما في جواب القسم(١).

أوجه الاختلاف :

ومع الاتفاق في الأوجه السابقة، فإنهما يختلفان في أمور منها :

١ - أن (لا) تختص بالنكرات عند البصريين،(٢)، وخالفهم الكوفيون في ذلك، وذهبوا إلى أنها تعمل في المعرفة أيضاً. واحتجوا بقول عمر بن الخطاب: قضية ولاأبا حسن لها(٣)، ورد عليهم البصريون بأن المراد قضية ولاعالم لها كما قيل: لكل موسى فرعون، فالمراد الجنس وليس العلم، أو بتقدير مضاف نحو: ولامثل أبى حسن لها(٤).

والصواب لهذا - رأى البصريين، لأن العموم لايتصور في المعرفة .

٢ - وأنها لاتعمل عمل (إن) إلا بشروط - ستأتى - بخلاف (إن) .

٣ - وأن (لا) قد تلغى في الكلام بخلاف (إن)(٥).

---

(١) انظر الكتاب ٢/٢٧٤ والمقتضب ٤/٣٥٧ وابن الناظم على الألفية صـ١٨٥ وشرح التحفة الوردية صـ٥٠، صـ٥١ وجواهر الأدب صـ٢٨٦ .

(٢) انظر الكتاب ٢/٧٤، والمقتضب ٤/٣٦٠، ٣٦٢ واللمع صـ١٢٧ .

(٣) انظر الكتاب ١/٢٦٧ والمقتضب ٤/٣٦٢ وهمع الهوامع ١/١٤٤ وشرح الأشموني ٢/٤ وشرح الجزء الرابع من السيرافي على الكتاب تحقيق د/ سيد جلال ص١ - رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية اللغة العربية بالقاهرة .

(٤) انظر الكتاب ٢/٢٦٧ والمقتضب ٤/٣٦٢ وارتشاف الضرب ٢/١٧١ وهمع الهوامع ١/١٤٥.

(٥) انظر شرح الألفية لابن الناظم صـ١٨٥ والجامع الصغير في النحو لابن هشام تحقيق د/ أحمدالهرميل ط/ ١٤٠٠هـ صـ٦٩ وارتشاف الضرب ٢/١٦٤ وجواهر الأدب صـ٢٨٧ وهمع الهوامع ١/١٤٩ .

شروط عملها :

سبق القول بأن (لا) النافية لاتعمل عمل (إن) إلا بشروط، وهذه الشروط هى:

١ - أن يكون اسمها نكرة، وهذا رأى البصريين وسبق ترجيحه .

٢ - أن يتصل بها اسمها مطلقاً، لأنهم جعلوا (لا) ومابعدها بمنزلة خمسة عشر، فيقبح الفصل بينهما (١).

٣ - ألا يسبقها حرف جر، فإن سبقت بحرف جر كانت نافية، والاسم بعدها مجرور بالحرف السابق عليها نحو: العمل بلا رياء مقبول عند الله فإذا فقد الشرطان الأول والثانى ألغيت ووجب تكرارها ، كقوله تعالى: «لاالشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولاالليل سابق النهار» (٢) وكقوله جل ذكره: «لافيها غول ولاهم عنها ينزفون» (٣).

متى يبطل عملها ؟

يتبين مما سبق أن (لا) النافية للجنس تعمل بشروط، فإذا نقد شرط من هذه الشروط ألغى عملها .

فإذا كان بعدها معرفة أبطل عملها، وقد سبق ترجيح رأى البصريين على رأى الكوفيين - الذين يجيزون إعمالها في المعرفة - فى ذلك . ووجب تكرارها كما مثلت، وتقول: لاالمال باق ولاالأهل .

---

(١) انظرالكتاب ٢٧٦/٢ والمقتضب ٢٦١/٤ وارتشاف الضرب ١٦٢/٢ والأشمونى ٤/٢.

(٢) يس من الآية / ٤٠ .

(٣) الصافات/ ٤٧ .

وإذا فصل بينهما وبين اسمها بطل عملها أيضاً، ووجب تكرارها، وقد سبق بيان ذلك. وتعليله .

كما يبطل عملها إذا سبقت بحرف جر، ويكون مابعدها مجروراً بحرف الجر السابق وإذا استوفت (لا) الشروط وكررت جاز الإعمال والإبطال كقوله تعالى: (يتنازعون فيها كأساً لالغو فيه ولاتأثيم»[1]، قرئ بنصب (لغو) و(أثيم) بدون تنوين على الإعمال، ورفعهما مع التنوين على الإبطال[2]، وقال سبحانه: «فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولافسوق ولاجدال في الحج»[3] قرئ (لارفث ولافسوق) بالبناء على الفتح وبالرفع[4] فدل ذلك على جواز الإعمال والإبطال .

ويبطل عملها أيضاً إذا لم يقصد بها النفى العام .

(لا) العاملة عمل (ليس)

إذا لم يقصد بـ (لا) نفى الجنس رفع الاسم بعدها ونصب الخبر وهذا العمل خاص بالحجازيين، لأن الخبر يظهر عندهم، أما بنو تميم فلا تعمل عندهم[5].

---

(١) الطور/ ٢٢ .

(٢) الحجة لابن خالوية تحقيق د/ عبد العال سلم مكرم صـ٣٣٤ - دار الشروق سنة ١٣٩٧هـ.

(٣) البقرة من الآية/ ١٩٧.

(٤) الحجة لابن خالوية صـ٩٤ وللفارسى ٢/ ١٨ بتحقيق أ/ على النجدى ناصف وزميليه - ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٤٠٣ هـ.

(٥) انظر شرح المفصل ١/ ١٠٥ وشرح الأشمونى ١/ ٢٥٣ .

وعمل (لا) عمل (ليس) قليل .

قال سيبويه: «وقد جعلت - وليس ذلك بالأكثر - بمنزلة (ليس)، وإن جعلتها بمنزلة (ليس) كانت حالها كحال (لا) فى أنها فى موضع ابتداء، وأنها لاتعمل فى معرف»[1] أ. هـ .

ويشترط لعملها عمل (ليس) شروط :

أحدها: أن يكون اسمها وخبرها نكرتين، كقوله تعالى: (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون»[2] - وقال النابغة الجعدى:

تعز فلا شئ على الأرض باقيا ولاوزر مما قضى الله واقيا[3]

الثانى: أن يقصد نفى الوحدة لانفي الجنس، فإن قصد نفى الجنس عملت عمل (إن) كما سبق بيانه .

الثالث: أن يتصل بها اسمها .

الرابع: ألا ينتقص نفيها بإلا[4].

---

(١) الكتاب ١/٢٩٦.

(٢) الأحقاف/ ١٣ .

(٣) البيت من الطويل - انظر الجامع الصغير صـ٥٨ وشرح الأشمونى ١/ ٢٥٣ .

(٤) انظر المقتضب ٤/٣٨٢ وابن يعيش ١/١٠٩ وجواهر الأدب صـ٣٠٣ والجامع الصغير جـ٥٧ ، صـ٥٨ وارتشاف الضرب ٢/ ١١٠ والأشمونى ١/٣٥٣، ٣٥٤ .

متى يبطل عملها :

يبطل عمل (لا) هذه إذا تخلف شرط من الشروط السابقة، خلافاً لابن الشجرى، حيث ذكر أنها تعمل فى المعرفة أيضاً، واستدل بقول النابغة الجعدى:

وحلت سواد القلب لاأنا باغيا سواها ولاعن حبها متراخيا (١)

ولاحجة فيه، فإنه يمكن تخريجه على أن يكون (أنا) مبتدأ، أو فاعلاً لفعل محذوف أو اسماً (لكان) محذوفه(٢).

(ما) الحجازية

(ما) النافية حرف غير مختص، فهى تدخل على الجملتين الاسمية والفعلية، وماكان كذلك شأنه الإهمال، لاالإعمال .

وإنما تعمل (ما) النافية عمل (ليس) عند الحجازيين، ولهذا قيدت بالحجازية، وبنو تميم يهملونها (٣).

وعلى لهجة أهل الحجاز نزل القرآن الكريم، قال تعالى: «قلن حاش لله ماهذا بشرا »(٤) وقال جل ذكره: (ماهن أمهاتهم) (٥).

---

(١) من الطويل - انظر الأشمونى ٦/٢٥٣ وحاشية الصبان .

(٢) انظر السابق .

(٣) انظرالمقتضب ٤/١٨٨ ومعانى القرآن للفراء ط دار الكتب ٢/٤ والخصائص ٢/٢٦٠ وهمع الهوامع ١/١٣٣.

(٤) يوسف من / ٣١ .

(٥) المجادلة من/ ٢ .

شروط عملها :

تعمل (ما) النافية عمل (ليس) عند أهل الحجاز بشروط أهمها :

الأول: ألا يتنقض نفيها بـ (إلا) .

الثانى: ألا تزاد (إن) بعدها .

الثالث: أن يتأخر خبرها [١].

فإذا استوفت هذه الشروط عملت كما فى الآيتين السابقتين، وكقوله تعالى: «فما منكم من أحد عنه حاجزين» [٢]

«الظاهر أن (حاجزين) خبر (ما) لأنه محط الفائدة، وذهب بعضهم إلى أن (حاجزين) نعت والخبر (منكم) [٣].

وعليه يكون الفعل (ينطقون) في قوله تعالى: (لقد علمت ماهؤلاء ينطقون) [٤] فى محل نصب بـ (لا)، ومثله (يريد) فى قوله تعالى : (وماالله يريد ظلماً للعباد) [٥] .

---

(١) انظر الكتاب ١/٥٩، ٣/٥٣، - المقتضب ١/٥١، ٢/٣٦٤ والخصائص ٢/٢٦٢ وتسهيل الفوائد صـ٥٦ وابن يعيش ٨/٧٠ ومغنى اللبيب ٢/٦ وإرتشاف الضرب ٢/١٠٣ والتصريح للشيخ خالد الأزهرى ط١ دار إحياء الكتب العلمية ١/١٦٧، وهمع الهوامع ١/١٣٣ وشرح الأشمونى ١/٢٤٧ .

(٢) القلم من / ٤٧ .

(٣) انظر معانى القرآن للفراء ٣/١٨٣ وإملاء مامن به الرحمن ٢/١٤٢ والبيان ٢/٤٥٨/٤٥٩ والرضى ١/١٤٧ والبحر المحيط ٨/٣٢٩ - ٣٣٠ ودراسات القرآن الكريم القسم الأول ٣/١١٢ .

(٤) الأنبياء من / ٦٥ .

(٥) غافر/ ٣١ .

متى يبطل عمل (ما)؟

يبطل عما (ما) إذا فقدت شرطاً من الشروط المذكورة سابقاً .

قال المبرد: «وأهل الحجاز إذا أدخلوا عليها مايوجبها، أو قدموا خبرها علي اسمها ردوها إلى أصلها، فقالوا: مازيد إلا منطلق، ومامنطلق زيد، لأنها حرف لايتصرف تصرف الأفعال، فلم يقو على نقض النفى،كما لم يقو علي تقديم الخبر، وذلك لما خبرتك به في الأفعال والحروف، وأن الشئ إنما يتصرف عمله كما يتصرف هو فى نفسه، فإذا لزم طريقة واحدة لزم مايعمل فيه طريقة واحدة» أ هـ.(١)

وجوز بعضهم النصب مع (إلا)مطلقاً، محتجاً بقول الشاعر :

ومالدهر إلا منجنوناً بأهله وماصاحب الحاجات إلا معذبا(٢)

حيث نصب (منجبونا) و(معذباً) بـ (ما) فى رأيه .

وردعليه :

- بأن التقدير: مالدهر إلا يشبه منجنونا، وماصاحب الحاجات إلا يشبه معذباً فهما مفعولان بالفعل الواقع خبراً.. و(معذب) على هذا الوجه اسم مفعول .

- وقيل: يجوز أن يكون (منجنون) منصوباً على الحال والخبر محذوف، أى ومالدهر موجوداً إلا مثل المنجنون لايستقر فى حاله، فتكون (ما)عاملة قبل انتقاص نفيها، ومثله (معذباً) أى وماصاحب الحاجات موجوداً إلا معذباً .

---

(١) المقتضب ١٨٩/٤ وانظر الكتاب ٥٨/١.

(٢) من الطويل. انظر همع الهوامع ١٢٣/١ والدرر اللوامع ٩٤/١ للشنقيطى ط دار المعرفة . ط دارا لمعرفة .

- وقيل: لايحتج به لأنه مجهول، نسبه ابن جنى لبعض العرب[١].

- ويبطل عمل (ما) هذه إذا أبدل من خبرها بمنتقضى بإلا نحو: مازيد شئ إلا شئ لايعبأ به، لاتحاد حكم البدل والمبدل منه[٢].

ومما جاءت فيه (ما) ملغاة قوله تعالى: (ماعلى الرسول إلا البلاغ)[٣]

وقوله جل ذكره: «ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور»[٤]

ولاحجة فى قول الفرزدق:

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم   إذ هم قريش وإذ مامثلهم بشر[٥]

بنصب (مثل) - فى الظاهر - خبراً لـ (ما) ففيه ثلاثة أقوال:

(أحدها) أنه شاذ لايقاس عليه.

و(الثانى) أن الفرزدق - وهو تميمى - أراد أن يستعمل لغة أهل الحجاز فغلط، حيث ظن أنهم يعملون (ما) مع تقديم الخبر، كما يعملونها مع تأخيره - أى أن ذلك صنعة لاسليقة.

و(الثالث) أن (بشرا) مرفوع بالابتداء وخبره محذوف والمعنى: إذ مافى الأرض مثلهم بشر ونصب (مثلهم) على الحال، وكان قبل ذلك وصفاً لبشر، فلما تقدم نصب... وهذا أجود ماقيل..[٦]

---

(١) المصدران السابقان.

(٢) همع الهوامع ١/١٢٣.

(٣) المائدة من / ٩٩.

(٤) النور من / ٤٠.

(٥) من البسيط - الكتاب ١/ ٦٠ ومعانى الحروف للرمانى ص٨٨ وهو من قصيدة يمدح بها عمر بن عبد العزيز: «أعاد الله لقريش ماكانوا فيه من الخير حين كان جده مروان والياً عليهم».
استشهد به على تقديم خبر (ما) منصوباً والفرزدق تميمى يرفعه مؤخراً فكيف إذا تقدم.

(٦) انظرالسابق وشواهد الشعر فى كتاب سيبويه ص٣٩٣.

«إذن»

تأتى (إذن) على ثلاثة أحوال:

(الحالة الأولى): يجب النصب بها إذا دخلت علي الفعل المضارع بثلاثة شروط:

١ - أن يكون الفعل مستقبلاً .

٢ - أن تكون مصدرة لامتأخرة ولاحشواً .

٣ - أن لايفصل بينها وبين الفعل بغير القسم باتفاق وبغيره عند بعضهم، نحو: أنا أزورك إذن أكرمك .

(الحالة الثانية): أن تقع (إذن) بعد واو العطف، أو فاء العطف، وفي هذه الحالة يجوز إعمالها وإلغاؤها، والغالب الإلغاء.. وذلك أنك إن عطفت «وإذن يذهب» فى قولك: (زيد يقوم وإذن يذهب) على (يقوم) الذى هو الخبر ألغيت (إذن) من العمل وصارت بمنزلة الخبر، فكأنك قلت: زيد إذن يذهب فتكون (إذن) واقعة حشواً، ويكون مابعدها معتمداً على ماقبلها، فتفقد شرط الصدارة. وإن عطفت علي الجملة الأولى كانت كالمستأنفة وصارت فى حكم المصدرة، فأعملت لذلك ونصبت .

(الحالة الثالثة): أن تقع إذن متوسطة فيعتمد مابعدها علي ماقبلها كقولك: أنا أزورك أنا إذن أكرمك فترفع (أكرمك) لأن (أكرمك) خبر (أنا) .

وكقولك: إن تكرمنى إذن أكرمك فتجزم لأن الفعل بعد إذن يعتمد على حرف الشرط[1].

---

(١) انظر المقتضب ٢/١١-١٢ وابن يعيش ١٦/٧ والأشمونى ٣/٢٨٧ - ٢٩٠ وحصر وتوجيه القراءات فى شرح المفصل للباحث صـ١١١ .

ومن ذلك قوله تعالى: (فإذا لايفرتون الناس نقيراً)[١]، وقوله جل ذكره «وإذا لايلبثون خلافك إلا قليلاً)[٢].

القراءتان بالرفع وقرئ في الشواذ بنصب المضارع فيهما، على جواز الإعمال والإلغاء. قال الزمخشري:

«فإن قلت: ماوجه القراءتين؟ قلت: أما الشائعة فقد عطف فيها الفعل على الفعل وهو مرفوع لوقوعه خبر كاد .. وأما قراءة أبى ففيها الجملة برأسها التي هي (إذن لايلبثوا) عطف على جملة (وإن كانوا ليستفزونك) أهـ[٣].

ومن هذا العرض يتبين أن (إذن) تلغى إذا فقدت شرطاً من الشروط السابقة وأن إعمالها يقوم على اعتبار استيفاء الشروط .

---

(١) النساء من / ٥٣ .

(٢) الإسراء من / ٧٦.

(٣) الكشاف ٣/١٧١ وانظر البحر ٦/٦٦ ودراسات لأسلوب القرآن الكريم القسم الأول ١/٦٠٥ والسابق صـ١١٢ .

وراجع أيضاً شرح الكافية الشافية لابن مالك ٢/٢٤٤ ويس على الألفية ٢/٢٣٧ على شرح التصريح

أفعال الشك واليقين: ظن وأخواتها

وتسمى أفعال القلوب، لأن الشك واليقين محلهم القلب .

وهى سبعة أفعال: ظن وحسب وخال وتفيد الظن، ورأى وعلم ووجد وتعتبر اليقين، وزعم وهى للظن تارة وللعلم أخرى .

وتدخل هذه الأفعال على اسمين ثانيهما عبارة عن الاسم الأول، يعنى أن الثانى محمول علي الاسم الأول، لأنك إذا قلت: علمت زيداً فاضلاً، فالفضل يكون محمولاً علي زيد، حيث يقال زيد فاضل، ولهذا قالوا: هذه الأفعال تتعدى إلى مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر، بخلاف: أعطيت زيداً درهماً، فلا يقال: زيد درهم .

وإذا دخلت على الاسمين نصبتهما جميعاً، قال تعالى: «وماتقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً»(١).

متى يبطل عمل هذه الأفعال؟

يبطل عمل هذه الأفعال، ويطلق على هذا الإبطال التعليق تارة والإلغاء أخرى: وفيما يلى بيان ذلك :

التعليق: إبطال العمل لفظاً لامعنى لمانع، وهو لازم إذا وجد المانع والمعلقات هى:

---

(١) المزمل من الآية/ ٢٠ وانظر: الكتاب ١/ ١٢٠ والأصول لابن السراج ١/ ٢١٩ بتحقيق عبد الحسين الفتلي - بغداد سنة ١٩٧٣م والإيضاح للفارسى ١٣٤-١٣٦ وشرح عمدة الحافظ صـ١٤٤ وتسهيل الفوائد صـ٧١ وابن يعيش ٧/ ٨٤ والرضى ٢/ ٢٨٠ والعوامل المائة النحوية بشرح الأزهرى صـ٣٠١ وشرح التحفة الوردية صـ٨٦ .

١ - الاستفهام: كقوله تعالى: (لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً)[١] وقوله جل ذكره: (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون)[٢]، فأى مفعول مطلق وليست مفعولاً به للفعل (يعلم)[٣].

٢ - (ما) النافية كقوله تعالى: (قالوا لقد علمت ماهؤلاء ينطقون)[٤]

٣ - (إن) النافية كقوله سبحانه: (وتظنون إن لبثتم إلا قليلا)[٥]

٤ - (لا) النافية نحو: حسبت لايقوم زيد[٦].

٥ - لام الابتداء والقسم كقوله تعالى: (ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق)[٧].

قال ابن مالك:

.... والتزم التعليق قبل نفى (ما)

و(إن) و(لا) لام ابتدا وتسم كذا والاستفهام ذاله انحتم[٨]

ووجه التعليق فى هذه الأفعال بعد وقوعها قبل همزة الاستفهام وحرف النفي ولام الابتداء أن هذه الحروف تقع فى صدر الجملة وضعا فاقتضى بقاء

---

(١) الكهف من / ١٢ .

(٢) الشعراء الآية الأخيرة .

(٣) شرح التصريح ٢٥٦/١ .

(٤) الأنبياء من / ٦٥ .

(٥) الإسراء من / ٥٢ .

(٦) الأصول لابن السراج ١/ ٢٢٠ والتحفة الوردية صـ٩٥ .

(٧) البقرة من / ١٠٢ .

(٨) شرح التصريح ٢٥٦/١ وانظر شرح عمدة الحاظ صـ٧٠ وشرح التحفة الوردية ٩٤، ص٩٥ .

صورة الجملة، وهذه الأفعال توجب تغييرها بنصب جزءيها فوجب التوفيق باعتبارين:

أحدهما: لفظاً والآخر معنى .

فمن حيث اللفظ روعى الاستفهام والنفي ولام الابتداء .

ومن حيث المعنى روعيت هذه الأفعال .

والتعليق مأخوذ من قولهم: امرأة معلقة أى مفقودة الزوج وتكون كالشئ المعلق لامع زوج لفقدانه ولابلا زوج لتجويزها وجوده، فلا تقدر على الزواج، فالفعل المعلق ممنوع من العمل لفظاً، عامل: معنى وتقدير لأن معنى علمت لزيد قائم علمت قيام زيد، كما كان كذلك عند انتصاب الجزءين ومن ثم جاز عطف الجملة المنصوب جزءاها علي الجملة التعليقية نحو: علمت لزيد قائم وبكر قاعداً[١].

والإلغاء: ترك العمل لفظاً ومعنى اختياراً لغير مانع، وإنما لضعف العامل يتوسطه بين المبتدأ والخبر أو تأخره عنهما .

فإذا توسط الفعل بين المبتدأ والخبر جاز الإعمال والإبطال، نحو: زيداً ظننت فاضلاً، ويجوز زيد ظننت فاضل، قال اللعين المنقرى يهجو رؤية أو العجاج :

أبالأراجيز يابن اللؤم توعدنى
وفى الأراجيز خلت اللؤم والخور[٢]

---

(١) العوامل المائة النحوية صـ٣٠٧ وانظر الرضى ٢/٣٧٩، ٣٨٠ واللسان (ع ل ق).

(٢) من البسيط، وهذه رواية الكتاب ١/ ١٢٠ وفي الهامش:

ذكر العينى إنه كلمة اللعين لامية وأن عجز البيت: اللؤم والفشل وصححه الشنقيطى تبعاً للسيوطى فى الهمع ١/١٥٣ .

قال سيبويه: أنشدناه يونس مرفوعاً عنهم» .

قال الرضى: «وإذا توسط الفعل بين المبتدأ والخبر جاز الإلغاء بلا قبح ولاضعف وكذا جاز الإعمال متساويان، وذلك لأن الرفع القوى أى فعل القلب تقدم على أحدهما وتأخر عن الآخر» أ. هـ(١).

وإذا تأخر العامل ألغى بلا قبح لضعفه بالتأخر ومنه قول أبى أسيده الدبيرى:

هما سيدانا يزعمان وإنمـــا يسودانا إن يسرت غنماهما(٢)

وقول الآخر :

آت الموت تعلمون فلا يـــر هبكم من لظى الحروب اضطرام(٣)

فإذا تقدم الفعل علي المبتدأ والخبر قبح الإلغاء.. ومنعه البصريون، وأجازه الكوفيون والأخفش وأبو بكر الزبيدى، والإعمال عندهم أرجح .

وأجازه ابن مالك على قلة: «واستشهد الكوفيون ومن تبعهم على الإلغاء مع تقدم العامل بقول الشاعر :

=== وفى البيت إخواء لأن الروى مخفوض وهنا مرفوع ويروى: رأس اللؤم والفشل فلا إقواء ولاشاهد فيه على هذه الرواية.

انظر شرح التصريح ١/٢٥٣ وشرح التحفة الوردية صـ٩٣ والدرر اللوامع ١/١٣٥ .

(١) الرضى ٢/٢٨٠ وانظر شرح التصريح ١/٢٥٤ .

(٢) من الطويل:

انظر همع الهوامع ١/١٥٣ وشرح التصريح ١/٢٥٤ والدرر اللوامع ١/١٣٥ .

(٣) من البسيط:

انظر ابن النظم صـ٢٠٣ تحقيق د/ عبد الحميد السيد دار الجيل سنة ١٩٧٤ والأشمونى ٢/٢٨ وشرح التحفة الوردية صـ٩٤ .

كذاك أديت حتى صار من خلقى

إنى رأيت ملاك الشيمة الأدب[١]

برفع ملاك والأدب .

قال الرضى: «إنما جاز ذلك مع ضعفه لأن أفعال القلوب ضعيفة، إذ ليس تأثيرها بظاهر كالعلاج وأيضاً معمولها فى الحقيقة مضمون الجملة الاسمية .

وسيبويه لايحمل ذلك على الإلغاء بل علي التعليق، ويقول اللام مقدرة، حذفت ضرورة، وقال بعضهم: ضمير الشأن مقدر، بعد الفعل، وهذا أقرب لثبوت ذلك ضرورة فى غير ذلك من نواسخ الابتداء كقول الأخطل:

إن من يدخل الكنيسة يوماً   يلق فيها جآذرا وظباء

فعلى هذا الفعل عامل لاملغى ولامعلق» أ. هـ[٢]

ويروى العينى البيت والذى قبله منسوباً لبعض الفزاريين :

أكنيه حين أناديه لأكرمه   ولاألقيه والسوءة اللقبا

كذاك أديت حتى صار من خلقى   أنى وجدت ملاك الشيمة الأدبا

- بنصب الروى- وهذه الرواية لاتحتاج إلى توجيه، لأنها جاءت على الإعمال[٣]. ومثله قول كعب بن زهير:

---

(١) البيت من البسيط انظر الرضى ٢/ ٢٨٠ والدرر ١/ ١٣٥ .

(٢) السابق وانظرالكتاب ١/ ١٢٠ وتسهيل الفوائد صـ٧ والأشمونى ٢/ ٢٨. والتصريح ١/ ٢٥٨ والهمع ١/ ١٥٣ والدرر ١/ ١٣٥ .

(٣) انظرالدرر اللوامع ١/ ١٣٥ .

أرجو وآمل أن تدنو مودتها وماإخال لدينا منك تنويل[1]

وهو شاهد للكوفيين ومن تبعهم، وفيه توجيه البصريين للبيت السابق وأرى أن رأي البصريين أولى بالقبول لإمكان تخريج الوارد من شواهد الكوفيين وبهذا يتبين أن أفعال القلوب يبطل عملها إذا تأخرت بلا قبح ويستوى الإعمال والإبطال إذا توسطت ويمتنع أو يقبح الإبطال إذا تقدمت .

---

(١) البيت من البسيط :

انظر الدرر ٢/ ٢٨٠ وشرح التحفة الوردية ص٩ والهمع ١٥٣/١ ، والدرر اللوامع ١/ ١٣٥ وديوان كعب صـ٩ شرح السكرى دار الكتب سنة ١٣٦٨هـ.

اسم الفاعل

اسم الفاعل هو الصفة الدالة على فاعل جارية فى التذكير والتأنيث على المضارع من أفعالها لمعناه أو معنى الماضى[١].

وهو من الفعل الثلاثى على وزن فاعل مثل يكتب الكاتب وتقرأ القارئة:

ومن غير الثلاثى على وزن مضارعه مع إبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة وكسر ماقبل الآخر مثل: ينتظر المنتظرون ويفكر المفكرون[٢].

عمله: يعمل اسم الفاعل عمل فعله، فينصب المفعول به إذا كان فعله متعدياً، ويقف عند الفاعل إذا كان من فعل لازم .

أحواله: يكون اسم الفاعل مقترناً بالألف واللام الموصولة، فيعمل مطلقاً دون شروط، كقوله تعالى: «لكن الراسخون فى العلم منهم والموقنون يؤمنون بما أنزل إليك وماأنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤمنون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجراً عظيماً»[٣].

فاسم الفاعل (الراسخون) رفع فاعلاً مضمراً ولم ينصب مفعولاً به لأنه من فعل لازم وكذلك اسم الفاعل (المؤمنون) .

واسم الفاعل (المقيمين) نصب مفعولاً به هو (الصلاة) لأنه من فعل متعد هو (أقام)، واسم الفاعل (المؤتون) نصب مفعولين،أحدهما مقدروالثانى (الزكاة) لأنه من فعل متعد لاثنين وهو (آتى) بمعنى أعطى، قال ابن مالك:

---

(١) شرح الأشمونى ٢/٢٩٢، وانظر شرح المفصل لابن يعيش ٦/٦٨ وشرح الكافية للرضى ٢/١٩٨.

(٢) انظر السابق .

(٣) النساء من / ١٦٢.

وإن يكن صلة (ال) ففى المضىّ   وغيره إعماله قد ارتضى[1]

- فإذا كان مجرداً من (ال) عمل بشرطين:

أحدهما: أن يكون للحال أو الاستقبال، لأنه لامضارعة بين اسم الفاعل والفعل الماضى .

والثانى: أن يعتمد على استفهام ظاهر أو مقدر، فالظاهر نحو: أضارب زيد عمراً؟

والمقدر نحو: مهين زيد عمراً أم مكرمه ؟

أو علي حرف نداء نحو: ياطالعاً جبلاً، وقيل: إنه معتمد علي موصوف والتقدير: يارجلا طالعا جبلاً .

أو علي نفي نحو: ماضارب زيد عمراً .

أو كان صفة - أى معتمداً على موصوف - نحو: مررت برجل قائد بعيراً .

ومنه الحال نحو: جاء زيد راكباً فرساً .

أو كان مسنداً لمبتدأ أو لما أصله المبتدأ نحو: زيد مكرم عمراً وإن زيداً مكرم عمراً، قال ابن مالك:

كفعله اسم فاعل فى العمل   إن كان عن مضيه بمعزل

وولي استفهاماً أو حرف نداء   أو نفيا أو جا صفة أو مسندا[2]

ومن شروطه: ألا يوصف وألا يصغر، لأن التصغير والوصف يخرجانه عن وقوعه موقع الفعل ولايمكن تأويل المصدر والوصف بخلاف التثنية والجمع[3] .

---

(١) شرح التصريح ٦٥/٢ وانظر الرضى ٢٠١/٢ وشرح الأشمونى ٢٩٩/٢ .

(٢) شرح الأشمونى ٢٩٢/٢ - ٢٩٣ وانظر الرضى ١٩٩/٢، ٢٠٠ وابن يعيش ٧٨/٦ والتصريح ١٥/٢-٦٧.

(٣) شرح الأشمونى ٢٩٣/٢ والتصريح ١٧/٢ والرضى ٢٠٣/٢ .

متى يبطل عمل اسم الفاعل:

يبطل عمل اسم الفاعل إذا تخلف شرط مما سبق:

- فيبطل إذا كان بمعنى المضى - مالم يكن مقترناً بالألف واللام - كما سبق - خلافاً للكسائى، حيث ذهب إلى أنه يعمل، واحتج بقوله تعالى: (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) (١).

بدليل أنه قال (ونقلبهم) ولم يقل (وقلبناهم) .

كما احتج بقوله تعالى: (وجاعل الليل سكنا) (٢)

ورده السيرافى بأن الأجود ههنا أن يقال إنما نصب اسم الفاعل المفعول الثانى، ضرورة، حيث لم يمكن الإضافة إليه، لأنه أضيف إلى المفعول الأول، فاكتفى فى الإعمال بما فى اسم الفاعل بمعنى الماضى من معنى الفعل ولهذا لم يوجد عاملاً فى المفعول الأول فى موضع من المواضع مع كثرة وروده فى الكلام (٣).

ويجوز أن يكون على حكاية الحال لأنه جعل الليل ساكنا يحدث فى كل يوم (٤).

ومعنى حكاية الحال أن تقدر نفسك موجوداً فى ذلك الزمان أو تقدر ذلك الزمان موجوداً الآن، ولايريدون به أن اللفظ الذى فى ذلك الزمان محكى الآن على ماتلفظ به، بل المقصود بحكاية الحال المعانى الكائنة حينئذ لاالألفاظ. (٥)

---

(١) الكهف من /١٨ .

(٢) الأنعام من /٩٦ .

(٣) الرضى ٢/٢٠٠ وابن يعيش ٦/٧٧ والأشمونى ١/٤٩٣، ٤٩٤ والتصريح ٢/٦٦ .

(٤) ابن يعيش ٦/٧٨ .

(٥) الرضى ٢/٢٠١ .

ويبطل عمله أيضاً إذا لم يعتمد على شئ مما ذكر .

ومما ينبغي أن يعلم أنه يجوز أن يعتمد على مقدر - كما سبق ، ومنه قول الأعشى:

كناطح صخرة يوماً ليوهنهـــا فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل[1]

فنصب (صخرة) باسم الفاعل (ناطح) لاعتماده على موصوف مقدر والتقدير: كوعل ناطح بدليل (الوعل)آخر البيت.قال ابن مالك:

وقد يكون نعت محذوف عرف فيستحق العمل الذى وصـــف

وذهب الأخفش والكوفيون إلى أنه يجوز إعماله وإن لم يعتمد على شئ مستدلين بقول الشاعر:

خبير بنو لهب فلاتك للغيـا مقالة لهبى إذا الطير مـرت[2]

وأجيب بأنه (خبير) خبر مقدم لقولة (بنو لهب) [3]

ويبطل عمله إذا كان مصغراً، لأنه التصغير يقربه من الاسم، فهو من خصائص الأسماء، ولاحجة فى قولهم: أظننى مرتحلاً وسويراً فرسخاً، لأنه فرسخاً ظرف يكتفى برائحة الفعل، يدل عمل اسم الفاعل بمعنى الماضى فيه[4].

---

(١) البيت من الوافر: انظر ديوانه واللسان وعل .

(٢) من اطلويل انظر شرح الفعل ٦/٧٩ وشرح التصريح ٢/٦٦ والأشمونى ٢/٢٩٤ .

(٣) انظر المصادر السابقة.

(٤) انظر المصادر السابقة .

- ويبطل العمل إذا كان اسم الفاعل موصوفاً، لأن الصفة تختص بالاسم فيبعده الوصف عن الفعلية، ولاحجة لإعمال اسم الفاعل الموصوف فى قول بشر بن أبى حازم:

إذا فاقد خطباء فرضين رجعت

ذكرت سليمى فى الخليط المزايل[١]

لأنه (فرضين) منصوب بفعل مضمر يفسره (فاقد) والتقدير: فقدت فرضين لأنه (فاقداً) ليس جارياً على فعله فى التأنيث فلا يعمل، وأجازه الكسائى من الكوفيين .

(١) البيت من الطويل انظر المصادر السابقة .

صيغ المبالغة

تعامل صيغ المبالغة - وأشهرها فعال ومفعال وفعول وفعيل وفعل - معاملة اسم الفاعل وإن لم تجر على الفعل المضارع وفى الحركات والسكنات، فهى محمولة فى أعمالها على اسم الفاعل، لاعلى فعله، ويشترط فى عملهاه مايشترط فى عمل اسم الفاعل.

قال ابن مالك:

فعال أو مفعال أو فعول ... فى كثرة عن فاعل بديل
فيستحق ماله من عمل ... وفى فعيل قل ذا أو فعل[1]

(١) شرح التصريح ٢/٦٧ والأشمونى ٢/٢٩٦ وانظر تسهيل الفوائد ص١٣٦ .

اسم المفعول

وهو اسم مشتق من فعل موضوع لمن وقع عليه الفعل وهو من الثلاثى المجرد على وزن مفعول، كمنصور، ومن غير الثلاثى على وزن المضارع مع إبدال حرف المضارعة ميما مضمومة وفتح ماقبل الآخر، فتقول في اسم المفعول من انتظر: منتظر ومن أكرم: مكرم .

عمله: يعمل اسم المفعول عمل فعله، إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال معتمداً على واحد من الأشياء الستة التالية :

- المبتدأ نحو: زيد مكرم أصحابه .
- الموصول نحو: جاء المقدر سعيه .
- الموصوف نحو: جاء رجل مقبول حضوره .
- صاحب الحال نحو: جاء زيد مرضياً فعله .
- همزة الاستفهام نحو: أمكرم أخوك ؟
- النفى نحو: مامهان أخوك ؟

وفى هذه الأمثلة رفع نائب الفاعل .

فإذا كان من فعل متعد لاثنين نصب مفعولاً بعد رفع نائب فاعل نحو زيد معطى أخوه كتاباً .

وإذا كان متعدياً لثلاثة مفاعيل نصب مفعولين بعد رفع نائب الفاعل، نحو: زيد معلم أخوه خالداً، منطلقاً[١]:

---

(١) العوامل المائة النحوية للجرجانى بشرح الأزهرى صـ٣٢٣، ص٣٢٤ .

قال ابن مالك:

وكل ماقرر لاسم الفاعل　　　يعطى اسم مفعول بلا تفاضل

فهو كفعل صيغ للمفعول في　　　معناه كالمعطى كفافا يكتفى

وقد يضاف إلى اسم مرتفع　　　كمحمود المقاصد الورع[١]

متى يبطل عمله: فهم مما سبق أن اسم المفعول يبطل عمله إذا كان بمعنى الماضي غير مقترن بالألف واللام أو كان غير معتمد على شئ مما ذكر أو كان موصوفاً أو مصغراً .

---

(١) انظر الرضى ٢٠٣ وابن يعيش ٦/ ٨٠ - ٨١ والأشموني ٢/ ٣٠١-٣٠٢ وشرح التصريح ٢/ ٧١-٧٢ .

نتائج البحث

هذا بحث فى قضية من قضايا النحو هى: (إبطال العامل وإلغاؤه)، وهو بحث يقوم على الاستقراء والإحصاء والحصر .

وهو جامع للعوامل النحوية التى تعمل فى غيرها عند العرب جميعاً أو عند بعضهم، والتى يقع عليها الإبطال فى بعض الأحيان...

وهو مانع لغير هذه العوامل التى ليست على الهيئة المبينة ...

وقد تحقق من هذه الدراسة النتائج التالية :

أولاً: تبين أن عدداً غير قليل من الأدوات العاملة يتعرض للإبطال، وهذه الأدوات هى: إن وكأن ولكن و(لا) التى لنفس الجنس، و(لا) العاملة عمل (ليس) و(ما) الحجازية وإذن وأفعال الشك واليقين واسم الفاعل واسم المفعول وصيغ المبالغة .

ثانياً: يتبين أن العوامل التى يقع عليها الإبطال قد تكون حرفاً مثل إن وكأن ولكن و(لا) و(ما) و(إذن). وقد تكون اسماً مثل اسم الفاعل وصيغ المبالغة واسم المفعول، وقد تكون فعلاً مثل أفعال الشك واليقين.

ثالثاً: يتبين أن إبطال هذه العوامل له أسباب :

(أحدها): وجود مانع كالمعلقات فى أفعال الشك واليقين وهذه المعلقات هى: الاستفهام، و(ما)النافية و(إن) النافية و(لا) النافية، ولام الابتداء .

(والثانى): فقد شرط من شروط الإعمال كما فى (ما) الحجازية و(لا) النافية للجنس و(إذن) ...

(الثالث): تخفيف العامل كما في (إن) و(لكن) .

(الرابع): تغير موقع العامل عن موقعه المعتاد كما فى أفعال الشك واليقين .

(الخامس): قد يكون السبب راجعاً إلى نية المتكلم وليس ظاهرا كما فى اسم الفاعل إذا قصد به الماضى .

رابعاً: تبين أن هذا الإبطال ليس له حكم واحد :

- فقد يكون (لازماً) كما فى تعليق أفعال الشك واليقين، وإبطال عمل (ما) عند فقد بعض الشروط .
- وقد يكون (اختيارياً) كما فى (إلغاء) أفعال الشك واليقين عند توسط هذه الأفعال بين المبتدأ والخبر .
- وقد يكون متفقاً عليه كما فى تعليق أفعال الشك واليقين مع المعلقات وقد يكون مختلفاً فيه كإبطال عمل اسم الفاعل إذا قصد به الماضى، حيث يرى الكسائى إعماله ويرى غيره إبطاله .

وقد بينت كل ذلك فى موضعه من البحث .

وأرجو من الله تعالى أن يجعلنا - دائماً - فى خدمة لغة القرآن الكريم وأن يعيننا على ذلك.. وأن ينفع بهذا البحث وبغيره كما يحب ويرضى.. والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل ،

دكتور

جمعه طاهر عبد الله النجار

كلية اللغة العربية بإيتاى البارود

أهم مصادر البحث

بعد القرآن الكريم:

أولاً الرسائل العلمية :

١ - أهم القضايا النحوية والصرفية فى تفسير ابن عطية للباحث - رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية بالقاهرة .

٢ - الخلاف بين البصريين والكوفيين للدكتور السيد رزق - رسالة دكتوراه بكلية اللغة العربية بالقاهرة .

٣ - شرح السيرافى على كتاب سيبويه للدكتور سيد جلال - رسالة دكتوراه بكلية اللغة العربية بالقاهرة .

٤ - القضايا النحوية والصرفية فى بصائر ذوى التمييز للباحث - رسالة دكتوراه بكلية اللغة العربية بالقاهرة .

ثانياً: المطبوعات :

٥ - أدب الكاتب لابن قتيبة - تحقيق الأستاذ محمد الدالى - مؤسسة الرسالة ١٩٨٥م .

٦ - ارتشاف الضرب لأبي حيان الأندلسى - تحقيق د/ مصطفى النماس - ط أولى سنة ١٤٠٤هـ .

٧ - الأصول فى النحو لابن السراج - تحقيق عبد الحسين الفتلى - بغداد ١٩٧٣م .

٨ - الآمالى الشجرية لابن الشجرى - ط أولى - حيدر أباد ١٣٤٩هـ.

٩ - إملاء مامن به الرحمن للعكبرى. ط التقدم العلمية .

١٠- الإنصاف فى مسائل الخلاف - تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد - دار الفكر - القاهرة .

١١- أوضح المسالك لابن هشام - تحقق الشيخ عبد المتعال الصعيدى - المطبعة النموذجية - القاهرة .

١٢- البدور الزاهرة فى القراءات العشر المتواترة للشيخ عبد الفتاح القاضى ط سنة ١٤٠٠ هـ.

١٣- البرهان فى علوم القرآن للزركشى - تحقيق الأستاذ محمد الفضل إبراهيم - دار الفكر - القاهرة .

١٤- البيان فى إعراب غريب القرآن لابن الأنبارى - تحقيق الدكتور/ طه عبد الحميد طه - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٠هـ .

١٥- تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد لابن هشام تحقيق الدكتور/ تقى الدين السيد جـ١ ١٤٠٦ هـ .

١٦- تذكرة النحاة لأبى حيان الأندلسى تحقيق د/ عفيفى عبد الرحمن ط أولى سنة ١٩٨١م .

١٧- تسهيل الفوائد لابن مالك تحقيق د/ محمد كامل بركات ط أولى سنة ١٩٦٧م.

١٨- تفسير البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى ط دار الفكر - بيروت .

١٩- تقريب النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى تحقيق الشيخ إبراهيم عطوة عوض - الحلبى سنة ١٣٨١هـ .

٢٠- الجامع الصغير فى النحو لابن هشام - تحقيق دار أحمد الهرميل سنة ١٤٠٠ .

٢١- الجنى الدانى في حروف المعانى للمرادى تحقيق د/ فخر الدين قباوة وآخر ط أولى وثانية .

٢٢- جواهر الأدب للإربلى تحقيق د/ حامد نيل - ط أولى .

٢٣- الحجة لابن خالوية تحقيق د/ عبد العال سالم مكرم - دار الشروق ١٣٩٧هـ .

٢٤- الحجة للفارسى تحقيق الأستاذ/ على النجدى ناصف وزميليه - الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٤٠٣هـ .

٢٥- حصر وتوجيه القراءات فى شرح المفصل للباحث - ط أولى سنة ١٣١٩هـ.

٢٦- الخصائص لابن جنى - تحقيق الأستاذ محمد على النجار .

٢٧- دراسات لأسلوب القرآن الكريم للشيخ محمد عبد الخالق عضيمة - دار الحديث .

٢٨- الدرر اللوامع للشنقيطى - ط أولى سنة ١٩٢٨م دار المعرفة .

٢٩- سر صناعة الإعراب - لابن جنى - تحقيق د/ حسن هنداوى - دار القلم - دمشق سنة ١٤٠٥هـ .

٣٠- شرح الأشمونى وحاشية الصبان عليه - دار إحياء الكتب العربية - بالقاهرة .

٣١- شرح الألفية لابن الناظم - تحقيق د/ عبد الحميد السيد - مكتبة دار الجيل - بيروت سنة ١٩٧١م .

٣٢- شرح التحفة الوردية لابن الورد تحقيق د/ سمير عبد الجواد - ط أولى.

٣٣- شرح الكافية للرضى - ط دار الكتب العلمية - بيروت .

٣٤- شرح المفصل لابن يعيش ط عالم الكتب - بيروت - والمتنبى بالقاهرة.

٣٥- العوامل المائة النحوية للجرجانى - شرح الشيخ خالد الأزهرى تحقيق د/ البدراوى زهران .

٣٦- الكتاب لسيبويه تحقيق الشيخ عبد السلام هارون - الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٣٧- الكشاف للزمخشرى - المكتبة التجارية سنة ١٣٥٤هـ .

٣٨- اللمع لابن جنى تحقيق د/ حسين شرف ط أولى سنة ١٣٩٩هـ- عالم الكتب .

٣٩- معانى الحروف للرمانى تحقيق د/ عبد الفتاح شلبى ط دار نهضة مصر .

٤٠- مغنى اللبيب لابن هشام - دار إحياء الكتب العربية .

٤١- المقتضب للمبرد تحقيق الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة ط المجلس الأعلي للشئون الإسلامية سنة ١٣٩٩هـ .

٢٢- المهذب فى القراءات العشر للدكتور/ محمد سالم محيسن ط ثانية سنة ١٣٨٩هـ .

٤٣- همع الهوامع للسيوطى - ط دار المعرفة .

جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية
بإيتاى البارود

الاستغناء
فى ضوء كتاب سيبويه

دراسة نحوية صرفية

اعداد
الدكتور/ وجيه عبد العزيز زيادة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

الحمـد لله رب العـالمين، والصـلاة والسـلام على أشـرف المرسلين، سيـدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعــــد:

فإن ظاهرة «الاسـتغنـاء» من الظواهر التى ترددت على ألسنة النحاة فى مواضع عديدة من أبواب النحو والصرف، حيث اتخذوها وسيلة لتعليل كثير من الأمور التى أعوزهم التعليل فيها، فكثيراً مايقولون: إن العرب استغنوا بكذا عن كذا، أو: إنهم لم يستعملوا هذا الأسلوب أو تلك الكلمة من باب الاستغناء ..

يبدو ذلك واضحاً جلياً لمن يتصفح «كتاب سيبويه» فإنه يجده يستعمل مصطلح «الاستغناء» ومشتقاته فى أبواب كثيرة من أبواب كتابه بداية من «باب مايكون فى اللفظ من الأعراض» ويعنى بـ «الأعراض»: مايعرض فى الكلام، فيجئ على غير ماينبغى أن يكون عليه قياسه .

يقول سيبويه: «اعلم أنهم مما يحذفون ويعوضون، ويستغنون بالشئ عن الشئ الذى أصله فى كلامهم أن يستعمل حتى يصير ساقطاً... وأما استغناؤهم بالشئ عن الشئ فإنهم يقولون: يدع ولايقولون: ودع، استغنوا عنها بترك، وأشباه ذلك كثير»(١).

ولم يكن سيبويه وحده هو الذى أكثر من استعمال مصطلح «الاستغناء»، فهذا أبو العباس المبرد يكثر من استخدام هذا المصطلح استخداماً مايلفت النظر ويثير الاهتمام، حتى رأينا محقق كتابه «المقتضب» يجعله واحداً من الموضوعات العامة التى فهرس لها فى ذيل الكتاب.(٢)

---

(١) الكتاب: ٢٥/١ .

(٢) المقتضب: ٢١٦/٤ .

من ذلك ماذكره «المبرد» في باب الجمع لما كان على ثلاثة أحرف: «ويكون كذلك (فعل)، نحو: عضد وأعضاد، وعجز وأعجاز، ويخرج إليه (فعال) نحو رجل ورجال، وسبع وسباع، كما قالوا: جمال ونحوه. ولم يقولوا: أرجال لقولهم في أدنى العدد: رجلة.

ومن كلامهم الاستغناء بالشئ عن الشئ حتى يكون المستغنى عنه مسقطا»[١].

فلما تقدمت الدراسات النحوية، وظهرت كتب تعنى بمعالجة الظواهر النحوية ودراسة أحوالها دراسة أكثر دقة وتفصيلاً على نحو مافعل «أبو الفتح عثمان بن جنى» في «الخصائص»، وجدناه يولى هذه الظاهرة عناية خاصة، ويفرد لها باباً من أبواب كتابه المذكور، ينقل في صدره طرفاً من كلام «سيبويه»، ثم يضيف إليه أشياء من محفوظه، ومانقله عن مشايخه.

يقول، وهو بصدد تعليله للاستغناء عن جمع «يد» جمع كثرة بجمعه جمع قلة: «وكذلك اليد التي هي العضو، قالوا فيها أيد البتة. فأما أياد فتكسير أيد لاتكسير يد، وعلى أن (أياد) أكثر ماتستعمل في النعم، لافي الأعضاء، وقد جاءت أيضاً فيها، أنشد أبو الخطاب:

ساءها ماتأملت في أياديـ ـنا وإشناقها إلى الأعناق[٢]

ويقول: «ومن ذلك استغناؤهم عن الأصل مجرداً من الزيادة بما استعمل منه حاملاً للزيادة، وهو صدر صالح من اللغة، وذلك قولهم: «حوشب» هذا لم يستعمل منه حشب عارية من الواو الزائدة، ومثله (كوكب)، ألا ترى أنك

---

(١) المقتضب: ٢/١٩٩.

(٢) الخصائص: ١/ ٢٦٨.

لاتعرف فى الكلام (حشب) عارياً من الزيادة ولا (ككب) ومنه قولهم (دردرى) لانا لانعرف (ددر) ومثله كثير فى ذوات الأربعة، وهو فى الخمسة أكثر منه فى الأربعة»(١).

وتظل تتردد ظاهرة «الاستغناء» على ألسنة النحاة على نحو مانرى عند «ابن يعيش» فى كتابه «شرح المفصل» و«أبى حيان» فى «ارتشاف الضرب» وغيرهما من أعلام القرن السابع الهجرى ومابعده .

فإذا سار بنا الزمان قدماً، ووصلنا إلى نهاية القرن التاسع ومشارف القرن العاشر الهجريين، طالعنا «جلال الدين السيوطى» ببحث من مباحث كتابه «الأشباه والنظائر في النحو» يجعل «الاستثناء عنواناً له، ينقل فيه أكثر مادونه «ابن جنى» فى «خصائصه» كما ينقل لغيره كالزمخشرى فى «الأحاجى» حيث يقول: «سرادق وحمام وبوان - فى الأسماء - وسبحل وسبطر - فى الصفات - لم يجمعوها إلا بالألف والتاء وهى مذكرات، وإنما قصر جمعها على ذلك استغناء به عن التكسير كما استغنوا بأشياء عن أشياء»(٢).

وهكذا بقى يتردد هذا المصطلح على صفحات كتب النحو، ويتناقله الخلف عن السلف حتى عصر المتأخرين منهم، فهذا صاحب «التصريح بمضمون التوضيح» يقول - وهو يعدد أوزان جموع التكسير: «وقد يستغنى ببعض أبنية القلة عن بناء الكثرة وضعاً أو استعمالاً اتكالاً على القرينة، قاله فى التسهيل، قال الشاطبى: وحقيقة الوضع أن تكون العرب لم تضع أحد البناءين استغناء عنه بالآخر، والاستعمال أن تكون وضعتهما معاً، ولكنها استغنت فى بعض المواضع عن أحدهما بالآخر...»(٣).

---

(١) السابق: ١/ ٢٧٠ .

(٢) الأشباه والنظائر فى النحو: ١/ ٥٢ .

(٣) التصريح: ٢/ ٣٠٠ .

ويقول: أيضاً: «الخامس عشر: فعلاء - بضم أوله وفتح ثانيه - ويطرد في فعيل وصفاً لمذكر عاقل - بمعنى فاعل أو بمعنى مفعل أو مفاعل - حال كونه غير مضعف ولامعتل اللام، فالأول كظريف وظرفاء، وكريم وكرماء، ويخيل ويخلاء .. ويستثنى من ذلك صغير وصبيح وسمين فقط فإنهم استغنوا فيهن بفعال....»[1].

كانت هذه العناية البالغة بتلك الظاهرة دافعاً لى إلى البحث فيها محاولاً الكشف عن مدى ماكان لها من دور فى ضبط القواعد واستنباطها، فقمت - قدر الطاقة - بجمع ماكتب عنها فيما تيسر لى من كتب النحو، ومناقشته وتحليله ومقارنته بما حوته كتب اللغة من مفردات وأساليب، حكم النحاة عليها بالاستغناء عنها أو بها .

كما رأيت - حتى يكون العمل قريباً من الكمال - أن أقوم باستقراء «كتاب» أمام النحاة الذى يغنى عن غيره، ولايغنى غيره عنه، فاستخرجت منه المواضع التى عرض فيها للاستغناء، وقمت بترتيبها على النحو الذى تقتضيه طبيعة البحث .

هذا، وقد قسمت البحث قسمين :

الأول: ويتضمن المباحث النحوية وتشمل :

١ - مبحث الضمائر

٢ - مبحث الأفعال

٣ - مبحث النفى .

٤ - مبحث النداء .

٥ - مبحث الاستثناء .

---

(١) السابق: ٣١٢/٢ .

الثاني: ويتضمن المباحث الصرفية وتشمل :

١ - مبحث التثنية .
٢ - مبحث الجموع .
٣ - مبحث التصغير .
٤ - مبحث تاء التأنيث .

وبعد، فهذه محاولة على درب البحث، إن يكن بها من توفيق فمن الله الموفق للخير والهدى والرشاد، وإن تكن فيها زلة قدم أو عثرة قلم فأسأله العفو والمتاب.

الاسكندرية
في ١٧ رجب ١٤١٩هـ
٦ نوفمبر ١٩٩٨م

د/ وجيه عبد العزيز زيادة
المدرس بقسم اللغويات في كلية
اللغة العربية- جامعة الأزهر
فرع إيتاي البارود

القسم الأول
المباحث النحوية

المبحث الأول
الاستغناء والضمائر

أكثر سيبويه من ترديد مصطلح «الاستغناء» فى تضاعيف حديثه عن الضمائر وأحكامها، وماذاك إلا لأن استعمال الضمائر فى الأصل من باب الاستغناء، فإنها يستغنى بها عن الأسماء الظاهرة اختصاراً وإيجازاً .

وهذا ماأشار إليه ابن يعيش حيث يقول: «... وإنما أتى بالمضمرات كلها لضرب من الإيجاز واحترازاً من الإلباس، فأما الإيجاز فظاهر، لأنك تستغنى بالحرف الواحد من الاسم بكماله، فيكون ذلك الحرف كجزء من الاسم، وأما الإلباس فلأن الأسماء الظاهرة كثيرة الاشتراك، فإذا قلت: (زيد فعل زيد) جاز أن يتوهم فى (زيد) الثانى أنه غير الأول، وليس للأسماء الظاهرة أحوال تفترق بها إذا التبست، وإنما يزيل الالتباس منها فى كثير من أحوالها - الصفات كقولك: (مررت بزيد الطويل) و(الرجل البزاز)، والمضمرات لالبس فيها، فاستغنت عن الصفات...»(١).

هذا، ويمكن حصر المسائل التى كان للاستغناء فيها دور فى باب الضمائر فيما يلى:

أولاً: الاستغناء بالضمير المنفصل عن الضمير المتصل:

وذلك تمشياً مع الغرض من استعمال الضمائر وهو الرغبة فى الإيجاز والاختصار، فلما كان المتصل أقل حروفاً من المنفصل، وكان النطق به أخف،

---

(١) ابن يعيش: ٣/ ٨٤ .

فلذلك لايستعملون المنفصل فى المواضع التى يمكن أن يقع فيها المتصل، لأنهم لايعدلون عن الأخف إلى الأثقل والمعنى واحد إلا لضرورة، فلذلك لاتقول: «ضرب أنا»، حيث يغنى عنها «ضربت، وكذلك استغنوا بقولهم: «ضرب» عن قولهم «ضرب هو»، وبقولهم: «ضربك زيد» عن «ضرب زيد إياك» ونحوه.

وهذا ماعبر عنه سيبويه بقوله: «ولايقع أنا في موضع التاء التى فى فعلت، لايجوز أن تقول: فعل أنا، لأنهم استغنوا بالتاء عن أنا ولايقع نحن فى موضع نا التى فى فعلنا، لاتقول: فعل نحن».[1]

وهذا الذى أشار إليه سيبويه هو رأى جمهور النحاة، وخالف فى ذلك الجرمى فأجازه فى الشعر، وجوزه المبرد مطلقاً، فيجوز - عنده - «قام أنا» وليس كمعنى «قمت» وإنما معناه علي النفي والإيجاب، كأنه قال: «ماقام إلا أنا فهو - عنده - يفيد الحصر[2].

ومهما يكن من أمر، فإنه - كما يقول النحاة - إذا أمكن اتصال الضمير لم يعدل إلى المنفصل، لقصد الاختصار الموضوع له الضمير إلا فى الضرورة كقوله :

بالباعث الوارث الأموات قد ضمنت

إياهم الأرض فى دهر الدهارير[3]

---

(١) الكتاب: ٢/ ٣٥٠ .

(٢) الارتشاف ١/ ٤٦٣ .

(٣) البيت من البسيط، للفرزدق، والشاهد فيه «ضمنت إياهم» حيث عدل عن وصل الضمير إلى فصله انظر الهمع: ١/ ٦٢ وابن عقيل: ١/ ١٠١ .

ومما هو معلوم أن هناك مواضع عشرة يجب فيها انفصال الضمير ذكرها النحاة تنحصر فى: الضمير المحصور، والضمير المرفوع بمصدر مضاف إلى المنصوب به، والضمير المضمر قبله العامل والضمير المتأخر عنه عامله، والذى عامله معنوى كالمبتدأ، والمعمول لحرف نفى، والمفصول بينه وبين عامله بمعمول آخر، والواقع بعد واو المعية، والواقع بعد «أما» والواقع بعد اللام الفارقة.(١)

ثانياً: الإضمار فيما جرى مجرى الفعل:

ذكر سيبويه تحت هذا العنوان ثلاثة أضرب من الكلمات المشبهات بالفعل هى: «إن» وأخواتها، وحكمها فى الاتصال والانفصال كحكم الفعل، فلا يعدل فيها عن الضمير المتصل إلي المنفصل، وذلك لأنهن أجرين مجرى الفعل الماضى فى فتح آخره، وفى لزومها الاسم المنصوب المشبه بالمفعول والخبر المرفوع المشبه بالفاعل، ومنصوبها يليها، ولايدخل عليها حرف يمنع من التصاق المنصوب بها، فوجب فيها ماوجب فى المفعولات بالأفعال .

الضرب الثانى كلمة: «رويد» تقول «رويد زيداً... ورويدك زيداً» .

الضرب الثالث: كلمة «عليك» وهى أقوى فى الفصل، يجوز عليكنى وعليكه، وعليك إياه وعليك إياى، وإنما جاز الفصل، لأنه لما أضيف إلى الكاف قد أشبه المصدر المضاف الذى قد جاز فيه الفصل.(٢)

يقول سيبويه: ... فعلامات الإضمار حالهن هاهنا كحالهن فى الفعل، لاتقوى أن تقول: عليك إياه، ولارويد إياه، لأنك قد تقدر على الهاء، تقول: عليكه ورويده ... وحدثنا يونس أنه سمع من العرب من يقول: عليكنى، من

---

(١) منحة الجليل بشرح ابن عقيل: ١/ ١٠٠ .

(٢) تقرير السيرافى على هامش كتاب سيبويه: ١/ ٣٨٣ .

غـيـر تلقين، ومنهم من لايستـعـمل (نى) ولا (نا) فى ذا الموضع، استـغناء بعليك بى وعليك بنا... ولو قلت عليك إياه كـان هاهنا جـائزاً، فى عليك وأخواتها، لأنه ليس بفعل وأن شبه به»[1].

ثالثاً: اختصاص أفعال القلوب بالجمع بين ضميرى الفاعل والمفعول لواحد:

مما اختصت به أفعال القلوب التى هى «ظننت وأخواتها» أنه يجوز فيها أن يكون ضمير الفاعل والمفعول متحدين فيقال «ظننتنى عالماً» و«حسبتك غنياً» - بفتح التاء - وذلك بخلاف سائر الأفعال، فإنه لايجوز فيها أن يتعدى فعل ضميرها المتصل إلى ضميرها المتصل، فلا يقال: «ضربتنى» ويكون الضميران للمتكلم، ولا «ضربتك» والضميران للمخاطب، فإذا أرادوا ذلك قالوا: «ضربت نفسى» ونحوه .

وإنما امتنع ذلك لأن الغالب من الفاعلين إيقاع الفعل بغيرهم، وأفعال النفس هى الأفعال التى لاتتعدى نحو: «قام زيد وجلس بكر»، فإذا اتحد الضميران فقد اتحد افاعل والمفعول من كل وجه، فلابد من مغايرة ما، ولذا جاز أن يقال: «ماضربنى إلا أنا» حيث قد اختلف الضميران اتصالاً وانفصالاً، فلم يتحدا من كل وجه.

وإنما جاز ذلك فى أفعال القلوب: «لأن تأثير هذه الأفعال إنما هو فى المفعول الثانى، ألا ترى أن الظن والعلم إنما يتعلقان بالثانى، لأن الشك وقع فيه، والأول كان معروفاً عنده، فصار ذكره كاللغو، فلذلك جاز أن يتعدى ضمير الأول إلى الثانى»[1].

---

(١) الكتاب: ٢/ ٣٦٠، ٣٦١ .

(٢) ابن يعيش: ٧/ ٨٨ .

وعلل الرضى هذه المسألة بقوله: [١] «وإنما لم يجز ذلك فى غير الأفعال المذكورة، لأن أصل الفاعل أن يكون مؤثراً، والمفعول به متأثراً منه، وأصل المؤثر أن يغاير المتأثر.. وأما أفعال القلوب، فإن المفعول به فيها ليس المنصوب الأول فى الحقيقة، بل هو مضمون الجملة».

يعنى أننا إذا قلنا: «ظننتنى قائماً» فمعناه ظننت قيامى، فالفاعل، مغاير للمفعول من حيث المعنى، وإن اتفقا من حيث اللفظ.

فإذا مارجعنا إلى إمام النحاة، وجدناه يشير إلى تلك المسألة إشارات متعددة موضحاً دور «الاستغناء» فيها، فيقول: «وذلك أنه لايجوز أن تقول للمخاطب: اضربك، ولااقتلك، ولاضربتك، لما كان المخاطب فاعلاً وجعلت مفعوله نفسه قبح ذلك، لأنهم استغنوا بقولهم: اقتل نفسك، وأهلكت نفسك، عن الكاف هاهنا وعن إياك». [٢]

ثم يقول: «ولكنه قد يجوز ماقبح هاهنا فى حسبت وظننت وخلت... وجميع حروف الشك، وذلك قولك: حسبتنى وأرانى ووجدتنى فعلت كذا وكذا». [٣]

كما يشير إلى أنه لايحسن مع أفعال القلوب ماحسن مع غيرها من إيقاع الفعل علي النفس من نحو «ضربت نفسى» فيقول: «ومما يثبت علامة المضمرين هاهنا أنه لايحسن إدخال النفس هاهنا، لو قلت: يظن نفسه فاعلة، وأظن نفسى فاعلة على حد يظنه واظننى، ليجزئ هذا من ذا لم يجزئ، كما أجزأ أهلكت نفسك عن أهلكتك، فاستغنى به عنه». [٤]

---

(١) الرضى على الكافية: ٢/ ٢٨٥، ٢٨٦ .

(٢) الكتاب: ٢/ ٣٦٦ .

(٣) السابق: ٢/ ٣٦٧ .

(٤) السابق نفسه .

رابعاً: امتناع بعض حروف الجر من الاتصال بالضمائر:

أشار إلى ذلك سيبويه بقوله:[١] «هذا باب مالايجوز فيه الإضمار من حروف الجر.

وذلك الكاف فى أنت كزيد، وحتى ومذ .

وذلك لأنهم استغنوا بقولهم: مثلى وشبهى عنه فأسقطوه .

واستغنوا عن الإضمار فى حتى بقولهم: رأيتهم حتى ذاك، وبقولهم: دعه حتى يوم كذا... وبالإضمار فى إلى، إذ قال: دعه إليه، لأن المعنى واحد، كما استغنوا بمثلى ومثله عن كي وكه .

واستغنوا عن الإضمار فى مذ بقولهم: مذ ذاك»[٢].

قرر سيبويه أن هذه الأحرف الثلاثة: الكاف، وحتى، ومذ لايليها الضمير استغناء بالاسم الظاهر عنه .

فأما الكاف الجارة سواء أكانت أصلية ومعناها التشبيه أو التعليل أم كانت زائدة نحو قوله تعالى: «ليس كمثله شئ»[٣] - فى أحد الأقوال - فإنها لاتجر إلا الاسم الظاهر، ولاتدخل على المضمر إلا فى الضرورة كقوله :

فلا أرى بعلاً ولاحلائلا كه ولاكهن إلا حاظلا[٤]

---

(١) الكتاب: ٢/٣٨٢ .

(٢) الكتاب: ٢/٣٨٣.

(٣) الشورى: ١١ .

(٤) البيتان من مشطور الرجز لرؤبة: الحاظل: المانع من التزويج.. يصف حماراً بأنه يمنع أتنه من حمار آخر. والشاهد دخول الكاف على الضمير فى «كه وكهن». انظر الكتاب: ٢/٣٨٤، الهمع : ٢/٣٠، والأشمونى ٢/٢٠٩.

وحكوا: «أنت كأنا وكهو» قال السيوطي: «وإنما لم تجره اختياراً استغناء عنها بمثل وشبه كما استغنوا فيه بإلى عن حتى»[١].

وأما «حتى» الجارة فمعناها انتهاء الغاية مثل «إلى» ولمجرورها شرطان:[٢]

الأول: أن يكون ظاهراً، فلا تجر الضمير ... وأجازه الكوفيون والمبرد كقول الشاعر:

فلا-والله- لايلفى أناس فتى حتاك ياابن أبى يزيد[٣]

وهذا عند البصريين ضرورة .

والثاني: أن يكون آخر جزء، أو ملاقى آخر جزء .

وقد حاول النحاة -جاهدين - أن يبحثوا عن علة لمنع جرها المضمر، فمنهم من قال: إن مجرورها لايكون إلا بعضاً مما قبلها، أو كبعض منه، فلم يمكن عود ضمير البعض على الكل. ورده ابن هشام بقوله: «إنه قد يكون ضميراً حاضراً كما فى البيت، فلا يعود على متقدم، وإنه قد يكون ضميراً غائباً عائداً على ماتقدم غير الكل، كقولك: (زيد ضربت القوم حتاه) .

وقيل: العلة خشية التباسها بالعاطفة، ويرده - أيضاً - أنه لو دخلت عليه لقيل فى العاطفة: «قاموا حتى أنت، وأكرمتهم حتى إياك» بالفصل، لأن الضمير لايتصل إلا بعامله وفي الخافضة: (حتاك) بالوصل كما فى البيت،

(١) الهمع: ٣١/٢ .

(٢) الجنى الدانى: ٥٤٣ .

(٣) البيت من الوافر، من شواهد الجنى الداني: ٥٤٤، ورصف المبانى: ٢٦١، وابن عقيل: ٨/٣ والشاهد وقوع الضمير المتصل «الكاف» بعد «حتى» .

وحينئذ فلا التباس، ونظيره أنهم يقولون فى توكيد الضمير المنصوب: «رأيتك أنت» وفى البدل منه: «رأيتك إياك» فلم يحصل لبس .

وقيل: لو دخلت عليه قلبت ألفها ياء كما فى (إلى) وهى فرع عن (إلى) فلا تحتمل ذلك[١] وأيسر من هذا كله أن نقول كما قال صاحب «الكتاب»: «واستغنوا عن الإضمار فى حتى بقولهم رأيتهم حتى ذاك، وبقولهم: دعه حتى يوم كذا وكذا، وبقولهم دعه حتى ذاك»، وبالإضمار فى إلى إذ قال: دعه إليه، لأن المعنى واحد»[٢].

وأما «مذ» فيكون مابعدها مرفوعاً أو مخفوضاً، فإذا كان مرفوعاً فهى اسم، وإذا كان مخفوضاً فهى حرف جر - كما يقول المالقى.[٣]

والذى يعنينا - هنا - هو حكم جرها للضمير، وعلة ذلك، فالجمهور على أنها هى و«منذ» لاتجران إلا الاسم الظاهر من اسم الزمان أو المصدر، وأجاز المبرد أن يجرا مضمر الزمان نحو: «يوم الخميس مارأيته منذه أو مذه»، ورد بأن العرب لم تقله[٤].

هذا، «وأصل» «مذ»، «منذ» بدليل رجوعهم إلى ضم الذال عند ملاقاة الساكن، نحو: «مذ اليوم» ولولا أن الأصل الضم لكسروا، ولأن بعضهم يقول: «مذ زمن طويل» فيضم مع عدم الساكن، وقال ابن ملكون: هما أصلان، لأنه لايتصرف فى الحرف ولاشبهه ويرده تخفيفهم «أن وكأن ولكن ورب وقط» وقال المالقى: إذا كانت «مذ» اسما فأصلها«منذ» «أو حرفاً فهى أصل.[٥]

---

(١) المغنى: ١٢٣ .

(٢) الكتاب: ٢/٣٨٣ .

(٣) رصف المبانى: ٣٨٥.

(٤) الهمع: ١/٢١٧ .

(٥) المغنى: ٣٣٦ .

خامساً: الاستغناء عن مفسر ضمير الغائب:

ضمير المتكلم وضمير المخاطب تفسرهما المشاهدة، وضمير الغائب يحتاج إلى مفسر، والأصل في مفسره أن يكون متقدماً عليه، فإذا تقدم عليه اسمان مستويان في الإسناد كان الضمير عائداً على الأقرب، إلا أن دل دليل على أنه لغير الأقرب، مثاله: جاءني زيد وعمرو فأكرمته»، فالضمير لـ«عمرو» و«اشتريت جواداً وغلاماً فركبته فالضمير لـ«الجواد»، فإن لم يستويا في الإسناد، وكان الثاني في ضمن الأول، عاد على المتقدم خلافاً لأبي محمد بن حزم في زعمه: أن الضمير في قوله تعالى: «فإنه رجس»[1] عائد على «الخنزير» لاعلى «اللحم»، لكونه أقرب مذكور .

ثم المفسر إما مصرح بلفظه نحو: «زيد لقيته»، أو مستغنى عنه بحضور مدلوله حسا مثل أن يخطر بذهنك أن مخاطبك سألك عن حالة شخص فتقول: «هو مسافر» .

ومنه قوله تعالى: «هي راودتني عن نفسي»[2] وقوله عز وجل: «ياأبت استأجره»[3] إذ لم يتقدم التصريح بلفظ «زليخا وموسى» لكونهما كانا حاضرين، أو يكون مستغنى عنه بحضور مدلوله علماً نحو قوله سبحانه: «إنا أنزلناه في ليلة القدر»[4] أي القرآن، أو مستغنى عنه بذكر جزئه نحو قوله عز من قائل: «والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها في سبيل الله»[5]

---

(١) الأنعام: ١٤٥ .

(٢) يوسف: ٢٦ .

(٣) القصص: ٢٦ .

(٤) القدر: ١.

(٥) التوبة: ٣٤ .

أى المكنوزات، التى بعضها الذهب والفضة[١] وعكسه قول الشاعر:

لعمرك مايغنى الثراء عن الفتــى
إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر[٢]

فالضمير عائد على «النفس» التى هى جزء «الفتى» المذكور، ومنه قوله تعالى: «اعدلوا هو أقرب للتقوى» أى العدل» الذى هو جزء مدلول الفعل، لأنه يدل على الحدث والزمان .

ومنه قوله عز وجل: «ولايحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم»[٣].

قال سيبويه: «كأنه قال: ولايحسبن الذين يبخلون البخل هو خيراً لهم. ولم يذكر البخل اجتزاء بعلم المخاطب بأنه البخل، لذكره يبخلون»[٤].

«ومثل ذلك قول العرب: (من كذب كان شراً له) يريد: كان الكذب شراً له إلا أنه استغنى بأن المخاطب قد علم أنه الكذب»[٥].

---

(١) الهمع: ١/ ٦٥، والارتشاف: ١/ ٤٨١ .

(٢) البيت من الطويل، لحاتم الطائى، ورد فى الشعراء: ١٩٩، وأمالى الزجاجى: ٩٢، وابن الشجرى: ١/ ٥٩، ٢/ ٣٣٩، والهمع: ١/ ٦٥ والديوان: ١١٨ .

والشاهد به عود الضمير فى «حشرجت» إلى النفس التى هى جزء الفتى المذكور فى البيت .

(٣) آل عمران: ١٨٠ .

(٤، ٥) الكتاب: ١/ ٣٩١ .

كما يستغني عن «المفسر» بذكر نظيره نحو: «عندى درهم ونصفه» أى ونصف درهم آخر، ومنه قوله:

قالت: ألا ليتما هذا الحمام لنا   إلا حمامتنا ونصفه فقد[١]

أي: ونصف حمام آخر مثله في العدد، كما يستغنى عنه بذكر مصاحب بوجه ما، كالاستغناء بمستلزم عن مستلزم نحو قوله سبحانه: «فمن عفى له من أخيه شئ فاتباع بمعروف وأداء إليه بإحسان»[٢] فالضمير فى «إليه» عائد إلى «العافى» الذى استلزمه «عفى» وقوله سبحانه: «حتى توارت بالحجاب»[٣] أى الشمس التى أغنى عن ذكرها ذكر العشى .

---

(١) البيت من البسيط للنابغة الذبياني، في ديوانه : ٢٤ ، وابن يعيش: ٨/٥٤ والهمع: ١/٦٥ ، والشاهد فيه هنا عود الضمير فى «نصفه» إلى نظير الحمام المذكور قبله.

(٢) البقرة: ١٧٨ .

(٣) ص: ٣٢ .

المبحث الثاني
الاستغناء والأفعال

أولاً: الاستغناء بـ«ترك» عن «ودع ووذر» .

قال أبو حيان: «العرب تستغني ببعض الألفاظ عن بعض، ألا ترى استغناءهم بترك وتارك عن وذر وواذر...»(١)

وقبله قال سيبويه: «... كما أن يدع على ودعت، ويذر على ووزرت، وإن لم يستعملا، استغنى عنهما بتركت»(٢).

ونقل السيوطي عن صاحب «البسيط» قوله: «كما استغنى بمصدر بعض الأفعال عن مصدر بعضها، نحو أنا أدعه تركا...»(٣).

فالنحاة يرون أن الفعلين «يدع ويذر» فعلان ناقصاً التصرف، حيث يأتي منهما المضارع والأمر فقط، وأن العرب استغنت عن ماضيهما بـ«ترك» وعن اسم الفاعل منهما بـ «تارك» وكذا عن المصدر فقالوا: «أنا أدعه تركاً» .

وبالرجوع إلى كتب اللغة نرى ما يناقض ذلك، فقد ذكر صاحب «اللسان»(٤) مانصه : «وقولهم دع هذا، أي اتركه، وودعه يدعه: تركه، وهي شاذة، وكلام العرب: دعني وذرني، ويدع ويذر، ولايقولون ودعتك ولا وذرتك، استغنوا عنهما بتركتك والمصدر فيهما تركاً ولايقال ودعاً ولاوذرا...»(٤).

---

(١) الأشباه والنظائر: ٥١/١ .

(٢) الكتاب: ٦٧/٤.

(٣) الأشباه والنظائر: ٥٣/١ .

(٤) اللسان: «ودع».

ولكنه بعد ذلك مباشرة يورد العديد من الشواهد الشعرية والنثرية على استعمال الماضى واسم الفاعل والمصدر من هاتين الكلمتين فيقول: «وقد جاء فى بيت أنشده الفارسى فى البصريات:

فأيهما ماأتبعن فإننى حزين على ترك الذى أنا وادع

قال ابن برى: وقد جاء وادع فى شعر معن بن أوس:

عليه شريب لين وادع العصا يساجلها حماته وتساجله

وقال: **وكان ماقدموا لأنفسهم أكثر نفعاً من الذى ودعوا**

... وفى حديث ابن عباس: أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن على قلوبهم».[١]

كما قرئ: «ماودعك ربك وماقلى»[٢] بتخفيف الدال وهى قراءة النبى: - صلى الله عليه وسلم- وعروة و الزبير.[٣] ومع ذلك نرى ابن جنى يعقب على تلك القراءة بقوله: «هذه قليلة الاستعمال... وعلى أنها قد جاءت فى شعر أبى الأسود، قال أنشدناه أبو على:

ليت شعرى عن خليلى ماالذى غاله فى الحب حتى ودعه[٤]

وهذا ماجعل «الليث» يقول متعجباً: «وزعمت النحوية أن العرب أماتوا مصدر يدع ويذر، واستغنوا عنه بترك، والنبى، صلى الله عليه وسلم، أفصح العرب وقد رويت عنه هذه الكلمة»[٥].

---

(١) اللسان «ودع» نيل الأوطار: ١٢١/٣ .

(٢) الضحى: ٢ .

(٣) المحتسب: ٣٦٤/٢ .

(٤) السابق .

(٥) اللسان «ودع» .

ثانياً: الاستغناء بـ«افعال» عن «فعل»:

قال سيبويه: «وقد يستغني بـ«افعال» عن «فعل وفعل» وذلك نحو: أزراق، واخضار، واصفار، واحمار، واشراب، وابياض واسواد، وابيض، واخضر، واحمر، واصفر أكثر في كلامهم لأنه كثر فحذفوه، والأصل ذلك»[1].

يعني أن العرب لم تستعمل من هذه الكلمات الأفعال المجردة، وإنما استغنت بهذه الصيغ المزيدة عن المجردة، وأن استعمال صيغة «افعل» أكثر في كلامهم من استعمال صيغة «افعال» وذلك لكثرة استعمال هذه الكلمات على ألسنتهم مما دعاهم إلى اختيار الأقل حروفاً.

وقد فصل العلامة الرضي القول في استعمال هاتين الصيغتين حيث قال: «وأما افعل فالأغلب كونه للون أو العيب الحسي اللازم، وافعال في اللون والعيب الحسي العارض، وقد يكون الأول في العارض، والثاني في اللازم»[2].

يؤيد ماذهب إليه الرضي ماأورده ابن منظور حيث قال: «ويقال: احمر الشئ احمراراً إذا لزم لونه فلم يتغير من حال إلى حال. واحمار يحمار احميراراً إذا كان عارضاً حادثاً لايثبت كقولك: جعل يحمار مرة ويصفار أخرى»[3].

كما نبه على أن العرب لم تقصر استخدامها على هاتين الصيغتين في الدلالة على الألوان، بل إنهم استخدموا صيغاً أخرى فيقال: «اخضر الشئ اخضراراً وخضرته أنا»[4] وقالوا كذلك: «خضر الزرع خضراً: نعم، وأخضره

---

(١) الكتاب: ٢٦/٤ .

(٢) شرح الشافية ١١٢/١ .

(٣) اللسان: «حمر».

(٤) اللسان: «خضر» .

الرى»[1] وقالوا أيضاً: اختضرت الكلأ إذا جززته وهو أخضر، ومنه قيل للرجل إذا مات شاباً غضاً: قد اختضر، لأنه يؤخذ فى وقت الحسن والإشراق»[2] كما ذكر أنهم قالوا: «سود وساد، واسود اسوداداً واسواد اسويدادا ويجوز فى الشعر اسوأد. تحرك الألف لئلا يجمع بين ساكنين»[3].

فهذه النقول، وغيرها كثير، يؤيد سعة هذه اللغة وثراء مادتها، إلا أن النحاة كانوا يعنون بالكثير الشائع فى الكلام، ويضربون صفحاً عن القليل النادر.

ثالثاً: الاستغناء بـ«افتقر واشتد» عن «فقر وشد»:

وذلك حيث قالوا: افتقر فهو فقير واشتد فهو شديد، فلم يأت فقير وشديد على هذا الفعل، وإنما أتى على فعل لم يستعمل وهو «فقر»[4] قال سيبويه: «وقالوا: الفقر كما قالوا: الضعف، ولم نسمعهم قالوا: فقر، كما لم يقولوا فى الشديد: شدد استغنوا باشتد وافتقر، كما استغنوا باحمار عن حمر»[5].

ومما هو معلوم أن قياس الصفة المشبهة أن تأتى من «فعل» - بضم العين - غالباً على زنة «فعيل» نحو: كريم وشريف وعظيم، كما تجئ على «فعيل» مما حقه «فعل» نحو «سقيم ومريض» وحمل. «سليم» على «مريض» والقياس سالم[6] كما يجئ «فعيل» من المضاعف والمنقوص اليائى كالطبيب واللبيب والخسيس والتقى والشقى.

(١، ٢) السابق.

(٣) اللسان «سود».

(٤) تقرير السيرافى على الكتاب: ٢/ ٢٢٥.

(٥) الكتاب: ٤/ ٣٣.

(٦) شرح الشافية: ١/ ١٤٧.

فإذا عرفنا أن العرب نطقت بهذا الفعل مجرداً فقالوا «شدد - بالكسر - لاغير- شدة إذا كان قوياً»[١] أدركنا أن هذه الكلمة أعنى «شديد» جاءت على قياس مطرد .

وكذلك كلمة «فقير» فقد أوردت كتب اللغة «ورجل نقير من المال، وقد فقر - بضم القاف - فهو فقير».[٢]

رابعاً: الاستغناء بـ«فعل» عن «أفعل»:

من ذلك مارواه سيبويه من قوله: «وقالوا: ظرف وظرفته، ونبل ونبلته، ولايستنكر أفعلت فيهما، ولكن هذا أكثر، واستغنى»[٣]

ومرجع ذلك إلى أن هناك أموراً سبعة يتعدى بها الفعل القاصر ذكرها ابن هشام فى «المغنى» وهى: الهمزة، وألف المفاعلة، وصوغه على فعل يفعل - بفتح عين الماضى وضم عين المضارع - وصوغه على «استفعل» للطلب أو النسبة، وتضعيف العين، والتضمين، وإسقاط الجار توسعاً[٤].

والذى يعنينا من هذه الأمور هو التعدية بالهمزة وبالتضعيف، فالأول نحو قوله تعالى: «أذهبتم طيباتكم»[٥] وقوله عز وجل: «أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين»[٦] «وقد ينقل المتعدى إلى واحد بالهمزة إلى التعدى إلى

---

(١) اللسان : «شدد».

(٢) السابق «فقر» .

(٣) الكتاب: ٤/٥٥.

(٤) المغنى: ٥٢٣ بإيجاز .

(٥) الأحقاف: ٢٠ .

(٦) غافر: ١١ .

اثنين نحو «ألبست زيداً ثوباً وأعطيته ديناراً» ولم ينقل متعد إلى اثنين بالهمزة إلى التعدى إلى ثلاثة إلا فى «رأى، وعلم» وقاسه الأخفش فى أخواتهما الثلاثة القلبية: ظن وحسب وزعم، وقيل: النقل بالهمزة كله سماعى، وقيل: قياسى في القاصر والمتعدى إلى واحد». (١)

وأما التعدية بالتضعيف فنحو قوله تعالى: «قد أفلح من زكاها» (٢) وقوله سبحانه: «هو الذى يسيركم فى البحر....» (٣).

فالفعلان اللذان ذكرهما سيبويه وهما «ظرف ونبل» لازمان، فعند تعديهما يتعديان بالتضعيف فيقال: «ظرفته ونبلته» ولايعديان بالهمزة فلا يقال: «أظرفته وأنبلته» وذلك من قبيل «الاستغناء»، وهذا يعنى الوقوف على المسموع ، وهذا ماأشار إليه الرضى بقوله: «وليست هذه الزيادات قياساً مطرداً، فليس لك أن تقول مثلاً فى ظرف: أظرف، وفى نصر: أنصر، ولهذا رد على الأخفش فى قياس أظن وأحسب وأخال على أعلم وأرى، وكذا لاتقول نصر ولادخل، وكذا فى غير ذلك من الأبواب بل يحتاج في كل باب إلى سماع استعمال اللفظ المعين، وكذا استعماله في المعنى المعين فكما أن لفظ أذهب وأدخل يحتاج فيه إلى السماع، فكذا معناه الذى هو النقل مثلاً، فليس لك أن تستعمل أذهب بمعنى أزال الذهاب، أو عرض للذهاب أو نحو ذلك» (٤).

أما ابن هشام فيرى أن «الحق أن دخولها - يعنى همزة التعدية- قياس فى اللازم دون المتعدى، وقيل: قياس فيه وفى المتعدى إلى واحد، وقيل: النقل

---

(١) المغنى: ٥٢٣ .

(٢) الشمس: ٩ .

(٣) يونس: ٢٢ .

(٤) شرح الشافية: ٨٤/١، ٨٥ .

بالهمزة كله سماعى»[1]، وقال أيضاً: «النقل بالتضعيف سماعى فى اللازم وفى المتعدى لواحد، ولم يسمع فى المتعدى لاثنين، وقيل: قياسى فى الأولين»[2].

والحق أنه إذا كثر ورود أمثلة لصيغة من هذه الصيغ فى معنى من هذه المعانى كان ذلك دليلاً علي أنه يسوغ أن نبنى على مثال هذه الصيغة لإفادة هذا المعنى الذى كثرت فيه وإن لم نسمع اللفظ بعينه.[3]

خامساً: الاستغناء بمطاوع بعض الأفعال عن مطاوع بعضها :

ومن ذلك قولهم: «أنختـه فبرك» ولم يقولوا: «فناخ».[4]

ومنه ماورواه سيبويه: «وربما استغنى عن افتعل فى هذا الباب فلم يسمع، وذلك قولهم: «طردته فذهب، ولايقولون: انطرد، ولافاطرد، يعنى أنهم استغنوا عن لفظه بلفظ غيره إذ كان في معناه»[5].

وأصل ذلك راجع إلى أن من معانى صيغ الأفعال «المطاوعة» وتجئ فى صيغ عديدة أكثرها «انفعل» فبابه لايكون إلا لازماً، وهو - فى الأغلب - مطاوع «فعل» بشرط أن يكون «فعل» علاجاً: أى من الأفعال الظاهرة، لأن هذا الباب موضوع للمطاوعة وهى قبول الأثر، وذلك فيما يظهر للعيون

---

(١) المغنى: ٥٢٣ .

(٢) السابق: ٥٢٤، ٥٣٥ باختصار وتصرف .

(٣) هامش شرح الشافية ١/٨٥ .

(٤) الأشباه والنظائر للسيوطى ١/٥٣ .

(٥) الكتاب: ٤/٦٦ .

كالكسر والجذب والقطع، فلا يقال: علمته فانعلم، ولافهمته فانفهم[١].

وقد يجئ مطاوع «أفعل» نحو: «أزعجته فانزعج» و«أفحمته فانفحم» والمطاوع حقيقة فى الذي يصح منه الفعل، نحو: «صرفته فانصرف»، ومجاز فى الذى لايصح منه الفعل نحو: «قطعت الحبل فانقطع»[٢].

ويغنى «افتعل» عن «انفعل» فيما فاؤه لام نحو: لويته فالتوى «أو» راء نحو: «ردعته فارتدع» أو «نون» نحو: «نقلته فانتقل» أو «ميم» نحو: «مددته فامتد».

وورد «ميزته فانماز ومحوته فانمحى وقد يتشاركان فياليس كذلك نحو: «شويته فاشتوى وانشوى[٣]». وسبب هذا الإغناء - كما يقول الرضى - «أن هذه الحروف مما تدغم النون الساكنة فيها، ونون «انفعل» علامة المطاوع، فكره طمسها»[٤] هذا، وماذكره سيبويه فى هذا الباب قد وافقه فيه أهل اللغة، فقالوا: «ويقال: طردت فلاناً فذهب، ولايقال فاطرد، قال الجوهرى: لايقال من هذا انفعل ولاافتعل إلا فى لغة رديئة»[٥].

وأما قولهم: «أنخته فبرك» فقد ورد فيه أيضاً: «أنخت البعير فاستناخ ونوخته فتنوخ»[٦].

---

(١) شرح الشافية: ١/١٠٨.

(٢) الارتشاف: ١/٨٥.

(٣) السابق: ١/٨٦.

(٤) شرح الشافية: ١/١٠٩.

(٥) اللسان: «طرد».

(٦) اللسان: «نوخ».

ومما يستوقفنا هنا أن بعض النحاة - بالرغم من كثرة ورود أمثلة للمطاوعة، يجعلها مقصورة علي السماع، فهذا ابن الدهان يقول: «انفعل يأتى فى المطاوعة، ولايكون إلا من ثلاثي، وأدخلته فاندخل شاذ» [١] وقال أبو محمد عبد الله بن الخشاب: «أفعال المطاوعة لاتقاس، لاتقول أخرجته فانخرج، ووجدت من الرباعى أكمشته فانكمش وأزعجته فانزعج، وأطلقته فانطلق» [٢].

سادساً: الاستغناء بمغالب فعل عن مغالب فعل آخر:

من ذلك مارواه سيبويه من قوله: «.... وليس في كل شئ يكون هذا. ألا ترى أنك لاتقول: نازعنى فنزعته، استغنى عنها بغلبته وأشباه ذلك» [٣].

يشير بذلك إلى أن «فعل» إذا كان مراداً به المغالبة وهى إرادة التعبير عن مشاركة غيرك لك فى فعل وتفوقك عليه في ذلك الفعل - فمذهب البصريين أن مضارعه يكون على «يفعل» - بضم العين - وذلك فى كل فعل ثلاثى متصرف تام، سواء كان أصله «فعل أم فعل أم فعل» - بالفتح أو الكسر أو الضم - وسواء كان متعدياً أم لازماً، لأن اللازم إذ ذاك يصير متعدياً، نحو: «كاتبنى فكتبته أكتبه، وعالمنى فعلمته أعلمه، وواضأنى فوضأته أوضؤه» وسواء كان حلقي عين أم لا خلافاً للكسائي فإنه يجيز أن يكون مضارعه على «يفعل» - بالفتح - كحاله إذ لم يكن لغير مغالبة، وسمع «شاعرنى فشعرته أشعره، وفاخرنى ففخرته أفخره وواضأنى فوضأته

---

(١) الارتشاف: ١/ ٨٥.

(٢) السابق.

(٣) الكتاب: ٤/ ٦٨.

أوضـؤه» بفـتـح العين والخـاء والضـاد... هذا إذا لم يكن المضـارع قـد وجب فـيـه الكسـر نحـو: «سـار يسـيـر ووعـد يعـد ورومي يرمى» فـإن مضـارعـه يبـقى على حاله في المغالبة فتقول: «سايرني فسرته أسيره»(١).

وبناء على ماسبق كان حق قولهم: «نازعنى فغلبته» أن يقال: «نازعنى فنزعته أنزعه» ولكنهم استغنوا عن «نزعته» بـ«غلبته» على أن علماء اللغة قـد أوردوا: نـازعـتـنى نفـسـى إلى هواها نزاعـا: غـالبـتـنى، ونزعـتـهـا أنا: غلبتها.(٢)

سابعاً: الاستغناء بـ«فعل» عن «فعل»:

وضع سيبويه عنواناً لهذه المسألة فقال: «هذا باب ماجاء فعل منه على غير فعلته»(٣).

ذكر فيه أن هناك أفعالاً جاءت على«فعل» - بصيغة مالم يسم فاعله - منهـا: «جن، سل، زكم، ورد، حم...» وهى قـدر غـيـر يسـيـر فى لغتنا، فـقـد حصر أحد الباحثين منها اثنين وخمسين وخمسمائة فعل»(٤).

فـقـد اسـتـغنى بهـذه الأفـعـال عن الصـيـغ المبنيـة للمـعلوم، ولذا يقـول سيبويه: «.. وعلى ذا قالوا: مجنون، ومسلول، ومزكوم، ومحموم، ومورود.

وإنما جاءت هذه الحروف علي جننتـه وسللتـه وإن لم يسـتـعمل في الكلام، كـمـا أن يدع على ودعت، ويذر على وذرت وإن لم يسـتـعـملا، اسـتـغنى عنهـمـا بتركت، واستغنى عن قطع بقطع، كذلك استغنى عن جننت ونحوها بأفعلـت،

---

(١) الارتشاف ١/٧٨.

(٢) اللسان: «نزع».

(٣) الكتاب: ٤/٦٧.

(٤) بناء الفعل لغير الفاعل: أحمد الجمل: ٧.

فإذا قالوا: جن وسل فإنما يقولون جعل فيه الجنون والسل كما قالوا: حزن وفسل ورذل، وإذا قالوا جننت فكأنهم قالوا: جعل فيك جنون، كما أنه إذا قال: أقبرته فإنما يقول وهبت له قبراً، وجعلت له قبراً.

وكذلك أحزنته وأحببته. فإذا قلت: محزون ومحبوب جاء على غير أحببت، وقد قال بعضهم: حببت فجاء به علي القياس»[١].

ولكثرة هذه الأفعال في الكلام، ذهب بعض العلماء إلى أنها صيغ مستقلة برأسها، ليست فرعا عن صيغة أخرى. فمن المعلوم أن أوزان الفعل الثلاثي المجرد ثلاثة: مفتوح العين ومكسورها ومضمومها: (ضرب وعلم وظرف) لأن الفاء لاتكون إلا مفتوحة، لرفضهم الابتداء بالساكن، وكون الفتحة أخف، واللام مفتوحة دائماً للخفة، والعين لاتكون إلا متحركة، لئلا يلزم التقاء الساكنين في نحو«ضربت» والحركات منحصرة في:«الفتح، والكسر، والضم»، وأما ماجاء من نحو: «نعم وشهد» - بفتح الفاء وكسرها مع سكون العين- فمزال عن الأصل لضرب من الخفة، والأصل فيها «فعل» - بكسر العين - وأما نحو «ضرب» - بضم أوله وكسر ثانيه- ففيه قولان: أحدهما أنه أصل برأسه، وإليه ذهب المبرد وابن الطراوة والكوفيون، ونقله في شرح الكافية عن سيبويه والمازني، والثاني أنه فرع عن فعل الفاعل وإليه ذهب جمهور البصريين.[٢]

فمن قال: «إنه وزن أصلي مستدلاً بأن نحو: جن وبهت وطل دمه وأهدر وأولع بكذا وعني بحاجته بمعنى اعتنى وزهي علينا بمعنى تكبر وحم زيد وزكم ووعك وفلج وسقط في يده ورهمت الدابة ونفست المرأة ونتجت الناقة وغم الهلال وأغمي علي زيد وأخواتها - لم تستعمل إلا مبنية للمفعول، وذلك أن

---

(١) الكتاب: ٦٧/٤ .

(٢) التصريح: ٣٥٧/٢ .

فعل المفعول لو كان فرعاً لغيره لكان مستلزماً وجوده وجود ذلك الغير، ضرورة كون الفعل يستلزم وجوده وجود أصله، واللازم باطل، فالملزوم مثله، وبيان الملازمة أن الفرعية ثابتة كالأصل ولايوجد فرع بغير أصل، ونحن وجدنا أفعالاً مبنية للمفعول غير مغيرة عن المبني للفاعل .

ونقض ذلك الدليل ممكن بما ورد من جموع ليس لها مفردات نحو: «عباديد وأبابيل» والجمع فرع الإفراد اتفاقاً، فلو كان ماذكرتم صحيحاً، لزم كون الجمع أصلاً برأسه، وأنتم لاتقولون به، فكذلك هذه الأفعال ليست أصلاً بذاتها .

وأما القائلون بفرعية هذا البناء فقد استدلوا بترك الإدغام فى نحو: «سوير» وترك الإبدال فى نحو: «ووري» حيث إن الواو والياء متى اجتمعتا وسبقت إحداهما بالسكون، فإن الواو تقلب ياء وتدغم الياء فى الياء، وإن الواوين متى اجتمعتا فى أول الكلمة أبدلت الأولى همزة لزوماً، فلما لم يحصل إدغام ولاإبدال دل ذلك على أنهما مغيران عن فعل الفاعل، وهو «ساير ووارى» فكما أنه لاتدغم الألف من «ساير» ولاتهمز الواو فى «وارى» فكذلك ماغير عنهما .

وقد يرد علي ذلك بأنه إنما منع الإدغام لعدم اللبس، فلو أدغم «سوير» لالتبس بـ«المضعف» وأما ترك الإبدال فلأن الواو الثانية فى «ووري» ليست متأصلة فى الواوية، لأنها منقلبة عن ألف «وارى»[(١)].

---

(١) السابق: ١٢١/٣ .

ثامناً: الاستغناء بالمصدر المؤول بعد «لو» عن الاسم الصريح:

وهذا ماأشار إليه سيبويه بقوله: «وتقول: لو أنه ذاهب لكان خيراً له، فأن مبنية على لو.. كأنك قلت: لو ذاك، ثم جعلت أن ومابعدها في موضعه، فهذا تمثيل، وإن كانوا لايبنون على لو غير أن، كما كان تسلم فى قولك بذي تسلم فى موضع اسم، ولكنهم لايستعملون الاسم، لأنهم مما يستغنون بالشئ عن الشئ حتى يكون المستغنى عن مسقطاً»(١).

فمراد صاحب الكتاب أن «لو» إذا وقعت بعدها «أن» ومادخلت عليه، تكون واقعة موقع الاسم الصريح إلا أنهم استغنوا بها عنه .

ومما هو معلوم أن «لو» وإن كانت مما يختص بالأفعال إلا أنها يقع بعدها اسم مرفوع معمول لفعل محذوف يفسره مابعده نحو: «لو ذات سوار لطمتنى» كما يقع بعدها اسم منصوب معمول لمحذوف يفسره مابعده كذلك، نحو: «لو زيداً رأيته أكرمته»، كما يقع بعدها خبر لـ«كان» محذوفة نحو: «التمس ولو خاتماً من حديد»، كما يقع بعدها اسم هو فى الظاهر مبتدأ ومابعده خبر نحو قول الشاعر:

لو بغير الماء حلقى شـــرق كنت كالغصان بالماء اعتصارى(٢)

كما تقع بعدها «أن» - المشددة - كثيراً نحو: «لو أنك قائم» وقد اختلف في ذلك وإن كانوا قد اتفقوا علي أن موضعها رفع، فهى عند سيبويه مرفوعة بالابتداء، ولاتحتاج إلي خبر لاشتمال صلتها علي المسند والمسند إليه، واختصت من بين سائر مايؤول بالاسم بالوقوع بعد «لو» كما اختصت «غدوة» بالنصب بعد «لدن» والحين بالنصب بعد «لات» .

---

(١) الكتاب: ١٢١/٣ .

(٢) البيت من الرمل لعدي بن زيد، والشاهد فيه - عند سيبويه - وقوع الجملة الإسمية بعد «لو» موقع الجملة الفعلية شذوذاً. الكتاب: ١٢١/٣، والهمع: ٦٦/٢، والمغنى: ٢٦٨ والتصريح: ٢٥٩/٢ .

وذهب بعضهم إلى أنها في موضع رفع علي الابتداء، والخبر محذوف، يقدر مقدماً أو مؤخراً أي: لو ثابت قيامك أو لو قيامك ثابت .

وذهب المبرد والزجاج والكوفيون إلى أنه مرفوع على الفاعلية، والفعل مقدر بعدها أي: ولو ثبت أنك قائم.[١]

تاسعاً: الإستغناء بـ«عسى أن يفعل» عن ذكر الخبر:

تختص «عسى واخلولق وأوشك» وهى مما يندرج تحت مايسمى بـ«أفعال المقاربة» التى تعمل عمل «كان» من رفع الاسم ونصب الخبر إلا أن خبرها يجب أن يكون جملة فعلية لتوجه الحكم إلى مضمونها - بأنها تستعمل كسائر أخواتها فيكون لها اسم وخبر، كما تستعمل تامة، فيجوز إسنادهن إلى «أن يفعل» «مستغنى به عن الخبر، نحو قوله تعالى: «وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم»[٢] وقوله عز وجل: «.... عسى أن يكونوا خيراً منهم»[٣].

وبناء على ذلك فإنه إذا تقدم على إحداهن اسم هو المسند إليه الفعل فى المعنى، وتأخر عنها «أن» والفعل، نحو: «زيد عسى أن يقوم» جاز تقديرها خالية من ضمير ذلك الاسم المتقدم عليها، فتكون مسندة إلى «أن «والفعل»، مستغنى بهما عن الخبر، فتكون تامة، وهذه لغة أهل الحجاز .

كما يجوز تقديرها مسندة إلى الضمير العائد إلي الاسم المتقدم عليها فيكون الضمير اسمها، وتكون «أن» والفعل فى موضع نصب علي الخبر، فتكون ناقصة، وهى لغة تميم ويظهر أثر هذين التقديرين فى حالة التأنيث والتثنية والجمع، فتقول في حالة الإضمار: «هند عست أن تفلح» فهند مبتدأ، وعسى فعل ماض ناقص، واسمها ضمير مستتر فيها يعود على «هند»، وأن

---

(١) المغنى: ٢٧٠، ٢٧١ بتصرف.

(٢) البقرة: ٢١٦ .

(٣) الحجرات: ١١ .

تفلح فى موضع نصب خبر عسى، وعسى ومعمولها فى موضع رفع خبر المبتدأ. وكذا تقول: الزيدان عسيا أن يقوما، والزيدون عسوا أن يقوموا...».

وتقول على تقدير الخلو من المضمر: «هند عسى أن تفلح، والزيدان عسى أن يقوما والزيدون عسى أن يقوموا... فتقدير «عسى» خالية من الضمير، وهي تامة، وأن والفعل بعدها فى موضع رفع على الفاعلية بها، وهى ومابعدها فى موضع رفع على الخبرية للمبتدأ قبلها، والخلو من الضمير هو الأفصح وبه جاء التنزيل(١) - كما سبقت الإشارة - .

أما إذا تأخر الاسم نحو: «عسى أن يقوم زيد»، فإنه يجوز الوجهان السابقان الجائزان مع تقديم الاسم على أن يكون الاسم مبتدأ مؤخراً، كما يجوز وجهان آخران:

أحدهما: أنه يجوز في ذلك الفعل المقرون بأن، أن يقدر خالياً من الضمير العائد إلى الاسم المتأخر، فيكون الفعل مسنداً إلى ذلك الاسم المتأخر، وتكون «عسى» مسندة إلى «أن» والفعل فى موضع نصب علي الخبرية لعسى مقدماً على اسمها، فتكون ناقصة .

ويظهر أثر هذين الاحتمالين - أيضاً - في حال التأنيث والتثنية والجمع، فتقول على وجه الإضمار فى الفعل المقرون بأن «عسى أن يقوما أخواك» فأخواك اسم عسى مؤخر، وأن يقوما فى موضع نصب خبر عسى مقدم على اسمها، وكذا «عسى أن يقوموا إخوتك، وعسى أن يقمن نسوتك» وتقول على الوجه الآخر، وهو عدم الإضمار فى الفعل «عسى أن يقوم أخواك، وعسى أن يقوم إخوتك...» فالاسم المتأخر في هذه الأمثلة فاعل «يقوم» وعسى مسندة إلى «أن» والفعل مستغنى بهما عن الخبر.(٢)

---

(١) التصريح: ٢٠٨/١، ٢٠٩ بتصرف .

(٢) التصريح ٢٠٨/١، ٢٠٩ بتصرف .

هذا، وقد أشار سيبويه إلى هذه المسألة بقوله: «وتقول: عسى أن يفعل، وعسى أن يفعلوا، وعسى أن يفعلا... وكل ذلك تكلم به عامة العرب».(١)

وقال أيضاً: «وكينونة عسى للواحد والجمع والمؤنث تدلك على ذلك. ومن العرب من يقول: عسى وعسيا وعسوا، وعست وعستا وعسين، فمن قال ذلك كانت أن فيهن بمنزلتها في عسيت، في أنها منصوبة .

واعلم أنهم لم يستعملوا عسى فعلك، استغنوا بأن تفعل عن ذلك، كما استغنى أكثر العرب بعسى عن أن يقولوا عسيا وعسوا، وبلو أنه ذاهب عن لو ذهابه ومع هذا أنهم لم يستعملوا المصدر في هذا الباب، كما لم يستعملوا الاسم الذى في موضعه يفعل في عسى وكاد، فترك هذا، لأن من كلامهم الاستغناء بالشئ عن الشئ».(٢)

عاشراً: الاستغناء عن الفعل:

إذا كانت العرب قد استغنت عن فعل باستعمال فعل آخر، أو استبدلت بصيغة صيغة أخرى - كما سبق أن أشرنا - فإنهم - أحياناً - يستغنون عن النطق بالفعل ولايستبدلون به لفظاً آخر.

ومن ذلك قولهم: «زيداً ضربته» «وإنما نصبه على إضمار فعل هذا يفسره كأنك قلت: ضربت زيداً ضربته، إلا أنهم لايظهرون هذا الفعل هنا للاستغناء بتفسيره فالاسم هاهنا مبني على هذا المضمر»(٣).

وهذا مايعرف بباب الاشتغال، وحده: «أن يتقدم اسم ويتأخر عنه فعل متصرف أو اسم يشبهه، ناصب لضميره أو الملابس ضميره، بواسطة أو غيرها،

---

(١) الكتاب: ١٥٨/٣ .

(٢) الكتاب: ١٥٨/٣ .

(٣) الكتاب: ٨٩/١ .

ويكون ذلك الفعل بحيث لو فرغ عن ذلك المعمول وسلط على الاسم المتقدم لنصبه». (١)

على أنه يجب أن يعلم أن هذا الاسم المتقدم يجوز فيه وجهان: أحدهما راجح لسلامته من التقدير، وهو الرفع بالابتداء، ومابعده فى محل رفع على الخبرية، والوجه الثانى مرجوح لاحتياجه إلى التقدير، وهو النصب فإنه يكون منصوباً بفعل موافق للفعل المذكور، محذوف وجوباً، لأن الفعل المذكور مفسر له، فلا محل له من الإعراب على الأرجح (٢).

«وذهب الكوفيون إلى أنه منصوب بالفعل الظاهر وإن كان قد اشتغل بضميره لأن ضميره ليس غيره، وإذا تعدى إلى ضميره كان متعدياً إليه وهو قول فاسد، لأن ماذكروه وإن كان من جهة المعنى صحيحاً، فإنه فاسد من جهة اللفظ، وكما تجب مراعاة المعنى كذلك تلزم مراعاة اللفظ، ذلك أن الظاهر والمضمر ههنا غيران من جهة اللفظ، وهذه صناعة لفظية، و فى اللفظ قد استوفى مفعوله بتعديه إلى ضميره، واشتغاله به، فلم يجز أن يتعدى إلى آخر، والذى يدل أنه منتصب بفعل مضمر غير هذا الظاهر، أنك قد تقول: (زيداً مررت به) فتنصب (زيداً) ولو لم يكن ثم فعل مضمر يعمل فيه النصب، لما جاز نصبه بهذا الفعل، لأن (مررت) لايتعدى إلا بحرف جر». (٣)

كما يرده نحو قولهم: «أزيدا هدمت داره؟» حيث لايصح تسلط نفس العامل المذكور على الاسم المنصوب لفساد المعنى. (٤)

---

(١) التصريح: ١/١٩٦ .

(٢) التصريح: ١/٢٩٦، ٢٩٧ .

(٣) ابن يعيش ٢/٣٠، ٣١ .

(٤) التصريح ١/٢٩٧ .

ومن حذف الفعل على سبيل الاستغناء - أيضاً - ماجاء على سبيل الإغراء أو التحذير من نحو: «النجاة النجاة» ونحو: «إياك والشر» مما هو منصوب بفعل محذوف وجوباً يقدر بحسب المعنى، فقد عقد له سيبويه باباً عنوانه: «هذا باب ماجرى من الأمر والنهى على إضمار الفعل المستعمل إظهاره إذا علمت أن الرجل مستغن عن لفظك بالفعل» (١) قال فيه: «... أو رأيت رجلاً يحدث حديثاً فقطعه، فقلت: حديثك.. استغنيت عن الفعل بعلمه أنه مستخبر، فعلي هذا يجوز وماأشبهه». (٢)

على أن الإضمار فى مثل هذا المقام - كما يقول السيرافى - «على ثلاثة أوجه: وجه يجب فيه الإضمار ولايحسن فيه الإظهار مثل قولك: إياك وأن تقرب الأسد، فلا يحسن إظهار ماتصب (إياك) ووجه لايجوز أن تضمر العامل فيه، كأن تقول - مبتدئاً - : زيداً من غير سبب يجرى، ولاحال دالة على معنى. ووجه يجوز فيه الإضمار وعدمه». (٣)

فليس كل فعل يجوز إضماره، بل يجب أن يكون عليه دلالة من الكلام أو شاهد من الحال، ولذا يقول سيبويه: «واعلم أنه لايجوز لك أن تقول: عبد الله المقتول، وأنت تريد كن عبد الله المقتول، لأنه ليس فعلاً يصل من شئ إلى شئ ولأنك لست تشير له إلى أحد». (٤)

ومن هذا القبيل - حذف الفعل استغناء - قولهم: «بيع الملطى لاعهد ولاعقد» (٥) وقولهم: «متعرضاً لعنن (٥) لم يعنه، حيث إن التقدير فى

(١، ٢) الكتاب ٢٥٣/١ وقال ٢٧٣/١ «هذا باب ماينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره استغناء عنه» .

(٣) تقرير السيرافى على هامش الكتاب ١٢٨/١ .

(٤) الكتاب: ٢٦٤/١ .

(٥) الملطى: بيع بغير رجوع، ويروى «لاعهدة» انظر الأمثال للميدانى: ٢٨٣/٢ . واللسان: «ملس، ملط، عهد» والكتاب: ٢٧٢/١.

(٦) العنن: الأمر. يضرب للمعترض فيما ليس من شأنه: الميدانى: ٣٢٠/١ .

الأول: أبايعك بيع الملطى، وفي الثاني: دنا من هذا الأمر متعرضاً لعنٍ لم يعنه. ومنه قول ابن عبيد الأشجعي:

وعدت وكان الخلف منك سجية   مواعيد عرقوب أخاه بيثرب[1]

«كأنه قال: واعدتني مواعيد عرقوب أخاه، ولكنه ترك (واعدتني) استغناء بما هو فيه من ذكر الخلف واكتفاء بعلم من يعني بما كان بينهما قبل ذلك»[2].

ومنه قولهم: «من أنت زيداً» أصله - كما يقول ابن يعيش: «أن رجلاً غير معروف بفضل تسمى بزيد، وكان زيد مشهوراً بالفضل والشجاعة، فلما تسمى الرجل المجهول باسم ذي الفضل دفع عن ذلك، فقيل له: من أنت زيداً على جهة الإنكار، كأنه قال: من أنت تذكر زيداً، أو ذاكراً زيداً، لكن لايظهر ذلك الناصب.. ويجوز أن تقول: من أنت زيداً؟ لمن ليس اسمه زيداً على سبيل المثال، أي أنت بمنزلة الذي يقال له ذلك»[3].

---

(١) البيت من الطويل، عرقوب: رجل من العماليق يضرب به المثل في خلف الوعد .

يثرب - بفتح الراء: موضع قرب اليمامة. وأورده سيبويه بكسر الراء، وهو اسم للمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام .

والشاهد في البيت «مواعيد عرقوب» حيث جاء منصوباً بفعل محذوف تقديره واعدتني مواعيد عرقوب أخاه .

انظر الكتاب: ١/ ٢٧٢، وابن يعيش: ١/ ١١٣، والخزانة: ١/ ٢٧ بولاق. ومعجم البلدان ياقوت: «يثرب» وأمثال الميداني: ٢/ ٣١١ واللسان: «ثرب» .

(٢) الكتاب: ١/ ٢٧٢ .

(٣) ابن يعيش ٢/ ٢٢ .

أو كما يقول سيبويه: «... فزعم يونس أنه على قوله: من أنت تذكر زيداً، ولكنه كثر في كلامهم واستعمل واستغنوا عن إظهاره». (١)

ومن قبيل حذف الفعل - على سبيل الاستغناء - ماجاء من المصادر على إضمار الفعل غير المستعمل إظهاره، «وذلك قولك: سقيا ورعياً.. وبعداً وسحقاً» (٢)، ومنه قوله:

ثم قالوا تحبها قلت بهرا عدد النجم والحصى والتراب (٣)

قال سيبويه: «وماجاء منه لايظهر له فعل فهو على هذا المثال نصب، كأنك جعلت بهراً، بدلاً من بهرك الله، فهذا تمثيل ولايتكلم به» (٤)

وقد يستغنون بالأسماء المشتقة من الأفعال، فيقولون: «أقائماً وقد قعد الناس وقاعداً وقد سار الركب» فهذا - على حد تعبير سيبويه - «كأنه لفظ بقوله: أتقوم قائماً، وأتقعد قاعداً، ولكنه حذف استغناء بما يرى من الحال، وصار الاسم بدلاً من اللفظ بالفعل، فجرى مجرى المصدر في هذا الموضع». (٥)

---

(١) الكتاب: ١/٢٩٢.

(٢) الكتاب: ١/٣١١ .

(٣) البيت من الخفيف، لعمر بن أبي ربيعة، بهراً، يقال: بهراً لفلان إذا دعا عليه بسوء، وقيل معناه عجباه والشاهد فيه أن بهراً بدل من اللفظ بالفعل. انظر الكتاب ١/٣١١، وديوان ابن أبي ربيعة: ٤٢٣، وابن يعيش: ١/١٢١ .

(٤) الكتاب: ١/٣١٢ .

(٥) الكتاب: ١/٣٤٠، ٣٤١ .

كما أنهم قد يستغنون بالأسماء الجامدة عن أفعال تقدر من غير ألفاظ تلك الأسماء وهذا ماأشار إليه سيبويه بقوله: «هذا باب ماجرى من الأسماء التى لم تؤخذ من الفعل مجرى الأسماء التى أخذت من الفعل»[١] وذلك نحو قولهم: «أتميمياً مرة وقيسياً أخرى؟ يقال لمن هو فى حال تلون وتغير وتنقل، كأنه قيل: أتحول تميمياً مرة وقيسياً أخرى؟ على سبيل التوبيخ والإنكار ومنه قول هند بنت عتبة:

أفى السلم أعياراً جفاء وغلظة

وفى الحرب أشباه الإماء العوارك[٢]

ومنه أيضاً - قول الآخر:

أفى الولائم أولاداً لواحدة   وفى العيادة أولاداً لعلات[٣]

ومنه ماورد أن رجلاً من بنى أسد قال يوم جبلة واستقبله بعير أعور فتطير منه، فقال: يابنى أسد، «أعور وذاناب»[٤] كأنه قال: أتستقبلون أعور وذاناب؟

---

(١) الكتاب: ٣٤٣/١ .

(٢) البيت من الطويل، والأعيار: جمع عير، بالفتح، وهو الحمار. والجفاء: الغلظة والفظاظة. والعوارك: جمع عارك وهى الحائض. توبخ أهلها يوم بدر على هزيمتهم والشاهد: نصب «أعياراً» بإضمار فعل مضمر .

انظر: سيرة ابن هشام: ٤٦٨، واللسان: «عير، عرك» والكتاب: ٣٤٤/١

(٣) البيت من البسيط، الولائم: جمع وليمة وهى الطعام يدعى إليه. العلات: جمع علة، بالفتح وأولاد العلات الذين أمهاتهم شتى وأبوهم واحد. يهجوهم بالشراهة والخسة. والشاهد فيه نصب «أولادا» بإضمار فعل وضعت هى موضعه. انظر اللسان: «علل» والكتاب: ٣٤٤/١١.

(٤) اللسان «عور» .

فهذه الأسماء نصبت بأفعال من غير ألفاظ الأسماء تناسب المقام - كما أشرنا - ويجوز أن تقدر لها أفعال من نفس ألفاظها على سبيل: «ترجلت المرأة» إذا تشبهت بالرجال ولذا يقول سيبويه: «ولو مثلت مانصبت عليه (الأعيار والأعور) في البدل من اللفظ لقلت: أتعبرون مرة، وأتعورون، إذا أوضحت معناه، لأنك إنما تجريه مجرى ماله فعل من لفظه وقد يجرى مجرى الفعل ويعمل عمله،و لكنه كان أحسن أن توضحه بما يتكلم به إذا كان لايغير معنى الحديث، وكذلك هذا النحو ولكنه يترك استغناء بما يحسن من الفعل الذى لاينقض المعنى»(١).

حادى عشر: الاستغناء عن المعمول:

وإذا كنا قد عرضنا - فيما سبق - لحذف العامل استغناء، فسوف نعرض هنا لحذف المعمول، وهو كثير - أيضاً - من ذلك ماعرف بـ«باب التنازع» الذى عنون له صاحب «الكتاب» بقوله: «هذا باب الفاعلين والمفعولين اللذين كل واحد منهما يفعل بفاعله مثل الذى يفعل به وماكان نحو ذلك»(٢) ومثل له بقولهم: «ضربت وضربنى زيد وضربنى وضربت زيداً»، أى ضربت زيداً وضربنى زيد، وضربنى زيد وضربت زيداً .

وحقيقته: «أن يتقدم فعلان مذكوران متصرفان أو اسمان يشبهانهما فى التصرف أو فعل متصرف واسم يشبهه في التصرف ويتأخر عنهما معمول غير سببى مرفوع أو غير مرفوع وهو مطلوب لكل منهما من حيث المعنى»(٣).

---

(١) الكتاب: ٣٤٥/١ .

(٢) الكتاب: ٧٣/١ .

(٣) التصريح: ٣١٥/١ .

هذا، وقد عرض سيبويه في هذا الباب صوراً منها ماهو مندرج تحت الضابط السابق - كما سبق - ومنها مالا يندرج تحته، نحوقوله: «ومما يقوى ترك نحو هذا لعلم المخاطب قوله عز وجل: (والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات»[(١)] فلم يعمل الآخر فيما عمل فيه الأول استغناء عنه»[(٢)].

فهذا ليس من باب «التنازع» وإنما هو من باب الحذف من الثاني لدلالة الأول عليه وهذا ماأشار إليه أبو حيان حيث قال: «حذف المفعول من (الحافظات والذاكرات) لدلالة ماتقدم. والتقدير: والحافظاتها والذاكراته»[(٣)].

ومما استشهد به سيبويه مقوياً لما جاز من حذف المفعول الذى هو فضلة، ماذكره شاهدا على جواز حذف الخبر، وذلك قوله: «وجاء في الشعر من الاستغناء أشد من هذا، وذلك قول قيس بن الخطيم:

نحن بما عندنا وأنت بما ... عندك راض والرأى مختلف[(٤)]

---

(١) الأحزاب: ٣٥ .

(٢) الكتاب: ١/٧٤ .

(٣) البحر المحيط: ٧/٢٣٢ .

(٤) الكتاب: ١/٧٥، والمراد: نحن بما عندنا راضون وأنت بما عندك راض، فحذف من الأول لدلالة الثاني عليه، وذهب غير سيبيبويه إلى أنه على التقديم والتأخير أى على الحذف من الثاني، وهو لايطرد هاهنا .

المبحث الثالث
الاستثناء والاستغناء

كان لظاهرة «الاستغناء» دور بارز في باب الاستثناء يتجلى ذلك فيما يلى:

أولاً: حذف المستثنى بعد «غير»:

«غير» اسم ملازم للإضافة فى المعنى، ولاتتعرف بالإضافة، لشدة إبهامها، تستعمل «غير» المضافة لفظاً على وجهين: (١)

أحدهما: وهو الأصل، أن تكون صفة للنكرة نحو: «نعمل صالحاً غير الذى كنا نعمل»(٢)، أو لمعرفة قريبة منها نحو: «صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم»(٣)، لأن المعرف بأل الجنسية قريب من النكرة .

والثاني: أن تكون استثناء، فتعرب بإعراب الاسم التالى «إلا» فى ذلك الكلام، فتقول: «جاء القوم غير زيد» بالنصب، و«ماجاءنى أحد غير زيد» بالرفع والنصب، وقال تعالى: «لايستوى القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر»(٤) يقرأ برفع «غير» إما على أنه صفة لـ«القاعدون» لأنهم جنس، وإما على أنه استثناء وأبدل على حد «مافعلوه إلا قليل منهم»(٥) ويؤيده قراءة النصب .

---

(١) المغنى: ١٥٧، ١٥٨ .

(٢) فاطر: ٣٧ .

(٣) الفاتحة: ٧ .

(٤) النساء: ٩٥ .

(٥) النساء: ٦٦ .

وانتصاب «غير» في الاستثناء عن تمام الكلام عند المغاربة كانتصاب الاسم بعد «إلا» عندهم، واختاره ابن عصفور، وعلى الحالية عند الفارسي، واختاره ابن مالك، وعلى التشبيه بظرف المكان عند جماعة، واختاره ابن الباذش[1].

هذا، وقد أشار سيبويه في تضاعيف حديثه عن الاستثناء وأحكامه إلى جواز حذف المستثنى بعد «غير» وبعد «إلا» حيث قال: «هذا باب يحذف المستثنى فيه استخفافاً .

وذلك قولك: (ليس غير، وليس إلا)، كأنه قال: ليس إلا ذاك، وليس غير ذاك ولكنهم حذفوا ذلك تخفيفاً واكتفاء بعلم المخاطب مايعني.... كما قالوا: لو أن زيداً هنا، وإنما يريدون: لكان كذا وكذا، وقولهم: ليس أحد، أي ليس هنا أحد فكل ذلك حذف تخفيفاً، واستغناء بعلم المخاطب بما يعني»[1].

على أنه يجب أن يعلم أن قطع «غير» عن الإضافة لفظاً إنما يتوقف على فهم المعنى وتقدم «ليس» عليها. فتقول: «قبضت عشرة ليس غير - بفتح الراء من غير تنوين - على إضمار الاسم وحذف المضاف إليه لفظاً، ونية ثبوته كقراءة بعضهم: «لله الأمر من قبل ومن بعد»[3] - بالكسر من غير تنوين - أي من قبل الغلب ومن بعده، وتقول: ليس غير - بالضم من غير تنوين - فقال المبرد والمتأخرون إنها ضمة بناء لاإعراب، وإن «غير» شبهت بالغايات كـ«قبل وبعد» فعلى هذا يحتمل أن يكون اسماً وأن يكون خبراً، وقال

(١) المغني: ١٥٨، ١٥٩ بتصرف .

(٢) الكتاب: ٢/٣٤٤، ٣٤٦ .

(٣) الروم: ٤ .

الأخفش: ضمة إعراب لابناء، لأنه ليس باسم زمان، نحو: «قبل وبعد»، ولامكان نحو «فوق وتحت» وإنما هو بمنزلة «كل وبعض» وعلى هذا فهو الاسم، وحذف الخبر، وقال ابن خروف: يحتمل الوجهين: كما يقال: «ليس غيراً - بالرفع والتنوين - وعليهما فالحركة إعرابية، لأن التنوين إما للتمكين، فلا يلحق إلا المعربات، وإما للتعويض فكأن المضاف إليه مذكور»(١).

ثانياً: حذف اسم «ليس ولايكون»:

«ليس ولايكون» من أدوات الاستثناء، والمستثنى بهما واجب النصب، لأنه خبرهما وفى الحديث: «ماأنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا ليس السن والظفر»(٢) - بالنصب - لأنهما مستثنيان من فاعل «أنهر» المستتر فيه، وتقول: «أتونى لايكون زيداً» - بالنصب أيضاً - فالسن وماعطف عليها فى الحدديث و«زيداً» فى المثال خبران لـ«ليس ولايكون»، واسمهما ضمير مستتر فيهما واجب الاستتار، وقد اختلف فى مرجعه :

فقيل: عائد على اسم الفاعل المفهوم من الفعل السابق فتقدير «قاموا ليس زيداً» ليس هو أى القائم زيداء ورد بأنه غير مطرد فى نحو: «القوم إخوتك ليس زيداً» حيث لايوجد فعل، وأجيب بأن دعوى فهم اسم الفاعل من الفعل السابق على وجه التقريب، وقد يكون مفهوماً من قوة الكلام كالاتصاف بالأخوة فى المثال المذكور، أى ليس المتصف بالأخوة زيداً. (٣)

---

(١) المغنى: ١٥٧، ١٥٨ .

(٢) الحديث رواه البخارى فى باب الذبائح فتح البارى: ٥٤٦/٩ .

(٣) التصريح بحاشية الشيخ يس: ٣٦٢/١، ٣٦٣ .

وقيل: عائد على المصدر المدلول عليه بالفعل تضمناً، أى ليس قيامهم قيام زيد، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، وقد اعترض عليه بمثل مااعترض على الأول، وأجيب عنه بمثل ماأجيب عن الأول، [١] فالتقدير: ليس هو أى الانتساب إليك بالأخوة انتساب زيد .

وقيل: عائد على البعض المدلول عليه بكله السابق، أى ليس بعضهم زيداً، فهو نظير قوله تعالى: «فإن كن نساء فوق اثنتين» [٢] بعد قوله: «يوصيكم الله فى أولادكم» [٣] فالنون فى «كن» اسمها، وهو عائد على الإناث اللاتى هن بعض الأولاد المتقدم ذكرهم فى قوله «فى أولادكم» فإنه فى قوة أولادكم الذكور والإناث .

وهذا الأخير هو اختيار سيبويه خلافاً لما نقله صاحب التصريح [٤]، حيث نسب إليه الأول، فقد قال صاحب «الكتاب»: وذلك قولك: ما أتونى ليس زيداً، وأتونى لايكون زيداً، وماأتانى أحد لايكون زيداً كأنه حين قال: أتونى، صار المخاطب عنده قد وقع فى خلده أن بعض الآتين زيد، حتى كأنه قال: بعضهم زيد، فكأنه قال: ليس بعضهم زيداً. وترك إظهار (بعض) استغناء كما ترك الإظهار فى لات حين» [٥].

وقد رجحه ابن هشام فى سياق حديثه عن «ليس» وخروجها عن كونها ملازمة لرفع الاسم ونصب الخبر فى مواضع منها هذا الموضع - قائلاً:

---

(١) السابق نفسه .

(٢، ٣) النساء: ١١ .

(٤) التصريح ٣٦٢/١ .

(٥) الكتاب: ٣٤٧/٢ .

«والصحيح أنها الناسخة، وأن اسمها ضمير راجع للبعض المفهوم مما تقدم، واستتاره واجب، فلا يليها فى اللفظ إلا المنصوب»[١].

هذا وجملتا الاستثناء المصدرتان بـ«ليس ولايكون» فى موضع نصب على الحال من المستثنى منه، بالرغم من مجئ إحداهما مصدرة بماض غير مقترنة بـ«قد» لفظا ولاتقديرا كما هو شرط وقوع الماضى حالاً، وبرغم من خلوهما من رابط، ولعل قوة تعلق الجملة الاستثنائية بما قبلها أغنى عن الرابط - كما ذكر يس[٢] - وقيل: إنهما مستأنفتان فلا موضع لهما من الإعراب .

---

(١) المغنى: ٢٩٤ .

(٢) التصريح: ٣٦٣/١ .

المبحث الرابع
النفى والاستغناء

أولاً: حذف خبر «لا»

كثر الحذف فى باب النفى، وذلك على سبيل الاستغناء عن ذكر المحذوف، فقد كثر حذف خبر «لا» النافية للجنس، ولذا يقول سيبويه: «واعلم أن لا وماعملت فيه فى موضع ابتداء، كما أنك إذا قلت: هل من رجل؟ فالكلام بمنزلة اسم مرفوع مبتدأ، وكذلك: مامن رجل، ومامن شئ، والذى يبنى عليه، فى زمان أو فى مكان، لكنك تضمره، وإن شئت أظهرته، وكذلك: لارجل، ولاشئ إنما تريد: لارجل في مكان، ولاشئ في زمان»(١).

ويعلل ابن يعيش لكثرة الحذف فى هذا الموضع بقوله: «إن عموم النفى ينبئ عن معنى الخبر، وليس للإثبات عموم كعموم النفى، فإن أردت خبراً خاصاً لم يكن بد من ذكر»(٢).

كما علل لذلك السيوطى حيث يقول: «وإنما كثر أو وجب - يعنى حذف الخبر - لأن لا ومادخلت عليه جواب استفهام عام، والأجوبة يقع فيها الحذف والاختصار كثيراً، ولهذا يكتفون فيها، بلا ونعم، ويحذفون الجملة بعدها رأساً»(٣).

ويؤكد سيبويه على أن الدافع إلى حذف الخبر إنما هو «الاستغناء» عن ذكره اكتفاء بعلم المخاطب، وذلك فى سياق حديثه عن جواز إقحام اللام بين اسم

---

(١) الكتاب: ٢/ ٢٧٥ .

(٢) ابن يعيش: ١/ ١٠٧ .

(٣) الهمع: ١/ ١٤٦ .

«لا» وما أضيف إليه في نحو: «لاأبالك» فإنه يجوز في اسم «لا» في هذه الحالة أحد وجهين:

أحدهما: أن يبنى مع «لا» وتكون اللام في موضع النعت للإسم أو في موضع الخبر، والآخر: أن يكون مضافاً إلى الاسم الذى بعد اللام، وتكون اللام زائدة مؤكدة للإضافة، و(لا) عاملة فيه غير مبنية معه، وهذه الزيادة شاذة، ولاتزاد إلا في «لا» وفي النداء.[(١)]

يقول سيبويه: «وكذلك إن لم تجعل (لك) خبراً، ولم تفصل بينهما، وجئت بلك بعد أن تضمر مكاناً أو زماناً، كإضمارك إذا قلت: لارجل، ولابأس، وإن أظهرت فحسن، ثم تقول: لك، لتبين المنفى عنه، وربما تركتها استغناء بعلم المخاطب، وقد تذكرها توكيداً وإن علم من تعنى.»[(٢)]

وقال - أيضاً - «.... فإذا قلت: لاأبالك، فهاهنا إضمار مكان ولكنه ترك استخفافاً واستغناء»[(٣)].

ثانياً: حذف اسمها :

وكما حذف الخبر في هذا الباب اختصاراً واستغناء، حذفوا - كذلك - الاسم فقالوا «لاعليك» يريدون: لابأس عليك، أو لاشئ عليك، فقد أشار سيبويه إلى ذلك في عدة مواضع منها: «ومثله في الحذف: لاعليك، فحذفوا الاسم، وقال: مافيهم يفضلك في شئ، يريد: مافيهم أحد يفضلك، كما أراد: لابأس عليك، أو نحوه، والشواذ في كلامهم كثيرة»[(٤)].

---

(١) تقرير السيرافي على الكتاب: ٣٤٦/١ .

(٢) الكتاب: ٢٧٩/٢، ١٢٨٠ .

(٣) السابق: ٢٨٢/٢ .

(٤) السابق: ١١٥/١ .

وقال - أيضاً - : «وتقول: لاكالعشية عشية - بالرفع - ولاكزيد رجل، لأن الآخر هو الأول ولأن زيداً رجل، وصار لاكزيد كأنك قلت: لاأحد كزيد، ثم قلت: رجل»(١).

كما تعرض صاحب «الكتاب» للاستغناء في باب المنفي بلا، وهو يتحدث عن ورود «لا» لمعنى التمني إذا سبقت بهمزة الاستفهاء في نحو: «ألا ماء بارداً» فقد قال: «واعلم أن لا إذا كانت مع ألف الاستفهام ودخل فيها معنى التمني، عملت فيما بعدها فنصبته... فمن ذلك ألا غلام لي، وألا ماء بارداً، ومن قال: لاماء بارد قال: ألا ماء بارد».

والفرق بين استعمال «لا» في النفي واستعمالها في التمني، أنها في النفي لابد لها من خبر ظاهر أو مقدر. أما في المتمنى فإنها تستغني عن الخبر، وهذا ماعبر عنه بقوله: «ومن قال: لاغلام أفضل منك - برفع أفضل - لم يقل في ألا غلام أفضل منك إلا بالنصب، لأنه دخل فيه معنى التمني، وصار مستغنياً عن الخبر، كاستغناء اللهم غلاماً ومعناه اللهم هب لي غلاماً»(٢).

---

(١) السابق: ٢٩٤/٢ .

(٢) الكتاب: ٣٠٩/٢.

المبحث الخامس
النداء والاستغناء

أسلوب النداء من أكثر الأساليب استعمالاً وشيوعاً على الألسنة، ولذا كثر فيه التغيير والحذف والاستغناء، لأنهم مما يغيرون الأكثر فى كلامهم، «وإنما فعلوا هذا بالنداء لكثرته فى كلامهم، ولأن أول الكلام أبداً النداء، إلا أن تدعه استغناء بإقبال المخاطب عليك...»[(١)].

والذى يتتبع كتاب سيبويه، وهو يتحدث عن أبواب النداء، يجده قد تعرض لظاهرة الاستغناء فى العديد من المواضع، من ذلك :

أولاً: سبب امتناع نداء مافيه أل:

مما هو معلوم أن البصريين يمنعون نداء مافيه الألف واللام، إلا مااستثنى من لفظ الجلالة، والجمل المحكية، وذلك خلافاً للكوفيين الذين أجازوا ذلك، وهى مسألة خلافية نص عليها صاحب «الإنصاف»[(٢)] وقد عرضت لهذه المسألة فى مبحث آخر.[(٣)]

والذى يعنينى فى هذا الصدد هو ماأشار إليه سيبويه من أثر ظاهرة «الاستغناء» فى هذه القضية فقد نقل صاحب «الكتاب» عن الخليل تعليله لامتناع نداء مافيه «أل» بأن المنادى معرف بالحضور والإشارة، فليس من حاجة إلى مزيد من التعريف، وذلك حيث يقول:[(٤)] «وزعم الخليل رحمه اللــه

---

(١) الكتاب: ٢٠٨ .

(٢) الانصاف: ١/٣٣٦.

(٣) كثرة الاستعمال: ٧٣ .

(٤) الكتاب: ٢/١٩٧ .

أن الألف واللام إنما منعهما أن يدخلا فى النداء من قبل أن كل اسم فى النداء مرفوع معرفة، وذلك أنه إذا قال: يارجل ويافاسق، فمعناه كمعنى ياأيها الفاسق، وياأيها لرجل، وصار معرفة، لأنك أشرت إليه وقصدت قصده، واكتفيت بهذا عن الألف واللام، وصار كالأسماء التى هى للإشارة نحو هذا وماأشبه ذلك، وصار معرفة بغير ألف ولام، لأنك إنما قصدت قصد شئ بعينه، وصار هذا بدلاً من النداء من الألف واللام، واستغنى به عنهما، كما استغنيت بقولك: اضرب عن لتضرب...» .

ثانياً: حذف الياء من المنادى المضاف إلى ياء المتكلم:

كثرت اللغات فى نداء المضاف إلى ياء المتكلم، حتى بلغت عشر لغات إذا كان المنادى لفظ الأب أو الأم[(١)] والذى يعنينا فى هذا الصدد هو أن من تلك اللغات حذف الياء والاستغناء عنها بالكسرة، وذلك لأن الياء بدل من التنوين، فكما يحذف التنوين من المنادى المفرد، يحذف ماهو بدل منه، وهذا ماعبر عنه سيبويه بقوله: «اعلم أن ياء الإضافة لاتثبت مع النداء كما لم يثبت التنوين فى المفرد، لأن ياء الإضافة فى الاسم بمنزلة التنوين، لأنها بدل من التنوين. فحذف وترك آخر الاسم جرا ليفصل بين الإضافة وغيرها، وصار حذفها هنا لكثرة النداء فى كلامهم حيث استغنوا بالكسرة عن الياء»[(٢)].

فإذا كان المنادى مضافا إلى مضاف إلى ياء المتكلم، لم يكن فيه إلا إثبات الياء ساكنة نحو: «ياابن أخي»، وذلك لأنه غير منادى، وإنما هو بمنزلة

---

(١) انظر ابن يعيش ٢/ ٤٠، والرضى: ١/٢٩٤، والتصريح ٢/ ١٧٧ .

(٢) الكتاب: ٢/٢٠٩ .

المجرور فى غير النداء.[(١)] فإذا كان المضاف إلى الياء لفظ «أم أو عم» ففيه أربعة أوجه فتح الميم من «أم وعم» إتباعاً لنون «ابن» «من كسرتها لأنهما لما جعلا كاسم واحد حذفت الياء وبقيت الكسرة. إثبات الياء أو قلبها ألفاً.[(٢)]

ثالثاً: حذف حرف النداء :

للنداء أدوات ثمانية ذكرها النحاة،[(٣)] ونصوا على أن الغرض منها إنما هو التصويت بالمنادى ومد الصوت وتنبيه المدعو، وهى نائبة عن الفعل «أدعو» ونحوه تخفيفاً واختصاراً فكان حقها أن تذكر دائماً فى اللفظ، حتى لايؤدى حذفها إلى الإجحاف بحذف البدل والمبدل منه .

والمتتبع للأساليب العربية، يجد أنه قد ورد منها ماحذف فيه حرف النداء فى بعض الاستعمالات ولذا وجدنا النحاة يقررون جواز ذلك الحذف حيناً ومنعه حيناً آخر، وهذا ماأشار إليه سيبويه بقوله: «.... وإن شئت حذفتهن كلهن استغناء كقولك حار بن كعب، وذلك أنه جعله بمنزلة من هو مقبل عليه بحضرته يخاطبه».

أما المواضع التى يمتنع فيها حذف حرف النداء فنجملها فيما يلى:

١ - نداء لفظ الجلالة . ٢ - نداء الضمير. ٣ - نداء البعيد .

٤ - نداء المستغاث به. ٥ - نداء المندوب . ٦ - نداء المتعجب منه.

وزاد البصريون نداء اسم الإشارة ونداء اسم الجنس المعين، بينما أجاز الكوفيون نداءهما.[(٤)]

---

(١) الكتاب: ٢/٢١٣ .

(٢) تعليق ألسيرافى على هامش الكتاب: ٣١٩/١ بولاق .

(٣) انظر الكتاب: ٢/٢٢٩، وابن يعيش: ١١٨/٨ .

(٤) انظر الرضى: ١/١٦٠، والتصريح: ٢/١٦٥ .

القسم الثاني
المباحث الصرفية

المبحث الأول
الاستغناء بتثنية لفظ عن لفظ آخر

أولاً: تثنية «سواء»:

من ذلك استغناؤهم عن تثنية «سواء» بتثنية «ستى» فقالوا: سيان ولم يقولوا سواءان - كما ذكر السيوطي.[١]

وأصل ذلك راجع إلى ماوضعه النحاة من شروط يجب أن تتوافر في مايثنى من الألفاظ وهي:

١ - الإفراد: فلا يثنى المثنى ولاالمجموع على حده، ولاالجمع الذى لانظير له في الآحاد، ولاجمع المؤنث السالم، وإن ثنى من جمع التكسير واسم الجمع واسم الجنس نحو: الجمالين، والركبين والغنمين .

٢ - الإعراب: فلا يثنى المبنى، وأما «ذان وتان واللذان واللتان» فصيغ موضوعة للاثنين، وليس من المثنى حقيقة على الأصح عند جمهور البصريين، وأما قولهم «منان ومنين» فليست الزيادة فيهما للتثنية بل للحكاية[٢]. وكذا ماكان نحو: «يازيدان، ولارجلين» فإن البناء وارد على المثنى، فهما من بناء التثنية لامن تثنية المبنى .

٣ - عدم التركيب: فلا يثنى المركب تركيباً إسنادياً باتفاق نحو: «تأبط شراً، وشاب قرناها» وكذا المركب تركيباً مزجياً على الأصح، نحو «معد يكرب

---

(١) الأشباه والنظائر: ١/٥١ .

(٢) الصبان على الأشمونى: ١/٦٩ .

وسيبويه»، فإن أريد الدلالة على اثنين أو اثنتين مما سمي بها، أضيف إليه «ذوا أو ذواتا»، وأجاز بعضهم تثنية المركب المزجي على لفظه فيقال: «معد يكريان وسيبويهان، وأجاز آخرون تثنيته بحذف عجز المختوم بويه فيقال «سيبان» وأما العلم الإضافي فيثنى جزؤه الأول على الصحيح فيقال «جاء عبدا الله».[1]

٤ - التنكير: فلا يثنى العلم باقياً على علميته، بل ينكر ثم يثنى مقروناً بأل أو مايفيد فائدتها، ليكون كالعوض من العلمية فيقال: «جاء الزيدان، ويازيدان» ولذلك لاتثنى كنايات العلم نحو «فلان وفلانة»، لأنها لاتقبل التنكير .

٥ - اتفاق اللفظ: وأما نحو «الأبوين» للأب والأم، فمن باب التغليب، فإنهم يغلبون على الشئ مالغيره لتناسب بينهما أو اختلاط - على حد تعبير ابن هشام-[2] فيقولون: الأبوين في الأب والأم والقمرين في الشمس والقمر، والمشرقين في المشرق والمغرب .

٦ - اتفاق المعنى: فلا يثنى اللفظ مراداً به حقيقته ومجازه، أو مراداً به معنياه المختلفان المشترك هو بينهما عند الجمهور، وأما قولهم: «القلم أحد اللسانين» فشاذ .

٧ - أن لايستغنى عن تثنيته بتثنية غيره نحو «سواء» فإنهم استغنوا عن تثنيته بتثنية «سئ» قالوا: «سيان» لا «سواآن» وكذا استغنوا عن تثنية «بعض» بتثنية «جزء» فقالوا «جزآن» وكذا استغنوا عن تثنية «أجمع وجمعاء» بـ«كلا وكلتا»، وكذا استغنوا عن تثنية نحو «ثلاثة وأربعة» من ألفاظ الأعداد بقولهم «ستة وثمانية».

---

(١) السابق نفسه .

(٢) المغني: ٦٨٦ .

٨ - أن يكون له ثان في الوجود: فلا يثنى الشمس والقمر، وأما قولهم «القمران» فمن باب التغليب.[١]

والذى يعنينا من هذه الشروط هو الشرط السابع، حيث يشترطون عدم الاستغناء عن تثنية اللفظ بتثنية لفظ آخر، وذلك رغبة فى الإيجاز والاختصار، فلما رأو أن العرب قد استغنوا عن تثنية «سواء» بتثنية «سى» فقالوا «سيان» ولم يقولوا «سواآن» - استنبطوا هذا الشرط .

على أنه يجب أن يوضع فى الاعتبار أن الحكم بعدم استعمال «سواآن» ليس حكماً مطلقاً، يقول الصبان: « .... فقالوا سيان لاسواآن أى قياساً، فلا ينافى أنه شذ سواآن. »

وقال ابن منظور: سواء الشئ: مثله، والجمع أسواء، أنشد اللحيانى .

ترى القوم أسواء إذا جلسوا معاً

وفى القوم زيف مثل زيف الدراهم

ويقال: فلان وفلان سواء، أى متساويان، وقوم سواء، لأنه مصدر لايثنى ولايجمع قال الله تعالى: (ليسوا سواء)[٢] أى ليسوا مستوين. الجوهرى: وهما فى هذا الأمر سواء، وإن شئت سواءان... قال وشاهد تثنية سواء قول قيس بن معاذ .

أيارب إن لم تقسم الحب بيننا سواءين فاجعلنى على حبها جلدا

والسئ: المثل، قال ابن برى: وأصله سوى، ... وسيان بمعنى سواء يقال: هما سيان، وهما أسواء، قال:وقد يقال هم سئ كما يقال هم سواء، قال الشاعر:

---

(١) التصريح: ٢٧/١، والصبان: ٦٩/١، ٧٠، والهمع: ٤٠/١ .

(٢) آل عمران: ١١١ .

وهم سيئ إذا ماتسبوا   في سناء المجد من عبد مناف

والسيان: المثلان. قال ابن سيده: وهما سواءان وسيان: مثلان[(١)].

فما نقله ابن منظور يدل على استعمال «سواآن» ولكن بقلة، وأن الشائع في الاستعمال هو «سيان» .

ثانياً: تثنية «ضبع»:

الضبع - بفتح الضاد وضم الباء وقد تسكن - ضرب من السباع أنثى، والجمع أضبع وضباع وضبع - بضمتين - وضبع - بسكون الباء - وضبعات ومضبعة، ... والذكر ضبعان - بكسر أوله وسكون ثانيه - ويقال للذكر والأنثى: ضبعان، يغلبون التأنيث لخفته هنا.[(٢)]

فصاحب اللسان يجعل استعمال «ضبعان» من باب التغليب، والصواب أنه من باب الاستغناء، ويوضح ذلك تحديد مفهوم كل من البابين، فالتغليب - كما سبق أن ذكرنا - أنهم يغلبون على الشئ مالغيره لتناسب بينهما أو اختلاط كقوله تعالى: «ولأبويه لكل واحد منهما السدس»[(٣)] يريد الأب والأم، وقوله عز وجل: «ورفع أبويه علي العرش»[(٤)] يريد أباه وخالته، وقول المتنبي:

واستقبلت قمر السماء بوجهها   فأرتني القمرين في وقت معا[(٥)]

---

(١) اللسان: «سوا» .

(٢) السابق: «ضبع» .

(٣) النساء: ١١ .

(٤) يوسف: ١٠٠ .

(٥) البيت من الكامل والشاهد استعمال «القمرين مراداً بها الشمس والقمر على سبيل المجاز، من باب التغليب، وقال التبريزي: يجوز أن يكون أراد قمراً وقمراً. انظر المغني: ٦٨٧ .

إنما يريد الشمس، وهو وجهها، وقمر السماء .

بل إن التغليب قد يمتد ليشمل إطلاق «من» على مالايعقل كما في قوله تعالى: «فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع»[١] فإن الاختلاط حاصل في العموم السابق في قوله تعالى: «كل دابة من ماء» وفي «من يمشي على رجلين» اختلاط آخر في عبارة التفصيل فإنه يعم الإنسان والطائر - كما ذكر ابن هشام.[٢]

كما قد يشمل إطلاق اسم المخاطبين على الغائبين في قوله سبحانه: «اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون»[٣] لأن «لعل» متعلقة بخلقكم لاباعبدوا، وكذا يغلب المذكر على المؤنث كما في قوله عز من قائل: «وكانت من القانتين»[٤] كما جاء عكس ذلك، وهو تغليب المؤنث نحو قولهم: «المروتين» يريدون الصفا والمروة، وكذا قولهم: «كتبته لثلاث بين يوم وليلة» وضابطه أن يكون معك عدد مميز بمذكر ومؤنث كلاهما مما لايعقل، وفصلاً من العدد بـ«بين»[٥].

أما حقيقة الاستغناء فهي - كما نقل صاحب التصريح[٦] - أن يستغنى عن بعض الأبنية ببعضها الآخر، وذلك كما في جموع القلة وجموع الكثرة، فقد يستغنى ببعض جموع القلة عن جموع الكثرة وضعا نحو: «أرجل

---

(١) النور: ٤٥ .

(٢) المغني: ٦٨٧ .

(٣) البقرة: ٢١.

(٤) التحريم: ١٢ .

(٥) الصبان : ٦٨/١ .

(٦) التصريح: ٣٠٠/٢ .

وأعناق وأفئدة» فقد استغنى بها عن جموع الكثرة - أو استعمالاً نحو: «أقلام» فإن له جمع كثرة وهو «قلام» إلا أنه لم يستعمل .

فإذا نظرنا إلى استعمال «ضبعان» - بفتح فضم - في المثنى، وجدناه إلى باب الاستغناء أقرب، وبخاصة إذا أطلق على مذكرين، حيث يكون لامجال للتغليب، وإنما يكون من باب الاستغناء عن «ضبعانان» بـ«ضبعان» .

هذا، وقد نقل صاحب اللسان عن الأزهري أن «الضبع» الأنثى من الضباع، ويقال للذكر [١] وعليه فلا تغليب ولااستغناء .

ثالثاً: الاستغناء عن تثنية ألفاظ الأعداد :

ومن قبيل الاستغناء عن لفظ بلفظ آخر: الاستغناء عن تثنية الأعداد، حيث استغنوا باثنين عن واحدين، وبستة عن ثلاثتين، وبعشرة عن خمستين وبعشرين عن عشرتين - كما يقول ابن جني. [٢]

وقبله أشار سيبويه إلى ذلك حيث ذكر في «باب لاتجوز فيه التثنية والجمع بالواو والياء والنون» أنهم امتنعوا أن يثنوا عشرين حين لم يجيزوا عشرونان، واستغنوا عنها بأربعين، وعلة ذلك حتى لايكون في اسم واحد رفعان ولانصبان ولاجران، ولكنك تقول: كلهم مسلمون واسمهم مسلمون، وكلهم رجلان واسمهم رجلان. ولايحسن في هذا إلا هذا الذي وصفت لك وأشباهه. [٣]

---

(١) اللسان: «ضبع» .

(٢) الخصائص: ٢٧٢/٢ .

(٣) الكتاب: ٣٩٣/٣ بتصرف .

المبحث الثاني
جمع التكسير

تتجلى ظاهرة «الاستغناء» في باب الجمع بصورة كبيرة، عبر عن ذلك سيبويه حيث يقول: «وقد يكسرون هذا النحو على بناء يرد ماذهب من الحرف، وذلك قولهم: شفة وشفاة وشاة وشياة، تركوا الواو والنون حيث ردوا ماحذف منه، واستغنوا عن التاء حيث عنوا بها أدنى العدد وإن كانت من أبنية أكثر العدد، كما استغنوا بثلاثة جروح عن أجراح، وتركوا الواو والنون كما تركوا التاء حيث كسروه على شئ يرد ماحذف واستغنى به»(١).

وقال أيضاً: «أمة وآم وإماء، فهي بمنزلة أكمة وآكم وإكام... ولم يقولوا: إمون حيث كسروه، على مارد الأصل استغناء عنه، حيث رد إلى الأصل بآم، وتركوا أمات استغناء بآم»(٢).

ويمكن حصر مااستغنى فيه بجموع عن غيرها فيمايلي:

أولاً: الاستغناء بجمع الكثرة عن جمع القلة: حيث قالوا في جمع «شسع» شسوع قال في «اللسان»: (الشسع أحد سيور النعل وهو الذي يدخل بين الإصبعين، ويدخل طرفه في الثقب الذي في صدر النعل المشدود في الزمام)(٣) وقال أيضاً: (والجمع شسوع، لايكسر إلا على هذا البناء)(٤).

---

(١) الكتاب: ٥٩٨/٣، ٥٩٩ .

(٢) السابق: ٥٩٩/٣ .

(٣) اللسان: «شسع» .

(٤) السابق .

وقال سيبويه: «كما قالوا: ثلاثة شسوع فاستغنوا بها عن أشساع»[(١)].

وقال المبرد: «وقد يكون البناء للأكثر يشركه الأقل، كما قالوا: «شسوع وسياع فيكون لكل الأعداد».[(٢)]

ومما هو معلوم أن ماكان على زنة «فعل» - بكسر الفاء وسكون العين - من الأسماء، فإنه يجمع فى القلة على «أفعال» سواء أكان صحيحاً أم أجوف أم غيرهما، وربما جاء «أفعال» لقلة وكثرة نحو: «أخماس»[(٣)] و«أشبار» ويجمع فى الكثرة على «فعول» و«فعال» والأول أكثر، فإن كان أجوف يائياً لزمه «الفعول» كالفيول والجيود، وإن كان واوياً لزمه «الفعال» كريح ورياح، كما يجئ على «أفعل» كأرجل، وعلى فعلان كصنوان[(٤)] وقنوان،[(٥)] وبعضهم يضم فاءهما، وعلى فعلان كذؤبان وصرمان[(٥)]، وعلى فعلة كقردة وجاء فيه فعيل كضريس[(٧)].

وربما اقتصروا على واحد من «الفعول أو الفعال» فى جمع القلة وجمع الكثرة وذلك على سبيل الاستغناء بأحد جمعى القلة والكثرة عن الآخر وذلك

---

(١) الكتاب: ٣/٥٧٥ .

(٢) المقتضب: ٢/١٩٩ .

(٣) الأخماس: جمع خمس - بكسر فسكون - وهو من أظماء الإبل، وذلك أن ترعى أربعة أيام، ثم ترد الماء فى الخامس .

(٤) صنوان: جمع صنو، وهو الأخ الشقيق، والابن، والعم، والشئ يخرج مع آخر من أصل واحد .

(٥) قنوان: جمع قنو، وهو من التمر بمنزلة العنقود من العنب .

(٦) الصرمان: جمع صرم - بكسر فسكون - وهو القطعة من الإبل .

(٧) الضريس: جمع ضرس، ويقال هو اسم جمع له، مثل المعيز والكليب .

كما في «شسع وشوع»[١] قال أبو العباس المبرد: «وأما مايقع على الكثير ولايجمع على أدنى العدد فنحو قولك: شسوع، فتقول: ثلاثة شسوع، فيشترك الأقل والأكثر»[٢].

وقد روى عن الأخفش أنه أثبت «أشسعا»، قال ابن يعيش: «فأما ماحكاه عن أبى الحسن من أشسع فهو شاذ قياساً واستعمالاً، فأما الاستعمال فما أقله، وأما القياس فإن الباب فى فعل -بكسر الفاء- أن يجمع على أفعال نحو: عدل وأعدال فمجيئه على أفعل على خلاف القياس»[٣].

وقال أبو حيان: «لقلة أشساع وإن لم يكن شاذاً استعماله»[٤]

ومما استغنوا فيه بجمع الكثرة عن جمع القلة على رأى سيبويه - قولهم فى جمع «قرء»: «قروء» وفي جمع «جرح».

والأصل فيما كان على «فعل» - بضم فسكون- أن يجمع فى القلة على «أفعال» نحو: «أقفال وأدراج» «ويجمع فى الكثرة على «فعال وفعول» وهو على «فعول» أكثر نحو: «بروج وجنود وبرود» و«فعال» فى المضاعف كثير كقفاف[٥] وخفاف، هذا هو الغالب.

وقد يجئ على فعلة كقرطة،[٦]، وجحرة،[٧]، وخرجة[٨]، وعلى فعل

---

(١) شرح الشافية للرضى: ٩٣/٢ .

(٢) المقتضب: ١٥٨/٢.

(٣) ابن يعيش: ٢٥/٢ .

(٤) البحر المحيط: ١٨٧/٢ .

(٥) القفاف: جمع قف، وهو مالرتفع عن الأرض وصلبت حجارته ولم يبلغ أن يكون جبلاً.

(٦) القرطة: جمع قرط وهو ضرب من حلى الأذن. وهو أيضاً نبات ويقال لشعلة النار والضرع.

(٧) الجحرة: جمع جحر وهوماتحتفره السباع أو الهوام لتسكنه .

(٨) الخرجة: جمع خرج وهو وعاء ذو جانبين .

نحو «فلك» فتتفق صورة المفرد والجمع، قال تعالى فى المفرد: «فى الفلك المشحون»[١] وقال فى الجمع: «حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم»[٢].

قال الرضى معللاً سبب مجيئه على هذا الوزن: «وذلك لأن فعلا وفعلا يشتركان فى أنهما جمعا على أفعال، كصلب وأصلاب، وجمل وأجمال، وفعل يجمع على فعل كأسد وأسد، ففعل جمع عليه أيضاً، وفعل وفعل يشتركان فى كثير من المصادر كالسقم والسقم، والبخل والبخل».[٣]

وإذا كان «فعل» أجوف، فإنه لايجمع فى الكثرة إلا على «فعلان» كعود وعيدان وكوز وكيزان وحوت وحيتان، وأما فى القلة فعلى أفعال كما هو قياس الباب، كأكواز وأكواب[٤] .

يقول سيبويه: «وقالوا: ثلاثة قروء، فاستغنوا بها عن ثلاثة أقرؤ»[٤] ويبدو أن صاحب «الكتاب» لم يسمع جمع القلة لهذه الكلمة فقال بالاستغناء، فقد نقل صاحب «اللسان» عن أبى عبيد قوله: «القرء يصلح للحيض والطهر، قال: وأظنه - من أقرأت النجوم إذا غابت والجمع أقراء وفى الحديث: دعى الصلاة أيام أقرائك. وقروء على فعول، واقرؤ الأخيرة عن اللحيانى فى أدنى العدد».[٥]

بقى أن نتساءل عن قول الله تعالى: «والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء»[٦] حيث أضاف الثلاثة إلى جمع الكثرة دون جمع القلة .

---

(١) الصافات: ١٤٠ .

(٢) يونس: ٢٢ .

(٣) شرح الشافية: ٢/ ٩٤ .

(٤) الكتاب: ٣/ ٥٧٥ .

(٥) اللسان: «قرأ».

(٦) البقرة: ٢٢٨ .

وللإجابة عن ذلك نقول: قد يستعمل جمع القلة فى الكثرة استعمالاً حقيقياً إذا كان المفرد لم يستعمل له جمع كثرة، أو استعمالاً مجازياً لقرينة كاستعمال «أقلام» فى قوله تعالى: «ولو أن مافى الأرض من شجرة أقلام»(١) مع وجود «قلام» وكذلك قد يستعمل جمع الكثرة فى القلة استعمالاً حقيقياً واستعمالاً مجازياً(٢).

قال ابن منظور: «وفى التنزيل (ثلاثة قروء) أراد ثلاثة أقراء من قروء. كما قالوا: خمسة كلاب يراد بها خمسة من الكلاب»(٣).

وقال الزمخشرى: «لعل القروء كانت أكثر استعمالاً فى جمع قرء من الأقراء فأوثرت عليه»(٤) وأوجه من ذلك ماذهب إليه أبو حيان حين قال: «لم يأت ثلاثة أقراء: أنه من باب التوسع فى وضع أحد الجمعين مكان الآخر»(٥).

وأما جمع «جرح» على «جروح» فهذا هو الغالب فيه، وإن كان قد سمع «أجراح» فقد نقل أهل اللغة أن الجمع: أجراح وجروح وجراح، وقيل: لم يقولوا: أجراح إلا ماجاء فى شعر.(٦)

ومما استغنوا فيه بجمع الكثرة عن جمع القلة قولهم فى جمع «سبع»: سباع».

---

(١) لقمان: ٢٧.

(٢) البيان فى تصريف الأسماء د. كحيل: ١٤١ .

(٣) اللسان: «قرأ» .

(٤) الكشاف: ١/٢٧٢ .

(٥) البحر المحيط: ٢/١٨٦، ١٨٧ .

(٦) اللسان: «جرح» .

قال سيبويه: «وماكان على ثلاثة أحرف، وكان (فعلا) فهو كفعل وفعل، وهو أقل في الكلام منهما، وذلك قولك: عجز وأعجاز، وعضد وأعضاد، وقد بني على (فعال)قالوا: رجل ورجال وسبع وسباع.....»(١).

وقال ابن يعيش: «وأما فعل - بفتح الأول وضم الثاني - فهو كفعل، يأتي على أفعال، قالوا: عجز وأعجاز، وعضد وأعضاد، ولم يتجاوزه إلي غيره، كما لم يتجاوز فعل، لأن فعل - مضموم العين - أقل من فعل - مكسور العين - وإذا لم يجاوزوا فعلاً أدنى العدد لقلته، كان ذلك في فعل أولي، لأنه أقل، وقد قالوا: رجل ورجال وسبع وسباع، جاءوا به على فعال على التشبيه بفعل.»(٢)

قال المبرد: «وقد يكون البناء للأكثر، يشركه الأقل، كما نقول: شسوع وسباع، فيكون لكل الأعداد».(٣)

وقال الرضى: «اعلم أن فعلا -بضم العين - أقل من فعل - بكسرها، فهو أولى بأن يكون قلته وكثرته على لفظ واحد، وهو أفعال، وقد يجئ على فعال كسباع ورجال، وذلك لتشبيهه بفعل مفتوح العين»..(٤)

فالنحاة مجمعون على أن «سبع» ليس له جمع قلة، وأنه استغنى فيه بجمع الكثرة عن جمع القلة، إلا أن صاحب اللسان يقول: «.... والجمع أسبع وسباع، قال سيبويه: لم يكسر على غير سباع».(٥)

---

(١) الكتاب: ٥٧٣/٣ .

(٢) ابن يعيش: ١٨/٤، ١٩ .

(٣) المقتضب: ١٩٩/٢ .

(٤) شرح الشافية: ٩٨/٢ .

(٥) اللسان: «سبع».

فهو يثبت لـ« سبع » جمع قلة مخالفاً لما ادعوه، بل إنه مخالف للقاعدة التي وضعوها وهي أن جمع « فعل » - بضم العين - يكون على أفعال .

ثانياً: الاستغناء بجمع القلة عن جمع الكثرة :

عرضنا - فيما سبق - لنماذج من الاستغناء بجموع الكثرة عن جموع القلة، وهذه نماذج أخرى من الاستغناء بجموع القلة عن جموع الكثرة: من ذلك استغناؤهم بجمع « يد ورجل » على « أيد وأرجل » عن « أياد ورجول »، وهذا ماأشار إليه سيبويه في قوله: « وربما بنى فعل على (أفعل) من أبنية أدنى العدد، وذلك قولهم: ذئب وأذؤب، وقطع وأقطع، .. ورجل وأرجل، إلا أنهم لايجاوزون الأفعل، كما أنهم لم يجاوزوا الأكف »⁽¹⁾.

وأشار إليه المبرد - أيضاً - بقوله: « واعلم أنه مالم يكن فيه أدنى العدد، فالعدد الذي يكون للكثير جار عليه مايكون للقليل، كما أنه إذا كان مجموعاً على بعض أبنية العدد ولم يكن له جمع غيره دخل معه الكثير، وذلك نحو قولك: يد وأيد، ورجل وأرجل »⁽²⁾.

وقد زاد ابن جني الأمر إيضاحاً حيث قال: « وكذلك اليد التي هي العضو، قالوا فيها أيد البتة. فأما أياد فتكسير أيد لاتكسير يد، وعلى أن (أياد) أكثر ماتستعمل في النعم لافي الأعضاء. وقد جاءت أيضاً فيها أنشد أبو الخطاب:⁽³⁾

---

(١) الكتاب: ٣/ ٥٧٥ .

(٢) المقتضب: ٢/ ١٥٧ .

(٣) البيت لعدي بن زيد، من الخفيف، أشناقها إلى الأعناق: رفعها إلى العنق في الغل يذكر أنه كان الغل في يده مرفوعة إلى عنقه، وكان في جمع من أصحابه فساءها ذلك. والشاهد فيه استعمال « الأيادي » مراداً بها الجوارح. انظر الخصائص ١/ ٢١٨، والأغاني: ٢/ ١١٦، والخزانة: ٧/ ٤٨١ واللسان « شنق » و« يدى » و« ديوان عدي: ١٥٠ ».

ساءها ماتأملت فى أياد بـ ـنا وأشناقها إلى الأعنـــاق

ويجدر بنا – فى هذا الصدد – أن نحتكم إلى المعاجم اللغوية وأقوال أهل اللغة:

فهذا ابن منظور يذكر لنا أن «اليد»: الكف، وقال أبو إسحق: اليد من أطراف الأصابع إلى الأكف، وهى أنثى محذوفة اللام، وزنها فعل يدى، فحذفت الباء تخفيفاً، فاعتقبت حركة اللام على الدال... والجمع أيد على مايغلب فى جمع فعل فى أدنى العدد .

وقال الجوهرى: «اليد أصلها يدى علي فعل ساكنة العين، لأن جمعها أيد ويدى، وهذا جمع فعل مثل فلس وأفلس وفلوس، ولايجمع فعل على أفعل إلا فى حروف يسيرة معدودة، مثل زمن وأزمن وجبل وأجبل وعصاً وأعص، وقد جمعت الأيدى فى الشعر على أياد... وهو جمع الجمع مثل أكرع وأكارع .

وقال أبو الهيثم: «تجمع اليد يديا، مثل عبد وعبيد، وتجمع أيديا ثم تجمع الأيدي على أيدين، ثم تجمع الأيدى أيادى، وأنشد:

يبحثن بالأرجـل والأيدينـــا بحث المضلات لما يبغينـــا (١)

وقال: اليد: النعمة والإحسان... والجمع أيد، وأياد جمع الجمع كما تقدم فى العضو، ويدى ويدى فى النعمة خاصة: قال الأعشى:

فلن أذكر النعمان إلا بصالح فإن له عندى يديا وأنعمـا (٢)

---

(١) بيتان من مشطور الرجز، يبحثن: يفتشن. المضلات: جمع مضلة وهى من فقدت شيئاً تبحث عنه والشاهد فى قوله: «والأيدينا» حيث إنها جمع أيد، فهى جمع الجمع انظر اللسان: «يدى» .

(٢) البيت من الطويل، لضمرة بن صخرة، وينسب إلى الأعشى، وليس فى ديوانه، والشاهد فى قوله «يديا» حيث جمع «يد» على فعول. انظر الخزانة: ٤٨/٧ ومعجم الشواهد ٣٣٠، واللسان «ويدى» .

ويروى يديا، وهي رواية أبي عبيد، فهو على هذه الرواية اسم للجمع»[١] فنحن نلحظ أنه ورد جمع «يد» على «يدى» - بضم الياء وفتحها - كما ورد جمع «أيد» على «أيدين» إلا أن ذلك كله من القليل الذى لايعول عليه فى فصيح الاستعمال، ولذا لم تستعمل تلك اللفظة فى القرآن الكريم إلا مجموعة على «أيد»[٢] سواء أريد بها الجارحة أم النعمة أم غيرها.

وهذا ماعناه ابن السكيت حين قال: «.... ويجمع ثلاث أيد، ثم جمعوها الأيادى، ولم يقولوا يدى - بالضم - وأيداء، وهو قياس، فاستغنى بأيد وأياد عنه.»[٣].

وأما جمع «رجل» على «أرجل» فهذا ماأجمع عليه النحاة واللغويون، فقد سبق ماذكره سيبويه والمبرد، وقال ابن جنى: «ومن ذلك استغناؤهم بجمع القلة عن جمع الكثرة، نحو قولهم أرجل، لم يأتوا فيه بجمع الكثرة».[٤]

وقال ابن منظور: «والرجل: قدم الإنسان وغيره، قال أبو أسحق: والرجل من أصل الفخذ إلى القدم، أنثى... والجمع أرجل»[٥]

ومن الاستغناء بجمع القلة عن جمع الكثرة قولهم فى جمع «قتب ورسن»[٦]: «أقتاب وأرسان» وفى جمع «كف ورأى»: «أكف وآراء» قال سيبويه: «وربما جاء الأفعال يستغنى به أن يكسر الاسم على البناء الذى هو

---

(١) اللسان: «يدى».

(٢) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

(٣) الخزانة: ٧/ ٤٨٠.

(٤) الخصائص: ١/ ٢٦٨.

(٥) اللسان: «رجل».

(٦) القتب: إكاف البعير والجمع أقتاب. والرسن: الحبل والجمع أرسان وأرسن.

لأكثر العدد، فيستغنى به ماعنى بذلك البناء. وذلك نحو: قتب وأقتاب، ورسن وأرسان، ونظير ذلك من باب الفعل الأكف والآراء». (١)

ومن المعلوم أن ماكان على وزن (فعل) بفتح الأول والثانى - يجمع فى القلة على أفعال كجمل وأجمال، وجبل وأجبال، وأسد وآساد، أو على (أفعل) نحو (زمن وأزمن) وهو قليل ويجمع فى الكثرة على(فعال وفعول) نحو (جبال وجمال) و(أسود وذكور) كما يجمع على (فعلان) بضم الفاء وكسرها - نحو (حملان وسلقان وخربان وورلان وبرقان) (٢).

كما قد يجمع على (فعالة) نحو (جمالة وحجارة وذكارة - بزيادة التاء لتأكيد التأنيث - كما قد يجمع على (فعل) - بضم فسكون - نحو (أسد ووثن ونصف) (٣)، وعلى (فعلة) نحو (حبرة وإخوة وقيعة) وعلى (فعلى) نحو (حجلى) - جمع حجل (٤) - ولم يأت فى قلة المضاعف ولاكثرته إلا (أفعال) نحو (أمداد) - جمع مدد - و(أفنان)، كما لم يجاوزوا فى بعض الصحيح ذلك كالأقلام والأرسان والأغلاق - كما يقول الرضى (٥) - ومن قبله قال المبرد: «وقد يكون البناء فى الأصل للأقل فيشركه فيه الأكثر، كما تقول: أرسان وأقتاب، فلا يكون جمع غيره» (٦).

---

(١) الكتاب: ٣/ ٥٧٠، ٥٧١.

(٢) الحمل: الجذع من أولاد الضأن. والسلق القاع المستوى لاشجر فيه والخرب: ذكر الحبارى. والورل: دابة على خلقة الضب. والبرق: الحمل معرب برة .

(٣) النصف: المرأة المتوسطة الطول .

(٤) الحجل: طائر على قدر الحمام كالقطا، أحمر المنقار والرجلين ويسمى الكروان أيضاً.

(٥) انظر: الكتاب: ٣/ ٥٧٠ ومابعدها، والرضى على الشافية: ٢/ ٩٥ .

(٦) شرح الشافية: ٢/ ٩٨ .

وأما ماكان علي (فعل) - بفتح الفاء وسكون العين - فقياس جمع القلة فيه (أفعل) إلا أن يكون أجوف واوياً أو يائياً، فالغالب فيه (أفعال) نحو (أثواب وأبيات) ويجمع في الكثرة على (فعول وفعال) نحو (كعوب وكعاب) وقد ينفرد أحدهما عن صاحبه نحو (بطون وبغال) وقد تزاد التاء لتأكيد الجمع نحو (عمومة وخؤولة وفحالة) هذا هو الغالب، وقد سمع (جحشان وظهران. وغردة[1] وسقف وكليب وعبيد - عند سيبويه) في جمع (جحش) وظهر وغرد وسقف وكلب وعبد) والآخران - عند غيره - اسم جمع .

وربما اقتصر في (فعل) على (أفعل وأفعال) في القلة والكثرة كالأكف والأرآد .

هذا ماقرره النحاة بشأن جمع (فعل) - بفتح فسكون - إلا أنه يؤخذ عليهم أنهم جعلوا جمعه على (أفعال) من القليل النادر، وهذا ماعبر عنه الرضى بقوله:[2] «الغالب في قلة فعل أفعل في غير باب بيت وثوب، فإنهما علي أثواب وأبيات» وقال أيضاً: «فالمسموع في قلة فعل في غير الأجوف أفعال، كأنف وآناف»[3] ومن قبله قال سيبويه:[4] «واعلم أنه قد يجئ في فعل (أفعال) مكان أفعل، قال الشاعر الأعشى:

وجدت إذا اصطلحوا خيرهم ... وزندك أثقب أزنادها[5]

---

(١) الغردة - جمع غرد -: الكمأة .

(٢) شرح الشافية: ٢/ ٩١ .

(٣) السابق.

(٤) الكتاب: ٣/ ٥٦٨ .

(٥) البيت من المتقارب، والزند الثاقب: الذى إذا قدح ظهرت ناره، والشاعريمدح قيس ابن معد يكرب. والشاهد فيه جمع (زند) على (أزناد). انظر ديوان الأعشى: ٥٤، وابن الشجرى ١/ ٣٢٩، وابن يعيش: ٥/ ١٦ .

وليس ذلك بالباب في كلام العرب. ومن ذلك قولهم: أفراخ وأجداد وأفراد» ومن العجيب أن نقرأ في «شرح التصريح» قول صاحبه: «كما شذ في فعل - المفتوح الفاء الصحيح العين الساكنها - نحو أحمال ... وأفراخ ... وأحبار ... وأزناد ...... وسمع أيضاً فعل وأفعال في شكل وسمع ولفظ ولحظ ومحل ورأى ورأد [١] وسطل وجفن ولحن ونجد وفرد وجلد وألف وأنف وثلج...) [٢] فنراه يذكر عشرين كلمة من هذا النوع ثم يحكم عليها بالشذوذ. على أن ماذكره ليس كل ماسمع من هذا النوع، فهناك - غير ماذكره: «آراض وأرماس وأعراش وأنهار وأنذال وأشخاص وأشراط وأجفار - الشياة. السمينة - وأبعاض وأدخال وأضراب» وغير ذلك .

وإذا احتكمنا إلى القرآن الكريم باعتباره أفصح مايعول عليه، وأوثق مايرجع إليه، فإننا نرى الحق في جانب القائلين بجواز القياس على جمع «فعل» صحيح العين على «أفعال».

فقد جاء قوله تعالى: «ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة.... » [٣] وقوله عز وجل: «يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة» [٤] فقد جاءت (آلاف) جمع (ألف) كما ورد قوله سبحانه: «فاذكروا آلا الله لعلكم تفلحون» [٥] حيث جاءت كلمة «آلاء» وهي جمع ألي أو ألي أو ألو... كما ذكر صاحب القاموس وصاحب «المفردات وغيرهما» [٦].

---

(١) الرأد: الشابة الحسناء، ورونق الضحى وارتفاعه، وأصل اللحى الناتئ تحت الاذن .

(٢) التصريح: ٢/٣٠٢، ٣٠٣ .

(٣) ال عمران: ١٢٤ .

(٤) آل عمران: ١٢٥ .

(٥) الأعراف: ٦٩ .

(٦) دراسات لأسلوب القرآن: ٧/٣٤١ .

كما ورد قوله - عز وجل- «آناء»[١] ومن مفرداتها (أنى) كظبى و(أنو) كجرو، نص على ذلك الراغب وأبو حيان.[٢]

كما وردت كلمة «أحبار»[٣] ومفردها (حبر) - بالفتح والكسر[٤]- وفى القاموس جمعه: «أحبار وحبور» .

ووردت كذلك: «وأولات الأحمال»[٥] والأحمال جمع حمل - بالفتح - فأهل اللغة يقولون الحمل - بالفتح - لما فى البطن، وبالكسر لما يحمل فوق الظهر، وبهما لما تحمله النخلة يؤيد الأول قوله سبحانه: «وساء لهم يوم القيامة حملاً»[٦] ويؤيد الثانى قوله سبحانه: «وإن كن أولات حمل...»[٧] كما ورد قوله عز وجل: «فقد جاء أشراطها»[٨] والأشراط: العلامات، مفردها شرط- بفتح الراء وسكونها[٩] كما ورد قوله تعالى «ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها»[١٠] وفى القاموس: «الشعر - ويحرك - نبتة الجسم مما ليس بصوف ولاوبر، والجمع أشعار وشعور»[١١].

---

(١) آل عمران: ١١٣، طه: ١٣٠، الزمر: ٩٠ .

(٢) المفردات،والبحر: ٣٣/٣ .

(٣) المائدة: ٤٤ التوبة: ٣١ .

(٤) البحر: ٤٩١/٣ .

(٥) الطلاق: ٤ .

(٦) طه: ١٠١ .

(٧) الطلاق: ٦ .

(٨) محمد: ١٨ .

(٩) البحر: ٧٧/٨ .

(١٠) النحل: ٨٠ .

(١١) دراسات لأسلوب اقرآن ٣٥٣/٧ .

كما ورد قوله - عز وجل - «ويخرج أضغانكم»[١] وقوله: «أم حسب الذين فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم»[٢] والأضغان واحدها ضغن - بفتح الضاد وكسرها - وهو الحقد.[٣]

كما وردت لفظة (الأنهار)[٤] معرفة ومنكرة عشرات المرات، وواحدها نهر بسكون الهاء وفتحها - قال أبو حيان: «النهر دون البحر وفوق الجدول، وهل هو نفس مجرى الماء أو الماء فى المجرى؟ قولان، وفيه لغتان: فتح الهاء وهى اللغة العالية والسكون .

وعلى الفتح جاء الجمع أنهاراً قياساً مطرداً، إذ (أفعال) في فعل الاسم الصحيح العين لايطرد، وإن كانت قد جاءت منه ألفاظ كثيرة.»[٥]

ولسنا ندرى ماالذى يمنع من اطراده مادام قد جاءت منه ألفاظ كثيرة ؟

ولذلك نرى رجلاً مثل أبى حيان التوحيدى ينتقد النحاة بسبب تسرعهم فى إصدار هذا الحكم. فقد حدث: أن الصاحب بن عباد قال: «فعل» - بفتح فسكون يزعم النحويون أنه ماجاء منه على (أفعال) إلا زند وأزناد، وفرخ وأفراخ، وفرد وأفراد فقال أبو حيان: أنا أحفظ منه ثلاثين حرفاً - كلمة - ثم قال: ليس لنحوى أن يلزم هذا الحكم إلا بعد التبحر والسماع الواسع، وليس للتقليد وجه إذا كانت الرواية شائعة والقياس مطردا.[٦]

---

(١) محمد: ٣٧ .

(٢) محمد: ٢٩.

(٣) اللسان: (ضغن) .

(٤) دراسات لأسلوب القرآن: ٧/ ٣٦٩ .

(٥) البحر: ١/ ١٠٩ .

(٦) إرشاد الأريب لمعرفة الأديب لياقوت الرومى: ٥/ ٣٩٢ .

بل إننا نرى أحد المحدثين، وهو الأب أنستاس الكرملي يقول: «إن النحاة لم يصيبوا في قولهم: إن (فعلا) لايجمع على (أفعال) إلا في ثلاثة ألفاظ لارابع لها، وهي: فرخ وأفراخ، وحمل وأحمل، وزند وأزناد، وأكد ابن هشام أن لارابع لها. والذى وجدته أن ماسمع عن الفصحاء من جموع فعل على أفعال، أكثر مما سمع من جموعه، أي: - المطردة - علي أفعل أو فعال أو فعول، فعدد ماورد علي (فعل) هو (١٤٢) اسما، وعلى فعال (٢٢١) اسما، وعلى فعول (٤٢)، فإن يسلموا بجمعه قياساً مطرداً على أفعال، أحق وأولى، لأن عدد ماورد فيها هو (٣٤٠) لفظة، وكلها منقولة عنهم، لورودها في الأمهات المعتمدة مثل القاموس واللسان»[(١)].

ولعل هذا ماجعل المجمع اللغوى القاهرى يصدر قراره بشأن هذه القاعدة مقراً فيه جواز جمع (فعل) على (أفعال) مثل بحث وأبحاث.[(٢)]

ثالثاً: الاستغناء بصيغة عن صيغة:

ومن الاستغناء فى باب الجمع - أيضاً - قولهم فى جمع «ناقة» على «أفعل»: «أينق» حيث استغنوا به عن أصل الجمع وهو «أنوق» قال صاحب «الكتاب»: «.... ومثل ذلك أينق، إنما هو أنوق فى الأصل، فأبدلوا الياء مكان الواو، وقلبوا».[(٣)]

وقال ابن جنى: «وكذلك استغنوا بـ(أينق) عن أن يأتوا به والعين فى موضعها فألزموه القلب أو الإبدال، فلم يقولوا (أنوق) إلا فى شئ شاذ حكاه الفراء، وكذلك استغنوا بقسى عن قووس، فلم يأت إلا مقلوبا»[(٤)].

---

(١) النحو الوافى: ٦٣٨/٤ .

(٢) مجلة المجمع اللغوى الجزء ٢٦ لسنة ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م .

(٣) الكتاب: ٤٦٦/٣ .

(٤) الخصائص: ٢٦٨/١ .

رابعاً: الاستغناء عن لفظ مهمل بلفظ مستعمل:

ومن ذلك - أيضاً - استغناؤهم بـ«لمحة» عن «ملمحة» وعليها كسرت «ملامح» وبـ«شبه» عن «مشبه» وعليه جاء مشابه، وبـ«ليلة» عن «ليلاة» وعليها جاءت «ليال» وعلى أن ابن الأعرابى قد أنشد:

فى كل يوم ما وكل ليــــلاة حتى يقول كــل راء إذ راه
ياويحه من جمل ماأشقـاه[(١)]

وهذا شاذ لم يسمع إلا من هذه الجهة .

ومن ذلك استغناؤهم بجمع الكلمة بالألف والتاء عن جمعها على صيغة أخرى مثل: «ظبة وظبات، وشية وشيات».[(٢)]

ومن باب الاستغناء - كذلك - قولهم: «رهط وأراهط» كأنهم كسروا «أرهط»، ومن ذلك «باطل وأباطيل» لأن ذا ليس بناء باطل ونحوه إذا كسرته، فكأنه كسرت عليه، «إبطيل وإبطال» ومثل ذلك: «كراع وأكارع» لأن ذا ليس من أبنية «فعال» - بضم الفاء - إذا كسر بزيادة أو بغير زيادة، فكأنه كسر عليه أكرع، ومثل ذلك: «حديث وأحاديث وعروض وأعاريض وقطيع وأقاطيع» لأن هذا لو كسرته إذ كانت عدة حروفه أربعة أحرف بالزيادة التى فيها لكانت «فعائل» ولم تكن تدخل زيادة تكون فى أول الكلمة»[(٣)].

---

(١) من الرجز المشطور، والشاهد فيه مجئ «دليلاه» بدلا من «ليلة» انظر الخصائص: ١/ ٢٦٨ والأشباه والنظائر: ١/٥١ .

(٢) الكتاب: ٣/٥٩٩.

(٣) الكتاب: ٣/٦١٦ .

ومن هذا القبيل استغناؤهم عن جمع «فعل» - بفتح الأول والثاني - على «فعال» - بكسر الفاء - بجمعه على «أفعال» نحو: «بطل وأبطال، وعزب وأعزاب، وبرم وأبرام». (١)

وقالوا: «رجل صنع وقوم صنعون، ورجل رجل- بفتح الجيم - وقوم رجلون» - والرجل هو الرجل الشعر - ولم يسكروهما على شئ استغنى بذلك عن تكسيرهما (٢) ومنه - أيضاً - قولهم «صغير وصغائر» ولايقولون «صفراء» و«صبيح وصبباح» و«سمين وسمان» ولايقولون: صبحاء وسمناء. (٣)

---

(١) السابق: ٦٣٨/٣ .

(٢) السابق: ٦٢٩/٣ .

(٣) التصريح: ٣١٢/٢ .

المبحث الثالث

التصغير والاستغناء

التصغير هو: «تحويل صيغة الكلمة إلى إحدى صيغ التصغير الثلاثة: فعيل أو فعيعل أو فعيعيل لغرض معين بشروط معينة، وله فوائد وعلامات وشروط - كما يقول صاحب التصريح»[(١)].

فوائده:

للتصغير فوائد ذكرها النحاة تنحصر فيما يلي:

١ - تقليل ذات الشيء نحو «كليب». ٢ - تحقير شأنه نحو: «رجيل».

٣ - تقليل كميته نحو: «دريهمات».

٤ - تقريب زمانه نحو: «قبيل العصر» و«بعيد المغرب» .

٥ - تقريب مسافته نحو: «فويق الجبل» و«تحيت المنزل» .

٦ - تقريب منزلته نحو: «صديقى».

٧ - وزاد الكوفيون فائدة سابعة وهى التعظيم نحو: «دويهية» وخرجها البصريون على التقليل، لأن الداهية إذا عظمت قلت مدتها .

٨ - وزاد بعضهم التحبب نحو: «بنية» .

علاماته :

تنحصر علامات التصغير فى ثلاثة أمور هى: ضم أوله، وفتح ثانيه، واجتلاب ياء ساكنة ثالثة .

---

(١) التصريح: ٢/٣١٧ .

شروطه:

يشترط فيا يصغر من الكلمات شروط أربعة: أن يكون اسماً فلا يصغر الفعل ولاالحرف وشذ: «ماأحيسنه» عند البصريين، أن لايكون متوغلاً فى شبه الحرف، فلا تصغر المضمرات، ولا «من وكيف» ونحوهما، أن يكون خالياً من صيغ التصغير وشبهها فلا يصغر نحو: «كميت وجميل» لأنهما على صيغة التصغير، ولانحو: «مسيطر ومبيطر» لأنهما على صيغة تشبه صيغة التصغير، وأن يكون قابلاً لصيغة التصغير، فلا تصغر الأسماء المعظمة كأسماء الله وأنبيائه وملائكته ونحوها، ولاجمع الكثرة...

والذى يعنينا في هذا الصدد هو مالظاهرة «الاستغناء» من أثر فى مباحث التصغير، وهذا ماسيتضح فيما يلى: -

أولاً: ماجاء مصغراً وترك تكبيره لأنه عندهم مستصغر فاستغنى بتصغيره عن تكبيره: [١] نطقت العرب بكلمات مصغرة ولم تنطق بها مكبرة[٢]، من ذلك:

«كميت وجميل، وكعيت، والقصيرى، والحميا، والثريا، والقطيعا، والبريطا، وسكيت» وإنما نطقوا بهذه الأسماء مصغرة، لأنها مستصغرة عندهم عندهم، والصغر من لوازمها، فوضعوا الألفاظ علي التصغير، ولم تستعمل مكبراتها، فهم استغنوا بالمصغر عن النطق بالمكبر، والدليل علي ذلك أنهم لما أرادوا أن يجمعوا «جميل وكعيت» قالوا: فى جمعهما: «جملان وكعنان» كـ«صردان ونغران» وذلك تكسير لمكبريهما المقدرين وهما: «الجمل والكعت» وإنما قدرا على هذا الوزن، لأنه أقرب وزن مكبر من صيغة المصغر، فلما لـــم

---

(١) الكتاب: ٣/ ٤٧٧ .

(٢) الارتشاف: ١/ ١٨٥.

يسمع مكبراهما، قدرا على أقرب الأوزان من وزن المصغر، وإنما قلنا: إن «جملان وكعتان» جمعان للمكبر المقدر لاالمصغر، لأنه جرت عادتهم أن لايجمعوا المصغر إلا جمع السلامة إما بالواو والنون أو بالألف والتاء. (١)

وقد حاول الرضى إيجاد تعليل لهذا الجمع فقال: « .. لما وضعا على التصغير نظراً إلى استصغارهما في الأصل، ثم استعملا بعد ذلك من غير نظر إلى معنى التصغير فيهما... انمحى عنهما معنى التصغير في الاستعمال، وإن كانا موضوعين عليه، وصارا كلفظين موضوعين على التكبير، فجمعا كما يجمع المكبر وأقرب المكبرات إلى هذه الصيغة (فعل) - بضم ففتح - نحو «نغر وصرد» فجمعا جمعهما، فعلى هذا (كعتان وجملان) جمعان للفظي (كعيت وجميل) لالمكبريهما المقدرين». (٢)

وأما «كميت» فهو بمنزلة «جميل» فهو - كما قال الخليل - : «حمرة مخالطها سواد ولم يخلص، فإنما حقروها لأنها بين السواد والحمرة، ولم يخلص أن يقال له أسود ولاأحمر، وهو منهما قريب، وإنما هو كقولك: هو دوين ذاك» (٣)

ويرى الرضى أنه تصغير «أكمت وكمتاء» تصغير ترخيم، وأنه يقع على المذكر والمؤنث، وجمعه «كمت»، وهو جمع مكبره المقدر. (٤)

وكذا «سكيت» بالتخفيف» والتشديد - مايجئ في آخر الحلبة من آخر الخيل - فالخفيف مصغر المكبر تصغير ترخيم، وكان قياس تصغيره «سكيكيت» فحذفت الزوائد .

---

(١) الرضى على الشافية ١/ ٢٨٠، ٢٨١ بتصرف .

(٢) السابق .

(٣) الكتاب: ٣/٤٧٧ .

(٤) الرضى على الشافيتك ١/ ٢٨٢.

وأما ماكان نحو: «مسيطر، ومبيطر، ومهيمن، ومبيقر» من أسماء الفاعلين التى جاءت على صيغة تشبه صيغة التصغير، فإن تصغيرها يكون بالتقدير - كما يقول أبو حيان-[1] حيث إننا نحذف منها الياء كما نحذف النون من «منطلق» ونجئ بياء التصغير فى مكانها، فتتحد بذلك صورة المصغر والمكبر .

ثانياً: تحقير الأسماء المبهمة:

أشرنا - فيما سبق - إلى أن من شروط التصغير أن لايكون الاسم متوغلاً فى شبه الحرف وأن يكون قابلاً لمعنى التصغير.. ولذلك يمنع من التصغير الأسماء المتوغلة في البناء، نحو: «من وكم وأين» وكذا «غير وسوى، والبارحة، وغدا وأمس، وقصر بمعنى عشية، وحسبك وعند» والمختص بالنفى، وأسماء شهور السنة - عند سيبويه - وكذا «كل وبعض». والظرف غير المتمكن، والمحكى، ومايعمل عمل الفعل من المشتقات وأسماء الأسبوع، وغير ذلك .

وقد كان حق أسماء الإشارة أن لاتصغر، لغلبة شبه الحرف عليها، ولأن أصلها وهو «ذا» علي حرفين، لكنها لما تصرفت تصرف الأسماء المتمكنة، فوصفت ووصف بها، وثنيت وجمعت وأنثت، أجريت مجراها فى التصغير[2]، وكذا كان حق الموصولات أن لاتصغر لغلبة شبه الحرف عليها، لكن لما جاء بعضها علي ثلاثة أحرف، كالذى والتى، وتصرف فيها تصرف الأسماء المتمكنة فوصف بها، وأنثت وثنيت وجمعت، جاز تصغيرها .

---

(١) الارتشاف: ١/١٨٥ .

(٢) شرح الشافية للرضى: ١/٢٨٤ .

ولما كان تحقيرها على خلاف الأصل، روعى ذلك في كيفية تصغيرها- كما يقول سيبويه: «اعلم أن التحقير يضم أوائل الأسماء إلا هذه الأسماء،فإنه يترك أوائلها على حالها قبل أن تحقر، وذلك لأن لها نحواً فى الكلام ليس لغيرها.. فأرادوا أن يكون تحقيرها على غير تحقير ماسواها»[١].

وقد بين «المبرد» معنى مخالفتها لغيرها من الأسماء فى المعنى واللفظ بقوله: «... فمن مخالفتها فى المعنى وقوعها على كل ماأومأت إليه، وأما مخالفتها في اللفظ فأن يكون الاسم منها على حرفين أحدهما حرف لين نحو: ذا، وتا»[٢].

ولذلك اقتصروا على تصغير بعض هذه الأسماء دون بعض، فاسم الإشارة لايصغر منه سوى خمس كلمات وهي: «ذا، وتا، وذان، وتان، وأولاء» واسم الموصول لم يسمع منه – أيضاً – إلا خمس كلمات هى: «الذى، التى، اللذان، اللتان، وجمع الذى: الذين والألى»[٣].

وليس من غرضنا هنا أن نخوض في كيفية تصغير هذه الكلمات، فهذا مبسوط فى مواضعه لمن شاء أن يرجع إليه[٤]، وإنما أردنا أن نبين ما لظاهرة الاستغناء من أثر فى هذا المبحث من التصغير .

من ذلك أنهم لم يصغروا «من وأى» الموصولتين استغناء بتصغير «الذى» قال سيبويه: «ولايحقر من ولا أى إذا صارا بمنزلة الذى، لأنهما من حروف الاستفهام، والذى بمنزلة ذا، لأنها ليست من حروف الاستفهام فمن لم

---

(١) الكتاب: ٤٨٧/٣ .

(٢) المقتضب: ٢٨٦/٢ .

(٣) التصريح: ٣٢٥/٢ .

(٤) انظر الكتاب: ٤٨٧/٣، والمقتضب: ٣٨٦/٢، وشرح الشافية للرضى ٢٨٤/١ .

تلزمـه تحـقـيـر كمـا يلزم الذى، لأنه إنما يريد بـه مـعنى الذى، وقـد اسـتـغنى عنه بتحقير الذى»[١].

ومن ذلك - أيضاً - أنهم لايحقرون «اللاتى» استغناء بتحقير «التى» وجمعها بالألف والتاء فيقال: «اللتيات» وهذا مذهب سيبويه الذى عبر عنه بقـوله: «واللاتى لاتحـقـر، اسـتـغنوا بجـمع الواحد إذا حـقـر عنه، وهـو قـولـهم اللتيات، فلما استغنوا عنه صار مسقطا».

فهذه الأسماء لما لم يكن حالها فى التحقير حال غيرها من الأسماء غير المبـهمة... صارت يستـغنى ببعـضهـا عن بعض، كمـا اسـتـغنوا بقـولهم: أتانا مسيانا وعشيانا عن تحقير القصر فى قولهم: أتانا قصراً، وهو العشئ»[٢].

أما الأخفش فكان يجيز تصغيرها فيقول: «اللويا» لأنها ليست جمعا، وإنما هى اسم جمع نحـو: «قـوم ونفـر» فـقـيـاسـهـا أن تـصـغـر على لفظهـا وتبعـه المبرد.[٣]

والمذهب ماذهب إليه سيبـويه، لأن هذه الأشيـاء مما ينبغى أن يوقف فـيـه على السماع - كما أشار أبوحيان-[٤].

ومن ذلك أنهم اكتفوا فى تصغير مايدل على اسم الإشارة للمفردة المؤنثة بـ«تاوتى» «دون «ذى وذه» «فـقـالوا: «تيـا وذلك لئـلا يلتـبس بالمذكـر، واستغناء ببعض الألفاظ عن بعضها الآخر.[٥]

---

(١) الكتاب: ٤٨٩/٣ .

(٢) الكتاب: ٤٨٩/٣ .

(٣) المقتضب: ٢٨٩/٢ .

(٤) الارتشاف: ١٨٧/١ .

(٥) شرح الشافية للرضى ٢٨٩/١.

قال المبرد: «فإن حقرت (ذه) أو (ذي)، قلت: تيا، وإنما منعك أن تقول: ذيا كراهية التباس المذكر بالمؤنث... فاستغنيت به عن تصغير (ذه) أو (ذي)....»[١].

ثالثاً: شواذ التصغير:

عقد سيبويه لهذا المبحث بابا بعنوان: «هذا باب مايحقر على غير بناء مكبره الذى يستعمل فى الكلام» ذكر فيه قوله: «فمن ذلك قول العرب فى مغرب الشمس: مغيربان، وفى العشى: آتيك عشياناً ...

وقال - أيضاً - «ومايحقر علي غير بناء مكبره المستعمل فى الكلام، إنسان تقول: أنيسيان، وفى بنون، أبينون، كأنهم حقروا إنسيان، وكأنهم حقروا أفعل نحو أعمى... ومثل ذلك ليلة، تقول: لييلية، وكما قالوا: ليال، وقولهم فى رجل، رويجل، ونحو هذا... ومن ذلك قولهم في صبية: أصيبية، وفي غلمة: أغيلمة كأنهم حقروا أغلمة وأصبية»[٢].

فالكلمات التى ذكرها جاءت مخالفة لقواعد التصغير، حيث إن لها مكبراً مستعملاً وآخر مهملاً أو قليل الاستعمال، فجاء تصغيرها على الآخر ولم يأت على الأول .

فكلمة «مغرب» قياس تصغيرها «مغيرب» وفقاً لقواعد التصغير إلا أن العرب قالوا فى تصغيرها: «مغيربان»، فاستغنوا عن تصغير «مغرب» بتصغير «مغربان» وعليه جمعوا هذا المصغر فقالوا: «مغيربانات» وهـذا -

---

(١) المقتضب: ٢٨٧/٢.

(٢) الكتاب: ٤٨٤/٣، ٤٨٦ .

كما يقول الرضى - جمع قياسي لتصغير غير قياسي، وكأنهم جعلوا كل جزء منه مغرباً كقولهم: «بغير أصهب العثانين»[١].

وكلمة «عشية» قياس تصغيرها «عشية» - بضم أوله وحذف ثالثة اليآت - إلا أنهم صغروها على «عشيشية» كما صغروا «عشى» على «عشيشيان» أو «عشيان» وكأن مكبر «عشيشية» «عشاة» بتشديد الشين - فجعلت أولى الياءين شيئاً مفتوحة، فتدغم الشين فى الشين، وتنقلب الياء الثانية «ألفا لتحركها وانفتاح ماقبلها وكأن مكبر «عشيشيان» «عشيان»، ثم جمعوا هذه المصغرات فقالوا: «عشيشيات، وعشيشيانات» .

قال الأزهري: «كلام العرب فى تصغير عشية «عشيشية» جاء نادراً على غير قياس، ولم أسمع عشية - بضم العين- فى تصغير عشية، وذلك أن «عشية» بالضم - تصغير العشوة وهو أول ظلمة الليل - فأرادوا أن يفرقوا بين تصغير العشوة والعشية.[٢]

وأما «إنسان» فقياس تصغيرها «أنيسين أو أنيسان» نحو: «سريجن» فى تصغير «سرحان» أو«عطشيان فى عطشان» فزادوا الياء فى التصغير شاذاً فصارك«عقيربان»[٣] وإن كان أهل اللغة يقولون: «الإنسان أصله إنسيان - بكسر الهمزة - لأن العرب قاطبة قالوا فى تصغيره أنيسيان، فدلت الياء الأخيرة على الياء فى تكبيره إلا أنهم حذفوها لما كثر الناس فى

---

(١) شرح الشافية: ٢٧٦/٣ والعثانين (جمع عثنون): شعيرات طوال تحت حنك البعير جعلوا كل واحدة منها عثنونا جمعوها على عثانين، وصهبتها: أن يحمرظاهرها وباطنها أسود .

(٢) اللسان:«عشا».

(٣) الرضى على الشافية: ٢٧٤/١ .

كلامهم، وفى حديث ابن صياد، قال النبى - صلى الله عليه وسلم وسلم - ذات يوم (انطلقوا بنا إلى أنيسيان قد رابنا شأنه) وهو تصغير إنسان جاء شاذاً على غير قياس، وقياسه أنيسان... وروى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أنه قال: إنما سمى الإنسان إنساناً لأنه عهد إليه فنسى، قال أبو منصور: إذا كان الإنسان فى الأصل إنسياناً فهو إفعلان من النسيان... مثل ليل إضحيان. وقال الأزهرى: وإنسان فى الأصل إنسيان. وهو فعليان من الأنس، والألف فيه فاء الفعل، وعلى مثاله حرصيان، وهو الجلد الذى يلى الجلد الأعلى من الحيوان سمي حرصياناً لأنه يحرص أي يقشر.. ويقال رجل حذريان». [1]

وماذهب إليه الأزهرى من أن «إنسان» مشتق من الأنس - ذهب إليه ابن سيده حيث قال: «إنسان عندى مشتق من أنس... فوزنه على هذا فعلان - بكسر فسكون - وقد ذهب بعضهم إلى أنه إفعلان من نسى... ولو كان كذلك لكان إنسياناً ولم تحذف الياء منه لأنه ليس هناك مايسقطها» [2].

وأما قولهم فى تصغير «بنون»: «أبينون» فقياس تصغيره «بنيون» وهو - أبينون - عند البصريين جمع «أبين» وهو تصغير «أبنى» مقدراً على وزن «أفعل» كأضحى» فشذوذه - عندهم - لأنه جمع لمصغر لم يثبت مكبره، وقال الكوفيون: هو جمع «أبين» وهو تصغير «أبن» مقدراً، وهوجمع «إبن» كأدل في جمع دلو، فهو عندهم شاذ من وجهين: كونه جمعاً لمصغر لم يثبت مكبره، ومجئ «أفعل» فى «فعل» وهو شاذ كأجبل وأزمن، وقال الجوهرى: شذوذه لكون جمع أبين تصغير ابن بجعل همزة الوصل قطعاً. وقال أبو عبيد: هو تصغير بنين على غير قياس. [3]

---

(١) اللسان: «أنس» .

(٢) المخصص: ١/١٦ .

(٣) شرح الكافية للرضى: ٢/ ١٧٠ .

وأما «ليلة» فقياس تصغيرها «لييلة»، ولكنهم قالوا: «ليبلية» بزيادة الياء كما في «أنيسيان» وكأنه تصغير «ليلاه» قال الراجز :

في كل يوم ما وكل ليلاه[1]

وعليه بنى الليالى .

فهذا شاهد على وجود «ليلاة» التى بمعنى «ليلة» وهى التى صغرت على «ليبلية» بقلب ألفها ياء لوقوعها بعد الكسرة، فلما أرادوا تصغير «ليلة» استغنوا عنها بتصغير «ليلاة» لكونهما بمعنى واحد، كما أنهم حينما أرادوا تكسيرها، استغنوا بتكسير «ليلاة» فقالوا: «ليال» .

وأما قولهم فى تصغير «رجل»: «رويجل» فجاء - أيضاً - على غير قياس، وقياس تصغيره «رجيل» وإنما دعاهم إلى ذلك ورود «رجل» بمعنى «راجل» قال الشاعر:

أما أقاتل عن دينى على فرسى وهكذا رجلاً إلا بأصحابى[2]

أى راجلاً، فرويجل فى الأصل تصغير راجل الذى جاء بمعناه رجل، فكأنه تصغير رجل بمعنى راجل، ثم استعمل فى تصغير رجل مطلقاً راجلاً كان أولاً - كما يقول الرضى.[3]

---

(١) بيت من الرجز المشطور - سبق فى مبحث الجمع - والشاهد فيه هنا: استعمال «ليلاة» التى بمعنى «ليلة» .

(٢) بيت من البسيط، قائله حيى بن وائل، وبعده :

لقد لقيت إذن شراً وأدركنى ماكنت أزعم فى خصمى من العاب

يريد أنه قاتل عن دينه وعن حسبه، وليس تحته فرس ولامعه أصحاب .

والشاهد: ورود «رجل» بمعنى «راجل» كما تقول العرب: «جاءنا فلان حافياً رجلاً». أى: راجلاً. ينظر شرح الشافية للرضى: ٢٧٨/١، ونوادر أبى زيد ٥ .

(٣) شرح الشافية: ٢٧٨/١ .

وأما قولهم فى تصغير «غلمة وصبية»: «أغيلمة وأصيبية» فهو - كذلك - مما جاء على غير قياس، فقياس تصغيرهما: «غليمة وصبية» لاتهما جمعا قلة، فيصغران على لفظهما. قال أبو حيان: «وقد يكون للاسم تصغيران: قياسي وشاذ، قالوا فى تصغير صبية: صبية، وهو القياس، لأنه جمع قلة، وجمع القلة يصغر على لفظه، وقالوا: فى الشعر: أصيبية، وليس بالقياس.قال أبو زيد: رجعوا إلى جمع أصبية وإن لم ينطق به فى الكلام»[(١)].

وأوجه من ذلك ماعلل به سيبويه سبب العدول عن «صبية وغليمة» إلى «أصبية وأغلمة» حيث يقول: «وذلك أن أفعلة يجمع به فعال - بضم الفاء - وفعيل، فلما حقروه جاءوا به على بناء قد يكون لفعال - وفعيل»[(٢)].

ومهما يكن من أمر، فقد ورد الاستعمالان فى الشعر، قال الشاعر:

صبية على الدخان رمكا   ماإن عدا أصغرهم أن زكا[(٣)]

وقال الآخر:

ارحم أصيبينى الذين كأنهم   حجلى تدرج فى الشربة وقع[(٤)]

---

(١) الارتشاف:١/١٨٧ .

(٢) الكتاب: ٣/٤٨٦ .

(٣) بيتان من مشطور الرجز لرؤبة بن العجاج ،الرمكة: لون كلون الرماد عدا : جاوز الركيك: الدب. يصف صبية صغاراً تجمعوا حول دخان النار فى شدة البرد فصاروا رمكا .
والشاهد: تصغير «صبية» على«صبية» الأول بكسر الصاد والثانى بضمها - انظر الكتاب: ٣/٤٨٦، والمقتضب: ٢/٢/٢١٢ .

(٤) بيت من الكامل لعبد الله بن الحجاج يخاطب عبد الملك بن مروان. والشربة: اسم موضع. والشاهد فيه تصغير «صبية» على «أصيبية» .
انظر المحتسب: ٢/٢٧١، وابن يعيش:٥/٢١، ١٣٤ والإيضاح العضدى ٢/١٦٦.

المبحث الرابع
الاستغناء عن تاء التأنيث

الأصل في تاء التأنيث أن يؤتى بها ليفرق بين المذكر والمؤنث، نحو قولنا: «قائم وقائمة، وفاهم وفاهمة» إلا أن هناك صفات تدل علي معنى خاص بالأنثى جاءت مجردة من التاء - غالباً - نحو: «طالق وحائض ومرضع» وذلك إذا كان الوصف ليس مقيداً بحالة طارئة،كوصف المرأة بأنها مرضع، أى أن طبيعتها التى خلقت معها هى الإرضاع، وكذا قولنا: «المرأة الحامل لاالعاقر مرغوبة» أى التى من هذا النوع .

أما إذا كانت الصفة طارئة والقصد منها الحدوث، فيجب الإتيان بالتاء، ومنه قوله - عز وجل - فى هول يوم القيامة: «يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت»[(١)] قال الزمخشرى: «فإن قلت: لم قيل مرضعة دون مرضع؟ قلت: المرضعة: التى هى في حال الإرضاع، ملقمة ثديها الصبى، والمرضع: التى شأنها أن ترضع، وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به، فقيل مرضعة ليدل على أن ذلك الهول إذا فوجئت به هذه وقد ألقمت الرضيع ثديها، نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة»[(٢)].

وقد ورد من هذا الصنف كلمات عديدة على زنة «فاعل ومفعل» وغيرهما من ذلك: «امرأة[(٣)] معصر، ومسلف[(٤)]، وحاد[(٥)]،

---

(١) الحج: ٢ .

(٢) الكشاف: ٣/٢٤ .

(٣) من أدركت البلوغ .

(٤) من بلغت الخامسة والأربعين .

(٥) من تركت الزينة حزناً على زوجها .

وناهد[١]، وناشز وناشص...»[٢].

وقد اختلف النحاة في سبب تجرد هذا الصنف من علامة التأنيث، فقد حكى السيرافي أن مذهب الخليل وسيبويه هو أن الهاء سقطت منه، لأنه لم يجر على الفعل، وإنما يلزم الفرق بين المذكر والمؤنث فيما كان جارياً على الفعل... وقوم يقولون: إن سقوط علامة التأنيث من مثل هذا لأنها أشياء يختص بها المؤنث، وإنما يحتاج إلى الهاء للفرق بين المذكر والمؤنث، فلما كانت هذه الأشياء مخصوصاً بها المؤنث استغنى عن علامة التأنيث.[٣]

ولعل الأقرب إلى القبول من تعليلات النحاة ماعلل به الرضي حيث يرى أن الأغلب في الفرق بين المذكر والمؤنث بالتاء هو الفعل، ثم حمل اسما الفاعل والمفعول عليه، لمشابهتهما ماله، ثم مما هو على وزن الفاعل مايقصد به الحدوث مرة كالفعل ومرة الإطلاق، وقصدوا الفرق بين المعنيين، فأنثوا بتاء التأنيث ماقصدوا فيه الحدوث الذي هو معنى الفعل، كتأنيث الفعل، لمشابهته له معنى، بخلاف ماقصدوا فيه الإطلاق، ليكون ذلك فرقاً بين المعنيين.[٤]

---

(١) من ظهر نهدها .

(٢) الناشص مثل الناشر وزنا ومعنى .

(٣) هامش الكتاب: ٣/٣٨٣، وانظر الرضي: ٢/١٦٥، والإنصاف: ٧٥٨ .

(٤) الرضي على الكافية: ٢/١٦٥ بتصرف .

أهم المراجع البحث

١ - ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسى .

ت: د. مصطفى النماس - ط/ النسر الذهبى: ١٩٨٤م .

٢ - الأشباه والنظائر فى النحو جلال الدين السيوطى .

ت: طه عبد الرءوف سعد نشر مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧٥م .

٣ - الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى: الساسى ١٣٢٣ هـ .

٤ - أمالى الزجاجي: ت: عبد السلام هارون: المدنى ١٣٨٢هـ .

٥ - أمالى ابن الشجرى، حيدر أباد ١٣٤٩هـ .

٦ - البحر المحيط لأبى حيان ط/ السعادة ١٣٢٨هـ .

٧ - بناء الفعل لغير الفاعل، د. أحمد مرسى الجمل ط/ دار الكتب الجامعية ١٤٠٦هـ.

٨ - التبيان فى تصريح الأسماء د. أحمد حسن كحيل ط/ السعادة ١٣٩٨هـ.

٩ - التصريح بمضمون التوضيح. الشيخ خالد الأزهرى ط/ الأزهرية ١٣٤٤هـ.

١٠- الجنى الدانى فى حروف المعانى، الحسن بن قاسم المرادى ت: د. فخر الدين قباوة محمد نديم فاضل. منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت ١٣٩٣ هـ .

١١- حاشية الصبان على الأشمونى ط/ عيسى الحلبى ١٣٦٦هـ .

١٢- حاشية يس العليمى على التصريح بهامش التصريح الأزهرية: ١٣٤٤هـ.

١٣- خزانة الأدب ولب الألباب لسان العرب للبغدادى ت: عبد السلام هارون نشر مكتبة الخانجى ١٤٠١هـ.

١٤- الخصائص لأبى الفتح عثمان بن جنى ت: محمد على النجار ط/ هيئة الكتاب القاهرة ١٤٠٦ هـ .

١٥- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة نشر دار الحديث القاهرة بدون تاريخ .

١٦- رصف المبانى فى شرح حروف المعانى لأحمد عبد النور المالقى ت د./ أحمد محمد الخراط - دار القلم دمشق ١٤٠٥ هـ .

١٧- السيرة لابن هشام الحميرى، مصر .

١٨- شرح ابن عقيل تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد،نشر المكتبة التجارية القاهرة ١٩٨٥م.

١٩- شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك عيسى البابى الحلبى .

٢٠- شرح شافية ابن الحاجب، رضى الدين الاسترابادى ت: محمد نور الحسن وآخرين. ط/ دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٢ هـ .

٢١- شرح الكافية للرضى الاسترباذى، دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ .

٢٢- شرح المفصل لابن يعيش، مكتبة المتنبى القاهرة بدون تاريخ .

٢٣- كتاب سيبويه ت: عبد السلام هارون الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٩٧٧ .

٢٤- كثرة الاستعمال وأثرها فى النحو العربى د. وجيه عبد العزي زيادة ط/ التركى ١٩٩٨م .

٢٥- الكشاف لابى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى دار المعرفة بيروت بدون تاريخ .

٢٦- لسان العرب لابن منظور ط/ دار المعارف القاهرة .

٢٧- المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، أبو الفتح عثمان ابن جنى، ت: على النجدى ناصف وعبد الفتاح شلبى ١٣٨٩هـ .

٢٨- المخصص لابن سيدة ت: الشنقيطى ومعاونة عبد الغانى محمود بولاق ١٣٠٦هـ.

٢٩- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن وضعه محمد فؤاد عبد الباقى مؤسسة جمال للنشر بيروت لبنان بدون تاريخ .

٣٠- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام ت: محمد محيى الدين عبد الحميد مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٨٥م .

٣١- المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبردت: محمد عبد الخالق عضيمة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٩٩هـ .

٣٢- منحة الجليل بهامش شرح ابن عقيل، محمد محيى الدين عبد الحميد، التجارية ١٣٨٥ هـ .

٣٣- النحو الوافى، عباس حسن، دار المعارف القاهرة ١٩٦٨م .

٣٤- نوادر أبى زيد، تعليق سعيد الخورى بيروت ١٨٩٤ م.

٣٥- همع الهوامع بشرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطى دار المعرفة للطبع والنشر بيروت لبنان. بدون تاريخ .

قسم البلاغة والنقد

جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية
بإيتاى البارود

الأمر عن طريق الاستفهام

مواقعه وأسراره فى القرآن الكريم

أ. د/ **الشحات محمد أبو ستيت**
أستاذ البلاغة والنقد
ووكيل كلية اللغة العربية بإيتاى البارود

١٤١٩هـ/١٩٩٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم:

الاستفهام من الأساليب الإنشائية ذات الأغراض المتعددة والدلالات المتنوعة، وهو كثير الدوران فى نظم القرآن الكريم بدلالاته المختلفة التى بلغت عند «السيوطى» اثنتين وثلاثين دلالة[١].

والأمر غرض من أغراض الاستفهام، ودلالة من دلالاته فى القرآن الكريم، إذ ورد أسلوب الاستفهام فى بعض الآيات مفيداً الأمر، وحاثاً على طلب الفعل، وباعثاً على تحصيله، وهذا الأمر الوارد فى صورة الاستفهام يختلف عن الأمر الصريح، والطلب المباشر بما يحمله من معان بلاغية، ومايوحى به من أسرار تعبيرية. وحول هذا الأسلوب وأسراره البلاغية فى النظم القرآنى يدور هذا البحث .

وقد جاءت أساليب الاستفهام الدالة على الأمر فى القرآن الكريم فى مقامات تقتضى هذا اللون من الأساليب، بما يتضمنه من لطائف وإيحاءات، كما سنرى فيما يلى :

١ - الدعوة إلى التوحيد والانقياد لله تعالى:

يقول الله تعالى: (قل إنما يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون)[٢]. فالاستفهام الذى ختمت به الآية الكريمة دال على الأمر، ومفيد لطلب الانقياد لله رب العالمين، ومعناه: فأسلموا، قال أبو حيان: هذا استفهام يتضمن الأمر بإخلاص التوحيد والانقياد إلى الله تعالى»[٣].

---

(١) انظر الإتقان: ٢/٧٩ .

(٢) سورة الأنبياء: آية: ١٠٨ .

(٣) البحر المحيط: ٦/٣٤٤ .

وهذا الأمـر الوارد عن طريق الاسـتـفـهـام قـد تقدمـه فى الآية بيـان قـوى مؤكد بأن الوحى المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمـثل فى إثبات الوحـدانيــة لله عـز وجل، وقـد ورد هذا البـيـان فى صـورة مكونة من قـصـرين مركبين: الأول: قـصـر فيـه الوحى على وحدانية الله عز وجل، قـصـر صـفـة على موصـوف، والثـانى: قـصر فـيـه الله تعالى على الوحدانية قـصر مـوصـوف على صفة .

وهذا البـيـان المؤكد بالقـصرين أثبت قـضـية الوحدانية وأكدها، وجعلها واضـحـة لكل مـتـدبر، وأعـقـبـه الاسـتـفـهـام آمـراً بالانقـيـاد للإله الذى ثبـتت وحدنيتـه، حيث لم يبق للمخاطبين عذر فى عدم الانقياد لله الواحد جل شأنه، بعد أن اتضحت وحدانيته وتأكدت، وليس أمـامهم إلا الاستجابة، والانقياد لله الواحد القهار .

ومـثـال ذلك: أن تقـول لصـاحـبك تحـثـه على صـحـبـتك فى السـفـر إلى القـاهرة: سـأذهب إلى مـدينة «المعـز» لأمـتـع النـفس برؤيـة آثارها الإسـلامـيـة العظيـمة، فـهل أنت ذاهب مـعى؟. وكـأنك تقـول له: قد اتضح لك أمر سـفرى، وظهرت لك فائدته، فلا عذر لك فى عدم صحبتى، وماعليك إلا الذهاب معى.

وأمر المخاطبين بالانقـياد لله تعالى عن طريق الاستفهام فى الآية الكريمة، أحرى بالقـبـول، وأدعى إلى الاسـتـجـابة، لما فـيـه من تلطف فى الأمـر، وسلوك جـانب السـيـاسـة واللين فى الحث علي الفـعـل، مما يجـعـله ينفـذ إلى القلوب، ويحولها إلى مادعيت إليه .

كما أن فـيـه مبالغة وقـوة في الحث على الانقياد لله تعـالى، من حيث إن الاسـتـفـهـام يدل على أن المستـفـهم عنـه مستحق الوقـوع بدون أمـر، فـسـئل عنه، هل وقـع ذلك الأمر اللازم الوقـوع أو لا؟[٤].

---

(٤) ينظر حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى: ٦/٢٦٧ .

وهذا الأمر في ذات الوقت يحمل في طياته توبيخاً شديداً للمأمورين، لما فيه من إشارة إلى تقصيرهم في الانقياد لله عز وجل، وتباطئهم في الإخلاص له، والإقبال على الإيمان به، بعد أن ظهرت لهم الأدلة، ووضحت لديهم البراهين.

ويدرك المتأمل هذه اللطائف البلاغية في قوله تعالى: (فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد) (٥).

فقوله تعالى: (أأسلمتم) استفهام يفيد الأمر، ومعناه: أسلموا (٦).

والآية تبين انقياد الرسول صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه لله رب العالمين، وتوضح إسلام وجوههم وإخلاصهم لله عز وجل، وقد سبقتها آية تبين أن الإسلام هو الدين الصحيح والملة المقبولة عند الله تعالى، وماعداه من الملل والنحل كفر وخيم العاقبة (إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ماجاءهم العلم بغياً بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب) (٧)، ومن ثم فلم يبق للمخاطبين عذر بعد إيضاح هذه الحقائق، وإرشادهم إلى الدين الصحيح، وماعليهم إلا المسارعة بإعلان الإسلام، والانقياد لله جل شأنه .

وقد جاء الأمر في الآية عن طريق الاستفهام حثاً لهم على قبول الإسلام. بتلطف وترفق، وتوبيخاً لهم على مسلكهم الشائن في عدم المسارعة إلى قبول الحق بعد ماتبينت دلائله .

---

(٥) سورة آل عمران. آية: ٢٠ .

(٦) البرهان: ٣٣٩/٢ - الزركشي .

(٧) سورة آل عمران. آية: ١٩ .

قال شيخ الإسلام «أبو السعود» مبيناً مافى هذا الاستفهام من الأسرار: (أأسلمتم) متبعين لى كما فعل المؤمنون، فإنه قد أتاكم من البينات مايوجبه ويقتضيه لامحالة، فهل أسلمتم وعملتم بقضيتها؟ أو أنتم على كفركم بعد؟، كما يقول من لخص لصاحبه المسألة ولم يدع من طرق التوضيح والبيان مسلكاً إلا سلكه، فهل فهمتها؟ ... وفى هذا التعبير من استقصارهم، وتعييرهم بالمعاندة وقلة الإنصاف، وتوبيخهم بالبلادة وكلة القريحة مالايخفى»(٨).

٢ - الحث على الشكر:

يقول الله تعالى: (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير، وكنا فاعلين وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون)(٩) قال البيضاوى: وقوله تعالى: (فهل أنتم شاكرون) أمرأخرج فى صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع»(١٠)، وقال أبوحيان: إنه استفهام يتضمن الأمر، أى: اشكروا الله على ماأنعم به عليكم»(١١).

وهذا الأمر الوارد فى صورة الاستفهام جاء بعد بيان بعض النعم التى أنعم الله بها على المخاطبين، وهذه النعم الظاهرة والآلاء الواضحة تقتضى منهم شكر المنعم جل علاه، ومن ثم أمروا بالشكر عقيب ذكرها ليسارعوا بالاستجابة حيث لم يبق لهم عذر فى عدمها .

(٨) تفسير أبى السعود: ١٩/٢ .

(٩) سورة الأنبياء: ٧٩، ٨٠ .

(١٠) تفسير البيضاوى بهامش حاشية الشهاب: ٢٦٧/٧.

(١١) البحر المحيط: ٣٣٢/٦ .

وهذا التعبير فيه تلطف فى الأمر، ولين في الطلب، ودعوة إلى إعمال العقل والفكر ليختار الطريق الملائم، ألا وهو شكر المنعم على جزيل نعمائه وجليل آلائه .

وفيه توبيخ وتقريع للمخاطبين على تقصيرهم فى شكر واهب النعم، كما أن فيه دلالة على أن هذا الشكر مستحق للوقوع من غير أمر به، أو حث عليه. قال الشهاب الخفاجى فى تعليقه على كلام البيضاوى السابق: وكون الاستفهام للتوبيخ والتقريع ظاهر، لما فيه من الإيماء إلى التقصير فى الشكر، وأما المبالغة: فلدلالة الاستفهام بأن الشكر مستحق للوقوع بدون أمر، فسئل عنه: هل وقع ذلك الأمر اللازم؟ أو لا؟ (١٢).

٣ - الحث على الانتهاء عن الخمر والميسر:

يقول الله تعالى: (يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسروالأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) (١٣).

وقوله تعالى: (فهل أنتم منتهون) أمر وارد على صورة الاستفهام، للحث على المسارعة بالانتهاء عن شرب الخمر ولعب الميسر بعدما تبين مافيهما من شرور وآثام .

وقد تقدم هذا الأمر بيان تفصيلي لوجوه الفساد فى هذه المحرمات، وللدواعى التى توجب صرفهم عنها وهى: (١٤)

---

(١٢) حاشية الشهاب: ٢٦٧/٦ .

(١٣) سورة المائدة: ٩٠، ٩١ .

(١٤) تنظر فى الكشاف: ٦٤٢/١، والتفسير الكبير: ٤٤٥/٣، وتفسير المنار: ٥٣/٧.

١ - الحكم عليها بأنها رجس، وهو كلمة تدل على غاية القبح والخبث.

٢ - مجئ هذا الحكم فى أسلوب القصر بإنما، قصر موصوف على صفة، لإبراز صفة الرجس وتقويتها، والدلالة على أنها هى الصفة الوحيدة لها، فهى رجس لاغيره ولاتقع فيها البتة، وذلك ظاهر لايشك فيه .

٣ - قرن الخمر والميسر بالأنصاب والأزلام، وهما من أعمال الشرك وأفعال المشركين .

٤ - وصف الرجس بأنه من عمل الشيطان، للدلالة على تمام قبحه، وكمال خبثه .

٥ - الأمر بتركها بجملة (فاجتنبوه) وهى أبلغ من فاتركوه، لأن الاجتناب يفيد الأمر بالترك مع البعد عن المتروك، بأن يكون التارك فى جانب بعيد عن جانب المتروك .

٦ - جعل اجتنابها مرجاة للفلاح، ومدعاة للفوز، وبالتالى فإن فعلها مدعاة للخيبة والخسران .

٧ - أنها مثار للعداوة والبغضاء، وكفي بهما شراً مستطيراً .

٨ - أنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وكفى بذلك إثماً مبيناً .

وبعد ذكر هذه الوجوه من المفاسد جاء الأمر بالانتهاء عنها فى صورة الاستفهام بهل المقرونة بالفاء، ليتصل السبب والمسبب، ويقترن الانتهاء عنها بتفصيل شرورها ومفاسدها .

وقد تحقق هذا الانتهاء الفورى من جماعة المؤمنين لما نزلت الآية الكريمة، وعبروا عن ذلك فقالوا: انتهينا ربنا، وقال عمررضى الله عنه: انتهينا انتهينا [١٥].

---

(١٥) ينظر تفسير ابن كثير: ٢/ ٩٢ .

وهذا الأمر المدلول عليه بالاستفهام يفيد من المعانى البلاغية ماسبقت الإشارة إليها فى كلامنا عن نظرائه، ويشير إلى أن الزجر والتحذير وكشف مافى الخمر والميسر من المفاسد والشرور قد بلغ الغاية، وأن الأعذار قد انقطعت بالكلية، حتى إن العاقل إذا خلى ونفسه بعد ذلك لاينبغى أن يتوقف فى الانتهاء أو يتمهل فيه.(١٦)

قال الزمخشرى: وهذا من أبلغ ماينهى به، كأنه قيل: قد تلى عليكم مافيهما من أنواع الصوارف والموانع، فهل أنتم مع هذه الصوارف منتهون؟ أو أنتم على ماكنتم عليه؟ كأن لم توعظوا ولم تزجروا »(١٧).

وبناء على هذا نقول: إن الأمر عن طريق الاستفهام فى هذه الآية، ومايماثله فى الآيات الأخرى يوحى بمعنى دقيق يضاف إلى ماسبق من معان ولطائف، ألا وهو إعطاء الحرية للإنسان فى اختيار الطريق، وبعث عقله علي التفكير فى المسلك الذى ينبغى أن يسير فيه، حيث سيق له الأمر على سبيل العرض الرفيق الذى لاتعسف فيه، وكأن الأمر متروك له في اختيار مايراه نافعاً له بمحض عقله وتفكيره، بعد ماكشفت أمامه السبل، وجليت له الحقائق، وأحيط علماً بما ينفعه ومايضره، والعاقل لن يختار إلا الاستجابة لأمر الله العزيز الحكيم .

٤ - الحث على الاجتماع للتأييد:

يقول الله تعالى: (فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وقيل للناس هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين)(١٨).

---

(١٦) ينظر تفسير أبى السعود: ٣/٨٦، وحاشية الشهاب: ٣/ ٢٨٠ .

(١٧) الكشاف: ١/ ٦٤٢ .

(١٨) سورة الشعراء: ٣٨-٤٠ .

وقوله تعالى: (هل أنتم مجتمعون) استفهام يفيد أمر الناس بالمسارعة إلى الاجتماع، تأييداً لفرعون وسحرته، ومعناه: اجتمعوا.

قال الزمخشري: هذا استبطاء لهم في الاجتماع، والمراد منه استعجالهم، واستحثاثهم، كما يقول الرجل لغلامه هل أنت منطلق؟ إذا أراد أن يحرك منه، ويحثه على الانطلاق، كأنما يخيل له أن الناس قد انطلقوا وهو واقف. ومنه قول تأبط شراً:

هل أنت باعث دينار لحاجتنا   أو عبد رب أخا أعون بن مخراق

يريد: ابعثه إلينا سريعاً ولاتبطئ به[١٩].

وهذا الأمر المصور بصورة الاستفهام، وارد ضمن حكاية القرآن الكريم مادار بين فرعون وملئه، لما جاءهم موسى عليه السلام بمعجزتيه: عصاه التى يلقيها فإذا هي تلقف مايأفكون، ويده التى ينزعها فإذا هى بيضاء للناظرين. فاتهموه بأنه ساحر عليم، يريد أن يخرجهم من أرضهم بسحره، وتجهزوا لإبطال ماجاء به، فدعوا كبار السحرة للمباراة معه فى ضحى يوم الزينة ليفضحوا أمر سحره، ويهدموا دعوته، ومباراة هامة مثيرة كهذه لابد أن يدعى لحضورها جمهور غفير من مؤيدى فرعون، يحمس فريقه، ويشجع سحرته فى هذا اللقاء الحاسم، الذى سيعلى شأن فرعون، ويجعل الناس يدينون له بالولاء، ويبطل كل دعوة لموسى عليه السلام. ومجئ هذا الأمر في ثوب الاستفهام، فيه استعجال للجماهير فى الحضور، واستنهاض لهممهم فى المجئ، وحث لهم على السعى لمشاهدة هذه المباراة التاريخية عند حلول موعدها المضروب لها .

---

(١٩) الكشاف: ١١٢/٣ .

وفيه إشارة إلى أن اجتماعهم متحقق من غير أمر به، وحاصل دون طلب، وماالاستفهام إلا عن وقوعه علي سبيل الاستعجال .

وفيه إشعار بعدم التعسف فى طلبهم للحضور، حيث تركوا وشأنهم، يختارون ماتقرره عقولهم، ولاشك فى أنها ستقرر الذهاب إلى موطن المباراة للتأييد والتحميس، بعد الاستماع إلى ماأشاعه الملأ عن مراد موسى وأخيه، ومجيئهما لإخراج الناس من أرضهم وديارهم .

٥ - الحث على رؤية أهل النار:

قال تعالى: (قال هل أنتم مطلعون) [٢٠] والآية ضمن آيات تحكى بعض أحاديث أهل الجنة التى يتسامرون بها فى مجالسهم، إذ يقول قائل منهم: كان لى مصاحب ملازم فى الدنيا ينكر على تصديقي بالبعث والجزاء ويستبعد الحساب والجزاء بعد الموت، فاطلعوا في النار لنرى حال هذا القرين، حسبما ينطق به قوله تعالى: (قال قائل منهم إني كان لى قرين يقول أإنك لمن المصدقين أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمدينون قال هل أنتم مطلعون فاطلع فرآه فى سواء الجحيم» [٢١].

قال القرطبى: وقوله (هل أنتم مطلعون) ليس باستفهام، إنما هو بمعنى الأمر، أي: اطلعوا، قاله ابن الأعرابى وغيره. [٢٢]

وقيل: إن الاستفهام مستعمل فى العرض - وهو الطلب بلين ورفق - أي: هل تحبون أن تطلعوا على أهل النار لأريكم ذلك القرين، فتعلموا أين

---

(٢٠) الصافات: ٥٤ .

(٢١) الصافات: ٥١ - ٥٥

(٢٢) القرطبى: ٥٥٢٦/٧ .

منزلتكم من منزلتهم. عرض علي رفقائه أن يتطلعوا إلى رؤية قرينة وماصار إليه. (٢٣)

وسواء أكان الاستفهام بمعنى الأمر أم كان بمعنى العرض ففيه طلب برفق وتلطف، إذ الأمر الاستفهامي مبناه على اللين والتلطف في طلب الفعل، لأنه مفهوم من أسلوب الاستفهام، والأصل في المستفهم عنه أ يكون أو لايكون، ويفهم من هذه أن المأمورين مخيرون بين إيجاد الفعل وتركه، ولكن لما كان إيجاد الفعل له دواعيه ومقتضياته، كان إيجاده هو المطلوب .

ولما قال لهم (هل أنتم مطلعون) دعاهم إلي الاطلاع وحثهم عليه، مع أن الظاهر من الأسلوب أنهم مخيرون بين الاطلاع وعدمه، ولكن أمر الإطلاع يهم المخاطبين فهم يرغبون في رؤية المعذبين الذين كانوا يستهزئون بهم وبعقائدهم في الدنيا، ليدركوا نعمة الله العظيمة عليهم، بسبب إيمانهم وطاعتهم ومن ثم كانت استجابتهم الفورية لما دعوا إليه من الاطلاع كما جاء في قوله تعالى (فاطلع فرآه في سواء الجحيم).

وفي قوله تعالى (فاطلع) اكتفاء، أي فاطلع واطلعوا، فرآه ورأوه في سواء الجحيم.، وإذ هو إنما عرض عليهم الاطلاع ليعلموا تحقيق ماحدثهم عن قرينه، واقتصر علي ذكر اطلاعه هو دون ذكر اطلاع رفقائه لأنه ابتدأ بالاطلاع ليميز قرينه فيريه لرفقائه(٢٤).

٦ - الحث على الصبر:

يقول الله تعالى: (وماأرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيراً) (٢٥). والاستفهام في قوله عز وجل: (أتصبرون) يفيد الأمر، ومعناه:

---

(٢٣) حاشية الشهاب علي البيضاوي: ٢٧١/٧، والتحريروالتنوير: ١١٧/٢٣ .

(٢٤) التحرير والتنوير: ١١٧/٢٣ .

(٢٥) سورة الفرقان. آية: ٢٠ .

اصبروا. (٢٦)، قال أبو حيان: قيل إنه استفهام بمعنى الأمر، أي: اصبروا. (٢٧)، وقال الشهاب الخفاجي: المراد منه الإيجاب، والأمر بالصبر،أي: اصبروا، فإني ابتليت بعضكم ببعض، الغني بالفقير، والشريف بالوضيع(٢٨).

وهذا الأمر المرتدى رداء الاستفهام، وارد في أعقاب ذكر افتراءات الكافرين على الرسول صلى الله عليه وسلم، وحكاية استهزائهم به، وكذبهم عليه، واعتراضهم على بشريته وأكله الطعام ومشيه فى الأسواق.

فبين الله له - على سبيل التسلية والتصبير - أنه ليس بدعا من الرسل، فكلهم كانوا بشراً، وكلهم كانوا يأتون الأعمال البشرية التى لاتتنافى مع الرسالة. «فإذا كان هناك اعتراض، فليس هو اعتراضاً على شخصه، إنما هو اعتراض على سنة من سنن الله، سنة مقدرة مقصودة، لها غايتها المرسومة: «وجعلنا بعضكم لبعض فتنة»، ليعترض من لايدركون حكمة الله وتدبيره وتقديره، وليصبر من يثق بالله وحكمته ونصره، ولتمضى الدعوة تغالب وتغلب بوسائل البشر وطرائق البشر، وليثبت من يثبت على هذا الابتلاء»(٢٩).

ومجئ الأمر على هذه الصورة الاستفهامية يحقق الحث على الصبر مع التلطف والرفق، ويوحى بأن الصبر المطلوب حاصل من غير طلب، ويشعر بالحرية الفكرية الممنوحة للإنسان ليختار مايقتنع به من سبل، ولاجدال فى أن سبيل الصبر على الابتلاء هو مسلك العقلاء .

---

(٢٦) الاتقان: ٢/ ٨٠ .

(٢٧) البحر المحيط: ٧/ ٤٩١ .

(٢٨) حاشية الشهاب: ٦/ ٤١٥ .

(٢٩) فى ظلال القرآن: ٥/ ٢٥٥٦- سيد قطب .

خصائص هذه التراكيب:

عرضنا فيما سبق لخمسة تراكيب قرآنية متشابهة الصياغة، هي: (فهل أنتم مسلمون) - (فهل أنتم شاكرون) - (فهل أنتم منتهون) - (هل أنتم مجتمعون) - (هل أنتم مطلعون) وقد بينا دلالة الاستفهام فيها على الأمر، وأوضحنا مايحتوى عليه هذا الأمر من معان دقيقة، وماينطوى عليه من أسرار بلاغية، لاتتأتى فى أسلوب الأمر المباشر .

وسنقف أمام هذه التراكيب القرآنية متأملين مافى صياغتها من سمات وخصائص .

لقد تصدرت الفاء التراكيب الثلاثة الأولى، وخلا التركيبان الرابع والخامس عنها، وهذه الفاء دالة على أن ماقبلها موجب لما بعدها.[٣٠]، وأن مابعدها مترتب على ماقبلها، ومطلوب حصوله بعده على الفور، ودون تراخ أو تأجيل .

فثبوت الوحدانية لله القدير، وجعل الوحى مقصوراً على تقريرها، يقتضى سرعة الانقياد لله رب العالمين، وتواصل إنعام الله على المخاطبين، يقتضى منهم المبادرة بحمده وشكره.، وتفصيل مفاسد الخمر والميسر، وبيان مضارهما يقتضى سرعة الانتهاء عنها .

ولما كانت هذه الأمور الثلاثة مطلوبة على وجه السرعة تصدرتها الفاء، أما قوله تعالى: (هل أنتم مجتمعون) فقد خلا عن الفاء لسر لطيف، هو أن الناس المطلوبين للاجتماع، لم يكونوا مطلوبين على الفور عقيب إظهار موسى معجزتيه، وجداله مع فرعون وملئه، إذ قد حدد الطرفان فى هذا الموقف موعدا للاجتماع والتبارى، وهو ضحى يوم الزينة، وقام جنود فرعون بطلب الناس

---

(٣٠) روح المعانى: ١٠٧/١٧ - الألوسى .

للاجتماع فى هذا الموعد المضروب، وقد جاء ذلك في قوله تعالى: (قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك ياموسى فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعداً لانخلفه نحن ولاأنت مكاناً سوى قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى) (٣١).

وكذلك قوله تعالى (هل أنتم مطلعون) لم تتصدره الفاء، لأن الأمر بالاطلاع ليس مطلوباً على وجه السرعة وإن كان المخاطبون قد سارعوا إليه، وذلك لأن رؤية المعذبين مفتوحة أمامهم، وتحقق هدفها فى أى وقت تكون، حيث يسر المخاطبون فى أى وقت يشاهدون فيه قرناء السوء وهم يعذبون فى النار .

وقد جاءت هذه التراكيب بأداة الاستفهام «هل» وهذه الأداة لها من الخصائص مايميزها عن سواها من أدوات الاستفهام، من ذلك: أنها مختصة بطلب التصديق، وتخصص المضارع بالاستقبال، ولها مزيد اختصاص بالدخول على الفعل تحقيقاً أو تقديراً. (٣٢)

ولهذا فإذا دخلت «هل» فى تركيب من التراكيب على جملة اسمية، كان ذلك منطوياً على سر بلاغى دقيق، هو: جعل ماسيوجد مستقبلاً كأنه موجود وحاصل فعلاً، وإبرازه فى معرض الثابت المستقر اهتماماً بأمره، ورغبة فى وقوعه وتحققه .

وفى الأمثلة القرآنية التى نحن بصدد الحديث عنها ، دخلت «هل» علي جمل اسمية فأفادت هذا السر الدقيق، حيث ظهرت المطلوبات الخمسة: الإسلام، والشكر، والانتهاء، والاجتماع والاطلاع، فى معرض الأمور الثابتة المستقرة، مما يشعر بكمال الاعتناء بحصولها، وتمام الاهتمام بتحققها .

---

(٣١) سورة طه: ٥٧ - ٥٩ .

(٣٢) ينظر مغنى اللبيب: ٤٤/٢. لابن هشام. ، والمطول: ٢٣٠. للتفتازانى .

ولقد تأمل البلاغيون مثالاً من هذه الأمثلة السابقة، وبينوا دقته وتميزه في الدلالة علي المطلوب، قال السكاكى - بعد أن بين خصائص «هل» التى منها زيادة اختصاصها بالدخول على الأفعال-: ولذلك كان قوله عز وجل: (فهل أنتم شاكرون) أدخل فى الإنباء عن طلب الشكر من قولنا: فهل تشكرون؟ أو فهل أنتم تشكرون؟ أو أفأنتم تشكرون؟ لما أن هل تشكرون وإن كان ينبئ عن عدم التجدد لكنه دون (فهل أنتم شاكرون) لما ثبت أن هل ادعى للفعل من الهمزة، فترك الفعل معها يكون أدخل فى الإنباء عن استدعاء المقام عدم التجدد »(٣٣).

ولزيادة إيضاح ماقاله السكاكى نقول: إن قوله تعالى: (فهل أنتم شاكرون) أدل على طلب الشكر وأقوى من قولنا: فهل تشكرون؟ وقولنا: فهل أنتم تشكرون؟. لأن «هل» في القول الكريم، داخلة على جملة اسمية، وهى تفيد الثبوت والاستمرار، فأبرز الشكر المطلوب فى معرض الأمر الثابت المستقر، اهتماماً بحصوله ووقوعه. أما المثالان المذكوران فقد دخلت «هل» فيهما على الفعل، تحقيقاً في المثال الأول، وتقديراً فى المثال الثانى، لأن «أنتم» فيه فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور، والفعل يدل على التجدد والحدوث، وفى هذا إشارة إلى أن الشكر لم يقع، وبذلك خلا المثالان عن النكتة الموجودة فى القول الكريم .

كما أن القول الكريم أدل على طلب الشكر أيضاً من قولنا: أفأنتم شاكرون؟ لأنه وإن أفاد الثبوت من حيث إنه جملة اسمية، إلا أن «هل» لما كانت لها زيادة اختصاص بالفعل أكثر من الهمزة، كان ترك الفعل معها أدل علي كمال العناية بحصول ماسيتجدد (٣٤)، وكان فى ترك الفعل معها عدول

---

(٣٣) مفتاح العلوم: ١٤٨ .

(٣٤) ينظر المطول: ٢٣١ .

عن الأصل، وهو لايحسن إلا لنكتة تفتضيه، والنكتة هنا: الإشارة إلى قوة طلب الشكر بإظهاره فى معرض الثابت الواقع. (٣٥)

وتثير الحواشى البلاغية بعض التساؤلات فى موطن الحديث عن هذه الآية أهمها: أن قولنا: هل أنتم تشكرون؟ يفيد الاستمرار التجددي، ومافى الآية الكريمة يفيد الاستمرار الثبوتى، والاستمرار التجددى أمس بالمقام من الاستمرار الثبوتى، وذلك لدلالته على طلب استمرار الشكر على سبيل التجدد، وهو أشق على النفس، ويستدعى زيادة الثواب، فما وجه العدول عن الاستمرار التجددى إلى الاستمرار الثبوتى فى الآية ؟ وقد أجاب «الفنرى» عن ذلك فقال: إن ماذكر في الآية الكريمة أدل على كمال عناية الله تعالى بعباده، حيث رضى منهم بما هو أهون عليهم من الأعمال. (٣٦)

ودفع «عبد الحكيم» التساؤل من أصله، ورده باعتبار أنه لامحل لإيراده، فقال: والكلام فى الآية لطلب أصل الشكر، لالطلب استمرار الشكر، ومن هنا فلا وجه للتساؤل المذكور. (٣٧)

وإضافة على ذلك أقول: إن قوله تعالى: (فهل أنتم شاكرون) يتضمن سراً دقيقاً - كما تقدم - وهو: إبراز الشكر الذى يطلب حصوله على سبيل التجدد فى معرض الأمر الثابت المستقر رغبة في تحققه، واهتماماً بوقوعه وهو معنى بديع ينفرد به القول الكريم دون سواه .

كما أن الاستمرار الثبوتى لايعنى الانقطاع، فكثيراً مايقصد به الاستمرار والدوام فى الزمان المتجدد، كما فى قولنا: المؤمنون منتهون عن

---

(٣٥) ينظر تقرير الإنبابى، وتجريد البنانى: ٣/ ١٣٠ .

(٣٦) تجريد البنانى: ٣/ ١٣٠ .

(٣٧) حاشية عبد الحكيم على المطول: ٣٢٢ .

المعاصى، فهذا يعنى الانتهاء المستمر الدائم الذى لارجوع فيه، والأمر بالشكر فى الآية مطلوب على الدوام ولايختص بزمان دون زمان .

وماذكره البلاغيون فى حديثهم عن قوله تعالى: (فهل أنتم شاكرون) ينسحب على الأمثلة الثلاثة الأخرى المشابهة له فى النظم .

صور أخرى لهذا الأسلوب :

وفى القرآن الكريم مواضع أخرى كثيرة غير التى قدمناها، أشار العلماء إلى أن الاستفهام فيها يفيد الأمر، من ذلك:

١ - بعض أساليب الاستفهام الإنكارى التوبيخى، كقوله تعالى: (إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر مامن شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون) [٣٨] فقد قالوا: إن قوله تعالى: (أفلا تذكرون) يفيد الأمر بالتذكر، ومعناه: اذكّرو. [٣٩] وهو استفهام وارد عقيب التعريف بقدرة الله عز وجل، مما يوجب على المخاطبين دوام التذكر، ويقتضى توبيخهم على تركه .

وكقوله تعالى: (ومالكم لاتقاتلون فى سبيل الله...) [٤٠] فقد قالوا: إن الاستفهام فيه يفيد الأمر بالجهاد، والحث عليه، والتوبيخ على تركه، والمعنى: قاتلوا فى سبيل الله. [٤١]

---

(٣٨) سورة يونس. آية: ٣.

(٣٩) ينظر البرهان: ٢/٣٣٩.

(٤٠) سورة النساء. آية: ٧٥ .

(٤١) ينظر حاشية الشهاب: ٣/١٥٥، والبرهان: ٢/٣٣٩ .

٢ - أساليب الاستفهام التى تفيد التنبيه، حيث جعلوا التنبيه من أقسام الأمر. [٤٢]، ومنها قوله تعالى: (ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه) [٤٣]، وقوله تعالى: (ألم تر إلى ربك كيف مد الظل) [٤٤]، وقوله تعالى: (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) [٤٥]. فقد قالوا: إن المعنى فى كل ذلك: انظر بفكرك فى هذه الأمور وتنبه. [٤٦] ففيها حث على النظر، والاعتبار. [٤٧]

وأشار صاحب «البرهان» إلى صور أخرى فيها دلالة على الأمر. [٤٨]، ولامرية فى أن هذه الصور التى ذكرها العلماء فيها دلالة على الطلب، وإشعار بالأمر، وحث على فعل الشئ، بجانب ماتنضوى عليه من أغراض بلاغية أخرى، كالإنكار والتوبيخ والتعجيب، وغير ذلك، والنكات البلاغية لاتتزاحم، والأسرار التعبيرية لاتتعارض، والأساليب القرآنية على اختلاف ألوانها تحوى الكثير من الأسرار البلاغية، واللطائف التعبيرية، ومن ثم يتسع مجال البحث فيها أمام كل متأمل .

---

(٤٢) البرهان: ٢/٣٤٩، والاتقان: ٢/٨٠ .

(٤٣) سورة البقرة. آية: ٢٥٨ .

(٤٤) سورة الفرقان. آية: ٤٥ .

(٤٥) سورة الفيل. آية: ١ .

(٤٦) البرهان: ٢/٣٤٠، والاتقان: ٢/٨٠ .

(٤٧) ينظر حاشية الشهاب: ٢/٣٢٦ .

(٤٨) ينظر البرهان: ٢/٣٣٩ ومابعدها .

ومــا قــدمناه فى هذا الموضــوع يمثل نظرة تأمليــة فى بعض الأســاليب القرآنية، حاولنا فيها الكشف عن بعض أسرار النظم القرآنى المعجز، الذى لاتفنى عجائبه، ولاتنقضى غرائبه، والله أسأل الصواب والسداد، إنه نعم المولى ونعم النصير .

دكتور/ **الشحات محمد عبد الرحمن أبوستيت**

أستاذ البلاغة والنقد

ووكيل كلية اللغة العربية بإيتاى البارود

قسم الأدب والنقد

جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية
إيتاى البارود

الإبحار فى ذاكرة الضمير

قراءة للتجربة الوجدانية
فى شعر
صلاح عبد الصبور

اعداد
د/ أحمد إبراهيم خليل

تقديـــم

مـضى نصف قـرن كـامـل على ظهـور النمـاذج التى كـتـب لهـا النجـاح والاستـمرار من الشعـر الحر على أيدى بدر شاكـر السيـاب ونازك الملائكة سنة ١٩٤٧م. وبعـد أن تلقـفـا التـجـارب الأوليـة من عـبـد الرحـمن شكرى وخليل شيبوب، وعلى أحمد باكثير. ومرور الزمن أمر له اعتباره بما يتداعى معه من مشروعية التقادم وتعاقب الأجيال وإلحاح الإعلام وتعود المتلقين وإقفار الساحة الأدبية وتسليم المعسكر المضاد. وفى هذه السنوات الأخيرة بدأنا نسمع ونحضر الندوات الأدبيـة والمناقـشـات العلمـيـة والأطروحـات الجـامـعـيـة التى تتـخـذ منه مـوضـوعـاً لهـا في الأزهر ودار العلوم. وفى زمن التـقـاعس عن التـحـصـيل الثقافى بدت مجموعاته الشعرية النحيلة تراثا يستغنى به الشداة الناشئون. وما يمنعـهم من ذلك وهو يأخـذ مـقـعـد المحافظ على التقـاليد فى مواجـهـة دعـاة قـصيدة النثر وشعر الحداثة؟! وها هو ذا قد صارت له تقاليده التى يدافع عنها ومـعلقـاته أو نماذجـه التى يراهـا مـثـلا مكتـملة تـامـة النضـج. وقـبـل أن يجـرفنا التيـار مفتونين بأدواته الفنية المستجدة متحمسين للتملى فى محاسنها وتذوق جمالياتها نرى أنه تلزمنا وقـفـة تأمل فى تجارب رواده الأولين للبحث عن جذور توجهاتهم الفكرية والوجدانية وسر اختيارهم لهذا الأسلوب فى التعبير عنها.

وهذه الدراسـة المتـواضـعـة تحـاول في نطاقـهـا الـضـيـق الكشف عن التـوجـه الروحى فى شعر صلاح عبد الصبور وبواعثه وخصائصه وتطوره بأعـتبـار أن له موقـعـا بارزا فى ريادة حركة الشعـر الحر فى الأدب العربى المعـاصر وأن لشعـره من رهافـه الحسـاسـيـة لطبـيـعـة العـصـر وصدق التـمـثل لظروفنا الحضـارية وقـوة التعبير عنها ما لايجحد بالنسبة إلى أقرانه واللاحقين به. وسندخل إلى دراسة شعره من مدخلين أحدهما يتعلق بالملابسات العامة التى صاحبت ظهور حركة

الشعر الحديث، والآخر يتعلق بحياة الشاعر الشخصية وثقافته الخاصة وما تتضمنانه من مؤثرات فى تجربته المتميزة.

ثم نتجه مباشرة إلى مجموعاته الشعرية ومسرحياته ننقب فى أولاها عن جذور التوجه الروحى البارز عنده ونميزه عن توجهه الاجتماعى الضامر المتضائل ونتحسس بدايات طبيعته الصوفية، ثم نمسك هذا الخيط ونتتبع امتداده فى المجموعات والمسرحيات التالية معتبرين آخر صورة تبلورت فيها أفكاره فى آخر مسرحياته (بعد أن يموت الملك) ١٩٧٣م. ثم آخر مجموعاته (الإبحار فى الذاكرة) ١٩٧٩م. بمنزلة حصاد التجربة أو هدايا الأسفار البعيدة التى قطعها الشاعر طيلة رحلة حياته الفكرية والأدبية وقدمها عند أوبته من تطوافه الطويل إلى جمهوره ومتلقى شعره. فنقف أمامها وقفة تحليل وتقييم.

١) مدخل عام:

لاشك فى أن الجيل الناشئ من الأدباء بعد الحرب العالمية الثانية ورث عن ثورة سنة ١٩١٩م. ثقافتها وأجواءها السياسية والاجتماعية وروحها التحررية (الليبرارية) التى ظهرت فى تعاملها مع صراع القيم المتجسدة في كتاب (الإسلام وأصول الحكم) للشيخ على عبد الرازق سنة ١٩٢٥م. الذى يفصل فيه بين الدين والدولة وينفى الضرورة الشرعية للخلافة وكتاب (الشعر الجاهلى) لطه حسين سنة ١٩٢٦م. الذى يطلق فيه حرية الشك على طريق البحث العلمى. وجاءت معاهدة سنة ١٩٣٦م. لتقول إن الساسة المصريين قنعوا بربط مصير بلادهم بالغرب متمثلا فى بريطانيا لجيل آخر أو جيلين تاليين على الأقل. وساعدت الحرب الكبرى على زخم التيارات المتصارعة من أدنى اليمين إلى أقصى اليسار من خلال جماعة الإخوان المسلمين وحزب مصر الفتاة الذى تطور إلى حزب مصر الاشتراكى والطليعة الوفدية والحزب الشيوعى الذى لم

يكن معلنا غير أن صحافته ودعايته كان لها موضعها على الساحة الاجتماعية خصوصا بعد أن خرج الاتحاد السوفييتى من الحرب دولة عظمى معترفا بها وافتتحت سفاراته وقنصلياته فى العواصم العربية ووجه اهتمامه بعد أوروبا الشرقية إلى البحار الدافئة(١).

وتناقلت الصحف والإذاعات أثناء الحرب فضائح الدول الاستعمارية وتشنيع بعضها بالبعض وامتلأت الأجواء بعدها بنداءات الحرية والاستقلال وحقوق الإنسان وحقوق الشعوب في تقرير المصير من الشرق والغرب وكان لكل ذلك أثره فى نمو وعى الإنسان العربى بأزمة بلاده. وفى تلك الفترة لم تعد القضية الوطنية- قضية التخلص من وجود القوات البريطانية على الأراضى المصرية- هى وحدها الشغل الشاغل للمثقف المصرى بل زاحمتها فى بؤرة اهتمامه القضية الاجتماعية بعناصرها المتعددة من توزيع الثروة ومكافحة الفقر والجهل الذى يرزح تحت نيره القطاعات الأكبر من أبناء الشعب. وبدأ الجيل الجديد من نقاد الأدب على أعمدة الصحف وفى قاعات الجامعة مثل محمد مندور، وعبد القادر القط، ولويس عوض، ورشاد رشدى، وشكرى عياد وغيرهم يناقشون دور الأدب فى معالجة المشكلات الاجتماعية وتهيئة قوالبه وأشكاله الفنية لتحمل المضامين الجديدة وتقوم بدورها فى نقل رسالة الأديب إلى مجتمعه. وجاءت نكبة فلسطين وهزيمة سبعة جيوش عربية أمام جيش الدولة العبرية الناشئة لتوها لتصب الزيت على النار، وتفجر مشاعر الغضب والرغبة فى التغيير على مختلف الأصعدة فى نفوس أبناء هذا الجيل الناشئ بين نيران الحرب ودخان الهزيمة وتشرد شعب بأكمله. وما لبثت أن سقطت

---

(١) انظر فى هذا الموضوع، الحركة السياسية فى مصر من سنة ١٩٤٥-١٩٥٢م. طارق البشرى الهيئة المصريه العام للتأليف والنشر ١٩٧٢م.

عروش في مصر، والعراق، واليمن، وتداعت كراسي الحكم في سوريا، وتجاوبت دعوات القيم الاجتماعية والسياسية الجديدة، والتف المثقفون المجددون في الخمسينات حول ثورة ٢٣ يوليو ومشروعها القومي وطموحها إلي الإصلاح الاجتماعي عن طريق التأمينات الاجتماعية والقطاع العام وتحديد الملكية الزراعية وحرصت من ناحيتها على تشجيعهم لعلهم يصبحون أدوات دعاية لها أو يعكسون على الأقل زهوها بالعهد الجديد، وابتلعوا صدمتهم فيها حين مالت إلى تحييدهم والاستبداد بالسلطة وحاولوا غض الطرف عن بعض أوجه التسيب واستغلال النفوذ في الستينيات ولكن صعقة سنة ١٩٦٧م. زلزلت النفوس وجعلت الذين ظلوا منتمين إليها حتى ذلك الحين يراجعون أنفسهم وأحدثت مزيداً من البلبلة والاضطراب على الساحة العربية مما لامجال للتفصيل فيه، وإن كانت في الوقت نفسه قد أفسحت للاتجاه الديني أن يظهر في صورة جماعية قوية متفاعلة مع واقع العصر ومعطياته بعد أن كان منذ محنة الإخوان ١٩٥٤م. إلى الخامس من يونيو قد قنع بالانطواء في قلوب الذين فجعتهم سلبيات التجربة الناصرية وهدتهم بصيرتهم سلفا إلى الكارثة قبل وقوعها فانطووا على أنفسهم يتجرعون مرارة الإحباط الاجتماعي ويبحثون عن السلوى في عزلتهم الصوفية الآمنة. وعلى الرغم من أننا قد نستبق الأحداث ونسارع بالنتائج قبل أوانها بهذا التصريح إلا أننا نعتقد بأن هذه النهاية التي آلت إليها الوقائع العامة بين الأربعينيات والسبعينيات تقترب على وجه الإجمال وإلى حد كبير من ملامح التجربة الشخصية لشاعرنا موضوع الدراسة. مع بعض الفوارق التفصيلية بطبيعة الحال كما سيتبدى في الصفحات التالية.

٢) مدخل خاص

أ) حياته :

ولد صلاح الدين عبد الصبور فى ٣ مايو ١٩٣١م. فى أسرة موظف صغير بمدينه الزقازيق ونشأ فى بيت ريفى يحتوى على مكتبة مورثة تضم عيون التراث الأدبى والديني وطرائفه كانت مدخله إلى الثقافة والشعر، وانضم وهو طالب في المرحلة الثانوية إلى أشبال الإخوان المسلمين[١] بوازع من الطبيعة الدينية لبيئته وشخصه غير أنه انصرف عنها فى أوائل الخمسينات منزعجا من مشكلاتها السياسية ومنجذباً إلى أندية الثقافة الجديدة بالقاهرة حيث التحق بكلية الآداب وتخرج فى قسم اللغة العربية بها سنة ١٩٥١م. وعمل بالتدريس فور تخرجه بعده سنوات.. وارتبط منذ بداية حياته الجامعية بصداقة شخصية عميقة وممتدة مع نخبه من الفنانين والنقاد وأساتذة الجامعة ومنهم أحمد بهاء الدين وعز الدين إسماعيل ولويس عوض وصبرى حافظ وفاروق خورشيد وفاروق عبد القادر وآخرين وخاض معهم السياحة بين التيارات الفكرية المختلفة التى كانت تزخر بها منتديات العاصمة ومراكزها الثقافية الكثيرة وتبادلوا الكتب والأفكار والمناقشات.

انتقل إلى الصحافة فى سنة ١٩٥٧م. حيث عمل بمؤسسة روزاليوسف ثم عين نائبا لرئيس التحرير بمجلة الكاتب ثم رئيسا للهيئة العامة للكتاب حتى توفى فى أغسطس سنة ١٩٨١م. وكانت وفاته أثر نوبة قلبية هاجمته بمنـــزل

---

(١) انظر فى ترجمة الشاعر كتاب صلاح عبد الصبور الإنسان والشاعر- نشأت المصرى- الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣م. وانظر فى عمق التجربة الدينية فى سنى حياته المبكرة كتاب حياتى فى الشعر ص١٤٧، ١٤٨- ديوان صلاح عبد الصبور جـ٣، ط العودة - بيروت ١٩٧٧م.

صديقه الشاعر عبد المعطى حجازى عقب نقاش جارح اتهمه خلاله أحد الفنانين التشكيليين ببيع ضميره وممالأة الحكام والتخلى عن مبادئه[١].

ب) كتاباته :

نشر صلاح عبد الصبور ست مجموعات شعرية هى (الناس في بلادى) سنة ١٩٥٧م. (أقول لكم) سنة ١٩٦١م. (أحلام الفارس القديم) سنة ١٩٦٤م. و(تأملات فى زمن جريح) سنة ١٩٧١م. و(شجر الليل) سنة ١٩٧٣م. و(الابحار في الذاكرة) سنة ١٩٧٩م. وخمس مسرحيات شعرية هى (مأساة الحلاج سنة ١٩٦٤م. و(مسافر ليل) سنة ١٩٧٠م. و(الأميرة تنتظر) سنة ١٩٧١م. و(ليلى والمجنون) سنة ١٩٧٢م. و(بعد أن يموت الملك) سنة ١٩٧٣م.. وله أيضا عدة كتب متنوعة منها (قراءة جديدة فى شعرنا القديم) ويستعرض فيه ملاحظاته وتذوقه للتراث الشعرى فى الأدب العربى. ومنها (حياتى فى الشعر) و(على مشارف الخمسين) وهما بين التأملات الأدبية والترجمة الذاتية. ومنها كتب مجموعة من مقالات سبق نشرها فى الصحافة مثل (أصوات العصر) وله جهد فى الترجمة عن الانجليزية لقصص وأشعار ومسرحيات ومنها (حفلة الكوكتيل) لـ (ت- س- ايليوت) و(سيد البنائين) لابسن و(يرما) للوركا وغيرها. وله إلى هذا عدد كبير من المقالات الصحفيه التى نشرها على مدى ربع قرن من الزمان تقريبا.

جـ) ثقافته :

نتيجة لمزاولته كتابة المقال الصحفى لمدة طويلة ومتصلة اتسمت مصادره بالسعة والتنوع والخفة فى كثير من الأحيان بما يتناسب مع قراء روزاليوسف

---

(١) ورد ذلك فى مقال لفاروق عبد القادر بصحيفة الأهرام ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٨٥م.

ولهذا دوره فى تكوين ثقافته الشخصية. غير أننا لاينبغى أن ننسى دراسته المنهجية فى قسم اللغة العربية وثقافته المنزلية المستمدة من مكتبة الأسرة ومن خلال مقالاته المؤلفة ومترجماته العديدة فى المسرحية والقصة والشعر يمكننا استيضاح اتجاهه الثقافى الذى اتسع ليشمل معرفة جيدة بالشعر القديم تتضح من خلال كتابه (قراءة جديدة فى شعرنا القديم) إلى جانب استجابة مرهفة لتيارات الفكر المعاصر التى انشغلت بها الساحة الأدبية فى الخمسينيات والستينيات بفلسفتيه الاجتماعية والوجودية اللتين ازدهرتا فى تلك الفترة فهو يترجم للشاعر الاسبانى (لوركا) المناضل من أجل الجمهورية والمحسوب على الحركة التقدمية الأوروبية فى الثلاثينات، كما ترجم للشاعرين السوفتيين «ايفتشنكوا» «جونا رأكيلوف» وللزعيم السنغالى الاشتراكى «ليوبولد سنجور» وللشاعر الفارسى اليسارى «رضا براهنى» وفى مجال القصة ترجمة للروائى السوفيتى «ايليا اهرنبرج» وللأديبة الوجودية الفرنسية «سيمون دى بوفوار» وفى المقابل ترجم للكاتبين الأمريكيين «ارسكين كوندويل» «تينسى وليامز» والروائى الانجليزى «سومرست موم» والشاعر اليونانى السكندرى «قسطنطين كفافى» ممن لم يشتهروا بالتزام اجتماعى محدد وهكذا يفرض عليه المقال الصحفى الأسبوعى تعديد مصادر مترجماته وتنويعها وطلب عنصرى التشويق والإثارة بصرف النظر أحياناً عن قيمتها الفكرية والأدبية إذ إن ترجماته وبخاصة القصصية- لم تكن حرفية تامة وإنما كانت بتصرف وتلخيص وتركيز على الصور المؤثرة فى قارئ الدوريات الشعبية.

د) اهتمامه بالتراث

ومن اللافت للانتباه أن موجة اهتمامه بالتراث برزت فى مرحلة النضج من عطائه الأدبى وتخللت تيار الترجمة عن الآداب الأجنبية وكأنها أشبه بمحاولة

إعادة التوازن الثقافي أو مراجعة الحسابات الأدبية فكتاب «قراءة جديدة في شعرنا القديم» جاء نتيجة لفترة عكف خلالها على مراجعة الدواوين القديمة التي كان قد انشغل عنها منذ فترة طويلة استغرقت هذه المراجعة العامين ١٩٦٣ و١٩٦٤م. وخلالها ظهر له أيضاً ديوان «أحلام الفارس القديم» وهو يعد منعطفا فكريا ووجدانيا مهماً في حياة الشاعر. وظهرت أولى مسرحياته «مأساة الحلاج» التي اتخذ بطلها وموضوعها من التراث. فهل نجد في ثقافته الحديثة تفسيرا مؤقتا- على الأقل- لاهتمامه المفاجئ بالتراث؟ ربما كان الأمر كذلك وخصوصا إذا ربطنا بين هذه الميول التراثية وبين اهتمامه بايليوت الذي حل عقدة النظرة المترفعة إلى التراث عند الشعراء المحدثين ورأى أن الشاعر المعاصر الناجح ليس إلا امتدادا طبيعيا لتراث أمته وأن تراث كل أمة هو جذور ثقافتها الضاربة في أعماق التاريخ.

وقبل أن نستطرد إلى علاقة عبد الصبور بـ اليوت نشير إلى أن نظرة شاعرنا إلى تراثه كانت نظرة عصرية حقا فهو يرى «أن الأديب هو الذي يملك التراث وليس العكس»(١) وأن من حقه أن يختار من التراث ما يوافق ذوقه ورؤيته للحياة. ومن هذا المنطلق يرى أن «أبا العلاء يمثل ثلاثة أرباع الشعر العربي والربع الباقي يتقاسمه أبو نواس وابن الرومي والمتنبي وغيرهم»(٢) وإن لم يمنع هذا من أن يعجب بطرفة في معلقته ويستهويه زهو المتنبي ويقف متأملا أمام الكثير من الشعراء الآخرين.

---

(١) مجلة فصول - المجلد الأول، العدد الأول، اكتوبر ١٩٨٠م. ص ٤٢.

(٢) صلاح عبد الصبور- حياتي في الشعر ص ٢٠٧.

هـ) تأثره بإليوت

وأما «ت. س. اليوت» فإن صلاح عبد الصبور لم يكتشفه ولم ينفرد بإدخاله إلى الثقافة العربية الحديثة[١]، وإنما شارك أبناء جيله في التوجه إليه والتتلمذ عليه. فقد سبق إليه الشاعر العراقي «بدر شاكر السياب» والشاعر «ألقاس» الفلسطيني النازح إلى العراق «جبرا إبراهيم جبرا». وأما عبد الصبور فقد ترجم له مسرحيته الكبيرة «حفلة الكوكتيل» وعرف بمسرحيته الأخرى «جريمة قتل في الكاتدرائية» وهذه الأخيرة كثرت الدراسات الرابطة بينها وبين «مأساة الحلاج» كما عرض أفكاره النقدية في مناسبات كثيرة من خلال «حياتي في الشعر» ومن خلال مقالاته الصحفية. واليوت شاعر عجيب يتناقض مع الحركة التقدمية التي تعلق بها صلاح عبد الصبور أيام مدها الثوري في الخمسينيات وأوائل الستينيات فقد هجر أمريكا إلى بريطانيا خلافا لمعظم المهاجرين طلبا للتراث والتاريخ والتقاليد التي يفتقر إليها مسقط رأسه كما هجر الجمهورية إلى الملكية والبروتستانتية إلى الكاثوليكية فهو بهذه التحولات الوطنية والسياسية والدينية يتناقض تماما مع الفكر التقدمي ويبدو شاعر تراجعيا - إن صح التعبير[٢]- ولكنه من ناحية أخرى شاعر إفلاس الحضارة الغربية المادية الحديثة وشاعر نعي الإنسان المشوه الذي خلفته الحرب العالمية الأولى وراءها دليلاً على فساد قيم هذه الحضارة المادية. على الرغم من قوتها وجبروتها الطاغي وهو من هذا المنطلق شاعر معبر عن أحاسيس مثقفينا العرب من أبناء الخمسينيات الذين أعياهم الصراع مع

---

(١) انظر في علاقة عبد الصبور بإليوت- مجلة فصول- مقال د/ عبد الحميد إبراهيم- ص ١٩٣ ومابعدها- المجلد الثالث- العدد الرابع-١٩٨٣.

(٢) انظر في ثقافة اليوت- المسرحية من ابسن إلى اليوت.

الاستعمار فهم يطربون بلاشك لوصف المستعمرين بأنهم «الرجال الجوف» وصف بلادهم بأنها «الأرض اليباب» وهذان عنوانان أشهر قصيدتين له. وعلاقة صلاح عبد الصبور باليوت تهمنا بصفة خاصة عند محاولة التعرف على جذور التجربة الروحية لدى شاعرنا فمن المعلوم أن اليوت من أكثر المثقفين الغربيين المعاصرين حماسةً لعودة الشعوب المسيحية إلى ثقافتها الدينية التى هجرتها منذ عصور النهضة والتنوير وهو يرى أن الرجوع إلى منابع العقيدة المسيحية ومصادرها الأولى أولى بالشعوب الغربية من التمسك بأهداب الحضارة الحديثة القائمة على نهضة العلوم الطبيعية والتوسع الصناعى والتستعمارى التى أثبتت فشلها وجلبت الدمار على الغرب بالحربين العالميتين الكبريين فى التاريخ الإنسانى كله. وعنده أن المحافظه على تقاليد الديانة المسيحية هى أيسر وأكثر منطقية وملائمة لطبائع الأمور من محاولة تأسيس قيم حضارية جديدة لم تتضح أبعادها بعد. ومن هنا كان البطل النموذجى عنده هو «توماس مور» أسقف الكنيسة الانجليكانية الذى قام أعوان «هنرى الثامن» ملك انجلترا باغتياله فى الكاتدرائية فتقبل هو هذه الجريمة راضياً مطمئن الضمير إذ ذهب شهيد كلمة حق عارض بها إحدى رغبات الملك الجامحة محتفظا للكنيسة ببراءتها من الخضوع لنزوات الملوك وكذلك كان التجرد لخدمة الله فى خدمة عباده هو طريق الخلاص والنجاة كما تصور شخصيات مسرحية «حفلة الكوكتيل» تلك المسرحية التى عرضت مستويات متدرجة من اتجاهات الشخصيات بين من انعكس اهتمامه على ذاته ورأى نفسه محور الكون فهو طوال حياته غارق فى مشكلاته الشخصية ونجد هذا في «ادوارد شمبرلين وزوجته» وبين من ذوب ذاته وطاقته فى العمل العام و اتسع قلبه ليضم العالم بأسره وتمثل هذا فى «سليا كويلستون» من شخصيات المسرحية. وهذه المسرحية يمكن أن تعد ملهمة لشاعرنا بفكرة «ليلى والمجنون» على اختلاف

كبير بينهما سواء فى مجال إحكام العقدة والبناء أو مجال رسم الشخصيات وسبر أغوارها وتعمق بواطنها مما لامناسبة للخوض فيه فى هذا السياق.

وفى «أصوات العصر» مقال منهم بعنوان «الإيمان الجديد» والكتاب كما يبدو من عنوانه استعراض صحفى لمختلف التيارات والأخبار والتقاليع الفكرية والأدبية والفنية. ولايخرج هذا المقال عن ذلك المستوى من الحرص على الإثارة والتشويق وتجنب الإملال، وأهمية المقال مكمن فى تقرير كاتبه لكفران العالم الحديث بالعلم الطبيعى بعد الافتتان به والتحول عنه إلى الإيمان القديم /الجديد بالعقيدة الدينية «إن التفسير العلمى للعالم من أهم جوانب دراسة الحياة، ولكنه قد تحول عند كثير من المفكرين إلى «تفسير ميكانيكى» يكتفى بدراسة الظواهر ولايحاول أن يبحث عن (علة غائيه محدثة) إن صح هذا التعبير وكانت نتيجة هذا التفسير الميكانيكى أن استبعد الفكر استبعادا وفشل العلم فشلا واضحا فى دراسة حالات الذهن أو النفس(١)».

و«حين اتضح فشل التفسير الميكانيكى للحياة ألقى كثير من المفكرين (على العلم) ذاته هذا المعبود القديم وزر هذا الفشل، وعاد كثير منهم القهقرى إلى الإيمان القديم بالروح والغيبيات وفعالية الفكر وحقيقته» وراح عبد الصبور يستعرض نماذج من المفكرين العائدين إلى الإيمان من أمثال «كيركجارد» ، «جابرييل مارسيل» حتى انتهى إلى (اليوت) واصفا إياه بأنه «يمثل الرجوع الحقيقى إلى الله والعناية الإلهية فى هذا العصر.. «وقد بدا اليوت حياته متشائما كارها للحياة... ويصور نفسه فى قصيدة «أغنية عاشق» في صورة الرجل اليائس الذى يخشى أن يرتد خائبا، والذى لا يجرؤ على الحركة ثم انتقل من هذه المرحلة المتشائمة إلى الايمان بالكنيسة وابتدأ منذ

---

(١) صلاح عبد الصبور- أصوات العصر- ص٩٧.

عام ١٩٣٥م.فى كتابة قصائده الدينية الشهيرة (الرباعيات الأربع) وانتهى من كتابتها فى عام ١٩٤٣م. «ومضى كاتبنا يترجم نماذج من هذه الرباعيات ثم علق عليها بقوله (لقد أصبح الدين هو العزاء الوحيد لهذا الشاعر، وإنه ليرقب هذه التجارب الإصلاحية التى يخوضها العالم وهو يعتقد في قرارة نفسه أنها جميعا تجارب فاشلة، وأنه قد قضى على العالم بالرجعة إلى الدين لو قيض له الخلاص من محنته)[1].

هذه المقالة تعطينا إشارات واضحة لمدى اهتمام شاعرنا بتجربة اليوت الروحية بقدر يفوق اهتمامه بتجربته الفنية. ويبدو للقارئ أن هذا الاهتمام الشديد وربما التعاطف الحميم من جهة عبد الصبور مع اليوت يرجع إلى كون شاعرنا العربى يمر بتجربة مشابهة تبدأ أولى مراحلها بالافتتان بالعلوم الطبيعية والحضارة المادية الحديثة ولكنها ما تلبث أن ترتد معبأة بحنين جارف إلى الحضارة الروحية والثقافة التقليدية والإيمان بالعقيدة الدينية. إلا أن اليوت تميز بصراحة التعبير وتحديد الاتجاه والبعد عن المداراة والمواربة والتستر بالكنايات والرموز فى مقالاته على الأقل حيث يكتب فى بيئة، تقبل منه معارضتها وتشجعه على التميز ولا تفرض عليه مواكبة التيار السائد وتجعلها شرطا لقبوله واحترامه. وأما عبد الصبور فلم يكن يستطيع سنة ١٩٦٤م. أن يقول إن المشروع الحضارى لثورة ١٩٥٢م. يوفر العناصر المادية لحياة الإنسان ويدمر بالنظام البوليسى المتسلط روح المواطن وضميره حين يفرض عليه أن يعيش بلا رأى حر بلا مبدأ يختاره بنفسه ويلتزم به بحريته لم يكن يستطيع أن يقول إن بناء الضمير الفردى للإنسان أكثر أهمية من بناء المصانع والمدارس وإرسال الجيوش إلى كل مكان ومن هنا لم يكن أمامه سوى أن يتستر وراء

---

(١) نفسه ص

الأقنعة والرموز فى أعماله الشعرية والمسرحية على النحو الذى سنلاحظه من خلال الفقرات التالية التى نشرع خلالها في البحث عن ملامح تجربته الروحية بالكشف عن الرموز التى استخدمها والأفكار التى تبناها والاتجاهات العقائدية التى سلك طريقها.

اتجاهان فى المجموعة الأولى :

وإذا حاولنا الاقتراب من عالم صلاح عبد الصبور الشعرى، وأخذنا نتلمس معالم الطريق من خلال ديوانه الأول «الناس فى بلادى» فسنجد قصائده يتنازعها نوعان متباينان من الاهتمامات يركز أحدهما على ذات الشاعر فيستلهم وجدانه ويستبطن مشاعره وأفكاره ويستغرق فى تأملات وجودية متعالية عن المشكلات المادية وعن متطلبات الحياة اليومية المعتادة، بينما يمتد الاهتمام الآخر ليتواصل مع أفراد المجتمع، وينفتح على حياتهم بأوجاعها وآلامها ومشكلاتها الضرورية البسيطة، هل هو شاعر اجتماعى تؤرقه مشكلة الفقر والبحث عن لقمة العيش؟ أم هو شاعر ذاتى وجدانى فردى تؤرقه مشكلته الخاصة؟ وإذا كان كذلك فما نوع هذه المشكلة الذاتية الخاصة ؟.

مجموعة «الناس فى بلادى» تقول إنه جمع بين الاتجاهين ولكنه جمع غير عادل فلم يعطهما اهتماما متكافئا بل تغلبت عنده بوضوح منذ ذلك الوقت المبكر المشكلة الذاتية وهى ليست مشكلة عاطفية تتعلق بحرمان الشاعر التقليدى العاشق من معشوقته ولكنها مشكلة الشاعر المتأمل الذى فقد انتمائه فى زحام الحياة فهالته مأساة الفقدان فهو يعبر عن شوق حارق وتعطش ملهوف إلى استعادة هذا الانتماء.

وإذا راجعنا قصائده الاجتماعيه وجدنا فى ضعفها وقلتها النسبيه واختفائها التدريجي من المجموعات الشعريه التالية مايؤكد أنها كانت تعبر

عن مرحله عابرة فى حياة الشاعر لم تستمر طويلا. وهنا يقع أحيانا أن يعلو انفعاله وتحتد نبرة تعبيره فيبلغ به أبواب الحماسة والتحريض حيث ينظم قصائد وطنية حماسية مثل «عوده ذي الوجه الكئيب» و«مرتفع ابدا» و«إلى جندى غاصب» وهذه القصائد الثلاثة أضعف قصائد الديوان من الناحية الفنية، فقد افقدتها كتابتها بطريقه الشعر الحر الجزالة الضرورية للشعر الحماسى التى كان يكتسبها من القافية والنظام البيتى. اسمعه يقول فى قصيدة «إلى جندى غاصب»

سأقتلك

من قبل أن تقتلنى سأقتلك

من قبل أن تغوص فى دمى

أغوص فى دمك

وليس بيننا سوى السلاح

وليحكم السلاح بيننا

ترى أى شعر أو أية روح شعرية فى هذه الصرخات المبحوحة؟ وفى قصيدة «مرتفع ابدا» لايرتفع كثيرا عن هذا المستوى حين يقول :

لترتفع، لترتفع يا أيها المجيد

يا أجمل الأشياء فى عينى، أنت يا خفاق

يا أيها العظيم، يا محبوب، يارفيع،

يا مهيب، يا كل شئ كان في الحياة أو يكون

يا علمى يا علم الحرية...

على حين تبدو قصيدتا «شنق زهران» و«الشهيد» أقوى من القصائد السابقة حيث هدأت حدة الانفعال وتعمقت وارتدت الحماسة ثوباً من الخيال القصصى والتصوير الفنى يخفف صدمة المباشرة وأصبحت الوطنية تأملا إنسانيا حميما هادئا ومؤثرا اتضح فيها صدق الشاعر وأصالته.

يقول فى «شنق زهران»:

وثوى فى جبهة الأرض الضياء
ومشى الحزن إلى الكوخ... تنيناً له ألف ذراع
كل دهليز ذراع
من أذان الظهر حتى الليل.. يا الله
فى نصف نهار
كل هذى المحن الصماء فى نصف نهار
مذ تدلى رأس زهران الوديع

فى هذه الأسطر يعير الصورة الشعرية عناية أكبر، وتظهر فى القصيدة المشاعر الإنسانية فى تدفق من خلال التلقائية والبراءة والبراعة في اختيار لحظة التصوير الشعرى المناسبة، ونلاحظ أن المشاعر الوطنية تميل إلى الكشف عن مساوئ القهر والظلم ولكنها لاتتغنى بحكومة الثورة ولاتبشر بمبادئها المعلنة. إن الجانب الذى شغله من المشكلة الاجتماعية ليس جانب الفقر المادى بل هو الفقر الروحى الذى ينجم عن القهر والإذلال والاستبداد وفى هذا المعنى أيضا تأتى قصيدة «هجم التتار». على أن الفقر المادى يلقى بظلاله الكئيبة على بعض القصائد فتعبر «السلام»، «الملك لك»، «ذكريات» عن أشواق أبناء الطبقة الكادحة إلى السعادة والرفاهية والتخلص من أعباء الضرورة ومن ضيق الكفاف وتحسن هذه القصائد تصوير أحلام البسطاء وآمالهم المحبطة وتمزج

أحزانهم بأحزان الشاعر الخاصة. الذى يتحاشى الخوض فى تفصيلات حياتهم وألوان شقائهم بقدر ما يعنى بتسجيل لمحات من حياته الشخصية. على أن التجارب الفردية سرعان ما تتحول بين يديه إلى نموذج للتجربة الإنسانية خلاصته الإحباط وخيبة الأمل، ففى قصيدة «السلام» بداية ذات تجربة فردية، حيث يقول :

ويظل يسعل والحياة تموت فى عينيه إنسان يموت
وعلى محياه القسيم سماحة الحزن الصموت
والبسمة البيضاء تهمر فوق خديه محبه
لك، لى، لمن داسوه فى درب الزحام
القى السلام
وصفا محياه، وأغضت بين جفنيه غمامه
بيضاء شاحبه يطل بعمقها نجما سواد
وتمطت الرئتان فى صدر زجاجى خرب
وامتدت الانفاس مجهده تراوغ أن تبوح بالانكسار

وتستمر القصيدة فى الرثاء لذلك المصدور البائس معمقة صورته القاتمة بوضعها إزاء صورة الشاعر وأصحابه يتسامرون بحوارات ساخنة حول قضايا الفكر والمجتمع يقتلون بها الوقت المرخى أمامهم.

كنا على ظهر الطريق عصابة من أشقياء
متعذبين كآلهة
بالكتب والأفكار والدخان والزمن المقيت
طال الكلام.. مضى المساء لجاجة.. طال الكلام
وابتل وجه الليل بالانداء
ومشت إلى النفس الملالة والنعاس إلى العيون

ولاتنتهى القصيدة حتى تتم المواجهة بين الحياة والفكر لتكشف عن عجز هذا الأخير عن إصلاح الواقع أو تغييره، وهكذا لايبقى غير الإحباط وخيبه الأمل.

وهناك فى ظل الجدار يظل إنسان يموت

ويظل يسعل، والحياة تجف فى عينيه إنسان يموت

والكتب والأفكار مازالت تسد جبالها وجه الطريق

وجه الطريق إلى السلام

الانشغال بالاتجاه الروحى

كانت هذه المشاهد المأساوية التى يغص بها الواقع الاجتماعى من أهم بواعث الحزن فى نفس الشاعر ذلك الحزن الذى يبدو مبهما غير مبرر. وفى قصيده «الحزن» من الديوان نفسه نقرأ :

ياصاحبى إنى حزين

طلع الصباح فما ابتسمت ولم ينر وجهى الصباح

وخرجت من جوف المدينه أطلب الرزق المتاح

وغمست فى ماء القناعة خبز أيامى الكفاف

ورجعت بعد الظهر وفى جيبى قروش

فشربت شايا فى الطريق

ورتقت نعلى

ولعبت بالنرد الموزع بين كفى والصديق

قل ساعة أو ساعتين

قل عشرة أو عشرتين

وضحكت من أسطورة حمقاء رددها الصديق
ودموع شحاذ صفيف
وأتى المساء
فى غرفتى دلف المساء
والحزن يولد فى المساء لأنه حزن ضرير
حزن طويل كالطريق من الجحيم إلى الجحيم
حزن صموت
والصمت لايعنى الرضاء بأن أمنيه تموت
وبأن أياما تفوت
وبأن مرفقنا وهن
وبأن ريحا من عفن
مس الحياة فأصبحت وجميع مافيها مقيت

فى هذه السطور يصور لنا الشاعر يوما من حياته ينساق خلاله فى الدورة المتكررة المملة التى ينساق فيها ملايين الناس، ولكنها لم تستطع ملء فراغ نفسه، بل لم تستطع طرد الحزن من حناياها، وهو يحاول إشعارنا بأن ينابيع حزنه تصدر عن حياة اجتماعية بائسة لاتتيح للأمانى الفردية فرصة التحقق، ولكن هذه المحاولة تنكشف عند وصفه حزنه بأنه «ضرير» فهو لايعرف لنفسه مصدرا ولا غاية، ولا الشاعر يعرف له مبدأ أو نهاية فليست مشكلة الشاعر وليس حزنه فى فقد حاجات مادية يموت الحزن بأشباعها إنه أكبر من ذلك، يقول عنه في آخر القصيدة مخاطبا صاحبه الذى يحاول أن يسرى عنه :

ذوق حديثك كل شئ قد خلا من كل ذوق
أما أنا فلقد عرفت نهاية الحدر العميق

الحـــزن يفتـــرش الطريق...

وهكذا نرى حزن صلاح عبد الصبور «يفترش الطريق» ويملأ عليه حياته

الحزن قد سمل العيـــون
الحزن قد عقد الجبـــاه
ليقيم حكامــا طغــاه

وهذا الحـزن مـرة أخـرى لايرجع إلى الفـقـر المادى بل إلى القـهـر والمهـانة وأسباب معنوية. وعندما يتغزل صلاح عبد الصبور فإنه يصطحب حزنه معه في العالم المخملى المعطر. يقول :

جارتى! لست أميــــرا
لا ولست المضحك المراح فى قصر الأمير
سأريك العجب المعجب فى شمس النهار
إننى خاو ومملوء بقش وغبار

وهنا أيضا يحاول الشاعر أن يوهمنا بعـمومية حزنه وصدوره عن مشكلة اجتـمـاعـيـة والواقع أن الأمـر على خلاف ذلك، فـالشـاعـر يحس بـالمحـيطين به من خلال أحزانه هو ومن خلال شعوره العميق بالكآبة والأسى فعنده أن :

كـل مايعيش فيـه أجـرد كئيـب

ليـست مـشكلة الشـاعـر مشـكلة اجتـمـاعـيـة وإلا لدعـا لحلها وإلى الخلاص من نيرها بأسلوب أكثر وضوحا وأكثر حماسة للخط الاجتماعى العام الذى كان يعـايشه ويـتأثر به أحيـانا تأثراً سطحيا فى بـعض قصـائده. والواقـع أنه كان منذ هذه القـصـائد المبكرة فى المجموعـة الأولى ينحرف شيئا فشـيئا ويـهرب من العام

إلى الخاص من التعبير عن المشكلة الاجتماعية إلى البوح بشجونه الذاتية وأشواقه الروحية المتعطشة[(١)].

إن المجموعة الأولى تبدأ بقصيدة «رحلة فى الليل» وهذا الليل يبدو قاسيا جهما:

الليل ياصديقتى ينفضنى بلا ضمير
ويطلق الظنون فى فراشى الصغير
ويثقل الفؤاد بالسواد
ورحله الضياع فى بحر الحداد

وإذا كان عامه الناس يقطعون الليل الطويل بالأنس والسمر فشاعرنا سندباد على الورق.

فى آخر المساء يمتلى الوساد بالورق
كوجه فأر ميت طلاسم الخطوط
وينضح الجبين بالعرق

ولكنه عندما يعود إلى الأصدقاء بعد رحلته الفكرية الطويلة على الورق ويسألونه عن مشاهداته ومغامراته لايستطيع أن يجيبهم.

«لاتحك للرفيق عن مخاطر الطريق»
«إن قلت للصاحى انتشيت قال: كيف؟»

فهو لن يستطيع أن ينقل إليهم تجربته أو مواجده ومعاناته بكل حرارتها وصدقها وسوف يجادلونه ويكذبونه ولذلك يؤثر الانطواء على نفسه.

---

(١) انظر استشراف الشعر- د. صبرى حافظ- ص٨٤- الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م.

ويسبب مشكلته الذاتية الخاصة، كثيراً مايبدو رافضا للحياة كارها لاستمرارها مجبرا على الحركة فيها، ومن ثم فهو يخاطب نفسه فى «عيد الميلاد» معتذرا لها عن طلوع الصباح ووجوب مواصلة الحياة.

النور عملاق يزلزل هدأتى ويهد أمنى

ويرينى المهوى العميق لرحلتى فيريع ظنى

ياليل، ياراحى ومصباحى وأفراحى وكنى

أبعد رماح النور عنى!

تأمل كيف يبكى هنا على زوال اليل ويشفق من قدوم الصباح فى حين إن قصيدته الأولى «رحله فى الليل» تكاد تجعل الليل هو الحياة بطولها. فهل أصبح شاعرنا يزهد فى الحياة ويرغب فى التعجيل بنهايتها؟ كيف وهو في الوقت نفسه يرهب الموت ويراه يترصد للاحياء ليأخذهم على غرة؟.

فى قصيدة «رحلة فى الليل» فقرتان تصور إحداهما مأساة انقضاض الموت على الحياة فى عش عصفور صغير على شجرة مهجورة وفى حياة الشاعر نفسه.

لقد تكلم كثيرا عن مشكلة الموت وأشار إلي قسوته ومفاجأته وتدميره سعادة الإنسان وإهداره لكرامته وطمره لكل ثمين فى حياته تحت التراب ورثى أنماطا بشرية كثيرة، لم يرث شخصية معينة من أعيان المجتمع كما يفعل الشعراء السابقون ولكنه رثى النماذج العامة «عم مصطفى المزارع المفتول العضلات» فى «الناس فى بلادى»، مريضا بائسا فى «السلام» و«ذكريات» ، فتاة أحبها فى «حياتى وعود» وعلى الرغم من ذلك فإنه يحاول فى قصيدة «الملك لك» أن يرى كيف إن الموت ليس أقوى من الحياة، قد يقضى على حياة فرد واحد ولكنه لا يستطيع القضاء على الحياة الإنسانية بأسرها مادام هناك

من تنبض الحياة في عروقه، ولكن إحساسه بالحياة ومباركة العاملين على إعمارها لاتجاوز قصيدة «الملك لك». فما سر أزمة هذا الشاعر الذى لاتسره الحياة ولايريحه الموت ؟

بذور صوفيه

إن السر يكمن فى فقد صاحبنا للإيمان الذى يعطى الحياة معنى وقيمة وهدفا وذلك هو منبع أحزانه الحقيقى، فالشاعر يروى ظمأه «بكأس عجيبة» تلد الخرافات الغريبة ولكنها تقول له «لاوهم هناك ولا حقيقة» وتعجب كيف يناقش قضية الإيمان ويشير إليها فى صحبه الكأس؟! ولعله يومئ بالكأس إلى عقله المكدود من طول البحث وغيبة الجواب.

ويعترف عبد الصبور فى ترجمته الذاتية بأنه فى تلك الفترة وقع ضحية «بعض بسائط الداروينية بتخليص سلامة موسى وقراءة نيتشه فى صيحته المرعبه... وأصبحت أتزين بالإنكار وأجمع القرائن عليه من كل الفلسفات والأفكار»(١). ثم يعود فيؤكد أن هذه كانت مرحلة عابرة فى حياته وأنه سرعان ما نهض من كبوته وورجع من جديد يفكر فى الدين ويراه طوق النجاه «وما زال هذا موقفى الوجدانى الذى اخترته، إن حياتنا مجدبة وسخيفة مالم ترتبط بفكرة عامة وشاملة تسعى إلى الكمال.. لتكن الدورة إذن هى غاية الكون ومن حيث انطلق وصدر يعود وليكن الكمال هو العودة إلى الله نقيا كما صدر عنه»(٢). وإذا كانت آثار كبوته تظهر فى بعض العبارات السخيفة التى تتضمنها قصيدة «الناس فى بلادى» ولاندرى كيف لم تحذف منها إلـــى

---

(١) صلاح عبد الصبور- حياتي في الشعر- ص١٤٧، ١٤٩.

(٢) نفسه ص ١٥٧، ١٥٨.

الآن فـان عـلامـات نـهـضـتـه من تلك الكبـوة تظهـر فى قـصـيـدة «رسـالـة إلى صديقة» حيث تنقشع غيوم الكآبة والضنى في حياة الشاعر عن إشراقة صوفية مبشرة وهى ليست إشراقة بالضبط بقدر ماهى بذرة اتجاه سينمو عند الشاعر فى دواوينه التالية يقول فى هذه القصيدة :

بالأمس فى نومى رأيت الشيخ محيى الدين
مجذوب حارتى العجوز
وكأن فى حياته يعاين الإله
تصورىا ويجتلى سناه
وقال لى .. «ونسهر المساء
مسافرين فى حديقه الصفاء
يكون ما يكون فى مجالس السمر
فظن خيراً، لاتسلنى عن خبر
ويعقد الوجد اللسان.. من يبح يضل

فى هذه السطور نلاحظ أن المصطلحات الصـوفـيـة الكثيـرة منقـولة من وجهة نظر العوام حينا ومن وجهة صوفية غير ملتزمة بمصادر العقيدة الصافية النقيـة من الشـوائب والدخل حـينا آخر. وسـيكون لهـذا أثره السـلبى فى قلة الثمـار التى سيجنيـهـا الشـاعـر بعـودته إلى ظل الإيمان الوارف، ومع هذا فـثمـة إيجابيات تتضح من خلال تصويره للشيخ :

وصدقينى حين مات فاح ريح طيب
من جسمه السليب

ويتجلى إحساسه بفداحه فقـده للمعـانى الطيبـة التى كـان الشـيـخ يرمز إليها ويذكر الشاعر بها:

بكيته، فقد تصرمت بموته أواصر الصفاء
مابين قلبى اللجوج والسماء

ومن خلال الحوار البديع الذى دار بينهما فى منام الشاعر :

وقال لى- وصوته العميق كالنغم-
(يا صاح: أنت تابعى
فقم معى!
رد مشرعى!)
ياشيخ محيى الدين إننى كسير
لايكسر الجناح يا إنسان والإنسان داء قلبه النسيان
ياشيخ محيى الدين إننى صغير
بل كلنا صغار... الحبيب وحده هو الكبير

وتظهر الآثار السلبية لتلمس الشاعر طريقه إلى الإيمان من مدخل ضيق حين نلحظ أن هذا الحلم الصوفى انبثق فى مخيلته من بين إحساسه بالإرهاق والمرض والانحدار إلى الموت على حين تنبثق فيه الرغبة فى الحياة مرة أخرى إثر رسالة جاءته من صديقته، فالشاعر لم يستطع أن يفهم بعد أن الإيمان والحياة قرينان مترافقان وليسا عدوين متدابرين. وليست وظيفة الإيمان الوحيدة أن يجعل الموت مستساغا ويمنحه معنى وأملا.

ما المقصود بالصوفية هنا ؟!

وقبل أن نسترسل مع الخيط الصوفى فى التجربة الروحية فى المجموعات التالية نتوقف فى محاولة لاستيضاح المقصود بالصوفية عند شاعرنا. وبداية نلاحظ أن أكثر القصائد تصريحا بالمصطلح الصوفى الموروث تتضمن اسم

(محيي الدين) في «رسالة إلى صديقة» و«بسام الدين» في مذكرات بشر الحافي. وهما مفتاحنا إلى (صلاح الدين) الاسم الأول لشاعرنا. وفي «البحث عن وردة الصقيع»(١) في شجر الليل نجد اقتباسا من محيي الدين بن عربي. وفي تلك الفترة اكتشف مخطوط المواقفات للنفري وهو مجموعة أشعار وتعليقات نثريه تمزج بين المصطلح الصوفي وبين الرموز والاستعارات التي استخدمها صوفية المسلمين المتفلسفة في القرنين الرابع والخامس الهجريين. وكان لهذا الكتاب أثر كبير في التوجهات الروحية عند شعرائنا المعاصرين فقد بهرهم أسلوبه الملفوف في الغموض المعتمد على الرمز والإشارة.

ومن أهم مصادر التعرف على صوفية الأدباء المتأثرين بالثقافة الغربية الحديثة وارتباطها بالشعر بصفة خاصة «كولن ولسن» صاحب كتاب المتمرد الذي كان له وقت صدوره سنة ١٩٥٦م.صدا كبيرا عند مثقفينا العرب. ولهذا الكاتب دراسة مطولة تحت عنوان (الشعر والصوفية) لايبعد أن يكون عبد الصبور قد اطلع عليها وفيها يعرف الكاتب الصوفية بأنها «تحرر من الرغبات الشخصية يمكن المرء من التأمل العميق في الكون، ذلك التأمل الذي يصل إلى الله إما بالغوص الكامل في داخل النفس أو الانفتاح المطلق على الخارج فالأبدية تفتح بابها من مركز الذرة»(٢). فالصوفي يرى القدرة الإلهية في

---

(١) العبارة التي اقتبسها هي :«لم أزل فيما نظمته في هذا الجزء على اليماء إلى العبارات الإلهية، والتنزلات الروحيه، في المناسبات العلويه، جريا على طريقتنا المثلى».

(٢) كولن ولسن- الشعر والصوفيه- ص٣٤- ترجمه عمر الديراوي أبو حجله- دار الآداب- بيروت ١٩٧٩م.

أصغر الأشياء، وفى أكبرها على السواء معجزة مكتملة تستثير الدهشه والانبهار وتخلص الإنسان من التساؤل كيف ولماذا؟ وهذه النظرة المندهشة هى التى تشعل جذوة الشعرية فى نفس المبدع فالشاعر «يرغب دائما فى الخروج من ربقة المألوف ورؤيته كما لو كان جديدا وطازجا وكأنه يراه للمرة الأولى»[١].

غير أن هذه الرؤية الصوفية المتوهجة بالحيوية والطزاجة دائما ماتصطدم بعجز الشعراء عن رؤية سلبيات الواقع ومعايشتها وتقبلها أو بتعبير (ولسن) «تعجز معدتهم عن تقبل الحياة اليومية»[٢] فيلجئون إلي الغياب أو الانتحار أو يصرخون صرخة بشر الحافى :

لو يدركنا الرحمن   عجل نحونا بالموت

فأين الموت

أو يحتارون حيرة الحلاج فى مسرحيته حول ما يجب استخدامه ليكون المرء إيجابيا: الكلمة أو السيف كما سنرى بالتفصيل فى موضعه من هذه الدراسة.

تأكيد الاتجاه الروحى فى المجموعات التاليه

وفى الدواوين التالية سنرى انحسار اهتمام الشاعر بالمشكلة الاجتماعية - اللهم إلا بعض القصائد الضعيفة فى ديوان «أقول لكم»- وسنلاحظ تزايد إحساس الشاعر بالحزن «غير المبرر ماديا» وتنامى شغفه بالتحويم حول التجارب الصوفيه.

---

(١) صلاح عبد الصبور- نبض الفكر- دار المريخ- الرياض ١٩٨٢- المقدمة.

(٢) كولن ولسن- الشعر والصوفيه- ص ١١١.

ويبدأ ديوانه الثانى «اقول لكم» بقصيدة «الشئ الحزين» وفيها يقول :

هناك شئ فى نفوسنا حزين

قد يختفى ولايبين

لكنه مكنون

شئ غريب.. غامض .. حنون

وإلى جوار نغمة الحزن التي تستقبل القارئ مع أولى صفحات الديوان نجد نغمة الإشفاق من الموت المفاجئ، تطل علينا مع القصيدة التالية «موت فلاح» لتذكرنا بموت الفلاح فى قصيدة «الناس فى بلادى». وإلى جانب الحزن الملازم والحياة فى مواجهة الموت نحس الرغبة في الانفلات من كل هذا الصخب الذى احيطت به حياة الشاعر وأفكاره ويتضح هذا الإحساس فى قصيدتى «الظل والصليب» و«أقول لكم».

وعندما يصدر ديوانه الثالث «أحلام الفارس القديم» تتأكد عنده الرغبة في الارتفاع بشعره عن صراعات الحياة اليومية وصخبها وفى التعلق بأهداب الايمان فيتخذ لنفسه قناعا صوفيا وبخاصة فى قسميه الأول والرابع فى قصيدة «مذكرات بشر الحافى» التى جعلها على لسان أبى نصر بشر بن الحارث، كان قد طلب الحديث وسمع سماعا كثيرا ثم مال إلى التصوف، ومشى يوما في السوق فأفزعه الناس فخلع نعليه ووضعهما تحت إبطيه وانطلق يجرى فى الرمضاء فلم يدركه أحد، وكان ذلك سنة سبع وعشرين ومائتين وفيها يقول :

حين فقدنا الرضـــا بما يريد القضـــا

لم تنزل الأمطـــار لم تورق الأشجـــار

لم تلمع الأثمـــار حين فقدنا الرضـــا

حـــين فقدنـــا الضحكـــا تنفجـــرت عيوننـــا بكـــا
حين فقدنا جوهـــر اليقـــين تشوهت أجنة الحبالى فى البطون
الشعر ينمو فى مغاور العيون والذقن معقـود علـى الجبـــين
جيـــل مـــن الشياطـــين جيـــل مـــن الشياطـــين

وهنا نعود إلى مواجهة المشكلة التى تفقد الإيمان فاعليته. إن صوفية صلاح عبد الصبور صوفية سلبية رافضة للحياة ألقت عن كاهلها مسئولية مواجهة الشر وتغيير وجه الأرض إلى الأفضل.

ولأنك لا تدرى معنى الألفاظ فأنت تناجزنى بالألفاظ
اللفظ حجر اللفظ منية
فإذا ركبت كلاما فوق كلام من بينهما استولدت كلام
لرأيت الدنيا مولوداً بشعا وتمنيت الموت
أرجوك الصمت.. الصمت

فالشاعر لايرفض هنا الفعل فقط بل يرفض مجرد الكلام أيضا ولاشك فى أن هذه السلبية المفرطة كانت أثراً من آثار القمع السياسى الذى عانى منه المثقفون فى تلك الفترة وهو يرى الفساد وقد ضرب بأطنابه ليظل جميع الناس.

كان الإنسان الأفعى يجهد أن يلتف على الإنسان الكركى
فمشى من بينهما الإنسان الثعلب عجبا....
زور الإنسان الكركى فى فك الانسان الثعلب
نزل السوق الانسان الكلب
كى يفقأ عين الانسان الثعلب

ويدوس دماغ الإنسان الأفعى

واهتز السوق بخطوات الإنسان الفهد

قد جاء ليبقر بطن الإنسان الكلب

ويعص دماغ الإنسان الثعلب

ياشيخى بسام الدين

قل لى... «أين الإنسان.... الإنسان؟»

إنها صوفية تشك فى كل الناس وترفض معايشتهم فحياتهم موبؤة والكون كله موبؤو وموبوء لاخلاص إلا بالموت.

تعالى الله، هذا الكون موبؤ، ولا برء

ولو ينصفنا الرحمن عجل نحونا بالموت

تعالى الله، هذا الكون، لايصلحه شئ

فأين الموت، أين الموت، أين الموت

ويقول عبد الصبور فى بعض تأملاته «إذا كانت حياتنا قذره، فلن يستطيع أحد أن يكون نظيفا.. والحياة قذرة بلاشك والقذارة المتراكمة على وجهها هى هذه المذابح فى فيتنام والكونجو وغيرها من بلاد العالم»[1] وهو هنا يذكر فيتنام والكونجو ليباعد بين ذاته وبين الموضوع المهجو ليتخلص من مسئولية النقد الصريح الذى كان يقصده بلاشك وإلا ما استخدم ضمير جمع المتكلمين فى بداية العبارة المنقولة.

(١) صلاح عبد الصبور رحله على الورق- ص١٦١.

فى أحلام الفارس القديم

في هذه القصيدة التى تحمل مجموعتها اسمها والتى يعدها بعض الباحثين «البؤرة التي تجمعت عندها رؤيته المتناثرة عبر دواوينه»[١] لأنها تكشف الدلالات الغائمة فى القصائد الأخرى وتعد المجموعة التى تضمنها من أهم مجموعاته الست نجده يتهم العالم بأنه :

عالم يموج بالتخليط والقمامة
كون خلا من الوسامة
أكسبني التعتيم والجهامة
حين سقطت فوقه فى مطلع الصبا

لذلك فإن الشاعر :

يود لو يخلعه
يود لو ينساه
يود لو يعيده لرحم الحياة

ذلك أن نزول الشاعر إلى واقع الحياة أخرجه من حالة الصفاء الروحي أو الفطرة البريئة التى كان عليها قبل أن تكسبه الدنيا التجريب والمهارة أو التعتيم والجهامة على حد تعبيره.

من قبل أن تجلدنى الشموس والصقيع
لكى تذل كبريائى الرفيع

---

(١) أحمد عبد الحى- شعر صلاح عبد الصبور- الموقف والأداة- ص٨٧- الهيئة العامة للكتاب -١٩٨٨.

كنت أعيش فى ربيع خالد، أى ربيع
وكنت إن بكيت هزنى البكاء
وكنت عندما أحس بالرثاء
للبؤساء الضعفاء
أود لو أطعمتهم من قلبى الوجيع
وكنت عندما أرى المحيرين الضائعين
التائهين فى الظلام
أود لو يحرقنى ضياعهم، أود لو أضئ.

وهكذا يبكى الشاعر صفاء النفس وطهارة القلب التى افتقدها بمخالطة الخلق والتأثر بواقع عالمهم وربما يبكى أيضا أمجاد الأمة الذائلة حين يتذكر أنه «كان فى سالف الزمان فارسا همام» ثم يتجه إلى الخالق- عز وجل- حيث لا أحد غيره يستطيع أن يخرجه من بؤرة الفساد الآسنة التى تردت فيها روحه:

يامن يدل خطوتى على طريق الدمعة البريئة
يا من يدل خطوتى على طريق الضحكة البريئة
لك السلام
لك السلام
اعطيك ما اعطتنى الدنيا من التجريب والمهارة
لقاء يوم واحد من البكارة
لا، ليس غير «أنت» من يعيدنى للفارس القديم
دون ثمن
دون حساب الربح والخسارة

وتلقى هذه القصيدة بظلالها على قصائد كثيرة فى المجموعات الثلاث المتبقية ففى مجموعة «تأملات فى زمن جريح» نجد النفور من قبح الواقع والأسى على فقدان صفاء النفس واضحا فى كل من : حكايه المغنى الحزين- رسالة من الماضى- مذكرات رجل مجهول- زيارة الموتى- مرثية رجل عظيم- التى يقول فيها :

الله، هب لي المقله التي ترى
خلف تشتت الشكول والصور
تغير الألوان والظلال
خلف اشتباه الوهم والمجاز والخيال
وخلف ما تسدله الشمس على الدنيا
وما ينسجه القمر
حقائق الاشياء والأحوال

ونجد هذه المعانى نفسها فى مجموعة «شجر الليل» فى قصائد تأملات ليلية والبحث عن وردة الصقيع وفصول منتزعة وفى هذه الأخيرة تمتزج عنده عواطف البكاء على الذات والوطن، الذات التى تلوثت بالواقع والوطن الذى خربته الخيانة.

أبكى مهرا وثابا مشدودا فى درب المعراج إلى الله
مهرا بجناحين، الريش من الفضة
والوشي، اللؤلؤ والياقوت
مهرا يصهل ويحمحم
يتنظر فارسه المعلم
ايه، يا زمن الأنزال

جاء الدجال
الدجالان، العشره دجالين، المائه، المائتان
نزعوا الريش وسلبوا ياقوت الوشى
واقترعوا،
ثم اقتسموا جوهر عينيه اللؤلؤتين
آه ياوطنى

وقديقال أين الصوفيه فى كل هذا؟ وهنا نذكر بأن الصوفيه عنده تتمثل فى نزعة أخلاقية مثالية تدين فساد الواقع وترفض ماديته الجهمة الفاسدة إنها نفس حالة العجز عن تقبل الحياة اليومية التى سبق ذكرها.

ويتوالى النظر إلى دواوينه تتأكد عنده هذه النزعة الصوفية السلبية التى تدعوه إلى الفرار من الحياة والوقوف دائما على حافتها يحدق فى فراغ مظلم ويبحث عن «وردة الصقيع» ويبذل جهدا مضنيا للتسامى فوق الواقع البغيض الذى أحكم قبضته عليه. فى قصيدة «تأملات ليلية» وهى أولى قصائد ديوان «شجر الليل» يصف سعيه الناجح فى الحياة وطوافه الذائب بين أقطار الأرض ثم يتوقف ليقول :

لكننى، هذا المساء
«ممددا ساقى فى مقعدى المألوف»
أحس أنى خائف
وأن شيئا فى ضلوعى يرتجف
وأننى أصابنى العى، فلا أبين
وأننى اوشك أن أبكى
وأننى.. سقطت.. فى ... كمين

ويبدأ فى بسط تمنياته أن لو لم يكن قد مر بالحياه وجرب فيها ما جرب وعاش ما عاش.

صورته الأخيرة فى الديوان الأخير

ومن المهم قبل الانتهاء من مراجعة تجربة الشاعر الروحية فى شعره الغنائى الوقوف بقدر من التأنى أمام ديوانه الأخير «الإبحار فى الذاكرة» سنة ١٩٧٩م. الذى بدأ بقصيدتين وطنيتين تسجلان بطولة جنودنا فى حرب رمضان تتلوها قصيدتان مبتهجتان إحداهما «الشعر والرماد» والأخرى «انتساب» ثم تنحرف القصائد التسع الأخيرة عن هذا الاتجاه مائة وثمانين درجة كاملة مستهلة طريق الديوان الجديد بأرهاف الشاعر أذنيه يتسمع فى قصيدة «حوار» أنين مدينته الحزينة :

وصوتها تحت سياط الشمس والرمال
يئن، يئن ، يئن
تخطئه مسامع الأرصاد والرجال
تسمعه كلابها الضاله، محتضروها
بعض المجانين بها
والشاعر الذى رمت به سفينة الحديد والصدأ
على تخوم رملها فى ساعة الزوال

وكأن هذه الصورة تشير إلى الأثر المخبر أن دواب الأرض والسماء وجماداتها تئن مذعورة من ذنوب بنى آدم الذين لولا شيوخهم الركع، وأطفالهم الرضع وبهائمهم الرتع لخسف بهم.

وتلى قصيده «حوار» مجموعة من القصائد تتراوح بين التصوير الرمزى لتجربة روحية جارفة في قصيدة «شذرات من حكاية مكرره وحزينه» وبين التعبير عن الإحساس بفداحة المسئولية المكلف بها الإنسان والخوف من العجز عن تحمل أمانتها والنهوض بأعبائها في «الموت بينهما» ويحرقه الشوق إلى استعادة تلك التجربة الروحية بنشوتها الآخذة، ووهجها الباهر،والحنين إليها فى «إجمال القصة» ،«تجريدات» ثم يصدمه واقع ملول يعانى الشاعر وحشة صحرائه فيغريه بـ«الإبحار فى الذاكرة» وإن كان ثمة مايثبط همته ويخزله ويقول له «لاتبحر فى ذاكرتك قط- لاتبحر فى ذاكرتك قط» ويقول له حينا آخر «لاتبحر عكس الأقدار- واسقط مختارا فى التكرار» على الرغم من إغراء الحياة حين :

يتحور بعض المكرورين إلى أصوات...
أو أنغام أو أشعار
لكن هدير الزمن الدوار
يبتلع الزامر والمزمار
يتحور بعض المكرورين إلى طبل منفوخ
لكن ما تثبته الصحف اليومية والحوليات
ينساه التاريخ

وأطول قصائد هذا الديوان وربما أكثرها استحقاقا للوقوف أمامها بعض الوقت قصيدة «شذرات من حكاية مكرره وحزينة» فقد قسمها الشاعر إلى أربع عشرة فقرة استخدم فيها أسلوب شعراء الصوفية حين يملئون شعرهم بصور الغزل الحسى ومصطلحاته، ويعبرون بالشوق الحسى عن أشواقهم الروحية، ويشببون بالمحبوبة قاصدين الذات الإلهية على طريقة «ابن الفارض»

و«محيى الدين بن عربى» وأضرابهما، ولا يخلون قصائدهم من قرائن لتحاشى اللبس، وأما شاعرنا فطول العهد بهذا الغرض الشعرى أغراه أن يملأ الفقرة الأولى من القصيدة بالمصطلحات الصوفية ماذجا بينها وبين ألفاظ النسيب والتشبيب ذلك أن تجربته :

لما انتصبت وتعرت كالشمعة
وتوهج مفرقها بالنور
وتهدل سالفتاها كالذهب المصهور
أيقنت بأن الحرف المستور
قد يكشف للصوفى المغمور
إن أخلص في العشق
والطلسم المسحور
قد يلقيه الموج الليلى
للصياد المقهور
إن وافاه الرزق
ربى... ما هذا النورا

فى هذه الفقرة نرى إلى جانب الشمعة الذائبة بالنور فى لفتة صوفية واضحة لغز «الطلسم المسحور» الذى يذكرنا بطلاسم «إليا أبى ماضى» مع فارق إن الآخر انتهى لا أدرياً شاكاً فى حين أن صاحبنا بنور الشمعة وبالحظ والرزق والعناية يقوم بفك الطلسم المسحور.

وعلى أى حال فإن الإحساس بالنشوة الروحية،والتغنى بسكرتها يمضى حتى تتوهج جذوة الروح فتنجيه العناية من الاحتراق فى الفقرة السابقة.

تظل الطوالع خرساء، حتى يفاجئك الوجد

وحدك حين تؤوب إلى ملل الليل
مستوحشا وعليلا
فلا أنت أعددت مائدة السكر
لا أنت أرسلت فى طلب الندماء
لقد جاءت الريح، جاءت وهزتك
حتى تساقط عنك الغصون
تفتحت عريان، مستوفذا ونحيلا
وتستقبل الصبح، حملت حملا ثقيلا
سنقرئك، فلاتنسى

غير أنه نسى وعجز عن حمل هذا الحمل الثقيل فقد سكنت الريح وذبلت الشمعة وانطفئت الجذوة ومن هنا كثرت حول هذه القصيدة قصائد تدور بين قطبى الحنين إلى التجربة والركون إلى صحراء الفراغ.، ولكن دون هذا الركون رحلة أخرى تصورها قصيدة «الموت بينهما» تكاد تصبح تكرارا بطريقة أكثر وضوحا للتجربة فى «شذرات من حكاية مكرره وحزينه». وتقوم القصيدة على حوار أو استيحاء ثلاثة مواقف قرآنية أولها فى مطلع «سورة الضحى» والذى ينفي كون انقطاع الوحى عن النبى(صلى الله عليه وسلم) ستة أشهر وداعا له أو قلى، هذا الموقف أثار شجون الشاعر أو أثاره انقطاع إحساسه بقربه من العناية والرحمة فأخذ يصور لوعته وتلهفه وإحتراقه شوقا وتحنانا:

أين
أين عطائى يارب الكون
ها أنا أتعثر بين البابين
ها أنا أسقط فى المابين

قربت، فأعطيت
حتى بللت الشفتين بماء التسنيم
وأنبت الريحان على الكتفين
ثم منعت
فيا وقد الجفوة فى القلب، يا حرق العينين
فى مللى أتقلب ياربى،
أتلقى كل صباح خنجر ضجرى فى صدرى مسموم
الحدين
أين هداياك؟ فجاءاتك أين ؟

والآية الثانية من سورة البقرة تتضمن أمر آدم أن ينبئ بالأسماء التى عجزت عنها الملائكة، يستنطق هذا الموقف الشاعر بصرخة استعظام المسئولية كيف يجروء أن يسمى كل شئ بأسمه :

ماذا تبغينى يا رباه ؟
هل تبغينى أن أدعو الشر باسمه
هل تبغينى أن أدعو القهر باسمه
هل تبغينى أن أدعو بالأسماء الظلم، وتمليق
القوة، والطغيان، وسوء النية، والفقر
الروحى، وكذب القلب، وخدع النطق
والتعذيب، وتبرير القسوة، والإسفاف العقلى
وزيف الكلمات، وتلفيق الأنباء...
لا... لا...
لا اقدر يا رباه
لا اقدر يا رباه.

من السهل بعد ذلك أن نتوقع الموقف الثالث إذ لابد أن يكون تصويراً للعقاب الذى أوجبه انحلال الهمة وخذلان العزيمة والنكوس عن تحمل مسئولية الأمانة والتكليف، وتثير هذا الموقف آية الطرد من الجنة فى صورة «الأعراف»، فيفر الصوت الإنسانى المهزوم مرعوبا مرتعدا يبحث لأشلائه عن نفق فى باطن الأرض أو قمقم فى جوف البحر يختفى فيه ويخفى انكساره وعجزه، وينفذ منه إلي ما يسميه فى القصائد الأخرى «العادى والمكرور» إن الإبحار فى الذاكرة إذا كان أمرا مرعبا يفر الشاعر منه ويحاول أن يتحاشاه إلا أنه أمر حتمى وقد دار الزمن دورته وكاد مركب العمر يبلغ مرفأه وهو أيضا أمر حتمى بعد انقطاع غير مسبوق دام تسع سنوات بينه وبين الديوان السابق عليه، غير أن هذا الإبحار فى المياه العميقة لم يعد الشاعر بغير أصداف العجز عن الالتزام.

إن التجربة الدينية ليست مجرد «رحلة ليلية» إلى عالم من الخوارق والعجائب فوق متن قوس قزح إنها تكليف ومسئولية وحقيقة لايستطيع الخيال الشعرى الجديب أن يزيف بشاعة النكوس عنها، ولقد ظهرت مع «الإبحار فى الذاكرة» أسباب حزن الشاعر وشكه فى قدرة الإنسان وأحساسه بأن «هذا الكون موبوء» وأن «ريحا من عفن مس الحياة فأصبحت وجميع مافيها مقيت»، وغاية المسألة أنه لا المجتمع يعين الشاعر على الانتظام فى إطار المنظومة الدينية الصحيحة ولا الشاعر قادر على مواجهة المجتمع بما هو ضد تياره الجارف.

انعكاساته فى مأساة الحلاج

فى ترتيب الحديث عن مأساة الحلاج بعد آخر دواوين الشاعر إخلال بالترتيب الزمنى لنتاجه ولكنه قد لايكون إخلالا بالترتيب الموضوعى إذ تقدم المسرحية تصوراً لدى المؤلف أكثر وضوحا وتعبيرا أكثر مباشرة عن القضايا

الروحية ومتعلقاتها. وليست المسألة محصورة فى إفراد النتاج المسرحى بحديث مستقل عن الشعر الغنائي مراعاة لاختلاف الشكل الأدبى فحسب مع أن هذا الاعتبار فى حد ذاته له وجاهته وتبريره ذلك أن طبيعة الشكل المسرحى وموضوعيته تفرض على المبدع قدرا من التحديد والتركيز والدقة لايتوفر مثله فى قصائده المكتفية بالإيماء والإشارة والتلميح.

على أن الشاعر لم يختر الشكل المسرحى ليحاصر أفكاره المهومة تهويم الشعر الغنائي ويحصرها ويحددها بدقه فقط وإنما ليمضى فى مجال تطوره الفنى المتوقع على الخط الذى كان منتظرا منه، فقد برزت بوادر الشكل الدرامى بصراعه وحواره فى قصائد ديوانه الأول مثل «شنق زهران» وغيرها. مما كان بديهيا أن يتطور فنيا ويتخذ طريقه إلى المسرح الشعرى وعلى كل فإن الشكل المسرحى يعد- فيما أرى- مبررا قويا للجوء إلى نظام التفعيلة بما يتضمنه من مرونة وحرية تتيح للشاعر فرصة التركيز على رسم الموقف المسرحى بلغة شعرية موقعة لاتقيدها ضرورة القافية وإتمام البيت.

ومسرحية الحلاج تتناول القضايا الروحية من جهة علاقة المؤمن بخالقه ومقابلتها بعلاقته بالدنيا أو المجتمع وتحاول البحث عن دور العقيدة الدينية فى حياة المجتمع كما تحاول تفسير وجود الشر فى الكون وفهم ظاهرة التصوف. كل هذا من خلال اختيار رواية مناسبة لحادثة تاريخية وإتمامها من خيال الشاعر بما يلزم لجعلها تعطى فى النهاية الانطباع المطلوب.

وتتمثل الحادثة فى حكم قضاة العباسيين بالإعدام على «الحسين بن منصور الحلاج» وهو رجل من غلاة المتصوفة إن اختلف المؤرخون حول تشيعه للفاطميين كما يقول الاصطخرى أو دعوته للرضا من أهل البيت كما يروى ابن النديم أو حمبليته كما هو في مصادر أخرى، فلم يختلفوا فى زيارته إلى الهند، تلك الزيارة التى نرى أنها على الأغلب أثرت فى عقيدته إن صحت

نسبة عقيدة الحلول إليه[١] وأما شاعرنا فقد حرص على تأويل النصوص المشتبهة على لسان الحلاج وصاحبه الشبلى تأويلا مجازيا يتناسب مع عقيدة أهل السنة أو كما يقول «كونت من الطواسين ومن شعره مذهبا تصوفيا ينسجم مع التصوف وأصول العقيدة المتحررهة معا»[٢] ويرى عبد الصبور أن العباسيين لم يقتلوا الحلاج لعقيدته وإنما لكونه خالط الفقراء وجعل يحضهم على التمرد على وضعهم المهين فى الدولة ويحرضهم على الثورة ضد الولاه الجائرين ويستشهد على ذلك برواية الاصطخرى أن الحلاج «كان يخالط العامة» ورواية أبى العلاء المعرى أن جماعة من العامة ظهرت فى بغداد في القرن الخامس أى بعد مقتل الحلاج بقرن تنتسب إليه وتزعم رجعته وانتظاره، ومن الصعب أن نعثر فى الروايتين على مايؤيد القول بأن الحلاج كان مصلحا اجتماعيا أو بطلا ثوريا، لكن هكذا أراد صلاح عبد الصبور تصويره متأثرا مرة أخرى بطبيعة مرحلة الستينيات وبالمحاولات الدؤوب من قبل بعض الاجتماعيين المتدينين فى مصر وخصوصا فى تلك الفترة الربط بين الفكر الإسلامى وبين الفكر الاجتماعى والاشتراكي ومتأثرا أيضا بالدراسة التى عقدها المستشرق الفرنسى «لويس ماسينيون» عن الحلاج وجعلها أطروحته للدكتوراه حيث صوره شهيد الحب الإلهى وأحاطه بهالة باهرة من التقديس والإجلال تذكرنا بموقف الشاعر والفيلسوف الألمانى «جيتا» إزاء الشاعر الفارسى المتصوف «حافظ الشيرازى» إذ جعله شقيق روحه وأهدى إليه شعره

---

(١) انظر فى التعريف به- مقدمة ديوان الحلاج - د. كامل مصطفى الشيبى- دار الآفاق العربيه - بغداد - ١٩٩٤.

(٢) صلاح عبد الصبور- الاعمال الكامله - ص٢٧٠- جـ٢- الهيئة المصريه العام للكتاب - ١٩٨٨.

واستوحى منه ديوانه «المشرقى» ومهما حاولت أخبار الحلاج فى بعض المصادر القديمة أن تلفتنا إلى جوانب الضعف فى شخصيته التى قد تصل إلى حد رميه بالخبل ويضرب من الجنون فإنه عند «ماسينيون» رائد عظيم من رواد الفكر الإنسانى والحضارة الشرقية.

ولم ينفرد صلاح عبد الصبور بالجرأة على تصوير الحلاج فى هذه الصورة الايجابية تأثرا بما سينيون بل استطاع المستشرق الفرنسى أن يحدث موجه متصاعدة من الإعجاب واستلهام شخصيته وحياته فى نصوص أدبية كثيرة على مدى نطاق الوطن العربى الكبير، فكتب فى العراق عبد الوهاب البياتى، وفى سوريا على أحمد سعيد «أدونيس» و«عدنان مردم»، وفى لبنان «ميشال فريد غريب»، وفى تونس «عز الدين المدنى»، بالإضافة إلى المستشرقة الالمانية آنه مارى شيمل، والدكتور الانجليزى هربرت ميسن.

وتصور المسرحية من وجهة نظر بطلها علاقة المؤمن بخالقه على أنها لابد أن تكون علاقة حب فإنه الله سبحانه لم يخلق عباده ليشقيهم ويعذبهم بل خلقهم ليكونوا مرآة يرى فيها صورة لعظمة إبداعه ومقدرته وخلقهم لأنه يحبهم ويحب لهم أن يسعدوا فى ظلال رحمته ونعمته يقول الحلاج:

أراد الله أن تجلى محاسنه

وتستعلن أنواره فأبدع من أثير القدرة العليا مثالا

صاغه طينا وألقى بين جمبيه ببعض الفيض من ذاته وجلاه وزينه

فكان صنيعه الانسان

فنحن له كمرآة، يطالع فوق صفحتها جمال الذات مجلوا

ليشهد حسنه فينا

ويقول في موضع آخر:

لم يبرأنا الباري ليعذبنا

ويصغرنا في عينيه، بل ليرانا ننمو

وتلامس جبهتنا وجه الشمس

أو نمرح تحت عباءتها كالحملان المرحة

وفي المقابل تقوم العلاقة من جهة المؤمن لخالقه على الحب أيضا فينبغي أن يعبد المؤمن ربه حبا لذاته إذ يستحق العبادة بمقتضى ألوهيته وربوبيته لاخوفا من عقابه ولاطمعا في ثوابه وإلا أصبحت العبادة نوعا من الشرك يقول:

فصليت لله رب المنون ورب الحياة ورب القدر وكان هواء المخافة يصفر في أعظمي ويئز كريح الفلا.... وأنا ساجد راكع أتعبد فأدركت أني أعبد خوفي، لا الله... كنت مشركا لاموحدا، وكان إلهي خوفي صليت أطمع في جنته.

ليختال في مقلتي خيال القصور ذوات القباب وأسمع وسوسة الحلي، همس حرير الشياب. فأحسست أني أبيع صلاتي إلى الله فلو أتقنت صنع الصلوات لزاد الثمن. وكنت مشركا لاموحدا وكان إلهي الطمع.

تتم علاقه حب العبد لخالقه بإرضائه والتشبه به فكل محب حريص على إرضاء محبوبه وبالتخلق بأخلاقه وبتصفية القلب لاستقبال أنواره، وعندئذ يتم الحب بالرضا فيظل الباري ينظر إلى عباده نظرة الرحمة والمودة ويمدهم بأنعامه وآلائه، يقول الحلاج :

فكيف إذن نصفي قلبنا المعتم؟ ليستقبل وجه الله، ليستجلي جمالاته

نصلى.. نقرأ القرآن.. نقصد بيته، ونصوم رمضان نعم، لكن هذى أول الخطوات نحو الله. خطى تصنعها الأبدان، وربى قصده للقلب ولايرضى بغير الحب.

ويقول فى موضع آخر :

الله قوى، يا أبناء الله

كونوا مثله

الله فعول، يا أبناء الله

كونوا مثله

وبناءً على هذا تتضح قضية الخير والشر في الكون، فالناس حين يقصرون أو يعجزون عن تحقيق ما يرضى لهم ربهم فى أنفسهم يصرف الله وجهه عنهم ويتركهم نهبة لجيش الشر بجنوده المتمثلة فى القهر والفقر والقحط.

«فإن تصف قلوب الناس

تأنس نظرة الرحمن إلى مرآتنا

ويديم نظرته، فتحيينا

وإن تكدر قلوب الناس

يصرف وجهه عنا ويهجرنا، ويجفونا»

ويقول :

«ويمشى القحط في الأسواق، يجبى جزية الأنفاس من الأطفال والمرضى حقيبته بلا قاع، فلا تملأ إذ تعطى»

«وخلف القحط يمشى تحت ظل البيرق المرسل جنود القحط جيش الشر والنقمة».

«وليس القتل والتدجيل والسرق

وليس خيانة الأصحاب والملـــق

وليس البطش والعدوان والحرق

سوى بعض رعايا القحط، جند وزيره أبليس

تعالى الله، قد يأنف أن ينظر في مرآتنا ذاته فيصرف وجهه عنا»

لاتبعد هذه الأفكار فى مجملها كثيراً عن المصادر الإسلامية على الرغم من التجنيح الخيالى المبالغ في التعبير والاهتمام الزائد بأعمال القلب على حساب أعمال البدن إذ إن لهما أهمية متساوية وعلى الرغم من استعارة بعض الصور الإنجيلية كصورة الحملان المرحة التى تذكر بخراف بيت إسرائيل الضالة، وكذلك يرجع تفسير الشاعر للشر إلى مصادر قرآنية ففى سورة آل عمران قوله تعالى «أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم». وفى سورة النساء قوله سبحانه «ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك». على أن هذه المفاهيم لم تستأثر وحدها بالعرض خلال المسرحية فقد وردت على لسان الشبلى صاحب الحلاج ورفيقه فى طريق التصوف مفاهيم مخالفة حول علاقه المؤمن بخالقه من جهة وبالدنيا من جهة أخرى وحول مفهوم الشر وسر وجوده فى الكون، فعند الشبلى أن اهتمام العبد بدنياه يستأثر بجزء من قلبه ويشغله عن عبادته وربما انحرف به عن جادة الطريق ولذا فلايصح له النزول إلى عامة الناس يدعوهم إلى ربهم ويهديهم إلى

صراطه المستقيم حيث لايأمن أن تأخذ حياتهم ومشكلاتهم من نفسه.. وواجبه- الأول على الأقل- وهو انقاذ نفسه، يقول الشبلى :

إنى أخشى أن أهبط للناس

قد أبسط أجفانى فوق الدنيا

فأرى، يسراها، أتمنى النعمى واليسرى

وأرى عسراها، أتوقى العسرى

ويموت النور بقلبى

ولايفهم الشبلى سببا لوجود الشر إلا أنه وسيلة يختبر بها إيمان العبد.

يا حلاج

الشر قديم فى الكون

كى يعرف ربى من ينجو ممن يتردى

وعلينا أن يتدبر كل منا درب خلاصه

فإذا صادفت الدرب فسر فيه

واجعله سرا، لاتفضح سرك

ولم يكتف الشبلى بالتعبير النظرى عن أفكاره وإنما أتبعها بالترجمة العملية ففى أحرج المواقف وأشدها تأزما فى مشهد المحاكمة يتخلى الشبلى عن رفيقه ويحجم عن الدفاع عنه بحجة حفظ سره، بل يجره القاضى أبو عمرو إلى إدانة الحلاج وإثبات تهمة الحلول عليه ببساطه عجيبة.

ومن الواضح أن الشبلى بأقواله وأفعاله يمثل المسلك الصوفى فى صورته السلبية كما يمثله رجال الصوفية في السوق حين يلقى القبض على

الحلاج فيسأل أحدهم صاحبه «هل نتركه للشرطه؟» فيرد الآخر «هذا ما أوصانا به» معتذرا عن سلبيته، باعتراف الحلاج فى حال وجده بتقصيره فى حق معبوده حيث أفشى سره على حين أن الذى ينبرى للدفاع عن الحلاج رجل من العامة بل من قطاع الطرق كان رفيقا له فى سجنه كاد يفقد إيمانه جراء ماعانى من المظالم لولا صحبته القصيرة للحلاج فى المعتقل،وفى يوم المحاكمة جمع حشدا من الناس وجعلوا يهتفون ضد الحكام الظالمين وينادون ببراءة الشيخ مما اتهم به.

ومن اللافت أن تطوير الحلاج لأفكاره من المرحلة الانعزالية التى يمثلها الشبلى إلى المرحلة الايجابية بربط الإيمان بالدور الاجتماعى يجئ مصحوبا بإعلان الحلاج عن خلعه للخرقة التى تمثل رداء الصوفية وشعارهم ومجافاته لها يقول الحلاج مخاطبا صاحبه :

هذى الخرقة
إن كانت قيداً فى أطرافى
يلقينى فى بيتى جنب الجدران الصماء
حتى لايسمع أحبابى كلماتى
فأنا أجفوها أخلعها.. يا شيخ
إن كانت شارة ذل ومهانة
رمزا يفضح أنا جمعنا فقر الروح إلى فقر المال
فأنا أجفوها أخلعها... ياشيخ
إن كانت سترا منسوجا من إنيتنا
كى تحجبنا عن عين الناس، فنحجب عن عين الله
فأنا أجفوها، اخلعها ياشيخ

نظرات ختامية

من المدهش بعد كل ما ورد في مسرحيته الأولى أن نرى صلاح عبد الصبور في ديوانه الأخير يمارس تجربته الروحية وإيمانه الديني من خلال محاولات صوفية ملفوفة في الضباب والغموض وهذا التراجع الفكرى الملحوظ بالمقارنة بين مايقدمه ديوان «الإبحار في الذاكرة» ومسرحية «مأساة الحلاج» من مفاهيم روحية إيمانية يفسر لنا تراجعا متزامنا معه جاء على المستويين الفنى والإنتاجي وربما جاء نتيجة له، فصلاح عبد الصبور الذى طور أدواته الفنية من القصيدة الدرامية في الخمسينيات «شنق زهران» و«حكاية الملك عجيب بن الخصيب»، و«مذكرات الصوفي بشر الحافى» إلى المسرحية الشعرية في «مأساه الحلاج» وما تلاها من مسرحيات انتهى تتابعها في عام ١٩٧٣م. بمسرحية «بعد أن يموت الملك» واستمر بإقلال شديد في نظم الشعر حتى «الإبحار في الذاكرة» سنة ١٩٧٩م. وكأنه يؤثر في المرحلة الأخيرة من حياته الأدبية أن يرجع إلى التعبير الضبابى الغائم في الشعر الرمزى بدلا من التعبير الموضوعى المحدد في المسرح الشعرى ويؤكد هذا التراجع أيضا كونه انتقل من تصوير الواقع من خلال منظور تاريخى في مأساة الحلاج إلى الكناية بالفنتازية والأسطورة والعبث في «الأميرة تنتظر» و«بعد أن يموت الملك».

وتشترك المسرحيات الخمس في تأكيد الصورة السلبية للواقع وهى تترجم في «مأساة الحلاج» بإدانة مختلف طوائف المجتمع العباسى وطبقاته بدئا من الصفوة المتمثلة في القاضى «أبى عمر الحمادى» رئيس المحكمة الذى يتسلى بحل الألغاز مع «ابن سليمان»- أحد أعضائها- وقد جهز الحكم على المتهم سلفا. وتمتد الإدانة إلى جماعة الصوفية من أصحاب الحلاج ومريديه من خلال سلبيتهم التى سبقت الإشارة إليها ثم إلى عامة الناس بطبقتيهم الوسطى

المتمثلة فى «الواعظ والتاجر والفلاح» الذين ينظرون إلى الشيخ المصلوب دون أن يعرفوه أو يعرفوا قضيته وكأنهم عنصر غريب تماما عن المجتمع لايدرى مايجرى فيه.

كما تمتد إلى الطبقة الكادحة المتمثلة فى مجموعة الفقراء الذين ثار الحلاج فى المسرحية غضبا لهم وهم يعبرون عن ذنوبهم بقولهم :

نحن قتلناه بالكلمات
صفونا.. صفا.. صفا
الأجهر صوتا والأطول
وضعوه فى الصف الأول
ذو الصوت، الخافت والمتوانى
وضعوه فى الصف الثانى
اعطوا كلا منا دينار من ذهب قانى
براقا لم تلمسه كف من قبل
قالوا: صيحوا.. زنديق كافر
صحنا زنديق كافر
قالوا: صيحوا فليقتل إنا نحمل دمه فى رقبتنا
فليقتل إنا نحمل دمه فى رقبتنا
قالوا: أمضوا فمضينا

لقد صدرت هذه المسرحية عشية محنة الإخوان المسلمين الثانية فى صيف ١٩٦٥ وقبيل نكسة يونيو ١٩٦٧م. وأما المسرحيات الأربع الأخرى فقد صدرت

جميعها فى فتره لاحقة ومن ثم فإن الصورة السلبية للواقع فيها ترد على هيئة فواجع أشد عمومية، ففى «ليلى والمجنون» تتكثف الإحباطات الوطنية فى المجتمع المعاصر من خلال جعل القصة العذرية القديمة خلفية لها تزيدها عمقا وتجذرا فى الأغوار، وفى مسرحية «الأميرة تنتظر» تشارك الأميرة «السمندل» الصعلوك الذى يتحول إلى طاغية في قتل أبيها الملك ثم تنفى خارج المدينة حيث تقضى حياتها فى طقوس عبثية تكفيرا عن جريمتها وفى «مسافر ليل» يقتل محصل التذاكر بلعبة القهر والاستبداد الراكب الوحيد القابع فى ركن عربة بقطار منتصف الليل معتذراً إليه بأن جثته ستعرض فى الصباح على الناس بوصفها جثه المجرم المتهم باعداء الألوهية كى يطمئنوا إلى إقامة العدالة واستتباب الأمن بمجازاة الجانى في تلك الجريمة التى يعترف المحصل بأنه هو مقترفها الحقيقى، وفى «بعد أن يموت الملك» لايتوقف تيار القهر بموت الطاغية بل يمتد بعده على يد حاشيته التى تأمر الملكة بالرقاد إلى جانب جثته لتشاركها مصيرها.

وفى مقابل هذه الصور الكابوسية الشائهة نرى بصيصا من أمل على الجانب الآخر من خلال البطل الذى تتراوح قوته صعودا وهبوطا بين مسرحية وأخرى فهو يحمل الكلمة وحدها فى «مأساة الحلاج» فيقتل تاركاً أصداء كلمته ترن فى وجدان الأمة وضميرها ويحمل الكلمة والسيف فى «الأميرة تنتظر» و«بعد أن يموت الملك» فينتج عن اجتماعهما فى يده وعلى لسانه نورا وأملا تنتهى به المسرحيتان نهاية متفائلة مبشرة، وترتعش الكلمة ويعوزه السيف فى «مسافر ليل» فيسقط متهاويا بين عجلات قطار الزمن الضائع.

إن عدو الحياة الذى لايتوانى عن تشويهها، وإفقادها معناها وقيمتها يظل دائما شيئا واحداً لايتغير فى حقيقته على مدى المسرحيات الخمس مهما تبدلت صوره وأشكاله لتناسب موضوع كل مسرحية منها، إن ظمأ السلطة إلى الطغيان فى بلاد لامبالية ذلك الطغيان الذى لايكتفى بسلب الأرزاق حتى يسلب الأخلاق ويلوث الضمائر فيضع دينار الذهب القانى فى أيدى الفقراء ليشهدوا بأن الحلاج زنديق كافر ويغرى الأميرة بالتفريط فى مفتاح القصر وفى دم أبيها ويحول «حسام» المناضل إلى جاسوس وغد ويدفع الراكب والراوى إلي مداراة عامل التذاكر طلبا للنجاة ولاننسى أننا فى المسرحيات الخمسة لم نر مشهدا يركز الضوء على مشكلة الفقر المادى فى حين تفيض كلها مجتمعه بالمشاهد التى تجسد الفقر الروحى والأخلاقى، ليس من العسير بعد ذلك أن نتفهم علة خلو هذه المسرحيات من شخصية تمثل الإيمان الدينى فى صورته الصحيحة الكاملة أن البطل الخالع خرقة الصوفية فى المسرحية الأولى نراه نحيلا جهما فى «الأميرة تنتظر» وشاعرا مترددا لم يكد يغسل فاه من تملق الملك ومن تدريب محظياته كالنخاس الماهر فى «بعد أن يموت الملك» ، وهو في المسرحيتين الأخيرتين «ليلى والمجنون» و«مسافر ليل» ضحية مرتعش أجوف أو لابطل بالتعبير النقدى الحديث فأين البطل البطل؟

لقد أحكم الشاعر طوق التظليل بالسلبية والفساد على كل شخصيات مسرحياته باستثناء فردى فى بعضها دون البعض الآخر، إنها هجائية جماعية تمتد إلى المجتمع بأسره وتدين الإنسانية عموما باستثناء فردى دائما. فهل فى هذا تفسير وتبرير لظاهرة الحزن فى دواوينه الشعرية الأولى وظاهرة الانطواء فى دواوينه المتأخرة ؟

ويصمود هذه الاستثناءات الفردية (الحلاج، القرندل، الشاعر، سعيد) على طريق مقاومة الطغيان والشر والقهر ينبلج نور الأمل وتشرق مخايل التفاؤل في سماء الحياة.

فما سلاح هذه الاستثناءات الفردية؟ ومن أين جاء به الشاعر؟ إنه دائما الكلمة والسيف، لقد كانت الكلمة والسيف مجتمعين هما باستمرار الضالة المنشودة وواضح موقف الحلاج منهما وموقف الشاعر من خلال ماسبق أما القرندل فهو يقول عندما أجهز على السمندل:

وأسفاه... لابد أن ألقى أغنيتى

«ثم يندفع نحوه ويحيط رقبته بأصابعه، ثم يحدق فى عينيه»

هذا ظلى فى عينيك

ياسمندل

«يستل القرندل سكينا من ثيابه ويدفعها فى صدر السمندل»

خذ هذا آخر مقطع

«يتهاوى السمندل على المائدة ويستدير القرندل إلى النسوة المندهشات»

تمت أغنيتى

وهنا تحل الأغنية والسكين محل الكلمة والسيف ولافرق، وتخلو «مسافر ليل» من الكلمة والسيف فتجثم على نهايتها غيمة المأساة الفاجعة.

وتنتهى بالموت العبثى أو الموت بلا ثمن لخلوها من الشاعر والفارس، وتنعقد سحب المأساة فى سماء «ليلى والمجنون» على الرغم من وجود الشاعر «سعيد» والفارس «حسان» إلى أن تتطور بهما التجربة كى ينضجا معا وينصهرا ويمتزجا ويكونا قوة واحدة.

يقول سعيد : ماذا تملك إلا الكلمات ؟

هل نملك شيئا أفضل

فيرد حسان :**ما تملكه يا مولاى الشاعر**

لايطعم طفلا كسرة خبز

لايسقى عطشانا قطرة ماء

لايكسو عرى عجوز تلتف على قامتها المكسورة ريح الليل

لابد من الطلقة والطعنة والتفجير

إنى أحمل هذا فى جيبى

«يخرج مسدسا»

وتنتهى المسرحية بعد أن يكونا قد سددا إلى الخيانة والتخاذل متمثلين في حسام ضربة قاتلة.

والكلمة والسيف الجناحان اللذان يحلق بهما الأمل مشرقا فى أجواء المسرحيات المأساوية الخمسة ليسا غريبين عن بيئة الشاعر وتراثه، فالكلمة التى تمحو الظلمة وتشع النور وتكشف معالم الطريق والسيف يدفع الظلم ويمنع الفتنة ويواجه الطغيان، وبالكلمة نزل القرآن وإلى السيف دعا على أن يكون سيفا مبصرا بتعبير الحلاج وأن يوضع فى موضعه، لقد ظل الحلاج يهتف فى غياهب سجنه من أعماق قلبه «من لى بالسيف المبصر». هذا السيف المبصر الذي يحدد موضع الشر بأسبابه ومظاهره وعواقبه ويتتبعها ويستأصلها.

قسم التاريخ والحضارة

جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية
إيتاى البارود

موازين القوى بين المسلمين والروم على ضوء الاحتكاكات الحربية فى العهد النبوى

بقلم الدكتور
أحمد محمد الدسوقى المنوفى
أستاذ التاريخ الإسلامى والحضارة المساعد
بقسم التاريخ والحضارة

١٤١٩هـ/١٩٩٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــة

الحمد لله ، مالك الملك، يعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويرفع أقواما ، ويخفض آخرين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته، الذين سموا بالإسلام، ومكن الله لهم فى الأرض، وجعلهم الوارثين.

وبعـــد

فموضوع هذا البحث «موازين القوى بين المسلمين والروم، على ضوء الاحتكاكات الحربية فى العهد النبوى» وترجع أهميته إلى أنه يوضح الجانب الراجح فى موازين القوى فى العهد النبوى، على أساس من الوقائع التاريخية، ويعيد النظر فى أسباب ونتائج الاحتكاكات العسكرية بين المسلمين والروم، مدعما بما أثبتته المصادر، ويساهم- بجهد متواضع- فى تجلية هذه الفترة المثالية من تاريخ المسلمين.

كما ترجع أهمية هذا البحث إلى أن موازين القوى بين المسلمين والروم فى العهد النبوى، هى البداية لموازين القوى بينهما ، والتى استمرت مايقرب من تسعة قرون، ومعرفة هذه البداية تعيننا على معرفة الفترات اللاحقة المبنية عليها .

وقد قدمت بين يدى البحث بتمهيد، تناول موازين القوى- بصفة عامة- والصراع الدائم بين الشرق والغرب، ثم بيان العلاقات بين المسلمين والروم قبل غزوة مؤتة، تلك الغزوة التى كانت اللقاء الحربى المباشر الأول بينهما .

وتناول البحث أمرين :

الأول: موقف هرقل من الإسلام، وأثر ذلك على الاحتكاكات الحربية بين المسلمين والروم، وذكر رسالتى النبى- صلى الله عليه وسلم- إلى هرقل، وأدلة ميله إلي الإسلام، ودواعى هذا الميل، ووقفة مع المصادر غير الإسلامية فى هذه

القضية، وأثر موقف هرقل من الإسلام على الاحتكاكات الحربية مع المسلمين.

الثاني: الاحتكاكات الحربية بين الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم، وتناول غزوة مؤتة، ثم غزوة تبوك، ثم ما بعد تبوك،وذكر البحث مايؤكد تفوق المسلمين فى موازين القوى على الروم فى هذه الفترة.

وأخيراً مصادر البحث ومراجعه،وقد اعتمد البحث على مصادر أصيلة فى بابها فيما يتعلق بالجانب الإسلامى، وكذلك فيما يتعلق بالجانب الرومى، عن طريق الكتب التى ترجمت لهذه المصادر.

ولقد كان-بلاشك- فى موازين القوى بين المسلمين والروم فى العهد النبوى، حكمة بالغة، فالدولة الإسلامية على حداثتها- تفوقت فى موازين القوى علي الامبراطورية الرومية - على عراقتها- وكان وراء هذا التفوق الإسلامي:

١- تمسك صحابه النبى صلى الله عليه وسلم بالهدى الإلهى، والتوجيه النبوى، والتسلح بالإيمان وإعداد ما استطاعوا من قوه لعدوهم.

٢- جزاء الله لهم، حيث بدلهم من بعد ضعف قوة، ومن بعد ذل عزة ورفعة، وصرف المقادير لخيرهم، فانشغل الروم بقتال الفرس في معارك طاحنة، قبل أن يلتقوا بهم، وخرجت الدولة الرومية من هذه المعارك منهكة القوى، لتنازل الدولة الإسلامية الفتية مباشرة، فتكون الدائرة عليها، وترجح موازين دولة الإسلام.

أسأل الله -تعالى- للأمة حسن الاعتبار، كما أسأله- جل وعلا- التوفيق والصواب والسداد والرشاد، عليه توكلت وإليه أنيب، وهو حسبى ونعم الوكيل، والحمد لله رب العالمين.

التمهيـــد:

أ) موازين القوى والصراع بين الشرق والغرب :

١- نظرة تاريخية :

عودنا التاريخ- منذ أقدم العصور- على وجود قوتين عظميين فى العالم، تتصارعان السيادة والنفوذ وكانت الحرب بين الفرس واليونان- قديما- ثم توسع الإسكندر الأكبر فى الشرق، ثم الامبراطورية الرومانية من بعده، توضح بجلاء أن إحدى القوتين، تنتمى إلى الشرق، وأن الأخرى تنتمى إلى الغرب.

وفى العصور الوسطي، تمثل الصراع في الحروب بين الامبراطورية الفارسية، والامبراطورية البيزنطية، وبعد انتشار الإسلام وتوسعه، وسقوط الامبراطورية الفارسية، حلت الدولة الإسلامية محلها فى الصراع مع الامبراطورية البيزنطية، والأولى تمثل الشرق، والأخرى تمثل الغرب.

واستمرت حلقات الصراع بين القوتين العظميين، وبين الشرق والغرب- فى صور متعددة- حتى العصر الحاضر، والصراع بين القوتين العظميين- على مر التاريخ- صراع سياسى وعسكرى فى جانب منه، وحضارى فى الجانب الآخر، تحاول كل منهما أن تفرض نفسها على الأخرى «فإن تعادلت القوتان من الناحية السياسية والعسكرية والحضارية- كما يقول الدكتور جوزيف نسيم يوسف- كان هذا يعنى اعتدال ميزان القوى فى الصراع بينهما بحيث لايمكن لأى منهما أن تحرز تفوقا أو نصرا حاسما على الأخرى، بل تقفان وجها لوجه فى فترة تربص واستطلاع وجس نبض، وهذا ما نسميه باعتدال كفتى الميزان فى الصراع بينهما ، ويستمر الوضع على هذا الحال إلى أن يتغير توازن القوى، الذى يرتبط ارتباطاً وثيقا بتغير الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها لدى كل منهما ، وإذا رجحت إحدى القوتين على الأخرى، بادرت - عادة- باتخاذ سياسة الهجوم، وتوجيه الضربة الأولى، بينما تلتزم الأخرى بسياسة الدفاع عن نفسها وكيانها بوجه عام، وعادة مايحرز الأقوى النصر على

الأضعف، والعكس صحيح إذا ما تفوقت الثانية على الأولى، تبادر باتخاذ سياسة الهجوم، ويميل مركز الثقل إلى جانبها، بينما تلتزم الأخرى بسياسة الدفاع[١]».

٢- الصراع بين الفرس والروم :

كان الصراع على أشده- قبل ظهور الإسلام- بين دوله الروم ودولة الفرس- وكانت دولة الروم (أو الامبراطورية البيزنطية) تدين بالمسيحية، بينما كانت الدولة الفارسيه، تدين (بالزرادشتيه)[٢]، وقد أخذ الصراع بين الدولتين جوانب كثيرة، ومن هذه الجوانب، الجانب الاقتصادى، والجانب العسكرى، وقد أولت الدولة البيزنطية، الناحية الاقتصادية اهتماما خاصا، وحرصت فى صراعها مع الفرس، على تحطيم اقتصادهم، وكان أول ما صنعته، محاولة إبعاد التجارة عن بلاد فارس، بتوجيهها نحو الشمال، وفتح طرق شمالية تجارية لبضائع الصين، وفى مقدمتها الحرير، كما بذلت محاولات أخرى- فى القرن السادس الميلادى- استهدفت إبعاد فارس عن الاتجاه جنوبا، عن طريق البحر الأحمر، للوصول إلى سيلان، وجزر الهند الشرقيه، والصين، وشجعت الحبشة المسيحية الواقعة جنوب البحر الأحمر، على القيام بدور الوسيط، واستخدام سفنها فى المحيط الهندي؛ لتنمية التجارة مابين سيلان والبحر الأحمر[٣].

---

(١) يوسف: جوزيف نسيم. الإسلام والمسيحية الطبعة الأولى. دار الفكر الجامعى. الاسكندرية ١٩٨٦م ص٤٥، ٤٦.

(٢) الزرادشتيه: ديانه فلسفيه قديمة، تنسب إلى الفيلسوف (زرادشت) وتقول هذه الديانة بوجودة إلهين، أحدهما للخير، والآخر للشر. د. أحمد أمين. فجر الإسلام. الطبعة العاشرة. مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٦٥م ص٩٩.

(٣) لويس: أرشيبالد. القوى البحرى والتجارية فى حوض البحر المتوسط. ترجمة أحمد محمد عيسى. مكتبة النهضة المصرية بدون تاريخ ص٥١، ٥٢.

أما الجانب العسكرى، فتمثل فى قيام الفرس، بقيادة ملكهم (كسرى الثالث)- الذى شهدت فارس في عهدة نهضة دينية وعسكرية- بالتوغل فى الممتلكات البيزنطية، والاستيلاء على بيت المقدس، وأخذ صليب الصلبوت- الذى يعتقد المسيحيون أن المسيح صلب عليه- وكذلك الاستيلاء على الشام ومصر [١]، وقد حدث هذا بعد ظهور الإسلام، وكانت عاطفة المسلمين مع الروم؛ باعتبارهم أهل كتاب سماوى مثلهم، ومن ثم حزنوا لهزيمتهم، وقد سجل القرآن الكريم ذلك، وتنبأ للروم بالغلبة والفوز على أعدائهم الفرس، بعد سنين معدودة، وجاءت الآيات الكريمه :(ألم. غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون. بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) [٢].

وتبوأ عرش الامبراطورية البيزنطيه، (هرقل) ٦١٠م-٦٤١م، وتمكن هذا الإمبراطور البارع، من أن يستعيد للإمبراطورية ماضاع منها، وأن يستعيد بيت المقدس،وصليب الصلبوت بعد حروب مع الدوله الفارسية، انتهت سنة ٦٢٨م [٣].

وإذا كانت الحروب بين الفرس والروم، وقدانتهت بانتصار رائع للروم، فإن هذا الانتصار كلفهم تكاليف باهظة، ونالت هذه الحروب من قوة الإمبراطورية العسكرية، وتوازنها الاقتصادى [٤].

(١) يوسف: د. جوزيف. الإسلام والمسيحية مرجع سبق ص ٤٧، تاريخ الدوله البيزنطية، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية ١٩٨٨م من ص١٠١ إلى ص١٠٣.

(٢) سورة الروم: الآيات الأربع الأولى منها.

(٣) يوسف: د. جوزيف الاسلام والمسيحية، ص٤٦، ص٤٧، لويس: القوى البحريه والتجارية ص٧٦، ٧٧.

(٤) يوسف: د. جوزيف: تاريخ الدولة البيزنطية ص١٠٩.

٣- الصراع بين المسلمين والروم :

أتاح الصراع بين الدولتين الفارسية والبيزنطيه، للدولة الاسلامية الناشئة فى بداية القرن السابع الميلادى (الأول الهجرى)، أن تتمكن منهما- وقد نالت منهما الحروب الطاحنه بينهما- وتستولى على أراضى الدولة الفارسية، وتسقطها نهائيا، بعد الاستيلاء على عاصمتها المدائن بسنين معدودة(١)، وتستقطع من الدولة البيزنطية، أهم أقاليمها فى الشرق (الشام ومصر وبلاد المغرب)، وأصبحت الدولة الإسلامية والدولة البيزنطية، القوتين العظميين المتصارعتين فى المرحلة الجديدة(٢)، وكانت موازين القوى تميل إلى الجبهة الإسلامية فى معظم الأوقات، وبذلت الدولة الاسلامية، قصارى جهدها فى سبيل إسقاط الدولة البيزنطية، ورأت أن السبيل إلى ذلك هو إسقاط عاصمتها (القسطنطينية)، كما فعلت مع الدولة الفارسية، ولكن محاولات إسقاط القسطنطينية فى القرن الأول الهجرى، لم يكتب لها النجاح(٣).

هذا وقد استمر الصراع الإسلامي البيزنطى، من القرن الأول الهجرى (السابع الميلادى) إلى القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى)، عندما

---

(١) ابن الأثير: أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد. الكامل فى التاريخ. دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م جـ٢ من ص ٣٥٤-٣٥٩.

(٢) كانت هناك قوة ثالثة لاقيمة لها ولا وزن، هي دول غرب أوربا، وهى دولة جديدة ظهرت بعد الغزو الجرمانى لغرب أوربا، وإسقاط الامبراطورية الرومانية الغربية، وكونتها القبائل الجرمانية البسيطة المتخلفة، وعرفت عصور حكم هذه الدول فى تاريخ أوربا، بالعصور المظلمة، أو العصور الوسطى المبكرة، انظر يوسف: د. جوزيف الاسلام والمسيحية ص٤٨.

(٣) ابن الأثير : جـ٣ فى أماكن متفرقة.

تمكن العثمانيون من فتح القسطنطينية سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م، القضاء بذلك على الإمبراطورية البيزنطية[1].

ب) العلاقات بين المسلمين والروم قبل غزوة مؤتة :

من اللازم قبل الحديث عن موازين القوى بين المسلمين والروم، على ضوء الاحتكاكات الحربية بينهما، والتي كانت غزوة مؤتة فاتحتها، أن نتعرف على العلاقات بين المسلمين والروم قبل هذه الغزوة.

١) موقف الروم من قيام الدولة الاسلامية :

كان من عناية الله- تعالى- ورعايته، أن البدايات الأولى للدولة الاسلامي، تزامنت مع انشغال الدولتين الكبيرتين، دولتى الفرس والروم، بالمعارك الطاحنة بينهما[2]، ولذلك لم يكن هناك خطر على الدولة الإسلامية من قبلهما، وكانت المعارك بين الدولتين، أقوى من أن تلفتهم إلى مايجرى داخل الجزيرة العربية من أحداث، وأغلب الظن أن العقيدة الجديده، والمعالم الرئيسة للدولة الإسلامية الناشئة، لم تكن معروفة لديهم[3]- أو على الأقل-

---

(١) يوسف: د. جوزيف نسيم تاريخ الدولة البيزنطية ص٢٩١.

(٢) شهدت السنوات بين عام ٦٢٢م (العام الأول بعد الهجرة) وعام ٦٢٨م (العام السادس بعد الهجرة) سلسلة من الحملات الحربية، قام بها هرقل ضد الفرس، وانتهت الحرب عام ٦٢٨م (السادس الهجرى) بعد أن دخل عاصمة الفرس. عاشور: د. سعيد أوربا العصور الوسطى مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٨م جـ١ ص ١١٦، يوسف: تاريخ الدول البيزنطية ص ١٠٦، ١٠٧.

(٣) لعل مما يؤكد ذلك ما ذكرته المصادر، من كتاب النبى صلى الله عليه وسلم إلى هرقل، وجهل هرقل- آنئذ- بالدعوة الاسلامية ورسولها صلى الله عليه وسلم والتماسه من يزوده بمعلومات عن ذلك من قوم هذا الرسول، فكان أبو سفيان،ودار بينهما الحديث الذى ذكرته كتب السيره، وكانت رسالة النبى صلى الله عليه وسلم إلى هرقل فى العام السادس أو السابع (٦٢٨-٦٢٩م) كما سيأتى.

لـم تكن واضـحـة تمام الوضـوح- آنئـذ، وربما حـسـبـوا أن المعـارك بين المسلمين وخصومهم، من نوع المعارك القبلية المعتادة.

وكـانت دولتـا الفرس والروم، تنظران إلي العـرب نظرة ازدراء واحـتـقـار؛ لفقرهم وبعدهم عن الحضارة والمدنية ولم يتوقعوا- أبدا- أن يأتى خطر داهم من قبلهم، وهم الذين لاتنتهى الحروب بين قبائلهم،واطمأن الروم بإقامة دولة عربية على الحدود بينها وبين العرب، تابعة لهم هى دولة الغساسنة، تحميهم من غارات المغيرين من القبائل العربية، التى كانت تقوم بذلك من أجل السلب والنهب، كما قنع الفرس بإقامة دولة المناذرة على الحدود للغرض ذاته، هذا إلى جانب القبائل العربية الأخرى التى تحالفت معهم.

٢) قتال المسلمين لحلفاء الروم:

قـام المسلمون بقتـال حلفـاء الروم من العـرب، على حدود بلاد الشـام، والبلاد القريبة من هذه الحدود، بسبب تحرشهم بالمسلمين، فغزوا دومة الجندل[١] سنة خمس من الهجرة (٦٢٦م)، وكان صاحبها (أكيدر بن عبد الملك) نصرانيا، ويدين بالطاعة والولاء للبيزنطيين، وكان هذا الملك- كما ذكر ابن سعد والمسعودى- يعترض التجار والمسافرين إلى المدينة، ولما وصل الرسول- صلى الله عليه وسلم- إلى دومة الجندل، تفرق أهلها، ولم يجد أحدا، فأقام بها عدة أيام، ثم عاد[٢].

---

(١) دومة الجندل: بضم أوله على سبع مراحل من دمشق، وتتوسط المسافة بين دمشق والمدينة المنورة. الحموى: ياقوت معجم البلدان. دار إحياء التراث العربى بيروت بدون تاريخ جـ٢ ص٤٨٧.

(٢) ابن سعد: أبو عبد الله محمد الطبقات الكبرى. القاهرة ١٩٦٨م جـ٢ ق١ ص٤٤، ٤٥، المسعودى : أبو الحسن على التنبيه والإشراف دار الهلال بيروت ١٩٨١م ص ٢٣٠، ٢٣١.

وخرجت سرية بقيادة زيد بن حارثة إلى حسمى[١] سنة ست من الهجرة (٦٢٧م) لتأديب قبيلتى لخم وجذام، اللتين اعتدتيا على دحية بن خليفة الكلبى، الذى بعثه الرسول- صلى الله عليه وسلم- إلى هرقل، وكانت القبيلتان من حلفاء البيزنطيين، وقام زيد بمهمته خير قيام[٢].

كما ذهبت سرية بقيادة عبد الرحمن بن عوف، إلى دومة الجندل سنة ست من الهجرة (٦٢٧-٦٢٨م) وكان بها قوم من كلب فأسلموا[٣].

وقد علل المسعودى تكوص الروم عن مسعدة حلفائهم؛ بانشغالهم بالحرب مع الفرس في هذه الفترة[٣]، وهو ما ذكرته المصادر الأجنبية أيضا[٤].

---

(١) البلاذرى: أبو الحسن أحمد بن يحيى. أنساب الأشراف تحقيق محمد حميد الله (ذخائر العرب) رقم (٧) القاهرة ١٩٥٩م جـ١ ص٣٧٧، الطبرى: أبو جعفر محمد بن جرير تاريخ الرسل والملوك تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة الثانية دار المعارف القاهرة ١٩٧٧م جـ٢ ص٦٤١، ٦٤٢.

وبعضهم يجعل هذه السرية سنة سبع ومنهم البلاذرى فى قول- ويرجع هذا الاختلاف إلى تاريخ رسائل النبى- صلى الله عليه وسلم، فالبعض يؤرخها بسنة ست،والبعض يؤرخها بسنة سبع كما سيأتى.

(٢) الواقدى: أبو عبد الله محمد. مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم. الطبعة الأولى القاهرة ١٩٤٨م ص٦.

(٣) المسعودى: التنبيه والإشراف ص٥٦.

(٤) لويس: القوى البحرية والتجارية ص٧٦، ٧٧.

أولا : موقف هرقل من الإسلام وأثر ذلك على الاحتكاكات الحربيه مع المسلمين:

تقديـــم :

قضت الدولة الإسلامية بضع سنين، تجابه أعداءها الذين كانوا يتربصون بها الدوائر، ويتمنون القضاء عليها من مشركى مكه، ثم بعد ذلك من سائر المشركين في الجزيرة العربية، ولم يقدر لها أن تلتقط أنفاسها إلا بعد صلح الحديبية، فى العام السادس الهجرى، وعندئذ بدأ المسلمون تنفيذ رسالتهم، التى أرادها الله- تعالى- لهم؛ وهى نشر الإسلام خارج الجزيرة العربية، وكانت أولى الخطوات فى هذا الطريق، تلك الرسائل التى بعث بها النبى-صلى الله عليه وسلم- إلى الملوك والأمراء، داعيا إلى الله -تعالى- وهاديا إلى صراطه المستقيم، وكانت من جملة رسائله، رسالته إلى (هرقل) ملك الروم(١).

---

(١) اختلف المؤرخون فى تحديد إرسال هذه الرسائل، ويفهم من سيره ابن هشام أن ذلك تم بعد صلح الحديبية في العام السادس للهجرة، وذهب البلاذرى إلى ترجيح أنها أرسلت فى سنة سبع من الهجرة، أما المسعودى فذكر تاريخين، أحدهما سنة ست، والآخر سنه سبع، وذكر ابن كثير أنها كانت فى آخر سنة ست فى ذى الحجة، وأضاف أنه لاخلاف بين المؤرخين فى أنها كانت قبل فتح مكة، وبعد صلح الحديبية؛ لقول أبى سفيان لهرقل-فى حديثه إليه عن النبى صلى الله عليه وسلم- (نحن فى مدة لاندرى ماهو صانع فيها) يقصد الهدنة بينهما بمقتضى صلح الحديبية. ابن هشام: أبو محمد عبد الملك السيرة تحقيق د.محمد فهمي السرجاني. المكتبة التوفيقية القاهرة ١٩٨٦م جـ٤ ص١٨٦، البلاذرى: أنساب الأشراف جـ١ ص ٥٣١، المسعودى : التنبيه والإشراف ص ٢٤١، ٢٤٣، ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر البداية والنهاية الطبعة الأولى دار الفكر العربى القاهرة ١٣٥١هـ/١٩٣٣ جـ٤ ص ٢٦٢.

وكانت رسالة النبى -صلى الله عليه وسلم- إلى (هرقل)، نقطة فاصلة على طريق العلاقات بين دولة الاسلام الناشئة ودوله الروم، وقد نبهتها إلى وجود الدوله الإسلامية المطمئن الثابت، وإلى طموحها، وكان من الطبعى ألا تقبل دولة الروم، وكذلك دولة الفرس، دولة جديدة تختلف عنهما فى العقيدة والأخلاقيات والنظم، وفوق ذلك مستقلة عنهما سياسيا، ولاتخضع لنفوذ أية دولة منهما، وهو أمر- ربما- كان غريبا على أهل ذلك الزمان، فى تلك البقعة من العالم.

وكان من المستبعد أن تستجيب الدولتان الكبيرتان لدعوة الدولة الوليدة باعتناق عقيدتها، تعصبا لما ورثوه من عقيدة- من جهة- وترفعا وكبرا أن يأخذوا من هؤلاء العرب ما نزل على أحدهم من دين- من جهة أخرى- والعرب- فى نظرهم- لا شأن لهم ثقافيا وحضاريا، واقتصاديا وسياسيا، وهم منهم- كما يرون- بمنزلة الأتباع والعبيد.

وكان رد (كسرى) على رسالة النبى- صلى الله عليه وسلم- مثالا واضحا لهذه النظرة المليئة بالكبر والتعالى، فقد مزق الرسالة، واعتبر ذلك تطاولا وجرأة من رجل يعتبره- كما ذكرت المصادر- من جملة عبيده، ولم يكتف بتمزيق الرسالة، بل بعث إلى عامله على بلاد اليمن، ويدعى (باذان) وطلب منه أن يبعث إلى محمد برجلين جلدين، يأتيان به إليه، ولم يمهل الله- تعالى- (كسرى)، المجترئ على رسوله الكريم- صلى الله عله وسلم- فقد قتل بيد ابنه (شيرويه) سنة سبع للهجرة(١).

---

(١) الطبرى : جـ٢ ص ٦٥٦.

ا) رسالتا النبى -صلى الله عليه وسلم- إلى هرقل

كانت الرسالة الأولى سنة ست أو سبع من الهجرة- على خلاف بين المؤرخين(١)- وحملها إليه دحية بن خليفة الكلبى، وكان هرقل مقيما آنئذ بحمص، ونصها :

(بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإنى أدعوك بداعية الإسلام، أسلم تسلم، ويؤتك الله أجرك مرتين، قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولانشرك به شيئا ،ولايتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين) (٢).

أما الثانية، فقد انفرد بذكرها ابن كثير(٣)،ولم يذكرنص الرسالة، وحملها دحية بن خليفه الكلبى- أيضا- وذلك سنة تسع من الهجرة، وكان - النبى صلى الله عليه وسلم- فى تبوك، وفى هذه الرسالة، دعوة إلى الإسلام، كالرسالة السابقة- وتزيد هذه الرسالة، أنه خير هرقل بين ثلاثة أمور: الإسلام أو الجزية أو الحرب، وكان هرقل مقيما بحمص أو دمشق.

---

(١) انظر ابن هشام: السيره جـ٤ ص١٨٦، البلاذرى: انساب الاشراف جـ١ ص ٥٣١، المسعودى: التنبيه والاشراف ص٢٤١، ٢٤٣.

(٢) البخارى : أبو عبد الله محمد بن اسماعيل صحيح البخارى كتاب الشعب (٦٦) القاهرة ١٩٧٨م جـ١ ص ٧، الطبرى: جـ٢ من ص ٦٤٦-٦٤٩ والأريسيون- وفى رواية الأكاريون- الفلاحون والمراد بهم الرعيه، انظر ابن الأثير جـ٢ ص ١٤٥ حاشية رقم (١)، والنويرى: نهاية الأرب جـ١٨ ص ١٥٨ حاشية (١).

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية جـ٥ ص ١٥، وقد نقلها عن الإمام أحمد بإسناد لا بأس به.

ومما يؤكد صحة الرسالة الثانية، أن المؤرخين الآخرين- كالطبرى وابن الأثير والنويرى[١]- ذكروا جمع هرقل لكبار قومه، وأنه عرض عليهم الإسلام أو الجزيه أو الحرب، ورساله النبى- صلى الله عليه وسلم- الأولى، كانت مجرد دعوة إلى الإسلام، ولم تكن تستدعى من هرقل أن يخير قومه بين الأمور الثلاثة،وإنما الذى كان يستعدى ذلك الرسالة الثانية- التى انفرد ابن كثير بذكرها ،وهذا يؤكد صدور مثل هذه الرسالة، حتى يكون لعمل هرقل مبرر،وربما نسى المؤرخون الآخرون ذكر هذه الرسالة،أو اختلط الأمر عليهم.

ثم إنه ليس هناك مايمنع من وجود رسالة ثانية، وعلى النقيض من ذلك، هناك مايدعو إلى وجود مثل هذه الرسالة؛ فقد كان النبى- صلى الله عليه وسلم- دائم التذكير والدعوة إلى الإسلام، وقد مضى على رسالته الأولى إلى هرقل مايربو إلي السنتين،وقد اقترب النبى- صلى الله عليه وسلم- بوجوده فى تبوك، من مكان إقامة هرقل فى حمص أو دمشق[٢].

٢) موقف هرقل من الاسلام

كان هرقل وسائر أهل الكتاب - من اليهود والنصارى- يعلمون من كتبهم المقدسه، أن نبيا سيبعث، وقد بشر بهذا النبى موسى وعيسى عليهما السلام- كما ذكر القرآن الكريم- وستظهر النصوص القادمه اعترافهم بذلك.

---

(١) الطبرى : جـ٢ من ص ٦٤٦-٦٥١، ابن الأثير: جـ٢ من ص ١٤٣-١٤٥، النويرى: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب. نهايه الأرب فى فنون الأدب نسخه مصورة عن طبعة دار الكتب، المؤسسه المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ١٩٥٤م جـ١٨ من ص ١٥٨ إلى ص١٦٢.

(٢) المسعودى: التنبيه والإشراف ص ٢٥٢، ابن كثير : البداية والنهاية جـ٥ ص ١٥.

وقد بلغ هرقل أمر النبى- صلي الله عليه وسلم- قبيل وصول رسالته الأولى إليه، وأخذ يتعرف على أخبار هذا النبي، ويسأل عنه[١]، ومن أشهر من سألهم عنه أبو سفيان بن حرب[٢]، ولما وصلته الرسالة اهتم بها ،وجعلها بين فخذه وخاصرته، وبعث إلى أحد العلماء المتبحرين فى العلم، وكان مقيما برومية[٣]،وحدثه عما تجمع لديه من أخبار عن النبى -صلى الله عليه وسلم-

(١) المشهور أن سؤال هرقل لأبى سفيان كان بعد وصول رسالة النبى -صلى الله عليه وسلم- وهو ما ذكره ابن الأثير، وذكر البخارى فى صحيحه المحاوره بين أبى سفيان وهرقل، وبعد أن انتهى منها قال : (ثم دعا هرقل بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى بعث به. .فقرأه) فكأنه كان على علم بورود كتاب من النبى صلى الله عليه وسلم- دون أن يعلم مافيه- قبل أن يسأل أبا سفيان عنه، وكان ورود هذا الكتاب سببا فى سؤاله.

أما الطبرى فعنده أن سؤال أبى سفيان، كان قبل وصول رسالة النبى-صلى ا لله عليه وسلم- فقد ذكر أن صاحب بصرى، بعث إلى هرقل برجل أخبره بظهور النبى-صلى الله عليه وسلم- وبين أن ذلك كان من عادة الملوك. فقد كانوا يتهادون الأخبار الجديدة فيما بينهم، وعندما بلغ هرقل ذلك طلب من صاحب شرطته أن يقلب الشام ظهر وبطنا حتى يأتيه برجل من قوم هذا الرجل، فأتى له بأبى سفيان، وكان بينهما الحديث المعروف، ثم جاءته رسالة النبى- صلى الله عليه وسلم - بعد ذلك. البخارى: جـ١ من ص ٥-٧ الطبرى: جـ٢ ص ٦٤٦، ٦٤٧، ابن الأثير: جـ٢ ص ١٤٤ وقد أخذ البحث برواية الطبرى- على الرغم من عدم شهرتها- لأنها تظهر مدى يقظة هرقل واهتمامه بالدعوة الجديدة وصاحبها، كحدث جديد، وأمر كانوا ينتظرونه.

(٢) اقرأ المحاورة بين هرقل وأبى سفيان بشأن النبى صلى الله عليه وسلم فى صحيح البخارى جـ١ من ص ٥-٧ والطبرى : جـ٢ من ص ٦٤٦-٦٤٨.

(٣) رومية: ذكر الحموى أن هناك مدينتين بهذا الاسم، إحداهما بالمدائن (ببلاد الفرس) أما الاخرى فهى روما، وقد ذكر عنها «أنها شمالى وغربى القسطنطينية وبينها مسيرة خمسين يوما أوأكثر، وبها يسكن البابا الذى تطيعه الفرنجية ، وهو لهم بمنزلة الإمام، وفى داخل المدينة كنيسة مبنية على اسم ماربطرس وماربولس الحواريين، وهما مدفونان فيها». =

وصفاته والرسالة التى بعث بها إليه، فكتب إليه هذا العالم: إنه للنبى الذي كنا ننتظره -لاشك فيه- فاتبعه وصدقه[(١)].

وهكذا اطمأن هرقل إلى صدق النبى-صلى الله عليه وسلم- ولكنه ارجأ إسلامه حتى يعرف رأى رعيته، فجمع عظماء الروم فى دسكرة[(٢)] له بحمص «ثم أمر بأبوابها فغلقت ثم اطلع فقال يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد، وأن يثبت ملككم، فتبايعوا هذا النبى، فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب، فوجدوها قد غلقت فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان، قال ردوهم على، وقال إنى قلت مقالتى آنفا أختبر بها شدتكم على دينكم، فقد رأيت، فسجدوا له، ورضوا عنه[(٣)].

وبذلك انصرف هرقل عن الدخول فى الإسلام، خوفا على ملكه، بل وعلى نفسه كذلك فقد ذكر ابن كثير أنه لما أعلن أحد الأساقفة إسلامه- أمام هرقل- بعد أن ظهر له صدق النبى-صلى الله عليه وسلم- وأنه النبى الذى كانوا

= أما القزوينى فعنده أن رومية هى روما ،ولاشئ غير ذلك. وواضح أن النص يقصد برومية هنا روما، فقد كانت- ومازال- من أكبر مراكز المسيحية في العالم، وكان بها- ولاشك- عدد كبير من العلماء في الدين انظر: الحموى: جـ٣ من ص ١٠٠-١٠٢، القزوينى: زكريا بن محمد آثار البلاد وأخبار العباد. دار صادر بيروت بدون تاريخ من ص ٥٩١-٥٩٥.

(١) الطبرى : جـ٢ ص ٦٤٩، ابن الأثير: جـ٢ ص ١٤٣.

(٢) دسكرة : بناء يشبه القصر وحوله بيوت، ويكون للملوك، المقرى الفيومى. احمد بن محمد المصباح المنير المطبعة العلمية القاهرة ١٣١٥هـ ص٨٩.

(٣) البخارى: جـ١ ص٨، الطبرى : جـ٢ ص٦٥٠.

ينتظرونه، قال هرقل: «أعرف أنه كذلك،ولكني لا أستطيع أن أفعل (أى أسلم) إن فعلت ذهب ملكى وقتلنى الروم»[١].

وذكر الطبرى أن هرقل قال لدحية بن خليفة الكلبى : «ويحك! والله إنى لأعلم أن صاحبك نبى مرسل، وأنه الذى كنا ننتظره ونجده في كتابنا، ولكنى أخاف الروم على نفسي! ولولا ذلك لاتبعته».

وأثبت هرقل لدحية بالدليل العملى صدق قوله، حيث بعثه إلى أسقف له مكانة عند الروم، ويستمعون لقوله، يدعى (صغاطر)، فآمن هذا الاسقف بالنبى وذهب إلي قومه بالكنيسة فدعاهم إلي الإيمان به، فوثبوا عليه فقتلوه، فلما رجع دحية إلي هرقل قال :«قد قلت لك : إنا نخافهم علي أنفسنا، فصغاطر- والله- كان أعظم عندهم وأجوز قولا منى»[٢].

أما رد هرقل على رسالة النبى- صلى الله عليه وسلم- فلم تذكر معظم المصادر أن هرقل بعث برد مكتوب على رسالة النبى -صلى الله عليه وسلم- الأولى[٣]، فلعله اكتفى بما رأى دحية وماسمع،وذكرت بعض هذه المصادر، أن هرقل دعا قومه إلي الإسلام، فأبوا، فعرض عليهم دفع جزيه، فرفضوا، فطلب منهم اعطاء أرض سورية للمسلمين، فلما رفضوا تركهم ورحل إلى القسطنطينية[٤]، وهذا الأمر لايستقيم- كما سبق- مع الرسالة الأولى التي كانت مجرد دعوة إلى الإسلام، ويمكن أن يكون ذلك حدث بعد الرسالة الثانية.

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ٤ ص ٢٦٧.

(٢) الطبرى: جـ٢ ص ٦٥٠، ابن الأثير : جـ٢ ص ١٤٤.

(٣) البخارى : «صحيح البخارى جـ١ من ص ٥-٨، الطبرى : جـ٢ من ص ٦٤٦-٦٥١، ابن الأثير : جـ٢ من ص ١٤٣-١٤٥، ابن كثير : جـ٤من ص ٢٦٢-٢٦٨.

(٤) الطبرى، ابن الأثير، ابن كثير المصادر السابقة.

أما اليعقوبى، فقد ذكر- وحده- أن هرقل رد علي رسالة النبى-صلى الله عليه وسلم- ونص هذا الرد :(إلى أحمد رسول الله الذي بشر به عيسى، من قيصر ملك الروم، إنه جاءنى كتابك مع رسولك،وإنى أشهد أنك رسول الله، نجدك عندنا فى الإنجيل، بشرنا بك عيسى بن مريم، وإنى دعوت الروم أن يؤمنوا بك فأبوا ،ولو أطاعونى لكان خيرا لهم، ولوددت أنى عندك فأخدمك، وأغسل قدميك) (١).

والمرجح أنه لم يكن هناك رد مكتوب على رسالة النبى صلى الله عليه وسلم - الأولى؛ لأن معظم المؤرخين لم يذكروا ذلك،ولو كان هناك مثل هذا الرد الذى ذكره اليعقوبى، والذى يدل دلاله قاطعه علي دخول هرقل فى الإسلام وتصديقه بنبوه محمد صلى الله عليه وسلم، لماكان هناك ضرورة إلى إرسال رسالة أخرى تدعوه إلى الإسلام.

ومما يدعو إلى هذا الترجيح- أيضا- ما ذكره ابن كثير من حديث النبى- صلى الله عليه وسلم- إلى التنوخى- الذى بعثه هرقل إليه عقب الرسالة الثانية- حيث قال له :(يا أخا تنوخ إنى كتبت بكتاب إلى كسرى والله ممزقه وممزق ملكه، وكتبت إلى النجاشى بصحيفة فخرقها والله مخرقه ومخرق ملكه(٢)، وكتبت إلى صاحبك بصحيفة فأمسكها. فلن يزال الناس يجدون منه بأسا ما دام فى العيش خير) (٣).

---

(١) اليعقوبى: أحمد بن أبى يعقوب تاريخ اليعقوبى، دار صادر بيروت بدون تاريخ جـ٢ ص ٧٧، ٧٨.

(٢) النجاشى هذا غير النجاشى الذى هاجر المسلمون إليه وكان مسلما، لأن كلمة النجاشى كانت لقبا لملوك الحبشة.

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية جـ٥ ص١٥، ١٦.

فالصحيفة- هنا- الرسالة الأولى إلى هرقل؛ لأنها ذكرت مقرونة برسالتيه إلى كسرى والنجاشى، وكانت تلك الرسائل فى عام واحد [١]، والمفهوم من إمساك الصحيفه- هنا- عدم الرد عليها.

أما موقف هرقل من الرسالة الثانية، فإنه جمع قسس الروم وبطارقتها، وعرض عليهم ما جاء فى رسالة النبى صلى الله عليه وسلم، من الإسلام أو الجزيه أو الحرب، ونصحهم بالإسلام أو دفع الجزيه، وخوفهم من قتاله لأن الدائرة ستكون عليهم - كما جاء فى كتبهم المقدسة، ولكنه اعترضوا عليه اعتراضا شديدا، قائلين :«تدعونا إلى أن نذر النصرانية أو نكون عبيدا لأعرابى جاء من الحجاز؟» فبادر بتحسين موقفه عندهم قائلا :«إنما قلت ذلك لأعلم صلابتكم على أمركم» [٢].

ثم بعث هرقل بعربى من قبيلة تنوخ على دين النصرانية، إلى النبى صلى الله عليه وسلم يحمل رد رسالته إليه،ولم يكن فى الرد اختيار لأحد الأمور الثلاثه، التى ذكرها النبى صلى الله عليه وسلم، وهى الإسلام أو الجزية أو الحرب،وإنما كان يتضمن سؤالا، هو «تدعونى إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، فأين النار؟» وأمر رسوله أن ينظر فى ظهره،وهل يرى فيه شيئا يريبه؟ [٣].

ويبدو أن هرقل- على الرغم مما ثبت لديه من صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم- كان يريد بسؤاله، وينظر مبعوثه فى ظهر النبى، أن يزداد قلبه اطمئنانا بنبوته، وقد أجاب النبى صلى الله عليه وسلم عن السؤال بقوله :

---

(١) الطبرى: جـ٢ ص ٦٤٤، ابن الأثير: جـ٢ ص ١٤٣.

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية جـ٥ ص ١٥.

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية جـ٥ ص١٥.

«سبحان الله ! أين الليل إذا جاء النهار» واحتار التنوخي في تنفيذ ما أمره به هرقل، من النظر إلى ظهره- صلى الله عليه وسلم- ولكنه عليه الصلاة والسلام،أذهب عنه هذه الحيرة، ورفع عنه الحرج، عندما كشف عن ظهره وقال له «ها هنا امض لما أمرت» فنظر فوجد خاتم النبوة[1].

ولاشك أن ذلك زاد هرقل يقينا، ولكنه لايستطيع الدخول في الإسلام خوفا على نفسه وملكه[2]، وربما أدرك أنه تجاه رساله النبي صلى الله عليه وسلم- لايمثل شخصه فقط، وإنما يمثل دولة الروم، وأن من الحكمة- في نظره- أن يتصرف حسب رأي رجال هذه الدوله، ويحتفظ برأيه الخاص لنفسه في هذه المسألة الخطيرة، وصدق الله-تعالى- إذ يقول :(الذين آتيناكم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم،وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون)[3] وبهذا تغلبت الناحية الساسية لدى هرقل على الناحية الدينية.

ولعل هرقل رأى -حينئذ- الرحيل إلى القسطنطينية، وقد أشارت إلى هذا الرحيل بعض المصادر الإسلامية، وإن كانت قد جعلت هذا الرحيل بعد رسالة النبي -صلى الله عليه وسلم الأولى إليه[4]، وقد أشرت- من قبل- إلى ماعليه معظم المؤرخين من أنها رسالة واحدة، وما انتاب هذا الموضوع من خلط ونسيان.

---

(١) المصدر السابق : ص ١٦.

(٢) الطبري: جـ٢ ص ٦٥٠، ٦٥١، ابن الأثير : جـ٢ ص ١٤٤.

(٣) سورة البقرة الآية (١٤٦).

(٤) الطبري: جـ٢ ص ٦٥١، ابن كثير: جـ٤ ص ٢٦٨، وقد عاد هرقل مرة أخرى إلي الشام، فتذكر المصادر أنه كان بها عند الفتح الإسلامي، ولما فتحت قنسرين، غادرها المغادرة النهائية، قائلا :(عيك السلام يا سوريه، سلاما لا اجتماع بعده) وكان ذلك سنة ١٥هـ أو ١٦ هـ. انظر الطبري: جـ٣ ص ٦٠٢، ٦٠٣، ابن الأثير : جـ٢ ص ٣٤٤.

٣) أدلة ميل هرقل إلى الإسلام

ظهر من استعراض موقف هرقل من الإسلام، أنه كانت عنده رغبه فيه، وميل إليه، ومما يبرز هذا الميل ويدل عليه، ما أثبتته النصوص من تعظيمه لكتاب الرسول- صلى الله عليه وسلم- إليه، ومن ذلك أنه جعله بين فخذه وخاصرته، كما عامل حامل الكتاب، ورسول رسول الله- صلي الله عليه وسلم- دحيه بن خليفة الكلبى، معاملة كريمة[1]، وعندما أزمع العودة،أجازه بمال ثياب[2].

ومن أدلة هذا الميل القوية، ما سنوضحه- فيما بعد- من انصرافه عن حرب النبى- صلى الله عليه وسلم- وتغاضيه عن تحرشات المسلمين بدولته، ليس هذا فحسب، بل إنه كان يصرف اتباعه وحلفاءه عن قتاله، وينهاهم عن ذلك، فقد أوردت المصادر أن الحارث بن شمر الغسانى أمير غسان[3]، عزم على قتال النبى صلى الله عليه وسلم- وأعد العدة لذلك، بعد وصول دعوة النبى- صلى الله عليه وسلم- له بالدخول فى الإسلام، فقد فهم أن هذه الدعوة وسيلة لأخذ الملك منه، وقال :(من ينزع منى ملكى؟» وقبل أن يسير إلى قتال

---

(١) الطبرى جـ٢ من ٦٤٦ إلى ٦٥١، ابن الأثير : جـ٢ من ص ١٤٣ إلى ١٤٥، ابن كثير: البداية والنهاية جـ٤ من ص ٢٦٢ إلى ٢٦٨.

(٢) الطبرى: المصدر السابق ص٦٤٢ وقد ذكر أن دحيه عند وصل إلى حسمى، قطع عليه الطريق ناس من جذام، واخذوا ما معه، وكان ذلك سببا فى خروج سريه زيد بن حارثة إلى هنا المكان. وسيأتى الحديث عنها.

(٣) أمير غسان عند ابن سعد، وملك تخوم الشام عند ابن هشام، وعامل هرقل على دمشق وأعمالها عند المسعودى، وملك البلقاء من أرض الشام عند النويرى. ابن سعد: أبو عبد الله محمد الطبقات الكبرى بيروت ١٩٥٧جـ١ ص٢٦١، ابن هشام : جـ٤ ص١٨٧، المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٢٤٣، النويرى: نهاية الأرب جـ١٨ ص١٦٥.

النبي- صلى الله عليه وسلم- كتب إلى هرقل يستأذنه- فقد كان تابعا له- فرد عليه :(ألا تسر إليه، واله عنه)[١].

٤) دواعي ميل هرقل إلى الإسلام :

إذا كان هرقل لم يعتنق الإسلام، فإن النصوص التاريخية تشير إلى ميله إلى تصديق النبي -صلى الله عليه وسلم- والإيمان بدعوته، وكانت دواعي هذا الميل مبنية على أدلة قاطعة من كتبهم المقدسة على نبوته، وبراهين ساطعة من سيرته وهديه- صلى الله عليه وسلم - على أنه رسول رب العالمين، وكان خاتم النبوة دليلا ماديا، لاينكره إلا جاحد مكابر.

ولم يكن هرقل بدعا -من بين الملوك والإمراء المعاصرين- في ميله إلى الاسلام، فهذا هو المقوقس الذى رد على النبي- صلى الله عليه وسلم- ردا جميلا وأهدى إليه[٢]، بل إن أحد نجاشيي الحبشة دخل الإسلام، ويدعى الأصحم أو أصحمة[٣]، ومما تجدر ملاحظته، أن هؤلاء الملوك كانوا من أهل الكتاب النصارى؛ لأن علمهم بالكتب المنزلة، جعلتهم أقرب إلى معرفة الحق قال الله تعالى :(ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لايستكبرون- وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين)[٤].

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى جـ١ ص٢٦١ (ط. بيروت)، النويرى: نهاية الأرب جـ١٨ ص١٦٥.

(٢) الطبرى : جـ٢ ص ٦٤٥، النويرى : جـ١٨ ص ١٦٤.

(٣) عند الطبرى الأصحم بن أبجر، وعند المسعودى أصحمة بن بحر. الطبرى : جـ٢ ص ٦٥٢، المسعودى: التنبيه والإشراف ص٢٤٢.

(٤) سورة المائدة : الأيتان (٨٢)، (٨٣).

وقـد يكون من دواعي-مـيل هرقل إلى الإسـلام، ودعـوة الروم إلى هذا الدين- كما ذكرت المصادر الإسلامية- سبب سياسي، وأنه رأى في هذا الدين- لو أقبلت الروم على اعتناقه- سبيلا إلى القضاء على الخلاف المذهبي، الذى قسم الإمبراطورية، وأضعفها، وقد أقدم على مايشبه هذا- فيما بعد- عندما أتى بمذهب جديد في النصرانية، لاعهد للنصارى به، هو مذهب (المونوثيليته) [1]، مخالفا بذلك المذهبين السائدين في إمبراطوريته (اليعاقبه والملكانيين) [2]، اعتقادا منه أن ذلك كفيل بالقضاء علي الانقسام المذهبي، ولكنه كان مخطئا في هذا الاعتقاد.

ولعل إقدام هرقل علي تغيير مذهبه، واعتناق مذهب جديد، لظروف سياسية، يجعلنا لانستبعد ميل هرقل إلى الإسلام، فالذى يغير مذهبه، من السهل عليه- كذلك- أن يغير دينه، وبخاصة إذا ثبت لديه صحة هذا الدين.

---

(١) الموثوثيليته: مذهب يقول بالإرادة الواحدة والمشيئة الواحدة للسيد المسيح عليه السلام، دون الالتفات إلى طبيعته. بتلر: د. ألفريد فتح العرب لمصر ترجمة محمد فريد أبو حديد تاريخ المصريين. (٢٧) الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٩م جـ١ص ١٢١، لويس: ص٧٧ . ٧٨.

(٢) مذهب اليعاقبه، ويقول بطبيعة واحدة إلهية للسيد المسيح عليه السلام،ويعرف - أيضا- بالمذهب (المونوفيسيتي) وكانت مصر وسوريا تعتنقان هذا المذهب،ومذهب الملكانيين، ويقول بطبيعتين إلهية وبشرية للسيد المسيح عليه السلام،ويعرف - أيضا بالمذهب (المونوثيلي) وكانت القسطنطينية وسائر أقاليم الإمبراطورية البيزنطية تعتنق هذا المذهب هسي ج.م. العالم البيزنطي ترجمة د.رأفت عبد الحميد الطبعة الثانية دار المعارف القاهرة ١٩٨٢م من ص١٠٥-١٠٧ والحاشية رقم (١٧).

٤) وقفة مع المصادر غير الإسلامية

لاتذكر المصادر غير الاسلامية- والبيزنطية منها بوجه خاص- شيئا عن موقف هرقل من الإسلام وميله إليه، وذلك لأسباب، منها تعصب المؤرخين العنصرى والدينى فى هذه الفترة،وقد فعلوا قريبا من ذلك، تجاه الفتوحات الإسلامية- فيما بعد- فتغاضت عن بعضها، أو ذكرتها ناقصة مبتورة(١).

وسكوت المصادر غير الإسلامية أو البيزنطية المعاصرة، عن موقف هرقل من نبى الإسلام، لاينال من صدق الوقائع التى أوردتها المصادر الإسلامية؛ وبخاصة أن من هذه المصادر من أوفى على الغاية فى تحرى التزام الرواة بالصدق- كالبخارى وغيره- ومن الإساءة البالغة إلى أنفسنا وإلى تاريخنا، أن نهمل ما ذكرته مصادرنا الإسلامية، أو نتشكك فيه؛ لأن المصادر الأخرى لم تذكرها أو تتعرض لها، وكأننا بذلك نحجب الثقة عن مؤرخينا المسلمين، ونحط من شأنهم، ونعطى هذه الثقة لغيرهم، ونرفع من قدرهم- كما يفعل بعض مؤرخينا المحدثين للأسف- وهو شعور بغيض بالدونيه مرفوض عقلا ودينا.

إن هذا الاتجاه فى تناول أحداث التاريخ الإسلامى، اتجاه جد خطير، لايجب التهوين من شأنه، لأنه يؤدى بنا- فى النهاية- أن نترك تراثنا وثقافتنا وهويتنا، ونتطفل على موائد الآخرين ومايجودون به علينا، وهو غاية مايتمناه أعداء حضارتنا وثقافتنا الإسلامية.

---

(١) يوسف : د. چوزيف تاريخ الدولة البيزنطية ص١١١ وقد نقل عن (أولمان) قوله . إنهم كانوا يكرهون فكره سرد هذه الأحداث- أحداث الفتح الاسلامى- و(أومان) مؤلف كتاب قصة الامبراطورية البيزنطية :

Oman. Ch, Story of the By Zantine Empire, New York, 1892.

هذا وقد سار معظم المؤرخين الأوربيين المحدثين، على نهج أسلافهم في التغاضي عن كل ما يعلى من أمر الإسلام، أو يظهر الاقبال عليه من معاصرى فترة النبوة؛ بل كانوا- فى بعض الأحيان- أكثر جرأه، فأنكروا مثل هذه الأشياء، ونالوا من المؤرخين المسلمين الأقدمين الذين ذكروها، ومن أوضح الأمثلة على ذلك فى موضوعنا، وهو ميل هرقل إلى الإسلام، ما ذكره المؤرخ الانجليزى (الفريد بتلر) من أن بعض مؤرخى العرب (استغل رد هرقل الحسن على رسالة النبى (صلى الله عليه وسلم) وخلق قصة منمقة سخيفة عجيبة، يذكر فيها إسلام هرقل، ولم يكن شئ أبعد من ذلك الأمر عنه، وماذا عسى كان يدفعه إلى تصديق ما أتى به زعيم عربى لايعرفه، وذلك فى حين كان ملكا سيد الكتائب الكثيرة) (١).

وإنه لمن مجاوزة الحق، والتجنى على تاريخنا الاسلامى- أيضا- أن نترك مثل هذه الوقائع؛ بحجة أنها أقرب إلى الأمور الدينية، وربما التوهم- كذلك - أنها تثير حساسية خاصة لدى الآخرين، فمثل هذه الأمور لها دور كبير فى كشف الحقائق، وتوضيح الصور، في فتره مثاليه- لاتتكرر- من تاريخ أمتنا الإسلامية، ومن الخطأ الفادح عدم ذكرها.

---

(١) فتح العرب لمصر جـ١ ص ١٢٨ وإذا كان لى من تعليق على كلمه (بتلر) فهو أنه فى استبعاده تصديق هرقل للنبى صلى الله عليه وسلم لايذكر عنه أنه نبى صاحب رسالة سماوية، وإنما هو زعيم عربى، وخلط بين السياسة والدين، عندما ذكر ملك هرقل وقوته، وكيف وهو بهذا الملك وهذه القوة، يتبع زعيما عربيا لايعرفه. ومقالته هذه المتعجرفة المتعالية تذكرنا بما قاله أسلافه، ردا على هرقل عندما دعاهم إلى الاسلام: (تدعونا إلى أن نذر النصرانيه أو نكون عبيدا لأعرابى جاء من الحجاز) ابن كثير : البداية والنهاية جـ٥ ص١٥.

٥) أثر موقف هرقل من الإسلام على الاحتكاكات الحربية مع المسلمين :

تذكر المصادر التاريخية، أنه لم يكن بين هرقل والمسلمين قتال- في عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلا ما كان في مؤته، واتسم موقفه العسكري بعد مؤته وحتى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، بالتراخي والقعود عن حرب المسلمين، على الرغم مما أبداه المسلمون له من صنوف التحدي والاستفزاز، التي كانت توجب الرد عليها، كما سيأتي.

ولم تذكر ما اطلعت عليه من المصادر والمراجع، تعليلا واضحا لهذا الأمر، فهل يكون تبرير ذلك ما ذكره أحد المؤرخين الدارسين لشخصية هرقل، من أنه «أبدى شخصية متناقضة، فيها البطء أحيانا، والسرعة أحيانا، وفيها الضعف والخور مرة، والإقدام والشجاعة مرات....وإن كنا لانجد لها التعليل الكافي؟»[١].

الواقع أن الاستعانة بهذا التبرير- في نظر البحث المنصف- فيه تجن على الحقائق، وعلى هرقل نفسه، الذي ذكرت المصادر أنه يعتبر أعظم من أنجبهم التاريخ البيزنطي، وقد تسلم الحكم والإمبراطورية حطاما من شتى النواحي،وقضى حوالي اثنتي عشرة سنة في إصلاح أحوالها، ثم اندفع في قتال شرس مستميت ضد الفرس، الذين استولوا على كثير من أقاليمها واستمر قتالهم مايزيد على ست سنوات (٦٢٢-٦٢٨م) وأدار الحرب معهم في شجاعة ومهارة حتى خلص الامبراطورية منهم، وتتبعهم حتى عاصمة ملكهم[٢]، ولم

---

(١) يوسف : د. چوزيف الدولة البيزنطية ١١٥.

(٢) لويس: القوى البحرية والتجارية ص٧٦، ٧٧، عاشور: د. سعيد أوربا العصور الوسطى جـ١ ص١٠٠، ١٠١.

يؤخذ على هرقل طوال هذه المدة مايمكن أن نصفه بالبطء أو الجبن، فهل طرأ ذلك عليه فجأه، بعد أن حدثت المناوشات العسكرية بينه وبين المسلمين، والتى كانت بعد عام واحد من انتهاء حروبه مع فارس؟

أما تبرير البحث لتراخى هرقل فى مواجهة المسلمين فى عهد النبى صلى الله علهي وسلم فهو أحد الأمرين:

الأول: ما ذكرته النصوص الإسلاميه، من ميل هرقل إلى تصديق النبى- صلى الله عليه وسلم- فقد كان من الطبعى- وقد علم هرقل صدقه- ألا يقدم على حربه، احتراما لقدره، وخوفا ورعبا من أن يناله مكروه، وقد عبر عن ذلك بنفسه، عندما كان يعرض على قومه كتاب النبى صلى الله عليه وسلم الذى يدعوهم إلى ثلاثة أمور: الاسلام أو الجزية أو الحرب، فقد قال لهم :«والله لقد عرفتم فيما تقرءون من الكتب لتؤخذن»[1] يعنى إذا حاربتموه.

ولذلك لم يكن بينه وبين المسلمين - فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم- حرب، إلا ما كان فى مؤته، وربما كانت الحرب فيها من باب مجاراة قومه، أو من باب تغليب الناحية السياسية على الناحية الدينية، كما غلبها فى عدم إسلامه، أو اضطر إلى ذلك.

الثانى: الحالة التي صارت إليها الامبراطوريه الرومية، بعد حروبها الطويلة مع الفرس والتى استمرت من سنة ٦١١م إلى سنة ٦٢٨م، فقد كانت دولة الروم دولة عظمى وقوة كبرى، بدليل انتصارها على دولة الفرس، التى كانت دولة قوية وعظيمة أيضا، واستمرت بعد هذا الانتصار على شئ من القوة- وبخاصة فى عهد هرقل- وكان عدد قواتها فى معركة مؤتة، والمعارك الأخرى التالية، كبيرا، ويفوق بكثير عدد القوات الإسلامية.

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية جـ٥ ص١٥.

وعلي الرغم من ذلك فقد أثرت معاركها مع الفرس تأثيرا بالغا على قوتها، وأدت تكاليف تلك المعارك الباهظة إلى سوء حالتها المالية، وأصبح جيشها في حاجة إلى عناصر قوية، يعوض بها مافقده في تلك الحروب، وأصابتها تلك الحروب - بلاشك -بشئ من الضعف والإعياء، وكانت في حاجة إلى فترة تسترد فيها عافيتها، وتداوى جراحها، وتستجمع قوتها (١)، ولكن معاركها مع المسلمين كانت أسرع إليها من تحقيق ذلك.

وإذا كانت كثرة الجند دليلا على قوة الدولة وتفوقها، ومؤشرا بانتصارها على أعدائها، فقد تخلف ذلك تماما في وضع دولة الروم مع المسلمين، ولم تؤد أعداد الروم الكثيرة إلى انتصارهم على المسلمين، بل انتصر المسلمون عليهم، علي الرغم من قلة عددهم، وكان أهم أسباب ذلك، أنه لم يكن لدى جند الروم ما لدى الجند الإسلامي، من قوة الإيمان، وصدق العزيمة ووحدة الهدف، والعزوف عن الدنيا، والرغبة فيما عند الله،والمصادر التاريخية حافلة بما يؤكد ذلك، تستوى في ذلك المصادر الإسلامية وغير الإسلامية، ومما نقل عن المؤرخين الروم المعاصرين لهذه الفترة،ما ذكر أن حاكما روميا في القرن السابع الميلادى، أرسل إليه الامبراطور (هرقل) يوبخه لعجزه عن صد المسلمين، فرد عليه هذا الحاكم قائلا : (إنهم أقل منا عددا، ولكن عربيا واحدا يعادل مائة من رجالنا؛ ذلك أنهم لايطمعون في شئ من لذات الدنيا، ويكتفون بالكساء البسيط،والغذاء القليل، هذا في الوقت الذى يرغبون فيه في الاستشهاد، لأنه أفضل طريق يوصلهم إلى الجنه، في حين نتعلق نحن بأهداف الحياة، ونخشى الموت، ياسيدى الامبراطور!) (٢).

---

(١) يوسف: تاريخ الدول البيزنطية ص١١٥.

(٢) عاشور : أوربا العصور الوسطى جـ١ ص١٢٠ نقلا عن :

Eyre : European Civilisation, vol, 111. pp. 63-64.

واعترف المؤرخ الرومي (جيفوند) الذى عاش فى القرن الثامن الميلادى (الثاني الهجرى) «بأن الحماسة التى بثها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومن بعده الصحابة، فى نفوس الجيوش الإسلامة المقاتلة، وحثها على الجهاد فى سبيل الله، للفوز بفردوس النعيم، وما جاء فى كتاب الله، من أن الإسلام هو دين العالمين، وأن رسالته يجب أن تبلغ إلى كافة البشر... دفع المقاتل المسلم إلى الاستشهاد فى سبيل نشر هذا الدين خارج الجزيرة العربية،والدفاع عنه،ومن هنا- كما يرى جيفوند- كان الجندى المسلم أشد حماسا وإيمانا فى خوض الحروب من الجندى البيزنطى»(١).

وبهذا كانت دولة الروم على ماتبقى لها من قوة - فى هذه الفترة- ضعيفة بالنسبة للدولة الاسلامية؛ بما عندها من طاقة روحية، وقوة إيمانية(٢).

وأخيرا فقد كان لموقف هرقل من الإسلام، أثر فى الاحتكاكات الحربية مع المسلمين، وترتب على ذلك تأكيد تفوق المسلمين على الروم فى موازين القوى بينهما.

ومما تجد ملاحظته أن عزوف هرقل عن حرب المسلمين، لم يحدث أمرا جديدا فى موازين القوى، ولكنه أكد وضعا قائما ، وهو التفوق الإسلامى فى تلك الموازين.

---

(١) يوسف : الإسلام والمسيحيه ص٥٣ نقلا عن :

Ghevond, Histoire des Guerres et des conquetes de Arabes en Armenie, p. 2.

(٢) وكيف لاتكون كذلك وفيها رسول الله-صلى الله عليه وسلم- الأسوة الحسنة، والسراج المنير، وعليه يتنزل الأمين جبريل بالوحى من رب العالمين.

أولاً: الاحتكاكات الحربية بين الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم

١) غزوة مؤتة [(١)]

كانت غزوة مؤتة أول لقاء مباشر بين المسلمين والروم، وذلك فى عام ٨هـ/ ٦٢٩م وهو العام التالى للعام الذى انتهت فيه الحروب الرومية الفارسية[(٢)].

أما أسباب هذه الغزوة، فتذكر المصادر التاريخية أن شرحبيل بن عمرو الغسانى[(٣)] قتل الحارث بن عمير الأزدى، الذى بعثه النبى- صلى الله عليه وسلم- رسولا إلى صاحب بصرى[(٤)]، حاملا إليه الدعوة إلي الاسلام[(٥)].

---

(١) مؤتة بالضم ثم واوا مهموزة، قرية من قرى البلقاء فى حدود الشام أو من مشارف الشام. الحموى: معجم البلدان جـ٥ ص٢١٩، ٢٢٠.

(٢) عاشور: أوربا العصور الوسطى جـ١ ص ١١٦ نقلا عن :

Cam: Med. Hist. Vol. 2, p. 231.

(٣) من أمراء الغساسنة بالشام، وقد أشار المسعودى إلى أنه كان قائد جيش متنصرة العرب من غسان وقضاعة وغيرهم في معركة مؤتة، ومن الجائز أنه كان أمير مؤتة- كما ذكرت بعض المراجع- وربما كان أميرها وأمير بلاد أخرى بجانبها ،وربما كانت مؤتة مجرد قاعدة لإمارته، حتى يتناسب ذلك ووضعه كأمير كبير، وإن كانت المصادر- التى بين يدى- خالية من الاشارة إلى شئ من ذلك انظر الطبرى :جـ٣ ص٣٦-٤٢ ،المسعودى: التنبيه والاشراف ص٢٤٦ ،ابن الأثير: جـ٢ من ص ١٥٩-١٦١ ، ابن كثير: البداية والنهاية جـ٤ من ص٢٤١-٢٦٠، سالم : د. السيد عبد العزيز تاريخ الدولة العربية مؤسسة الثقافية الجامعية الاسكندرية ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م ص١٣٢.

(٤) لم تذكر المصادر التى اطلعت عليه اسمه،واكتفت بصاحب بصرى أو عظيم بصرى، وبصرى: موضع بالشام من أعمال دمشق، وهى قصبة كورة حوران. الحموى: معجم البلدان جـ١ ص٤٤١ وانظر البخارى: صحيح البخارى جـ١ ص٦، الطبرى: جـ٢ ص٦٤٦، ٦٤٧، المسعودى: التنبيه والاشراف ص٢٤٦ ، ابن كثير: البداية والنهايه جـ٤ ص ٢٦٣.

(٥) المسعودى: التنبيه والاشراف ص٢٤٦.

كما أشارت بعض المصادر إلى قيام الروم بقتل عاملهم على معان[١] وماحولها ،وهو فروة بن عمرو الجذامى، بعد أن بلغهم إسلامه[٢].

وأعد المسلمون جيشا بلغت عدته ثلاثة آلاف؛ للرد على استفزازات الروم والقبائل العربيه المتحالفة معها، وتأمين الدعوة الإسلامية، وتحرك هذا الجيش صوب مؤتة؛ لتأديب. شرحبيل الغسانى وقد حشد الروم للقاء المسلمين مائة ألف مقاتل، كما كان هناك مائة ألف أخرى من القبائل العربية المتنصرة[٣]،ويرى بعض الباحثين أن هناك مبالغة فى عدم الروم وحلفائهم[٤]، وأيما كان الأمر فقد كان الروم وحلفاؤهم، أضعاف عدد المسلمين؛ لدرجة دفعت بعضهم إلى الإشارة بعدم القتال، حتى يكتبوا للنبى-صلى الله عليه وسلم- ولكن البعض الآخر، أشار بالقتال؛ لأن المسلمين لايحاربون عدوهم بعدد ولابعدة، ولكنهم يحاربون بالإيمان الذى يحملونه بين جوانحهم، وأنهم يسعون إلى الشهادة، فكيف يتركونها وقد واتتهم[٥]؟

---

(١) معان بالفتح مدينة بطرف بادية الشام تلقاء الحجاز من ناحية البلقاء.الحموى: معجم البلدان جـ٥ ص١٥٣.

(٢) ابن حزم الاندلسى: على بن أحمد جوامع السيرة تحقيق د. إحسان عباس ود.ناصر الدين الأسد مجموعة تراث الإسلام القاهرة ص٠ ٢٢ وعن إسلام فروة انظر ابن هشام جـ٤ ص ١٧٣، ١٧٤ ولم يحدد تاريخ إسلامه، وذكر ابن الاثير إسلام فروة فى حوادث السنه العاشرة من الهجرة،وعلى ذلك فماحدث نتيجة لإسلامه ليس من أسباب غزوة مؤتة التى كانت فى السنة الثامنة من الهجرة. انظر ابن الاثير جـ٢ ص٢٠٣.

(٣) ابن هشام: السيرة جـ٣ ص٢٦٠.

(٤) سالم: د. السيد تاريخ الدوله العربية ص ١٣٣ حاشية (٢).

(٥) ابن هشام: السيرة جـ٣ من ص ٢٦٠-٢٦٦، الطبرى: جـ٣ من ص٣٧-٤٢.

وقد انتصر الرأى الأخير، وكان قبول المسلمين الوقوف أمام هذه الكثرة الهائلة، وصمودهم، من أروع الأمثلة في الشجاعة والتضحية وقوة الإيمان، وقد اختلفت الروايات حول نتيجة هذه المعركة، فروايه ابن اسحاق- التى نقلها ابن هشام- أن خالدا انسحب بالجيش، بعد أن قتل القواد الثلاثه، زيد بن حارثه، وجعفر بن أبى طالب، وعبد الله بن رواحه، وقد نجح خالد فى تأمين الجيش خلال هذا الانسحاب، وقد حرص الرسول-صلى الله عليه وسلم- على ألا يؤثر ماحدث فى نفوس الجند، وعندما سمع من يطلق عليهم صفة الفرار، قال -عليه الصلاة والسلام- ليسوا بالفرار، ولكنهم الكرار إن شاء الله تعالى(١).

وهناك روايات تشير إلى انتصار المسلمين، من ذلك ما نقله ابن هشام عن الزهرى(٢)، وما أورده ابن كثير عن الواقدى وموسى بن عقبة(٣)، وكل روايات هؤلاء تشير إلى انتصار المسلمين فى هذه الغزوة، وهزيمة الروم وأكد ابن كثير انتصار المسلمين فى هذه الغزوة، بما ورد فى صحيح البخارى، من أن الرسول -صلى الله عليه وسلم - قال- بعد مقتل القواد الثلاثة :(إن الراية أخذها سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليه) (٤).

---

(١) ابن هشام : جـ٣ من ص ٢٦٠ إلى ص ٢٦٦، الطبرى : جـ٣ من ص ٣٧ إلى ص ٤٢.

(٢) ابن هشام: جـ٣ ص٢٦٧.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية جـ٤ ص٢٤٧.

(٤) البخارى: صحيح البخارى جـ٥ ص١٨٢.

وذهب بعض المؤرخين إلى أن فتح الله هنا، هو انقاذ الجيش الإسلامى، والعودة به سالما، وعلى رأس هؤلاء ابن اسحاق الذى ذكر أن إحاطة العدو بالمسلمين، وتكاثرهم عليهم، كانت كفيلة بالقضاء عليهم تماما، فلما تخلصوا منهم، كان ذلك غاية المرام فى هذا المقام، وهذا التأويل- كما قال ابن كثير- محتمل،ولكنه خلاف الظاهر من قوله صلى الله عليه وسلم (فتح الله عليه). =

وبما ورد قريبا من ذلك فى بعض كتب الحديث الأخرى، كالبيهقى والنسائى[١].

ولاشك أن اطلاق الرسول-صلى الله عليه وسلم- لقب سيف الله على خالد، كان لما أبداه فى هذه المعركة من حسن القيادة والمهارة العسكرية، ومن جهة أخرى فاطلاق هذا اللقب على خالد فى هذه المعركه، دليل انتصار المسلمين فيها، لأن اطلاق مثل هذه الألقاب، انما يكون فى حالات الانتصار لا فى حالة الهزيمة والانكسار[٢].

وذكر ابن كثير- فى معرض تأكيده على انتصار المسلمين فى هذه المعركة- أن هؤلاء الذين أطلق عليهم صفة الفرار،وأنكر النبى-صلى الله عليه وسلم- إطلاق هذه الصفه عليهم، ليسوا كل الجيش، وإنما كانوا أفرادا معدودين، هالهم الكثرة المخيفه لاعدائهم، فغادروا الميدان[٣].

= وأكد ابن كثير ذلك، بالنصوص الصريحه التى نقلها الواقدى. ومنها أن الروم (انكشفوا منهزمين، وقتل المسلمين، منهم مقتله لم يقتلها قوم)، وبالنصوص التى نقلها موسى بن عقبه فى مغازيه، ومنها : (فهزم الله العدو، وأظهر المسلمين). ابن كثير: البداية والنهاية جـ٤ ص٢٤٧، ٢٥٠.

(١) المصدر السابق ص ٢٤٦.

(٢) عبد القادر: د. عبد العزيز غنيم السيرة التحليلية مطبعة الحسين الإسلامية القاهرة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ص١٩٨.

(٣) وليس هذا من الفرار المنهى عنه، والذى يدخل تحت التولى يوم الزحف، وهو من أكبر الكبائر، وإنما هو من الانحياز إلى فئة المؤمنين. قال الله تعالى :(ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئه فقد باء بغضب من الله ومأواه جنهم وبئس المصير)- سورة الأنفال آية (١٦).

ولذلك عندما سألهم النبى-صلى الله عليه وسلم- (من أنتم؟ وقالوا: نحن الفرارون، قال لهم: لا بل انتم الكرارون،وأنا فئتكم، وأنا فئة المؤمنين) ابن كثير البداية والنهاية جـ٤ ص٢٤٨.

وجمع ابن كثير بين رواية ابن اسحاق والروايات الأخرى، بأن خالدا عندما تولى القيادة، خلص المسلمين من أيدي اعدائهم أولا، ثم أعاد ترتيب الجيش، وتغييرنظامه، وهاجم الاعداء الذين ظنوا أن مدد الحق بالمسلمين- ثانيا- وتمكن من هزيمتهم(١).

والحقيقة أن وقوف هذا العدد القليل- حتى لوأخذنا بروايه ابن اسحاق- أمام الكثرة الطاغية، وما أبداه المسلمون من صنوف الاقدام والبسالة(٢)، والروح الإيمانية العالية،وانسحابهم بصورة مشرفة، وبدون خسائر كبيرة(٣)، يقلل كثيرا من قيمة الانتصار الذى أحرزه الروم، بل إن ابن اسحاق - نفسه- جعل ما أتمه المسلمون فى هذه المعركة، فتحا ونصرا؛ لأن كثرة العدو، وإحاطته بهم كانت كفيلة بالقضاء المبرم عليهم، فلما تخلصوا منهم، كان ذلك نجاحا ونصرا(٤).

كما أفقد هذا النصر قيمته- لو سلمنا أن هناك نصرا للروم- ما ترتب عليه، ونتج عنه، من إحجام الروم وأعوانهم عن متابعه المسلمين بعد المعركة، على الرغم من كثرتهم الواضحة، وقلة عدد المسلمين، وتوقف الروم عن مهاجمة

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أذكر فى هذا الصدد ما أوردته كتب السيره من أن جعفر بن أبى طالب أخذ اللواء بيمينه فقطعت، فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه حتى قتل رضى الله عنه، وما ورد من أن خالد بن الوليد قال: لقد دق فى يدى يوم مؤتة تسعة أسياف، فما بقى فى يدى إلا صفيحه يمانية.ابن هشام : السيرة جـ٣ ص١٦٣، البخارى: صحيح البخارى جـ٥ص١٨٣.

(٣) لم يزد الشهداء فى هذه المعركة عن اثنى عشر شهيدا، على أكثر تقدير. ابن هشام: السيرة جـ٣ ص ٢٧٠-٢٧١.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية جـ٤ ص٢٥٠.

الحدود الاسلامية، وعدم تحرشهم بالمسلمين، حتى غزوة تبوك، ولعل ذلك يؤكد أن نتيجة المعركة، كانت فى صالح المسلمين.

وأخيراً لو أخذنا برواية القائلين بانتصار الروم فى مؤتة، فإن هذا الانتصار لايدل على تفوقهم فى موازين القوى بينهم وبين المسلمين؛ لأن المسلمين فوجئوا بهذا العدد الضخم من الروم وأعوانهم فى مؤتة، ولم يعدوا لهذا الأمر عدته، ومن جهة أخرى، فإن المسلمين- بعد شهر واحد من هذه المعركة- حاربوا جموع الروم ومتنصرة العرب فى ذات السلاسل، وذلك فى جمادي الآخرة من السنة الثامنة من الهجرة(٦٢٩م) [١]، وكان قائد جيش المسلمين عمرو بن العاص، وانتصر المسلمون، وشتتوا قوات أعدائهم[٢].

ومما يدل- أيضا- على أن موازين القوى لم تكن فى صالح الروم، وكانت فى صالح المسلمين، غزوة تبوك[٣]، فى العام التالى لغزوة مؤتة.

أما جمع الروم لهذا العدد الكبير من القوات فى مؤتة، فله - فى نظر البحث- ظروفه الخاصة، فقد تم ذلك فى عام الاحتفالات الكبرى بانتصارهم على الفرس، وفى هذا العام- ٦٢٩م/٨هـ[٤]- دخل (هرقل) بيت المقدس دخول الظافرين، وأعاد صليب الصلبوت، الذى كان الفرس قد انتزعوه، عندما استولوا على المدينة سنة ٦١٤م[٥].

---

(١) ابن هشام : جـ٤ ص٢٠١، الطبرى: جـ٣ ص٣١، ٣٢، المسعودى: التنبيه والإشراف مكتبة الهلال بيروت ١٩٨١م ص ٢٤٧.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية جـ٤ ص٢٧٣، ٢٧٤.

(٣) تبوك: موضع بين وادي القرى والشام، وهي بين جبل حسمى وجبل شرورى، وحسمى في غربيها، وشرورى فى شرقيها. الحموى جـ٢ ص١٤.

(٤) هسى: العالم البيزنطى ص١٢٣، بتلر: د. ألفريد. فتح العرب لمصر ١٠ ص١١٦.

(٥) هسى المرجع السابق، بتلر: المرجع السابق من ص١١٦-١١٩.

وصاحب هذه الاحتفالات، حماس شديد، وحمية دينية قوية، وتأثر كبير بلغ حد بكاء الجميع، وفى هذا الجو المشحون بالعواطف الدينية،والانفعالات، كان تقدم جيش المسلمين إلى مؤتة[1]، فكان من الميسور- وسط هذا الجو- جمع الجند الكثير، وتوجيههم لضرب المسلمين، فى وقت لم تكن العواقب السيئة لحروبهم مع الفرس قد ظهرت بعد.

٢) غزوة تبوك

كانت هذه الغزوة سنة تسع من الهجرة (٦٣٠م)، وذكر البلاذرى في سبب هذه الغزوة، أن الرسول-صلى الله عليه وسلم- بلغه تجمع الروم، وبعض القبائل المتحالفة معهم فى تبوك؛ للكيد للمسلمين، فأمر بإعداد جيش لحربهم، على الرغم من أن الوقت كان وقت عسر وضيق وحر شديد، وفاق هذا الجيش فى عدده، الجيوش السابقة التى أرسلت إلى شمال الحجاز؛ إذ كان عدده يزيد على ثلاثين ألفا، وعرف هذا الجيش بجيش العسرة، نظرا للظروف القاسية التى تم إعداده فيها، ولما وصل هذا الجيش إلى تبوك، لم يجد أحدا، وصالحه أهل تبوك على الجزية[2].

ومن المحتمل أن يكون وصول الجيش السريع، أربك الروم وأعوانهم؛ فقد ظنوا المسلمين- فى هذا الحر الشديد والظروف العصبية- لن يقدموا على حربهم بهذه السرعة،ولم يتوقعوا أن يقبل هذا العدد الضخم من المسلمين، فآثروا الانسحاب، وبخاصة بعدما رأوا بسالة المسلمين وإقدامهم فى مؤتة وغيرها،

---

(١) بتلر: المرجع السابق ص ١٢٨.

(٢) البلاذرى: أبو الحسن أحمد بن يحيى. فتوح البلدان. دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ص٧١، وانظر ابن هشام: السيرة جـ٤ ص١٠٨.

وهذا ما أشار إليه البلاذرى؛ حيث ذكر أنه عندما سار الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى تبوك، هاب محاربته الأعداء، فلم يلق منهم كيدا، وأن رسل هرقل أتته- وهو بتبوك- فكساهم وردهم[١].

والحقيقة أن رد فعل الروم وأعوانهم، تجاه خروج المسلمين إلى تبوك، تجعلنا نتردد كثيرا فى قبول رواية تجمع الروم وحلفائهم لقتال المسلمين،وأن ذلك كان سبب غزوة تبوك، ومن جهة أخرى، فالظروف السيئة التى كانت تمر بها دولة الروم، بعد حروبها مع الفرس- وقد سبق الحديث عنها- لم تكن تسمح لها القيام بعمل عسكرى.

ويضاف إلى ذلك،أن بعض المؤرخين الكبار، كابن هشام والطبرى والمسعودى[٢]، لم يتعرضوا - عند حديثهم عن هذه الغزوة- لذكر تجمع الروم وحلفائهم، مما يدل على أن ذلك لم يثبت عندهم، وكان خروج المسلمين فى هذه الغزوة- عندهم- فى إطار الدعوة إلى الإسلام، والتمكين له فى الأرض، وكان هذا- وحده- سببا كافيا للقيام بهذه الغزوة، وقد ذكر ابن كثير ذلك صراحة، فى بداية حديثه عن هذه الغزوة[٣].

---

(١) البلاذرى: أنساب الاشراف جـ١ ص٣٦٨.

(٢) ابن هشام: السيرة جـ٤ ص١٠٨، الطبرى : جـ٣ ص١٠١، المسعودى: التنبيه والإشراف ص٢٥١.

(٣) وقد صدر حديثه عنها بالآيتين الكريمتين:

{يأيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلايقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا، وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم.قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولايحرمون ما حرم الله ورسوله، ولايدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون} [التوبة الآيتان (٢٨)، (٢٩)] =

وإذا كان الهدف من خروج المسلمين فى هذه الغزوة، الدعوة للاسلام، كان ذلك دليلا على ثقتهم بأنفسهم، وإيمانهم بالقدرة على تحقيق هذا الهدف، وكان- أيضا- دليلا على تفوقهم فى موازين القوى بينهم وبين الروم، ومما يؤكد ذلك، أن الرسول-صلى الله عليه وسلم- ما إن أقام بتبوك حتى بعث إلى (هرقل) يدعوه إلى الإسلام، وكان مقيما- آنئذ- بحمص، وقيل دمشق[1]، وليس بينهما سوى عدة أميال.

وفى أثناء إقامته -صلى الله عليه وسلم- بتبوك[2]- عقد معاهدات مع سكان الحدود بين الجزيرة العربية والشام،وكتب بذلك كتبا لصاحب أيلة[3]،

= وقال ابن كثير: (إن الآية الثانية تدعو إلى قتال أهل الكتاب، حتى يسلموا أو يعطوا الجزية، وفى ذلك تعويض قريش عما فاتها من تجارة، كانت فى موسم الحج، بعد أن منع المشركون من قربان المسجد الحرام، وقد عزم الرسول-صلى الله عليه وسلم- على قتال الروم؛ لأنهم أقرب الناس إليه، وأولى الناس بالدعوة إلى الحق، لقربهم من الإسلام وأهله، وقد قال الله -تعالى-:(يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار، وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين) (التوبة الآية -١٢٣) البداية والنهاية جـ٥ ص٢.

(١) المسعودى: التنبيه والإشراف ص٢٥٢، ابن كثير: البداية والنهاية جـ٥ ص١٥.

(٢) ذكر ابن هشام أنه- صلى الله عليه وسلم- أقام بتبوك بضع عشرة ليله لم يجاوزها. السيرة جـ٤ ص١١٨ بينما ذكر الواقدى أنه-صلى الله عليه وسلم- أنه أقام شهرين. مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم ص٣٤١، وطول الإقامة دليل الثقة بالنفس والقوة.

(٣) أيلة مدينة بين الفسطاط ومكة على شاطئ بحر القلزم، سميت بأيلة بنت مدين بن إبراهيم عليه السلام. الحموى : جـ١ ص٢٩٢.

وأهل جربا ء[١]، وأذرح[٢]، ومقنا[٣] ودومـة الجندل على الأمـان ودفع الجزية[٤]، وبذلك خضع شمال الحجاز والبادية لدولة الاسلام،وكان وصول النفوذ الإسـلامى لهـذه المناطق، المجاورة للمناطق الخـاضـعـة للنفـوذ الرومى،والموقف السلبى للروم، دليلا آخر على التفوق الاسلامى فى موازين القوى مع الروم.

٣) مابعد غزوة تبوك

كانت آخر سرية خرجت إلى بلاد الشام- حيث النفوذ الرومى- فى عـهد النبى- صلى الله عليه وسلم- تلك السرية التى ذهبت إلى (يبنى وأزدود) من أرض فلسطين من بلاد الشام، وذلك سنة ١٠هـ (٦٣١م) وكان قائد هذه السرية أسامة بن زيد[٥].

---

(١) جربا ء: موضع من أعمال عمان بالبلقاء من أرض الشام، قرب جبل السراة من ناحية الحجاز. الحموى: جـ٢ ص١١٨.

(٢) أذرح: بلد فى أطراف الشام من أعمال الشراه، ثم من نواحى البلقاء. الحموى : جـ١ ص١٢٩.

(٣) مقنا: بلد قرب أيلة. الحموى: جـ٥ ص١٧٨.

(٤) ابن هشام : جـ٤ ص١١٧، ١١٨، البلاذرى: فتوح البلدان ص٧١، ولعل هذا- فى نظر البحث- أغنى الرسول- صلى الله عليه وسلم- عن ترك جزء من قواته فى هذه المناطق لإثبات النفوذ والسيادة، التى لم تكن مقصوده لذاتها فى تلك الفترة المباركة، وانما الهدف منها التمكين لدين الله فى الأرض ونشره.

بالإضافة إلى ذلك، كانت الدولة الاسلامية فى بدايتها الأولى، ولم تكن من عادتها أن تنشر قواتها كحاميات فى مناطق متفرقة، فضلا عن ظروف الدولة الاسلامية الخاصة، وحاجتها لمثل هذه القوات فى مهام أخرى تنتظرها، وكان ذلك أولى- لديها فى هذه الآونه- من بقاء هذه القوات فى مناطق بعيدة، لم يتهيأ الجند الاسلامى للإقامة فيها.

(٥) المسعودى: التنبيه والاشراف ص٢٥٤.

وقبل انتقال الرسول-صلى الله عليه وسلم- إلى الرفيق الأعلى، اختار أسامة بن زيد- أيضا- لقياده الجيش المتجه إلى بلاد البلقاء وأذرعات والداروم ومؤتة من أرض فلسطين من الشام[١]، وكان الغرض من هذه الحملة، التمكين للدعوة الإسلامية، ونشر الإسلام، والثأر لشهداء المسلمين في مؤتة،وتأديب الغساسنة والعرب المتنصرين والروم، ولم تخرج سرية أسامة فى عهد النبى- صلى الله عليه وسلم- وإنما خرجت فى خلافة أبى بكر- رضى الله عنه- وعادت بعد أن حققت أغراضها، سالمة غانمة[٢].

وبهذا ظهر لنا، أن الاحتكاكات الحربية بين المسلمين والروم، بعد غزوة مؤتة وحتى وفاة النبى-صلى الله عليه وسلم- تؤكد تفوق المسلمين فى موازين القوى على الروم فى هذه الفترة.

ومما يؤكد هذا التفوق- أيضا- مايلى :

أ) أن المناوشات بين المسلمين والروم، فى عهد النبى -صلى الله عليه وسلم- كان الجانب الاسلامى هو البادئ بإرسال الجيوش، التى تقدمت نحو الشام وتخومها، بينما لم يتقدم الروم أو حلفاؤهم ناحية المدينة أوالحجاز، وليست الطبيعة الصحراوية القاسيه هى العائق وحدها، فعبور هذه الصحراوات صعب، ولكنه غير مستحيل، ثم إنه كان من حلفائهم العرب من يمكنهم أن يقدموا لهم المساعدة، أو يقوموا عنهم بذلك العمل.

ب) لم يصدر عن دولة الروم أى رد فعل قوى، إزاء تحركات المسلمين على أطراف الشام منذ غزوة مؤتة، وقد تقدم جيش المسلمين إلى تبوك،

---

(١) ابن هشام: السيرة جـ٤ ص١٨٦، المسعودى: التنبيه والإشراف ص٢٥٧.

(٢) الطبرى : جـ٣ من ص ٢٢٥-٢٢٧.

وأقاموا بها بضعة عشر يوما في رواية[١]، وشهرين في رواية أخرى[٢]، وفي هذه الإقامة مافيها من التحدى.

جـ) في غزوة تبوك، لم يكتف المسلمون بمجرد الإقامة في تبوك، بل كانوا يعملون على تثبيت نفوذهم في هذه المنطقة من تبوك وماحولها، بعقد المعاهدات مع أهلها، واستخدموا القوة العسكرية لتحقيق ذلك مع دومة الجندل، الذي أرسل النبي-صلى الله عليه وسلم- إليها سرية بقيادة خالد بن الوليد، أجبرت ملكها على الدخول في عهد المسلمين[٣]، ويدعى (أكيدر بن عبد الملك) وكان نصرانيا وله صلات بالروم، وهذا خير دليل على ضعف دولة الروم أمام المسلمين، فالدولة القوية ترفض أن تزاحمها دولة أخرى، في منطقة نفوذها أو ما اقترب منها.

د) وفي تبوك- أيضا- كانت دعوة (هرقل) إلى الاسلام، أكثر دلالة على ضعف دولة الروم، واذا كان الرسول-صلى الله عليه وسلم- بدعوته هرقل إلي الإسلام، ينفذ أمرا دينيا، ولايبغي من وراء ذلك عائدا ماليا أو سياسيا أو غير ذلك من أمور الدنيا؛ فإنه من وجهة النظر غير الإسلامية تعني هذه الدعوة التبعية والخضوع، ولذلك عندما دعا هرقل قومه للإسلام- كما ذكر الطبري- قالوا له :(نحن نكون تحت يدى العرب، ونحن أعظم الناس ملكا)[٤]، ومن وجهة النظر هذه، كان تصرف كسرى ملك الفرس الغاضب تجاه رسالة النبي-صلى الله عليه وسلم- والتي سبق الحديث عنها.

---

(١) ابن هشام: السيرة جـ٤ ص١١٨.

(٢) الواقدى: مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم ص٣٤١.

(٣) ابن هشام : جـ٤ ص١١٧، ١١٨، الطبرى : جـ٣ ص١٠٨، ١٠٩.

(٤) الطبرى: جـ٢ ص٦٥١، ابن كثير: البداية والنهاية جـ٥ ص١٥.

وختاما، فقد أبان البحث عن ميل (هرقل) امبراطور الروم، إلى الاسلام بعد رسالة النبى -صلى الله عليه وسلم- إليه الأولى- اعتمادا على المصادر الإسلامية- ولكنه لم يدخل الإسلام- كما أشارت تلك المصادر- خوفا على ملكه أن يضيع منه، وخوفا على نفسه، وقد ساق البحث من الأدلة ما أوضح هذا الميل وأكده.

وقد برر البحث تراخى هرقل عن الرد على أعمال المسلمين العسكرية ضده بأحد أمرين :

الأول: ميله إلى الاسلام، **والثانى** الآثار السلبية لحرب الروم الطويلة مع الفرس، وبخاصة فى الناحية العسكرية، وقد أدى تراخى هرقل فى مجابهة المسلمين عسكريا إلى تأكيد وضع قائم بالفعل، وهو تفوق المسلمين على الروم في موازين القوى.

وأظهر البحث أن الاحتكاكات الحربية بين الطرفين الاسلامى والرومى، أكدت- كذلك- التفوق الإسلامى، ابتداءمن غزوة مؤتة، التى أثبت البحث- بالنصوص التاريخية والأدلة العقلية- أنها كانت تفوقا للجانب الإسلامى، كما كانت تبوك ومابعدها من تحركات عسكرية تأكيدا واضحا على التفوق الإسلامى.

ومن الممكن-أيضا- اعتبار دعوة هرقل إلى الإسلام، من الأدلة على التفوق الإسلامى، وبخاصة عندما وجه النبى-صلى الله عليه وسلم- له هذه الدعوة وهو فى تبوك، فهذه الدعوة، وإن كانت دينية خالصة لوجه الله تعالى، فإنها من وجهة نظر أخرى، كانت تعنى الدعوة إلى التبعية والخضوع.

هذا وبالله التوفيق، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر :

ابن الأثير: أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد (ت ٦٣٠هـ)

١- الكامل فى التاريخ. دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م

البخارى : أبو عبد الله محمد بن اسماعيل (ت٢٥٦هـ)

٢- صحيح البخارى. كتاب الشعب (٥٧) مطابع الشعب القاهرة ١٣٧٨هـ.

البلاذرى: أبو الحسن أحمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)

٣- فتوح البلدان. دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م

٤- أنساب الأشراف تحقيق د. محمد حميد الله معهد المخطوطات العربية ودار المعارف القاهرة ١٩٥٩م.

ابن حزم: على بن أحمد (ت ٤٥٦هـ)

٥- جوامع السيرة تحقيق د. إحسان عباس ود. ناصر الدين الأسد. مجموعة تراث الإسلام القاهرة.

الحموى: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ/٢٢٨م)

٦- معجم البلدان. دار إحياء التراث العربى. بيروت بدون تاريخ.

ابن سعد: أبو عبد الله محمد (ت٢٣٠هـ)

٧- الطبقات الكبرى. القاهرة ١٩٦٨م.

الطبرى: أبو جعفر محمد بن جرير بن زيد (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)

٨- تاريخ الرسل والملوك تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة الثانية دار المعارف القاهرة ١٩٧٦م.

القزوينى: زكريا بن محمد

٩- آثار البلاد وأخبار العباد. دار صادر بيروت بدون تاريخ.

ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ)

١٠- البداية والنهاية. الطبعة الأولى. دار الفكر العربى القاهرة ١٣٥١هـ/١٩٣٣م.

المسعودى: أبو الحسن على بن الحسين (ت ٣٤٦هـ)

١١- التنبيه والإشراف. دار التراث بيروت ١٩٦٨م.

ونسخة أخرى دار الهلال بيروت ١٩٨١م.

المقرى الفيومى: أحمد بن محمد بن على (ت ٧٧٠هـ)

١٢- المصباح المنير. الطبعة الأولى المطبعة العلمية القاهرة ١٣١٥هـ

النويرى: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ)

١٣- نهاية الأرب فى فنون الأدب جـ١ نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب. وزارة الثقافة والارشاد القومى القاهرة ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م.

ابن هشام: أبو محمد عبد الملك بن هشام (ت ٢١٣هـ)

١٤- السيرة. تحقيق د. محمد فهمى السرجانى. المكتبة التوفيقية القاهرة بدون تاريخ

الواقدى: أبو عبد الله محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ)

١٥- مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم. الطبعة الأولى القاهرة ١٩٤٨م.

اليعقوبى: أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر (ت ٢٨٤هـ)

١٦- تاريخ اليعقوبى. دار صادر. بيروت. بدون تاريخ.

ثانياً: المراجع :

أمين: د. أحمد أمين

١٧- فجر الإسلام. الطبعة العاشرة مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٥م.

بتلر: د. ألفريد .ج

١٨- فتح العرب لمصر ترجمة محمد فريد أبو حديد تاريخ المصريين (١٧) الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٩م.

سالم: د. السيد عبد العزيز

١٩- تاريخ الدولة العربية. مؤسسة الثقافة الجامعية الاسكندرية ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م

عاشور: د. سعيد عبد الفتاح

٢- أوربا العصور الوسطى. الطبعة الأولى مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٨م.

عبد القادر: د. عبد العزيز غنيم

٢١- السيرة التحليلية مطبعة الحسين الإسلامية القاهرة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م

لويس: أرشيبالد.ر

٢٢- القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط. ترجمة أحمد محمد عيسى. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة ١٩٥٦م.

هسى: ج.م.

٢٣- العالم البيزنطى ترجمة د. رأفت عبد الحميد الطبعة الثانية. دار المعارف- القاهرة ١٩٨٢م.

يوسف: د. جوزيف نسيم

٢٤- تاريخ الدولة البيزنطية. دار المعرفة الجامعية الاسكندرية ١٩٨٨م.

٢٥- الاسلام والمسيحيه. دار الفكر الجامعى. الطبعة الأولى الاسكندرية ١٩٨٦م.

جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية
بإيتاى البارود

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم أنيس
آراؤه البلاغية تحليل ونقد

إعداد
د/ سلامه جمعه داود
مدرس في قسم البلاغة والنقد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى أوتى جوامع الكلم، فكان أفصح العرب لسانا، وأحسنهم بيانا، وأفضلهم منطقا، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

وبعــــد،،

فإنه لم يلق علم من علوم العربية من ظلم أهله له واستخفافهم به مثل مالقى علم البلاغة، وليس هذا فى عصرنا فحسب، بل كان هذا هو الطابع الغالب على كثير من القرون الماضية، حتى صرف كثير من الناس عن البحث فى أسرار البلاغة من أبواب كثيرة وبسبل شتى، قال الإمام عبد القاهر: «إنك لن ترى - على ذلك - نوعا من العلم قد لَقِىَ من الضَّيْمِ مالقِيَه، ومُنِىَ من الحَيْفِ بما مُنِىَ به، ودخل على الناس من الغلط فى معناه مادخل عليهم فيه»[١]، وقال العلوى عن هذا العلم إنه «لما فيه من الغموض ودقة الرموز، واحتوائه على الأسرار والكنوز، استولت عليه يَدُ النسيان والذهول، وآلت نجومُه وشموسُه إلى الانكساف والأفول، ولم يختص بإحرازه من العلماء إلا واحد بعد واحد، وطالما قيل «إذا عَظُمَ المطلوبُ قَلَّ المُسَاعد»، وما ذاك إلا لقصور الهمم عن بلوغ غاياته ، وعجزها عن إدراكه والوصول إلى نهاياته»[٢].

---

(١) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجانى : ص٦ بتحقيق الأستاذ العلامة / محمود محمد شاكر . نشر مكتبة الخانجى بالقاهرة.

(٢) كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم الإعجاز للإمام يحيى بن حمزة العلوى: ص٣ ، ٤ ط / دار الكتب العلمية ط / أولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م طبعة كاملة فى مجلد واحد.

وفى عصرنا الحديث كثرت ألسنة القادحين فى البلاغة العربية خاصة وفى علوم اللغة عامة، ولم يصدر هذا القدح من عامة الناس فقط، بل صدر من كثير من خاصتهم، حتى صارت الاستهانة بالبلاغة وبعلوم اللغة بضاعة رائجة فى كل سوق، وسلعة متداولة فى كل محفل، **«والاستهانة داء وبيل يطمس الطرق المؤدية إلى العلم والفهم»**[١].

ولم يعد غريبا فى هذا العصر أن نسمع المعابة والطعن فى البلاغة العربية من نفر من الأساتذة الذين لكلامهم فى نفوس كثير من طلاب العلم الأثر النافذ، والتسليم المطلق، والسمع والطاعة، مع الرضا والقناعة، وتلك آفة مايمكن أن يبتلى به علم من العلوم، أو أمة من الأمم!

ومن هنا وجب مراجعة كثير مما كتبه الأعلام فى عصرنا الحديث، مراجعة لاتتحسس الأخطاء بغرض الشهرة وذيوع الصيت ونباهة الذكر ، بل بقصد الأمانة العلمية ، والدفاع الحر، والنقد العلمى السديد الذى ينسب الحق إلى أصحابه، ويكشف عن قيمة العمل بأمانة وتجرد.

وهذه التنبيهات التى تقوم حركة العلم، ضرورة لايستقيم العلم إلا بها، وهى المنهج الذى درج عليه علماء هذه الأمة فى تأسيس علومهم، فما من عصر من العصور أو علم من العلوم إلا وفيه كتب مفردة تعالج هذا الجانب الخطير، وتحفظ للعلم أمانته التى استودعها الله ضمائر العلماء.

والدكتور/ إبراهيم أنيس = (كان أستاذا كبيرا بكلية دار العلوم، وعميدا لها، وعضوا بارزاً فى مجمع اللغة العربية لفترة طويلة تزيد على عشرين سنة) = علم من أعلام الثقافة العربية فى العصر الحديث ، كانت

---

(١) مقدمة تحقيق الأستاذ/ محمود محمد شاكر لكتاب أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجانى : ٢١ مطبعة المدنى ط/ أولى ١٤١٢هـ = ١٩٩١م.

له كثير من الآراء في الدراسات اللغوية، وله في نفوس أهل العلم مكانة كبيرة، ولا أدل على ذلك من كلمة قالها الأديب الكبير الأستاذ/ عباس محمود العقاد تشهد للدكتور إبراهيم بالنبوغ والبراعة، قال العقاد: **«إنى دائما أتتبع بحوث الدكتور إبراهيم أنيس؛ لأنها من نوع جديد في اللغة العربية»**(١).

وكان الدكتور إبراهيم - رحمه الله - من المبرزين من علماء عصره في علم اللغة وأصواتها ومعاجمها ولهجاتها، وترك في هذا الميدان تراثاً علمياً كبيراً، أثنى عليه أهل ذلك العلم، وانتفع به الباحثون وقدروه حق قدره .

ومن أكثر مؤلفات الدكتور شيوعا وذكراً كتابه **«من أسرار اللغة»** ، ومع هذه الشهرة التي حظي بها الكتاب إلا أنني وجدت فيه كثيرا من الآراء في النحو والبلاغة تحتاج إلى نظر، لما فيها من هجوم شنيع على علماء هذين العلمين الشريفين .

والحق أني عجبت أشد العجب مما قرأته في هذا الكتاب، وكثرت الأسئلة في نفسي، كيف يقول الدكتور إبراهيم هذا - وهو من هو شهرة ومكانة في المحافل العلمية.

على أن هذه الآراء والاجتهادات أثارت حمية كثير من أهل العلم في مصر، فرد عليه الدكتور/ محمد حسن جبل (عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة) بعض آرائه في اللغة والنحو في كتاب رائع بعنوان : «أصالة الإعراب ودلالته على المعاني في اللغة العربية»(٢).

---

(١) محاضر جلسات المجمع في الدورة العشرين: ص ٤٢٥ بإشراف أ/ محمد شوقي أمين، عضو المجمع ط/ المطابع الأميرية ١٩٧٨م.

(٢) ينظر أصالة الإعراب ودلالته على المعاني في اللغة العربية د/ محمد حسن جبل، ط/ مطبعة التركي بطنطا ١٤١٤هـ=١٩٩٣م.

وبقيت الآراء البلاغية التى نشرها الدكتور/ إبراهيم فى هذا الكتاب دون أن يتعرض للرد عليها أحد- فيما أعلم- اللهم إلا وقفات عجلى، فى مؤلفات بعض المعاصرين من علماء البلاغة، ومنها تلك الصفحات المضيئة لتى كتبها شيخنا الأستاذ الدكتور/ محمد أبو موسى فى الرد على رأى الدكتور/ إبراهيم الذى أنكر فيه دلالة النفى والاستثناء و «إنما» على القصر(١).

ومنها تلك الوقفة البلاغية اللطيفة التى صوب فيها شيخنا الأستاذ الدكتور/ صباح عبيد دراز رأى الدكتور إبراهيم الذى يذهب فيه إلى أن الجملة الخبرية المنفية فى قوة نقيضها المثبت، فقولك : أنت لاتكذب - فى رأى الدكتور إبراهيم - فى قوة قولك : أنت تصدق(٢).

أما بقية هذه (الآراء البلاغية) التى أثارها كتاب «من أسرار اللغة» فلم أقف لأحد فيها على شئ، ولذا عزمت على جمعها وتحريرها، ونقد مايخالف منها أصول البلاغيين ومقرراتهم .

وفي هذا البحث الصغير أوجزت الآراء البلاغية الجديدة للدكتور/ إبراهيم أنيس فى أحد عشر رأياً، حللتها وبينت مواضع السهو فيها، مع اعترافى له بسابق فضله، ورسوخ قدمه، وسعة علمه، وجزيل عطائه في خدمة العربية، والدفاع عنها، والتنقيب فى كنوزها إلى آخر لحظة من عمره.

---

(١) ينظر دلالات التراكيب د. محمد أبو موسى : ص١٣٠ - ١٣٨، ص ١٦٢ - ١٦٥، ط. دار التضامن ، ط. ثالثة ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، نشر مكتبة وهبة.

(٢) ينظر دراسات بلاغية د. صباح عبيد دراز : ص ٢٣٥ ، ط . عام ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يرزقنا السداد فى القول والعمل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد النبى العربى الكريم، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

سلامه جمعه على داود

مدرس فى قسم البلاغة والنقد

الجمعة ٢ رجب ١٤١٩هـ

٢٣ أكتوبر ١٩٩٨م

* * * * * * * * * * * * *

تمهيد

الدكتور/ إبراهيم أنيس *

(١٩٠٦-١٩٧٧م)

ولد الدكتور إبراهيم أنيس فى القاهرة عام ١٩٠٦م، فلما بلغ المدرسة التجهيزية التى كانت ملحقة بدار العلوم دخلها، وأتم الدراسة فيها، ثم دخل دار العلوم، وتخرج بها عام ١٩٣٠، وتولى التدريس فى بعض المدارس الثانوية، ثم كانت مسابقة دعت إليها وزارة المعارف لاختيار بعثة دراسية إلى أوربا، فاستبق فيها مع المستبقين، وفاز بالبعثة إلى إنجلترا.

وفيما بين عامى ١٩٣٣ و ١٩٤١ حصل من جامعة لندن على درجتى (بكالوريوس الشرف فى الآداب، ثم دكتوراه الفلسفة فى الدراسات اللغوية والسامية)، وفى (لندن) أكبر أعضاء النادى المصرى شخصه، وقدروا مواهبه فانتخبوه رئيسا لناديهم، يدير أعماله وشئونه. وعاد إلى مصر فحاضر فى «دار العلوم» ثم فى «كلية الآداب بجامعة الإسكندرية»، ثم عاد بعد سنتين إلى «دار العلوم»، واستقر بها حتى صار أستاذا فيها، ثم عميدا لها عام ١٩٥٥، ثم عاد عميدا لها عام ١٩٥٨. وفى هذا العام أختير خبيرا فى المجمع، ثم عضوا من أعضائه عام ١٩٦١. وقد لبث نحو عشرين عاما يشارك مشاركة فعالة فى أعمال المجمع ولجانه، ولم يفت المجمع أن يرشحه لجائزة الدولة التقديرية، فظفر بها.

وقد خلص الدكتور/ إبراهيم من جولاته فى اللغة بآراء وتفسيرات محدثة وافق عليها من وافق، وخالف فيها من خالف، وكان كثير المراجعة لما كتب، يعيد النظر فيه كلما أعاد طباعته، فيغير ويبدل، ولايزال شىء

(*) هذه الترجمة مختصرة من الكلمة التى ألقاها فى حفل تأبينه زميله عضو المجمع الأستاذ/ على النجدى ناصف ونشرت فى مجلة المجمع : جـ ٤٠ ص ١٩٩-٢٠٥.

مما قدر له الاستقرار يحتاج إلى مراجعة ناقدة، ومن يدرى لعله لو نسأل الله فى عمره لجعله منه على بال، ولعدل فيه رأيه...

ونقل الدكتور/ إبراهيم إلى جوار ربه إثر حادث أليم، وكانت وفاته فى اليوم الثامن من شهر يونيه عام ١٩٧٧. (انتهى المختصر من كلام الأستاذ / على النجدى ناصف فى مجلة المجمع : جـ٤٠ ص ١٩٩-٢٠٥).

وقال الدكتور عبد الله درويش -العميد الأسبق لكلية دار العلوم- فى حفل تأبينه بالمجمع(١):

يَعِزُّ عَلَيَّ حين أُجِيلُ عَينِى ... أُقلِّبُ فى مكانِك لا أراكا
لقد رُوِّعْتُ لَيلَةَ دَقَّ نَاعٍ ... يُسائِلُنى: أتدري ما دهاكا
هَتَفْتُ بصاحبى: خَطْبٌ جَليلٌ ... أبى وأبوك قد لَقِيَ الهلاكا
على وَضَح الثَّرَى أرداهُ غِرٌّ ... جَبَانٌ، لَيتَنا كُنَّا فِداكا
لقد حَمَلُوكَ ما عَرَفُوا مداكا ... ولم يَدْرِ الأحِبَّةُ ما دهاكا
فَزِعْنَا نَرْقُبُ الجَسَدَ المُسَجَّى ... نُمَلِّى نَظْرةً منه هناكا
فما كِدْنَا نُصَدِّقُ ما نراه ... وأن الموتَ قد ألقى الشباكا
لقد كُنتَ العَزُوفَ عن الدَّنَايا ... وكُنتَ مُسَالماً مَنْ ذا جفاكا
ولم يُبْهِرْكَ فى الدنيا ضِيَاءٌ ... وكان صَدَى الحقيقةِ مُبْتَغَاكا
بكاك الخالدون شَجَىً وحُزْناً ... و«دَارُ العِلمِ» أشجى مَنْ بكاكا

مؤلفاته:

كان الدكتور إبراهيم أنيس فى حياته العلمية فى غاية من النشاط والجد، فقد عكف على العلم، وقرأ كثيرا، وكتب كثيرا، وشهد له بذلك المقربون إليه من أهله وخاصته، فصور لنا شقيقه الدكتور/ عبد العظيم أنيس مدى شغفة بالعلم، وإقباله عليه، وتفرغه له، قال : «ولست أذكر أننى ذهبت

(١) مجلة المجمع : جـ٤ ص ٢٠٧.

مرة لزيارته دون موعد، ولم أجده جالسا على مكتبه، مكبا على مراجعه، أو مراجعاً لشئ يكتبه، وكنت أحيانا أشفق عليه من هذا الإرهاق الذى يصر عليه، حتى وهو مريض، وعندما كنت أراجعه فى هذا كان يقول مبتسما: (إن هذا العمل هو حياتى الآن)، وعندما أصابه المرض منذ أكثر من عامين - قبل وفاته- ظل يواظب على التردد على مركز الحاسب العلمى بجامعة القاهرة (معهد الإحصاء) على مافى هذا من مشقة وعناء؛ تشوقا إلى معرفة نتائج الجداول اللغوية التى كان يخرجها الحاسب العلمى- الكمبيوتر- له»(١).

وقد وقفت للدكتور/ إبراهيم أنيس على ثمانية كتب مطبوعة، أعيد طبع بعضها أكثر من عشر طبعات، وهذه الكتب قرأها وتربى عليها كثير من الباحثين، ليس فى مصر وحدها، بل فى العالم العربى كله.

وأكتفى هنا بالإشارة إلى أسماء هذه المؤلفات :

١- كتاب من أسرار اللغة : وهو أكثر كتبه ذيوعا وشهرة.

٢- كتاب دلالة الألفاظ.

٣- كتاب فى اللهجات العربية.

٤- كتاب اللغة بين القومية والعالمية.

٥- كتاب الأصوات اللغوية.

٦- كتاب موسيقى الشعر.

٧- كتاب مستقبل اللغة العربية المشتركة.

٨- كتاب الموجز الواضح فى تاريخ العرب والإسلام، ألفه الدكتور بالاشتراك مع مجموعة من المؤلفين.

---

(١) مجلة المجمع : جـ٤٠ ص ٢١٠.

كما اشترك الدكتور في إصدار المعاجم الثلاثة التي أخرجها مجمع اللغة العربية، وهي : المعجم الكبير، والمعجم الوسيط، والمعجم الوجيز، صدر الأولان في حياته والأخير بعد وفاته[١].

وقد وقفت للدكتور على (خمسة وثلاثين بحثا) ألقاها في مجمع اللغة العربية،[٢]، تقرب إذا جمعت- وحدها- من مائتي صفحة من القطع الكبير، فيها كثير من الآراء والاجتهادات.

---

(١) مجلة المجمع : جـ ٤ ص ١٩٨.

(٢) يراجع التراث المجمعي في خمسين عاما (١٩٣٤-١٩٨٤م) للأستاذ/ إبراهيم الترزي المدير العام ورئيس تحرير مجلة المجمع.

آراؤه البلاغية: تحليل ونقد

شن الدكتور/إبراهيم فى كتابه «من أسرار اللغة» على البلاغيين هجوما عنيفا، واتهم الإمام عبد القاهر الجرجاني ومن بعده من علماء البلاغة بكثير من التهم .

وفى الصفحات التالية وقفات مع هذه الآراء البلاغية التى ذهب إليها الدكتور.

وقد أوجزت هذه الآراء الجديدة فى أحد عشر رأياً:

أولاً: ملاحظاته على الإمام عبد القاهر الجرجانى:

فى حديث الدكتور عن نظام الجملة في الكلام العربى وجه عدة ملاحظات ينقد فيها منهج الإمام:

قال الدكتور: **(ونلاحظ على عبد القاهر فى علاجه لتنظيم الكلام أموراً :**

١- ميله على طريقة المتكلمين إلى الجدل المنطقى الفلسفى، ومحاولته التقريب بين أسانيب الكلام والمنطق العقلى العام؛ ولذلك أكثر من التمثيل بعبارات من صنعه لانكاد نرى لها شواهد فيما روى لها من اللغة) [١].

وهذه الملاحظة فيها نظر؛ لأن الإمام «لم يجادل فى كتابه جدلا منطقيا، وإنما كان جدلا يعتمد على الذوق؛ لأنه يؤمن بأن الذوق هو الحكم فى البلاغة» [٢].

---

(١) من أسرار اللغة د/ ابراهيم أنيس: ص ٣٠٣ مكتبة الأنجلو المصرية ط. رابعة ١٩٧٢.

(٢) عبد القاهر الجرجانى د/أحمد بدوى: ص ٣٩٥ سلسلة أعلام العرب ط/وزارة الثقافة.

وهذا ظاهر فى كتابيه ظهوراً لايكاد يخفى، ولنقرأ أى باب من أبواب الكتابين؛ لنرى (ذوق) عبد القاهر البلاغى، وحسه المرهف، وعبقريته فى الغوص وراء الأسرار، واستنطاق الشواهد بما تكنه فى ضمائرها، وتحجبه وراء تراكيبها وألفاظها وأصواتها.

ومن شواهد ذلك- والاختيار صعب- تحليله الرائع لبيت لابن المعتز، استشهد به على بلاغة التفصيل والاستقصاء فى التشبيه، قال : «ومن أبلغ الاستقصاء وعجيبه قول ابن المعتز :

كأنَّ وضَوْءُ الصُّبحِ يَستعجِلُ الدُّجَى ... نُطِيرُ غُرَاباً ذا قَوَادِمَ جُونِ

شبه ظلام الليل حين يظهر فيه الصبح بأشخاص الغربان، ثم شرط أن تكون قوادم ريشها بيضا، لأن تلك الفِرَقَ من الظلمة تقع فى حواشيها من حيث تلى معظم الصبح وعمودَه لُمعُ نور، يتخيل منها فى العين كشكل قوادم إذا كانت بيضاء، وتمام التدقيق والسحر فى هذا التشبيه فى شيء آخر، وهو أن جعل ضوء الصبح لقوة ظهوره ودفعه لظلام الليل كأنه يحفز الدجى ويستجعلها ولايرضى منها بأن تتمهل فى حركتها، ثم لما بدأ بذلك أولا اعتبره في التشبيه آخرا، فقال (نطير غرابا) ولم يقل (غراب يطير) مثلا، وذلك أن الغراب- وكل طائر- إذا كان واقعا هادئا في مكان، فأُزعِجَ وأُطِيرَ منه، أو كان قد حُبِسَ فى يَدٍ أو قَفَصٍ فأُرسِل، كان ذلك لا محالة أسرعَ لطيرانه، وأعجلَ وأمدَّ له، وأبعدَ لأمَدِه؛ فإن تلك الفَزْعةَ التى تَعْرِضُ له من تنفيرِه، أو الفرحةَ التى تدركه وتحدث فيه من خلاصه وانفلاته ربما دعته إلى أن يستمر حتى يغيب عن الأفق، ويصير إلى حيث لاتراه العيون، وليس كذلك إذا طار عن اختيار؛ لأنه يجوز حينئذ أن يصير إلى مكان قريب من مكانه الأول، وأن لايسرع فى طيرانه، بل يمضى على هينته، ويتحرك حركة غير المستعجل، فاعرفه»[(١)].

---

(١) أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجانى : ص ١٦٢، ١٦٣ تحقيق هـ. ريتر ط. مكتبة المتنبى بالقاهرة ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

ولو اكتفى الإمام فى تحليل هذا التشبيه بقوله: (شبه ظلام الليل.. (إلى قوله) كشكل قوادم إذا كانت بيضاء)- لكفاه فى الإبانة عن تلك الصورة، ولكنه فتح للتذوق بابا آخر يلج منه إلى مزيد من الدقة والوعى بخبايا تلك الصورة، فقال :(وتمام التدقيق والسحر فى هذا التشبيه فى شىء آخر..إلخ).

فلا يكتفى الإمام بالتقاط ما ظهر من الصورة، بل يجهد نفسه فى سبيل الوصول إلى التفاصيل الدقيقة التى تحيط بالتشبيه، فتزيده حياة ونماء... فنحن هنا أمام عبقريتين: عبقرية الشاعر فى التقاط الصورة واستقصاء تفاصيلها ودقائقها، وعبقرية الشارح الذى يبذل فى فهم الشعر وتذوقه من العناء والكد مقدار مابذل الشاعر، حتى لايفوته من الكلام أجل مافيه؛ وبهذا يحيا الشعر بين يديه ولايموت، وتتحرك الصورة التى التقطها الشاعر بجميع شياتها أمامه، والأدب الحى لايستخرج أسراره إلا القارئ الحى[1].

فأين (الجدل المنطقى الفلسفى) فى مثل هذا التحليل البلاغى الرائع، القائم على الذوق السليم، والوعى البصير بأسرار البيان؟

وإنه لمن الممتع حقا أن تغذى الأذواق السليمة، وتربى الحواس الأدبية المرهفة على مثل هذه الشواهد العالية التى ينبئ اختيارها عن حكمة وسداد؛ فإن اختيار المرء قطعة من عقله.

وهذا البيت من قصيدة لابن المعتز، مطلعها :

صَحَوتُ، ولَكِنْ بَعْدَ أَىٍّ فُتُونِ ... فلا تَسْأَلِينِى صَبْوَةً ودَعِينِى
وَدَبَّ مَشِيبِى بَعْضُهُ نحوَ بَعْضِهِ ... فأخرَجَنِى من أَنْفُسٍ وعُيُونِ[2]

(١) أفدت مضمون هذه الفقرة من محاضرة لشيخنا الدكتور/محمد أبى موسى.

(٢) ديوان أشعار الأمير أبى العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله الخليفة العباسى : ٢/ ٣١٣ تحقيق د/ محمد بديع شريف. ط/دار المعارف.

وهى من روائع ابن المعتز، يصور فيها صحوته بعد طول غفلة: (صحوت، ولكن بعد أى فتون)، وبيت التشبيه الذى اختاره الإمام من هذه القصيدة هو معقد كثير من المعانى التى حرص الشاعر عليها، فالصحوة التى جاءت بعد طول غفلة وفتون هى **(ضوء الصبح يستعجل الدجى)** وهى **(القوادم البيض فى جسم الغراب)**، والمشيب الذى دب بعضه نحو بعضه، وأخذ ينتشر فى شعر الرأس هو أيضاً (ضوء الصبح يستعجل الدجى) وهو (القوادم البيض فى جسم الغراب). وهذا نمط بديع من تجاوب المعانى واتصالها وتناديها.

وأما قول الدكتور إبراهيم أنيس فى النص السابق إن أكثر شواهد الإمام مجرد تمثيل بعبارات من صنعه ليس لها شواهد فيما روى من اللغة ففيه نظر أيضاً، لأن كتابى الإمام عبد القاهر مملوءان بالشواهد من القرآن الكريم والشعر والنثر، وحين يستشهد بأمثلة من صنعه، يستشهد بها لإيضاح الفكرة أولا فى ذهن القارئ، حتى إذا اتضحت أورد لها نظائر هذه الأمثلة المصنوعة من الشواهد القرآنية أو المروية عن العرب من الشعر والنثر.

والدلائل على ذلك من كلام الإمام عبد القاهر كثيرة، ويكفى أن ننظر إلى شواهده فى الفرق بين وقوع الاسم بعد همزة الاستفهام ووقوع الفعل بعدها [١].

فقد استشهد الإمام فى ذلك بمجموعة من الشواهد (المصنوعة) فأورد فى ذلك الفرق بين قولك: (أفعلت؟) و(أأنت فعلت؟) و(أبنيت الدار التى كنت على أن تبنيها؟) و (أأنت بنيت هذه الدار؟)..الخ، فلما اتضح الفرق الذى أراده الإمام، وأُشْرِبَت القلوب تلك المعانى الدقيقة التى هُدِى إليها، استشرف بهم أفقا أسمى من الشواهد العالية، فاستشهد من آى الذكر الحكيم بفيض كريم، منها قوله تعالى:

---

(١) ينظر دلائل الاعجاز: ١١١-١٢٣.

(أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنا يا إِبْرَاهِيمُ»[(١)].
(أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثاً)[(٢)]
(أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ)[(٣)].

واستشهد من الشعر بمجموعة من الأبيات، منها قول امرئ القيس :

أَيقتلُنِى والمَشْرِفِىُّ مُضَاجِعِى ... ومَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كأنيَابِ أغْوَالِ

وقول عمارة بن عقيل :

أَأَتْرُكُ إِنْ قَلَّتْ دَرَاهِمُ خَالِدٍ ... زِيَارَتَهُ؟ إِنِّى إِذَنْ لَلَئِيمُ

وقد يستخف بعض الناس بشواهد الإمام الدائرة على كل لسان، المضوغة فى كل فم، فيراها لذلك سخيفة سقيمة لاجدة فيها ولا رواء، ولكن الإمام يقول : «ورُبَّ نَفِيسٍ جُلِب إليك من الأمكنة الشاسعة، ورُكِب فيه النَّوى الشَّطون، وقُطِع به عرضُ الفيافى، ثم أخفى عنك فَضْلَه حتى جهلت قدره: أن سَهُلَ مَرَامُه، واتسع وجودُه، ولو انقطع مَدَدُه عنك حتى تحتاجَ إلى طلبه فى مَظِنَّتِه لعلمتَ إحسانَ الجائى به إليك والجالب المقرب نَيله عليك، ولأكثرت من شكره بعد أن أقللت وأخذت نفسك بتلافى ما أهملت[(٤)]»[(٥)].

٢- يقول الدكتور/ إبراهيم أنيس فى ملاحظاته على الإمام عبد القاهر:(**أما نقده للشواهد الشعرية فى كتابه، فهو أشبه بنقاد**

---

(١) سورة الأنبياء: ٦٢.

(٢) سورة الإسراء: ٤٠.

(٣) سورة الصافات: ١٥٣.

(٤) أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجانى: ص ١٧٤ بتحقيق هـ. ريتر، ط. مكتبة المتنبى.

(٥) الموازنة بين الشعراء فى دلائل الإعجاز: عرض وتعليق سلامة جمعة داود بحث مخطوط: ص ٧٠.

زماننا حين يحاولون التعريف بنواح من الجمال فى قول مأثور من مثل قوله : انظر إلى موضع الفاء فى قوله «فقد لاقيتنا فرأيت حربا»، وانظر إلي موضع الفاء و(ثم) قبلها؛ وانظر إلى الفصل والاستئناف فى قوله :«تريدين قتلى، قد ظفرت بذلك» وانظر إلى قوله «قد كنت أحسب» وإلى مكان الاستئناف؛ وانظر إلى التنكير فى قوله كيت، وانظر إلى التعريف والإشارة فى قوله كذا... إلخ»[1].

وهذه الملاحظة- فيما أرى- أظهرت شطر الحقيقة وأخفت الشطر الآخر؛ لأن نقد الإمام عبد القاهرة للشواهد الشعرية له صورتان:

الصورة الأولى: أن يكون نقدا ذاتيا، يُعْنَى فيه الإمام بالحكم بالحسن أو القبح دون أن يذكر العلل التى بنى عليها هذا الحكم. وهذه الصورة من النقد قليلة عند الإمام.

والصورة الثانية: أن يكون نقدا موضوعيا أى مبنيا على علله وأسبابه وهذه الصورة من النقد هى الغالبة على الإمام عبد القاهر، فإنه كان كثيرا ما يذكر أسباب الحسن أو القبح فيما يورده من شواهد.

ولعل الإمام كان يلجأ إلى النقد الذاتى فيقول انظر إلى كذا وإلى موضع الفاء أو (ثم)، ويكتفى بذلك- لعله كان يلجأ إلى هذا اللون من النقد ثقة منه بفطانة القارئ، واعتمادا على الأصول التى سبق أن قررها وأرسى أسسها وبدأ وأعاد فيها حتى أخذ بيد القارئ إلى الفهم والإقناع، ثم عرض له بعد ذلك مجموعة من النماذج واكتفى بأن يلفت نظره إلى مواضع الحسن أو القبح دون أن يخوض فى ذلك ويتغلغل في الإبانة عنه ثقة منه بفطنة القارئ وفهمه واقتناعه، وتدريبا له على الذوق السليم، حتى تتفتح مواهبه وحواسه فيذوق حر الكلام ويميز جيده من رديئه وحسنه من قبيحه.

---

(١) من أسرار اللغة: ص ٣٠٣.

وقول الدكتور إبراهيم فى النص السابق إن عبد القاهر **(أشبه بنقاد زماننا)** فيه ظلم كبير للإمام عبد القاهر، فأين نقاد زماننا من هذا الإمام الذى كان كتاباه (الدلائل والأسرار) فتحا جديدا فى ميادين البلاغة والنقد، وكان بذلك مؤسسا للمدرسة البلاغية التحليلية، ورائدا للنقد الأدبى القائم على الذوق المرهف والحس الناضج والوعى البصير بخبايا الأدب واللغة. إن نقادنا المحدثين- إلا من رحم الله منهم -كثيراً ماتخفى عليهم هذه الأسس التى أرساها عبد القاهر، ولم تتوفر فيهم مقومات النقد الأدبى ووسائله التى توفرت لعبد القاهر، فكيف يشبه الدكتور عبد القاهر بهم وهم أصلاً لا يرقون إلى أن يشبهوا به؟!!

ثانياً: اتهامه الإمام عبد القاهر بالمغالاة:

اتهم الدكتور إبراهيم أنيس الإمام عبد القاهر بالمغالاة، فقال الدكتور: (يجب أيضا أن لاتتصور أن الجمل المثبتة تكون كالجمل المنفية وأشباهها من جمل استفهامية، فى نظامها، وهندستها، وفيما تتطلب من ظواهر لغوية أخرى. **وقد كنت أظن أن هذا الأمر بديهى لايحتاج إلى نزاع طويل، أو جدل عقيم حتى قرأت لعبد القاهر ذلك النص الذى يفيد أن الجملتين فى رأيه تستويان** اذ يقول ما نصه :(واعلم أن معك دُستورا، فيه- إن تأملت- غنى عن كل ما سواه، وهو أنه لايجوز أن يكون لنظم الكلام وترتيب أجزائه فى الاستفهام معنى لايكون له ذلك المعنى فى الخبر. وذلك أن الاستفهام استخبار، والاستخبار هو طلب من المخاطب أن يخبرك؛ فإذا كان كذلك كان محالا أن يفترق الحال بين تقديم الاسم وتأخيره فى الاستفهام فيكون المعنى إذا قلت : أزيد قام؟ غيره إذا قلت: أقام زيد؟ ثم لايكون هذا الافتراق فى الخبر، ويكون قولك :«زيد قام» و«قام زيد» سواء)(١).

(١) النص فى «دلائل الاعجاز» للإمام عبد القاهر الجرجانى: ص ١٤٠ بتحقيق المرحوم الأستاذ/ محمود محمد شاكر. مطبعة المدنى ونشر الخانجى.

«وفى الحق أن عبد القاهر يغالى فى هذا الدستور، متناسيا أن النفى يرتبط بالاستفهام ارتباطا وثيقا، وأن ذلك الاستفهام الإنكارى ليس في حقيقته إلا نفيا، **ومتناسيا** أن جملة مثل :«كانوا يجادلون بالباطل فيضلون الناس عن الطريق السوى» يصيبها ذلك التغير اللغوى المعروف مع النفى والاستفهام فتصبح: أكانوا يجادلون بالباطل فيضلوا الناس عن الطريق السوى؟» **ومتناسيا** أنه مما يجوز الابتداء بالنكرة أن تكون معتمدة على نفى أو استفهام، وأن الذى برر عدم المطابقة فى قول القائل:

أَمُنْجِزٌ أنتمُ وَعْداً وَثِقْتُ بـهِ ... أم اقْتَفَيْتُمْ جميعاً نَهْجَ عُرْقُوبِ؟

ليس إلا الاعتماد على الاستفهام[1] » انتهى كلام الدكتور.

وبالتأمل فى كلام الدكتور نرى أنه اتهم الإمام عبد القاهر بثلاث تهم، الأولى: أنا نازع نزاعا طويلا فى أمر بديهى لايحتاج إلى نزاع. والثانية: أنه جادل فيه جدالا عقيما. والثالثة : أنه غالى وتناسى أمورا واضحة.

والحقيقة أن الإمام عبد القاهر برئ من هذا؛ لأن الجهة منفكة بين ماقصده الإمام وما استنبطه الدكتور من كلامه. فقد فهم الدكتور من النص أن الإمام يرى أن الجمل المثبتة والجمل المنفية سواء مع أن الإمام لم يتعرض فى النص للإثبات والنفى أصلاً، وكان قصده من النص أن يضع دستوراً عاماً في التقديم والتأخير فى الاستفهام والخبر،و أنه محال أن يكون هناك فرق فى الاستفهام بين «أقام زيد؟ و«أزيد قام؟» ثم لايكون هناك هذا الفرق نفسه بين الجملتين إذا حذف منهما الاستفهام فصارتا خبرين هكذا: «قام زيد» و«زيد قام».

وكانت نتيجة هذا الفهم أن اتهم الدكتور الإمام بأنه **تناسى** (هكذا) تناسى أى أنه (افتعل النسيان). وهذا لم يحدث؛ لأن الجهة منفكة بين ماقصد الإمام ومافهم الدكتور .

---

(١) من أسرار اللغة: ص ٣٠٩، ٣١٠.

ثالثاً: مع رأيه فى تقديم المسند إليه على الخبر الفعلى:

يرى الدكتور إبراهيم أنيس أن المسند إليه إذا تقدم على الفعل الماضى كانت دلالته على القصر لازمة، أى أنه يفيد القصر بصرف النظر عن السياق الذى جاء فيه، يقول الدكتور: (ومتى استقر هذا فى الأذهان فلسنا بحاجة إلى دليل آخر على إفادة هذا القصر، كأن نلتمس من السياق أو الملابسات دليلاً على إرادة القصر بمثل هذا النظام) [١]. وساق الدكتور لذلك شواهد من سورة النحل، وهى قول الله عز وجل: **(واللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً)** آية ٦٥ - **(واللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ)** آية ٧٠ - **(واللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ)** آية٧١ - **(وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً)** آية ٧٢- **(واللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ)** آية ٧٨ - **(واللَّهُ جعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَناً)** آية ٨٠- **(وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالاً)** آية ٨١.

والدكتور فى رأيه هذا يخالف ماقرره الإمام عبد القاهر وجمهور البلاغيين من أن تقديم المسند إليه على الخبر الفعلى له صورتان: **الأولى:** أن يفيد القصر، كما فى الشواهد القرآنية التى ذكرها الدكتور. **والثانية:** أن لايفيد القصر، بل يفيد مجرد تقوية الكلام كما فى قوله تعالي: **(وَإِذَا جَاؤُكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ)** [٢]، ففى هذه الآية قدم المسند إليه (هم) على الفعل الماضى (خرجوا)، ولايصح أن يكون الغرض من التقديم القصر؛ لأنه يعنى أنهم وحدهم قد خرجوا بالكفر دون سواهم، وهذا فاسد) [٣].

والدكتور إبراهيم أنيس أوجب فى تقديم المسند إليه على الفعل الماضى دلالة واحدة وهى (القصر) وأغفل الدلالة الثانية وهى (تقوية الكلام وتأكيده) فخالف بذلك جمهور البلاغيين من غير أن يتكئ فى مخالفته على دليل .

---

(١) من أسرار اللغة: ص٣١١ .

(٢) سورة المائدة: أية ٦١ .

(٣) ينظر دلائل الإعجاز: ص١٢٨-١٣٤ وشروح التلخيص للتفتازانى والمغربى والسبكى والدسوقى: ج٢ ص٢٠٢، ٢٠٣ ط. دار السرور .

كان هذا رأى الدكتور في تقديم المسند إليه على الفعل الماضى، فإذا تقدم على الفعل المضارع كان للدكتور فيه رأى آخر يقول فيه: (ليس إذن فى الجملة المضارعية حين يتقدم فيها المسند إليه، أى نوع من القصر أو مايشبه القصر، وليس فيها ذلك التقوى فى المحكوم عليه كما يقول عبد القاهر حين يتحدث عن مثاله المشهور: «هو يعطى الجزيل»)[(١)].

والدكتور يخالف رأى الإمام عبد القاهر وجمهور البلاغيين من غير دليل. وقد قرر الإمام والبلاغيون كما سبق أن هذا اللون من التقديم إما أن يفيد القصر وإما أن يفيد تقوية الحكم وتأكيده، والدكتور يرى أنه لايفيد واحداً منهما .

ومن الشواهد الناطقة بدلالة تقديم المسند إليه علي الفعل المضارع على القصر قوله تعالى: «وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لاتَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ»(التوبة ١٠١) قصر العلم بالمنافقين عليه سبحانه، وقوله (اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ) (العنكبوت ٦٢)، قصر بسط الرزق على الله عز وجل ونفاه عن كل من سواه.[(٢)]

ومن الشواهد الناطقة بدلالة هذا التقديم على تقوية الحكم وتوكيده، قوله تعالى: (إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِى نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) (الأعراف ١٩٦) فتقديم المسند إليه (هو) على الفعل المضارع (يتولى) لايفيد القصر، بل يفيد تقوية الكلام وتأكيده (ليلائم هذا السياق الذى يقرر لهم فيه الرسول حال يقينه فى وثاقته بربه)[(٣)].

وقد بين البلاغيون وجه إفادة هذا التقديم للتقوية والتأكيد، فذكر الإمام عبد القاهر أن السر فى ذلك يرجع إلى أن تقديم المسند إليه يفيد التشويق إلى معرفة الخبر، وتوطئة النفس للخبر قبل ذكره، حتى إذا ذكر دخل على النفس خول المأنوس به[(٤)]. وذكروا في سر التقوية هنا وجهاً آخر، وهو تكرار الإسناد

---

(١) من أسرار اللغة: ص٣١٧ .

(٢) ينظر خصائص التراكيب د/ محمد أبو موسى ص١٧٦ ط. ثالثة. نشر مكتبة وهبة.

(٣) المصدر السابق: ص٢٧٤.

(٤) ينظر دلائل الإعجاز ص١٣٢.

لأن الفعل يسند إلي الإسم الظاهر مرة، ثم يسند إلي ضميره مرة أخرى، فالفعل (يتولى) فى الآية السابقة أسند إلى (هو) مرة، وأسند إلى الضمير المستتر فيه مرة ثانية، فصار التقديم أقوى وآكد.

رابعاً: مع رأيه فى قوله تعالى (قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ)[(١)]:

قرر الإمام عبد القاهر فى حديثه عن التقديم والتأخير في الاستفهام أن المستفهم عنه هو مايلى الهمزة اسماً كان أو فعلاً، فإذا وليها الفعل كان الاستفهام عنه نحو (أقلت شعراً) و(أبنيت الدار) فالاستفهام فيهما عن قول الشعر وبناء الدار كان أو لم يكن؟ وليس الاستفهام فيهما عن القائل والباني: من هو؟ ومثال هذا في القرآن الكريم قوله تعالى **(أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ. مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)**[(٢)] فالمستفهم عنه هو الاصطفاء، ولذا ولى الفعل همزة الاستفهام .

وإذا ولى الاسم همزة الاستفهام كان هو المستفهم عنه، ولابد فى هذه الحالة أن يكون الفعل ثابتاً لاشك فيه، ومثاله قول عبدة الأصنام لسيدنا إبراهيم عليه السلام لما كسر أصنامهم: **(أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَاإِبْرَاهِيمُ»**[(٣)]، قال الإمام عبد القاهر: (لاشبهة في أنهم لم يقولوا ذلك له عليه السلام وهم يريدون أن يُقِرَّ لهم بأن كسر الأصنام قد كان، ولكن يقر بأنه منه كان، وكيف؟ وقد أشاروا له إلى الفعل فى قولهم: «أأنت فعلت هذا ؟»، وقال هو عليه السلام في الجواب: «بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا »[(٤)]، ولو كان التقرير بالفعل لكان الجواب: «فعلت، أو لم أفعل»)[(٥)].

هذا هو الأصل المطرد فى شأن التقديم والتأخير فى الاستفهام، ولكن الإمام استثنى من هذا الأصل صورة واحدة يكون المراد فيها إنكار الفعل ومع

---

(١) سورة يونس: آية ٥٩ .

(٢) سورة الصافات: ١٥٣، ١٥٤ .

(٣) سورة الأنبياء: ٦٢ .

(٤) سورة الأنبياء: ٦٣ .

(٥) دلائل الإعجاز: ص١١٣ .

ذلك لايقع بعد همزة الاستفهام وإنما يقع بعدها الاسم لغرض بلاغى دقيق ونكتة لطيفة، قال الإمام: (وقد يكون أن يُرادَ إنكارُ الفعل من أصله، ثم يُخْرَجَ اللفظُ مُخْرَجَه إذا كان الإنكار فى الفاعل. مثال ذلك قوله تعالى: «قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ»(١): (الإذن) راجع إلى قوله «قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَاأَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وحَلَالاً»(٢) ومعلوم أن المعنى على إنكار أن يكون قد كان من الله تعالى إذن فيما قالوه، من غير أن يكون هذا الإذن قد كان من غير الله، فأضافوه إلى الله، إلا أن اللفظ أُخْرِجَ مُخْرَجَه إذا كان الأمر كذلك، لأن يُجعَلُوا فى صورة من غَلِطَ فأضاف إلى الله تعالى إذناً كان من غير الله، فإذا حُقِّقَ عليه ارتدع)(٣).

ولكن الدكتور إبراهيم أنيس لم يرتض هذا الاستثناء الخارج عن الأصل المطرد، ولذلك قال: (ولست أدرى لم تردد عبد القاهر في جعل قوله تعالى: «قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ» من هذا النوع؟ ولم يعتبر أن الإذن بتحليل بعض الأشياء وتحريم البعض الآخر قد وقع فعلاً من القسيسين والرهبان، وأن موضع التساؤل والإنكار هو الإذن من الله سبحانه؟ فالله سبحانه وتعالى يقول في هذه الآية: «قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَاأَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وحَلَالاً»، ثم يعقب عليها بقوله: «قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ»!!)(٤).

الشيخ عبد القاهر يرى أن الاستفهام فى الآية لم يجر على الأصل المطرد والدكتور يرى أنه جار عليه ويتعجب من رأى عبد القاهر، وقد تبه الإمام برأيه إلى أن وراء الاستفهام هنا معانى لطيفة تضيع إذا جعلنا المستفهم عنه فيها هو الفاعل (الله)، لأن هؤلاء القسيسين والرهبان (كانوا قد أحلوا وحرموا فيما رزقهم الله سبحانه، والذى يملك التحليل والتحريم هو الله لاغيره، فقوله (آلله أذن لكم) الإنكار فيه موجه إلى المسند إليه، والمراد إنكار الإذن؛ لأنـــه إذا لم

---

(٦) سورة يونس: ٥٩ .

(١) سورة يونس: ٥٩ .

(٢) دلائل الإعجاز: ص١١٥ .

(٣) من أسرار اللغة: ص٣١٣ .

يكن قد كان من الله إذن فى التحليل والتحريم فلن يكون من غيره، وهذا طريق أوكد فى نفى الفعل لأنه أومأ إلي دليل هذا النفى، وليس هذا كقولنا «أأذن الله لكم؟» بمعنى: لم يكن ذلك؛ لأن هذا إنكار لادليل عليه، وهكذا تقول: «أفي ليل كان ذلك أم فى نهار؟» فتنكر كونه في الليل وكونه في النهار، ويلزم من هذا أنه لم يكن؛ لأنه إذا كان فلابد أن يكون في أحدهما. وهكذا تقول: «أفى البر ذلك أم في البحر؟» وأنت تريد لم يكن في بر ولابحر، ومنه قوله تعالى: (قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنْثَيَيْنِ أَمْ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنْثَيَيْنِ)، المراد إنكار التحريم من أصله، ودليل ذلك أنه لو كان هناك تحريم لوقع على واحد من الأصناف المذكورة، فإذا انتفى وقوعه عليها انتفى التحريم من أصله .

وهذا الأسلوب فيه مزيتان:

المزية الأولى: أن تفترض أن الشئ قد وقع، ثم تأخذ فى استقصاء المظاهر الضرورية لوقوعه، فتنفيها واحداً واحداً، وينتهى هذا إلى نفي الفعل بالضرورة؛ وفي هذا إيناس وإقناع ...

المزية الثانية: أن مسلك المعنى فيه مسلك الاقتضاء واللزوم، وهو أبعث لحركة النفس، وأكثر إنهاضاً للفكر وتنشيطاً له، لأنه يفيد نفى الفعل بطريقة الكناية، وإذا كانت وثبات الخيال من مظاهر أسلوب المجاز، فإن حركة العقل ونشاطه على مدارج اللزوم من مظاهر أسلوب الكناية»(١).

هذه إشارة إلى المعانى اللطيفة التى وراء رأى الإمام عبد القاهر، ولو أخذنا برأى الدكتور إبراهيم أنيس لضاعت هذه المعانى التى تمتع العقل والوجدان، وهذا هو سر الإعجاز في كتاب الله تعالي.

---

(١) دلالات التراكيب دراسة بلاغية د. محمد محمد أبو موسى: ص٢٣٩، ٢٤٠ بتصرف ط. دار التضامن ط. ثانية ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م نشر مكتبة وهبة .

خامساً: سهوه في استقراء آيات القرآن الكريم:

يقول الدكتور إبراهيم أنيس في حديثه عن الجملة المضارعية المنفية: (أما إذا سبق «النفي» المسند إليه، وأصبحت الجملة كما يأتي: أداة النفي + المسند إليه + المسند .

فتصور لنا الجملة أسلوباً نادراً في اللغة العربية، لم يرد مع لفظ الجلالة إلا في آيتين متشابهتين هما: (وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلعَالَمِينَ - وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلعِبَادِ)[1]، فأما قول الدكتور إن هذا الأسلوب (لم يرد مع لفظ الجلالة إلا في آيتين متشابهتين) فهو صحيح، وأما قوله إن (أداة النفي + المسند إليه + المسند: تصور لنا أسلوباً نادراً في اللغة العربية) فهو غير صحيح؛ لأنه ليس نادراً في اللغة العربية، بل هو كثير، ومنه في القرآن الكريم- على سبيل المثال لاالحصر- قوله تعالى:

- (وَاتَّقُوا يَوماً لاتَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيئاً ولايُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ ولايُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاهُمْ يُنْصَرُونَ) البقرة: ٤٨ .
- (وَاتَّقُوا يَوماً لاتَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيئاً وَلايُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاتَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلاهُمْ يُنْصَرُونَ) البقرة: ١٢٣ .
- (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوا الحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ العَذَابُ وَلاهُمْ يُنْصَرُونَ) البقرة: ٨٦ .
- (إِنَّ يَوْمَ الفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ. يَوْمَ لاَيُغْنِي مَوليً عَنْ مَوليً شَيئاً وَلاَهُمْ يُنْصَرُونَ» الدخان: ٤٠، ٤١) .
- (أَلاَ إِنَّ أَولِيَاءَ اللَّهِ لاَخَوفٌ عَلَيهِمْ وَلاَهُمْ يَحْزَنُونَ) (يونس: ٦٢).
- (أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنا لاَيَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلاَهُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ) (الأنبياء: ٤٣).
- (وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ وَلاَهُمْ يُنْقَذُونَ» (يس: ٤٣).

فالجمل التى تحتها خط فى الآيات القرآنية السابقة يقوم التركيب فيها على أداة النفى (لا) + المسندإليه+الفعل المضارع (ينصرون - يحزنون- يصحبون- ينقذون) .

---

(١) من أسرار اللغة: ص٣١٧ .

وهذا النمط من التراكيب كثير - أيضاً - في شعر عمر بن أبى ربيعة، ومنه قوله:

ولاقُرْبُ نُعْمٍ- إنْ دَنَتْ - لكَ نَافِـعٌ
ولانَأْيُهَا يُسْلِي، ولاأنـتَ تَصْبِـرُ(١)

وقوله:

فقُلتُ لها: بل قادَنى الشَّوقُ والهَوَى
إليكِ، ومَانَفْسٌ مِنَ النَّاسِ تَشْعُـــرُ(٢)

وقوله:

يَقُومُ، فيَمْشِي بَيْنَنا مُتَنَكِّراً فلا سِرُّنَا يَفْشُو، ولاهُوَ يَظْهَرُ(٣)

والأبيات الثلاثة من قصيدة واحدة فقط، هى أول قصيدة فى ديوانه، والشاهد في البيت الأول قوله (ولانأيها يسلى، ولاأنت تصبر)، وفي الثانى: (ومانفس من الناس تشعر)، وفي الثالث: (فلا سرنا يفشو، ولاهو يظهر) .

ومن هذا النمط قول حسان فى رثاء الرسول صلى الله عليه وسلم:

تَنَاهَــتْ وَصَاةُ المسلمين بكَفِّـــهِ
فَلا العِلْمُ مَحْبُوسٌ، ولاالرَّأْىُ يُفْنَـــدُ(٤)

الشاهد: (ولا الرأى يفند) .

وقول أبى تمام:

سَكَنَ الزَّمَانُ، فلا يَدٌ مَذْمُومَـةٌ للحادثاتِ، ولاسَوَامٌ يُذْعَــرُ(٥)

---

(١) ديوان عمر بن أبى ربيعة بشرح الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد: ص٩٢ ط. المدنى. ط. ثالثة ١٣٨٤هـ= ١٩٦٥م .

(٢) المصدر السابق: ص٩٧ .

(٣) المصدر السابق: ص١٠٠ .

(٤) ديوان حسان بن ثابت الأنصارى: ص٤٩ ط/ دار ابن خلدون .

(٥) ديوان أبى تمام بشرح الخطيب التبريزى: ١٩٧/٢ تحقيق محمد عبده عزام - ط/ دار المعارف ط. رابعة .

الشاهد: (ولاسوامٌ يدّعى) .

وقول بشامة بن حَزْنٍ النَّهْشَلِيِّ:

إِنَّا بَنِي نَهْشَلٍ لاندَّعِــي لأَبٍ ... عَنْهُ، ولاهُوَ بالأبْنَاءِ يَشْرِينا(١)

الشاهد: (ولاهو بالأبناء يشرينا) .

وقول كعب بن سعد الغنوى:

فإنَّكِ واللَّوْمَ الذي تَرْجِعِينَــهُ ... عَلَيَّ، ومَالَوَّامَــةٌ بعقــولِ
كداعى هَدِيلٍ لايُجَابُ إذا دَعَـا ... ولاهُوَ يَسْلُو عن دُعَاءِ هَدِيلِ(٢)

الشاهد: (ولاهو يسلو) .

وبهذا نرى أن الدكتـور إبراهيم أنيس حكم على هذا التـركـيب (أداة النفى + المسند إليـه+ المسند) بأنه (نادر في اللغـة العـربيـة) مع أنه - كـما رأينا - كثير في كتاب الله تعالى، وفي الشعر العربى .

ومن سهو الدكتور - أيضاً - في استقراء آيات القرآن الكريم قوله فى حديثه عن الجمل المضارعية المثبته التي تتكون من: المسند إليه + أداة النفى + المسند:

قال :(وقد ورد في القرآن الكريم أمثلة كثيرة على هذه الصورة مثل: **«واللَّهُ لايُحِبُّ الفَسَادَ»(٣)، «واللَّهُ لايَهْدِى القَوْمَ الظَّالِمِينَ»(٤) وكل الأمثلة القرآنية التى على هذه الصورة، وفيها المسند إليه لفظ الجلالة (الله)، لاتشتمل إلا على آحد المضارعين: يحب، يهدى)** (٥).

---

(١) البيت فى خزانة الأدب لعبد القادر البغدادى: ٨/ ٣٠٢ تحقيق/ عبد السلام هارون. نشر مكتبة الخانكى ١٤٠٠هـ/ ١٩٨١م.

(٢) المصدر السابق: ٨/ ٥٧٣ .

(٣) البقرة: ٢٠٥ .

(٤) البقرة: ٢٥٨ .

(٥) من أسرار اللغة: ص٣١٦ .

وهذا الحكم الكلى الذى يطلقه الدكتور على القرآن الكريم غير موفق، لأن في القرآن الكريم أمثلة كثيرة جاءت علي هذه الصورة: المسند إليه فيها هو لفظ الجلالة (الله) وتشتمل على أفعال مضارعة أخرى غير (يحب)، (يهدى): ومنها الفعل (يغفر) كما فى قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ) وقد ذكر مرتين فى سورة النساء، آية: ٤٨ و، آية: ١١٦. ومنها الفعل (يصلح) كما فى قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ) يونس: ٨١. ومنها الفعل (يغير) كما فى قوله: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) الرعد: ١١. ومنها الفعل (يضيع) كما فى قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) وقد ذكر ثلاث مرات فى القرآن: فى سورة التوبة: ١٢٠، وفى سورة هود: ١١٥ وفى سورة يوسف: ٩٠. وقد سها الدكتور رحمه الله - عن ذلك كله ولم يذكر إلا الفعلين (يحب) و(يهدى)؟

سادساً: مع رأيه فى التسوية بين الاسم والفعل المضارع فى المعنى:

من الآراء الكبيرة التى ذكرها المرحوم الدكتور إبراهيم أنيس، أنه جعل دلالة (الاسم) و(الفعل) على المعنى الواحد سواء، فلا فرق عنده بين: (زيد منطلق) و(زيد ينطلق) ولافرق عنده بين قوله تعالى (وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ)(١). وبين أن يقال: (والله الداعى إلى دار السلام).

وهذا يخالف ماقرره الإمام عبد القاهر والبلاغيون من بعده، بل وماقرره النحاة أيضاً.

وأسوق هنا نص الدكتور إبراهيم - على طوله - حتى يتبين لنا رأيه. قال- رحمه الله - فى حديثه عن الجمل المضارعية المثبتة: (فإذا تقدم المسند

---

(١) سورة يونس: ٢٥ .

إليه وأصبحت الجملة مثل: والله يدعو إلى دار السلام وجب أن تعد الجملة جملة بسيطة ولافرق بينها حينئذ وبين أن نقول «والله الداعى إلى دار السلام» فالمضارع هنا ليس في الحقيقة فعلاً وإنما هو «وصف» يجوز عليه مايجوز علي الوصف من وجوب مطابقة موصوفه فى كل شئ فلا فرق بين المضارع فى مثل هذه الجمل حين يتقدم المسند إليه، وبين مايشتق منه من صفة لافي معناهما ولافيما يصيب كلاً منهما من تغيير مع التثنية أو الجمع أو التأنيث. أما صيغة كل منهما، فإن اختلفتا في الثلاثي، فقد كادتا تتحدان فى غير الثلاثى .

وقد أجهد عبد القاهر نفسه، وأجهدنا معه، حين حاول أن يتلمس فروقاً بين استعمال الفعل المضارع واستعمال ماالشتق منه «زاعماً لنا أن المعنى مع المضارع يفيد التجدد ووقوع الحدث شيئاً فشيئاً؟ فى حين أنه مع المشتق لايكاد يعدو ثبوت الصفة وحصولها .

ويجارى عبد القاهر فى هذا كل البلاغيين، ويسوقون لنا ذلك الشاهد المشهور:

أَوَ كُلَّمَا وَرَدَتْ عُكَاظَ قَبِيلَـةٌ بَعَثُوا إِلَيَّ عَرِيفَهُمْ يَتَوَسَّـمُ

وفي الحق أن التجدد هنا مستفاد من التعبير بكلمة «كلما»، لامن استعمال المضارع «يتوسم»، ولا أكاد أشعر بذلك الفرق الذي يزجيه حين يقول: إن «يرزقكم» فى قوله تعالى: «هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ»(١)، تفيد معنى آخر غير الذى يمكن أن يستفاد، إذا كانت الآية: هل من خالق غير الله رازق لكم وربما يصدق كلام عبد القاهر مع تلك الصفات المشبهة التى تفيد الثبوت، والتى لاحيلة للمرء فيها كالطويل والقصير ونحو ذلك. ولكنا حين نتتبع مثل هذه الصفات واستعمالاتها لانكاد نعثر على أفعالها مستعملة فى أساليب صحيحة وقد أفادت ذلك التجدد المزعوم. وإنما الذى نلحظه فى

---

(١) فاطر: ٣ .

أساليب اللغة هو المناظرة بين المضارع ومااشتق منه حين يكون الفعل اختيارياً معبراً عن الحدث voluntary وهو مايشهد به الأسلوب القرآني **ويكفي أن نقارن بين الآيات القرآنية الآتية لندرك مبالغة عبد القاهر ومغالاته:**

وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ

مُسْتَهْزِئُونَ	اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ
فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ	وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ
وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ	وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً
وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ	وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ	إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى
قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا	إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ
وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ	إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً
وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا	وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

فالمضارع حين يقع بعد المسند إليه لايكاد يعبر إلا عما يعبر عنه الوصف المشتق في مثل هذا الوضع .

أما مايشير إليه النحاة في كتبهم من أن المضارع للحال والاستقبال ومايقول به بعض المحدثين من أنه قد يتناول الماضي أيضاً؛ ومن أنه قد يدل على ماصار بمنزلة الطبيعة أو العادة، إلى غير ذلك من تلك الدلالات التي تنسب للمضارع؛ فكل هذا مرجعه حين يسبق المضارع المسند إليه، ويجب أن نلتمس تلك الدلالات المتعددة في المضارع حين تبتدئ به الجملة مثل: «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ» **ولذا أرجع أن جملة مثل: «محمد يفهم» لاتكاد تزيد أو تنقص عن «محمد فاهم»**[1].

---

(١) من أسرار اللغة: ص٣١٥، ٣١٦ .

انتهى كلام الدكتور وهو بذلك يلغي جهد عبد القاهر، ويرى أن هذه الفروق التى أجهد عبد القاهر نفسه في تلمسها بين (الاسم) و(الفعل) ماهى إلا مجرد (زعم) يزعمه عبد القاهر، وجاراه في هذا الزعم (كل البلاغيين)!!!!

لقد أجمل الإمام عبد القاهر الفروق بين (الاسم) و(الفعل) فى أربع صفحات من أروع ماكتب فى (دلائل الإعجاز) من ص١٧٤ إلى ص١٧٧ .

وخلاصة هذه الفروق كما قال الإمام: (أن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشئ من غير أن يقتضى تجدده شيئاً بعد شئ. وأما الفعل فموضوعه علي أنه يقتضى تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شئ) [(١)].

واستشهد الإمام عبد القاهر - والبلاغيون من بعده - بقول الله تعالى: (وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ) [(٢)] وقوله: (هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) [(٣)]، ومن الشعر بقول النضر بن جؤية:

لايألفُ الدِّرْهَمُ المَضْرُوبُ خِرْقَتَنَا ... لَكِنْ يَمُرُّ عَلَيهَا وَهْوَ مُنْطَلِقُ

ويقول الأعشى:

لَعَمْرِي لَقَدْ لَاحَتْ عُيُونٌ كَثِيرَةٌ ... إلى ضَوْءِ نَارٍ فى يَفَاعٍ تَحَرَّقُ
تُشَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانِهَا ... وَبَاتَ على النَّارِ النَّدَى والمُحَلَّقُ

وقول طريف بن تميم العنبرى:

أَوَ كُلَّمَا وَرَدَتْ عُكَاظَ قَبِيلَةٌ ... بَعَثُوا إِلَيَّ عَرِيفَهُمْ يَتَوَسَّمُ

---

(١) دلائل الإعجاز: ص١٧٤ .

(٢) سورة الكهف: ١٨ .

(٣) سورة فاطر: ٣ .

هذه هي شواهد الإمام في تلك المسألة، ولابد من وقفه معها لفهم هذه الفروق التي استنبطها ومعرفة السر في أنه لايصح فيها أن يستعمل (الاسم) في موضع (الفعل) ولاالعكس .

١ - قوله تعالى: «وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ»[١]: التعبير بالاسم (باسط) «يفيد أن الكلب علي هيئة وصفة ثابتة هي بسط الذراعين بالباب، كما تقول: هو طويل، في أنك تثبت له صفة هو عليها من غير إشعار بشئ آخر ولاإشارة إليه، ولو قال: «كلبهم يبسط ذراعيه» لكان المعنى أن الكلب يحدث البسط ويزاوله ويتجدد منه شيئاً فشيئاً، وليس هذا هو المراد، وإنما المراد أن الكلب باسط ذراعيه بالباب وهو على هذه الصورة الثابتة الجامدة، فتظل الصورة العامة لفتية الكهف يلفها سياج من المهابة والخشية «لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً»[٢]،[٣].

٢ - قوله تعالى: (هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ والأرضِ) فاطر: ٣) ففي هذه الآية عبر سبحانه بالفعل (يرزقكم) للدلالة على أن رزقه لخلقه يتجدد شيئاً فشيئاً، فنعمه عليهم متواترة، وآلاؤه متجددة لاتنقطع، ويعيش الخلق فيها ويتمتعون بها، ومع ذلك يجحدون الخالق الرازق، ورزقه يغمرهم؛ فدلالة الفعل هنا على جحود الناس وكفرهم بنعمة الله أشد وأفظع من دلالة (الاسم) الذى يقتضى أن يكون الرزق ثابتاً لايتجدد شيئاً فشيئاً، فالفعل (يرزق) يصور أن الإنسان يكفر بنعمة الله مع أن الله يجدد له النعمة ويزيدها وينميها، وهل هناك صورة أفظع من ذلك ؟

---

(١) سورة الكهف: ١٨ .

(٢) سورة الكهف ١٨ .

(٣) خصائص التراكيب د. محمد أبو موسى: ص٢٣٤ ، ٢٣٥ نشر مكتبة وهبة ط. ثالية.

٣ - قول النضر بن جؤية:

لايألفُ الدّرهمُ المضروبُ خِرقتنا لكنْ يمرُّ عليها وهوَ منطلِقُ

(الشاعر يذكر قومه بالسخاء وأنهم لايبقون من المال بقية، فصرتهم لاتألف الدرهم، وقوله «وهو منطلق» جاء بصيغة الاسم؛ لأنه يريد أن يثبت للدرهم صفة الانطلاق من غير إشعار بتجدد وحدوث، حتى يؤكد أن الدرهم لايتوقف توقفاً ما عند الصرة ينقطع به انطلاقه ليتجدد بعد ذلك، وإنما هو منطلق انطلاقاً ثابتاً مستمراً، ولو قال: يمر عليها وهو ينطلق، لكان المعنى أن انطلاقه يتجدد، وهذا يعني أنهم يمسكونه زماناً ما كما قلنا) (١).

والسياق الذى ورد فى بيت النضر يتطلب التعبير با لاسم (منطلق) لابالفعل (ينطلق)، حيث يقول متمدحاً بالغنى والكرم: (٢)

قالتْ طريفةُ : ماتبْقَى دَرَاهِمُنَا ومابنا سَرَفٌ فيها ولاخَرَقُ
إنَّا إذا اجتمعتْ يوماً دَرَاهِمُنا ظلّتْ إلى طُرُقِ المعروفِ تَسْتَبِقُ
لايألفُ الدِّرْهَمُ المَضْرُوبُ صُرَّتَنا لكنْ يمرُّ عليها وَهْوَ مُنْطَلِقُ
حتّى يَصِيرَ إلى نَذْلٍ يُخَلِّدُهُ يكادُ مِنْ صَرِّهِ إيّاهُ يَنْمَزِقُ

فقوله في البيت الثانى (ظلت إلى طرق المعروف تستبق) يدل على أن دراهمهم في سباق دائم مستمر فهى لاتتوقف عن هذا الاستباق ولاتنقطع عنه، وهذا يتطلب التعبير بالاسم (منطلق) لما فيه من معنى الثبوت والاستمرار الذى سبق في البيت الأول.

وقوله في البيت الرابع (حتى يصير إلى نذل يخلده) نجد فيه التعبير بـ(حتى) يصور نهاية تلك الرحلة المستمرة التى قطعها الدرهم وهو منطلق عن صرته لم يسكن أمامها لحظة واحدة، (حتى) كان مصيره إلى نذل يحبسه فيطول حبسه بعدما كان حراً طليقاً .

٣ - قول الأعشى:

لَعَمْرِى لَقَدْ لاحَتْ عُيُونٌ كَثِيرةٌ إلى ضَوْءِ نَارٍ فى يَفَاعٍ تَحَرَّقُ

---

(١) خصائص التراكيب: ص٢٣٤ .

(٢) ينظر شروح التلخيص: ٢/ ٣٠ .

تُشَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانِهَــا وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى والمُحَلَّقُ[1]

(قال: في يفاع تحرق، أي تتحرق، واليفاع: المشرف من الأرض، فالنار علي مكان عال تتحرق، ولو قال: متحرقة؛ لأنكرته النفس كما قال عبد القاهر؛ وذلك لأن قولنا: في يفاع متحرقة، يفيد أن النار متحرقة فقط، وليس هذا غرض الشاعر، وإنما غرضه أن النار تتحرق ويتجدد منها الإحراق ويحدث شيئاً فشيئاً، وأن (المحلق) هنا يجدد ويعلي لهبها واشتعالها لتكون ناره أهدى لسارب الليل؛ وأجلب لطالب المعروف، وفيه من الدلالة على تمكن طبيعة السخاء والبذل ماليس في غيره)[2].

٥ - قول طريف بن تميم العنبرى:

أَوَ كُلَّمَا وَرَدَتْ عُكَاظَ قَبِيلَـةٌ بَعَثُوا إِلَيَّ عَرِيفَهُمْ يَتَوَسَّـمُ

(يذكر الشاعر بسالته وشهرته، وأنه كلما وردت قبيلة سوق (عكاظ) أرسلوا القيم على أمرهم يتوسم الوجوه ليتعرف على (طريف) طالباً للثأر منه؛ لأن له في كل قوم نكاية. لو وضع الاسم موضع الفعل وقال: بعثوا إلى عريفهم متوسماً؛ لذهب من المعنى حاشيته، وفسد الكلام. وذلك أنه أراد أن العريف يقع منه التوسم والتعرف والتأمل شيئاً فشيئاً، فهو دائم المراجعة والتصفح وتجديد النظر في وجوه القوم؛ وهذا يعنى أنه معنيٌّ جداً بالبحث عن (طريف)، ولو قال: (متوسماً) لكان المعنى أن العريف على صفة التوسم والتأمل دون إشعار بحالة التجديد)[3]، وليس التجديد مفاداً من (كلما) كما ذكر الدكتور إبراهيم بدليل أنها لو حذفت أو وضع مكانها (إذا) لظل التجديد قائما.

ويعد هذه التأملات في شواهد الإمام عبد القاهر والبلاغيين في هذه المسألة أرى أن ماقاله الدكتور إبراهيم أنيس إنما هو تعبير عن تذوقه وشعوره

(١) «المُحَلَّقُ» اسمه: عبد العزى بن خنتم بن شداد بن ربيعة المجنون بن عبد الله بن أبى بكر ابن كلاب، وسمى «المحلق»؛ لأن فرساً عضه فى خده عضه كالحلقة. (هامش تحقيق دلائل الإعجاز للأستاذ محمود شاكر: ص١٧٦ بتصريف).

(٢) خصائص التراكيب: ص٢٣٥.

(٣) خصائص التراكيب: ص٢٣٦.

ولذا قال (ولا أكاد أشعر بذلك الفرق) والشواهد السابقة لاتؤيد هذا الشعور ومقررات البلاغيين تخالفه ولاتقبله وقد حذر الإمام عبد القاهر من هذا الذى وقع فيه الدكتور/ ابراهيم أنيس، وكأنه يقصده بكلامه ويعنيه حين قال: (ولاينبغى أن يغرك أنا إذا تكلمنا في مسألة المبتدأ والخبر قدرنا الفعل فى هذا النحو تقدير الاسم، كما نقول فى «زيد يقوم» إنه فى موضع «زيد قائم»؛ فإن ذلك لايقتضى أن يستوى المعنى فيهما استواء لايكون من بعده افتراق؛ فإنهما لو استويا هذا الاستواء، لم يكن أحدهما فعلاً والآخر اسماً، بل كان ينبغى أن يكونا جميعاً فعلين أو يكونا اسمين) (١).

رحم الله عبد القاهر فقد صار الفعل والاسم عند الدكتور إبراهيم مستويين استواء لايكون من بعده افتراق، كأنهما جميعاً فعلان أو كأنهما اسمان!! فلا فرق بينهما!!

وإذا عدنا إلى الشواهد القرآنية التى استشهد بها الدكتور إبراهيم لنقارن بينها وندرك (مبالغة عبد القاهر ومغالاته) لوجدنا أنها ثمانية ... يجب أن نتمهل عندها قليلاً لنقارن وندرك ماأراد الدكتور لنا أن ندركه:

الشاهد الأول: قوله تعالى (وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ) البقرة ١٤. أراد الدكتور أن نقارن بين الاسم (مستهزئون) وبين الفعل المضارع فى قوله تعالى تعقيباً على ذلك (اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) البقرة ١٥.. والحقيقة أن بين الاسم والفعل فرق كبير، فالمنافقون آثروا التعبير بالاسم (مستهزئون) للدلالة على أن استهزاءهم بالمؤمنين ثابت دائم وهذا الثبوت والدوام امتداد للمقصود من قولهم قبل ذلك (إنا معكم) أى ثابتون على دينكم دائمون على ملتكم. وفى هذا تأكيد للمعنى وتقوية له .

وأما التعبير بالفعل المضارع (يستهزئ) دون الاسم ففيه دلالة على تجدد استهزائه تعالى بالمنافقين، قال الألوسي: (وعدل سبحانه عن: الله مستهزئ بهم المطابق لقولهم إلى قوله (الله يستهزئ بهم) لإفادة التجدد الاستمرارى، وهو أبلغ من الاستمرار الثبوتى الذى تفيده الاسمية؛ لأن البلاء إذا استمر قد يهون وتألفه النفس كما قيل:

---

(١) دلائل الإعجاز: ص١٧٧ .

خُلِقْتُ أَلُوفاً، لو رَجَعْتُ إلى الصِّبَا لفَارَقْتُ قلبي مُوجَعَ القَلْبِ باكياً

وقد كانت نكايات الله تعالى فيهم، ونزول الآيات في شأنهم أمراً متجدداً مستمراً (أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أو مَرَّتَيْنِ) (سورة التوبة ١٢٦) (يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَاتَحْذَرُونَ) (سورة التوبة ٦٤).

والشاهد الثاني: قوله تعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى على شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ على شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَايَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) (البقرة ١١٣). الشاهد في الآية قوله (فالله يحكم بينهم) استشهد به الدكتور لنقارن بين التعبير فيه بالمضارع (يحكم) والتعبير باسم الفاعل (الحاكمين) في قوله تعالى (وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ) (الأعراف ٨٧ ويونس ١٠٩ ويوسف ٨٠). والتعبير بالمضارع في الآية الأولى يدل على التجدد والاستمرار، وهذا ملائم للمقام لأن حكم الله بين اليهود والنصارى فيما كانوا فيه يختلفون محله يوم القيامة، ولما كانت اختلافاتهم في الدنيا متجددة ومتكررة بدليل استخدام المضارع (يختلفون) دون الماضي (اختلفوا) - ناسبها أن يكون حكم الله بينهم يوم القيامة متجدداً ومتكرراً في قضية بعد قضية واختلاف بعد اختلاف؛ ولذا آثر القرآن المضارع (يحكم) الدال على هذا التجدد .

وإيثار الاسم في قوله (وهو خير الحاكمين) للدلالة على الثبوت والدوام في الاتصاف بالحاكمية، أي أنه سبحانه (أفضل الموصوفين بالوصف فيما يراد منه، وفي موقعه وفائدته)[١]. فلما كانت هذه الجملة تكشف عن صفة من صفات ذاته سبحانه جئ بها على صيغة الاسم لأن صفاته ثابتة دائمة لاتقبل أن تزول ثم تتجدد، ولذا لايصح هنا أن يقال: وهو خير من يحكم .

والشاهد الثالث: قوله تعالى: (وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (البقرة ٢١٣ والنور ٤٦) أورد الدكتور إبراهيم هذه الآية

---

(١) التحرير والتنوير ٤/١٢٢ .

لنقارن بين التعبير بالمضارع فيها وهو (يهدى) والتعبير بالاسم (هاد) فى قوله تعالى (وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً) (الفرقان ٣١). وإيثار المضارع في الآية الأولى للدلالة على التجدد والاستمرار، أى أن هدايته تعالي لخلقه هداية متجددة ومستمرة، نراها تتجدد شيئاً فشيئاً ولحظة فلحظة، وهل يمر يوم على ظهر البسيطة دون أن يهدى الله فيه أحداإلى الصراط المستقيم، إن أفواج المهتدين متوالية ومتتابعة؛ ولهذا التجدد المستمر الذى يتحول به الناس من الضلال إلى الهدى، ومن الكفر إلى الإيمان، استخدم القرآن الكريم الفعل المضارع (يهدى) دون الاسم .

والتعبير بالاسم (هاد - نصير) في قوله تعالى: (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً) (الفرقان ٣١) فيه دلالة على الثبوت والدوام علي هاتين الصفتين (الهداية والنصر)، وهذا المعنى الذى يفيده الاسم يلائم المقام، لأنه إذا كان الهادى والنصير الذي يقف بجوار الرسول صلى الله عليه وسلم ثابتاً علي هاتين الصفتين ودائماً عليهما كان ذلك أدعى إلى الطمأنينة وعدم الاعتداد بعداوة المجرمين، والفعل المضارع يقتضى قطع الهداية والنصر ولو لزمن يسير ثم تجديدهما، ولذا كان التعبير بالاسم في هذا المقام هو البلاغة، فالآية (وعد كريم له عليه السلام بالهداية إلى كافة مطالبه والنصر على أعدائه، أى كفاك مالك أمرك، ومبلغك إلي الكمال (هادياً) لك إلى مايوصلك إلى غاية الغايات التي من جملتها تبليغ ماأنزل إليك، وإجراء أحكامه في أكناف الدنيا إلى أن يبلغ الكتاب أجله، (وناصراً لك) عليهم على أبلغ وجه)[١].

ويلاحظ في لغة القرآن[٢] أن الفعل (كفي) ورد على هذه الصيغة - أى صيغة الماضى الذى لم يتصل به ضمير ٢٧ مرة، وذكر بعده الاسم منصوباً علي الحال أوالتمييز فى ٢٦ مرة، ولم يذكر بعده الاسم المنصوب على الحال أو التمييز إلا مرة واحدة في قوله تعالى (وَكَفَي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ)

---

(١) روح المعانى ١٩/ ١٤).

(٢) ينظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن : (كفى) .

(الأحزاب ٢٥).وعلي ذلك فإن المضارع لم يذكر بدلاً من الاسم بعد (كفى) في أى من المواضع الستة والعشرين؛ لأنه لاوجه لذكره في هذه المواضع أصلاً، ومن ثم فالمقارنة التي يريدها منا الدكتور إبراهيم هنا لاتصح، ولو كانت تصح لوردت في القرآن الكريم ولو في موضع واحد!!

والشاهد الرابع: قوله تعالى **(وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)** (البقرة ٢٤٧) أراد منا الدكتور أن نقارن بين التعبير بالمضارع (يؤتى) فى هذه الاية والتعبير بالاسم (المؤتون) فى قوله تعالى في الحديث عن ظلم الذين هادوا: **(لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا)** (النساء ١٦٢).

وتأبى هذه المقارنة إلا أن تؤيد ماقرره البلاغيون من فرق بين الفعل المضارع والاسم فى طبيعة المعنى المستفاد من كل منهما، فالمضارع (يؤتى) فى الآية الأولى يدل على التجدد والاستمرار، أى التجدد في إيتاء الملك، ونقله من ملك إلى ملك، ومن سلطان إلى سلطان، فالملك في تنقل متجدد، ينزع من ملك، ليؤتى إلى ملك آخر، فلما كان ذلك متجدداً جاءت العبارة عنه بالمضارع هنا وفي كثير من الآيات، كما في قوله تعالي **(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ)** (آل عمران ٢٦).

والتعبير بالاسم فى الآية (والمؤتون الزكاة) دال علي الثبوت والدوام، وهذا المعنى ملائم لمقام المدح، أعنى مدح الراسخين فى العلم من أهل الكتاب والمؤمنين منهم بالكتب السماوية كلها والمقيمين الصلاة والمؤتين الزكاة والمؤمنين بالله واليوم الآخر، فمن تمام هذا المدح أن تكون تلك الصفات السابقة ثابتة فيهم ومتأصلة ودائمة لاتنقطع، وهذا مايفيده التعبير بالاسم في تلك الصفات كلها.. ومن بديع نظم الآيات أنها جمعت لهذه الزمرة المصطفاة من الذين هادوا المدح بأكثر من طريق = منها الاستدراك بـ(لكن) الذى قال عنه أبو حيان:

(مجيء لكن هنا في غاية الحسن، لأنها داخلة بين نقيضين وجزائهما، وهم: الكافرون والعذاب الأليم، والمؤمنون والأجر العظيم) [١] = ومنها القطع إلي المدح في (المقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة) وهو باب واسع في اللغة كثير المحاسن [٢]= ومنها استخدام صيغ الألفاظ التي تثبت لهم تلك الصفات الحميدة على جهة الثبوت والدوام المدلول عليها بالاسم .

والشاهد الخامس: قوله تعالى: (**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاتَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَامَاتُوا وَمَاقُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**) (آل عمران ١٥٦)

يرى الدكتور إبراهيم أن الفعل (يحيى) في الاية لايدل علي التجدد والاستمرار، وقارنه بالاسم(محيى) في قوله تعالى (**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)(فصلت ٣٩).

والتعبير في الآية الأولي بالمضارع (يحيى ويميت) فيه دلالة على التجدد والاستمرار، لأن هذه القدرة الإلهية نراها متجددة أمام أعيننا في كل لحظة، أحياء يولدون ليستقبلوا الدنيا ويفتتحوا كتاب العمر، وأموات يرحلون عنا بعدما طويت صحائفهم.. وهذه القدرة المتجددة يناسبها التعبير بالفعل المتجدد (يحيى - ويميت) .

والتعبير بالاسم في الآية الثانية (محيى) دون الفعل المضارع في غاية المناسبة، لأنه يكشف عن صفة من صفات الله، وصفاته سبحانه ثابتة دائمة والاسم هو الذي يعطى هذا المدلول .

والشاهد السادس: قوله تعالى: (**قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ، قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ**)

---

(١) البحر المحيط: ١٣٤/٤ .

(٢) ينظر الكشاف: ٥٨٢/١.

(الأنعـام ٦٣، ٦٤) وضع الدكتـور الفـعل (ينجـيكم) من جـملة (قل الله ينجـيكم) ليـقـارن بالاسم (منحوك) في قـوله تعـالى (**ولما أن جاءت رسلنا لوطاً سيئ بهم وضاق بهم ذرعاً وقالوا لاتخف ولاتحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين**) (العنكبوت ٣٣).

و المضـارع في الآية الأولى يدل على تجدد النجـاة، أي أنه سبـحانـه هو الذي ينجيهم من كل كرب يقعون فيه، نجاة متجددة بتجدد الكروب، فكلما نزل بهم كرب جدد الله لهم النجاة منه، والمضارع هو الذي يدل على هذا المعنى، ولو جاء بالاسم لما أفاد تجدد نعمة الله عليهم بالنجاة مرة بعد مرة .

واختيار الاسم في الآية الثانية ملائم للسياق الذي جاء فيه أتم ملاءمة، لأن الملائكة لما أن جاءوا لوطاً- عليه السلام - وضاق بهم ذرعاً، لأنه عليه السلام (قد عجز عن مدافعة قومه حتى آلت به الحال إلي أن قال «**لو أن لي بكم قوة أو آوي إلي ركن شديد**» (هود ٨٠).[1] فلجأ الملائكة الكرام إلي تأنيسه عليه السلام وطمأنته (وقالوا لاتخف ولاتحزن) أي لاتخف علينا من إيذاء قومك ولاتخف علي نفسك وأهلك، ولاتحزن علي تكذيب قومك، ثم وعدوه بالنجاة (**إنا منجوك وأهلك..**) زيادة في تأنيسه وطمأنته، وشأن من يعد بشئ أن يبرز نفسه في صورة الثابت علي وعده الدائم عليه، ولذا اختاروا الاسم (منجوك) بدلامن الفعل (ننجيك) لأن المضارع يقتضي التجدد بعد انقطاع ولو كـان يسـيراً، وهذا الانقطاع لايلائم المقـام - ولو رجعنا إلي نسق أوسع للآية لرأينا أن التعبير باسم الفاعل كثر في هذا النسق، فلما جاءت الملائكة إبراهيم (**قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية**) (العنكبوت ٣١) وقـالوا للوط (إنا منجـوك وأهلك..) (العنكبـوت ٣٣) ثم قـالوا له (**إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون**) (العنكبوت: ٣٤). فأوثر التعبير باسم ا لفاعل في هذا النسق ثلاث مرات (مهلكوا - منجوك - منزلون) فالملائكة ثابتون دائمون علي إهلاك قومه وإنزال العذاب بهم، وثابتون دائمون على نجاة لوط وأهله... فالاسم هنا في غاية الملاءمة .

---

(١) روح المعاني: ٢٠/١٥٥ .

الشاهد السابع: قوله تعالي (واللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) وهو جزء من الآيتين ١٠٧ سورة التوبة و ١١ سورة الحشر، والسياق في (التوبة) «وَالذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وكُفْراً وتَفْرِيقاً بَيْنَ المُؤْمِنِينَ وإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ ورَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ ولَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الحُسْنَى واللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) والسياق في (الحشر): «أَلَمْ تَرَ إلي الذين نَافَقُوا يَقُولُونَ لإِخْوَانِهِمُ الذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ ولاَنُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ واللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ».

واختيار المضارع (يشهد) فى الآيتين دال على التجديد والاستمرار، وهذا ملائم لسياق الآيتين، ففى الأولى يقسم أصحاب مسجد الضرار أنهم لايريدون ببناء المسجد إلا الحسنى أى أداء الصلوات والتوسعة على المسلمين فى مساجدهم ونحو ذلك، وهم يجددون هذا الحلف مرة بعد مرة، ولذا اختار القرآن الفعل المضارع (ليحلفن)، أى يكررون الحلف المؤكد، ويجددونه، وهذا يلائمه في تكذيبهم أن تجدد شهادة الله على كذبهم بتجدد حلفهم وأيمانهم، فاختار المضارع (يشهد) .. وكذا يقال فى الآية الثانية .

وأما اختيار الاسم (شاهد) فى الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم (يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً ومُبَشِّراً ونَذِيراً ودَاعِياً إلي الله بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً) (الأحزاب ٤٥، ٤٦). فهو فى غاية الدقة، لأنه يدل على الثبوت والدوام، فهو صلي الله عليه وسلم ثابت في رسالته على هذه الصفات (الشهادة والتبشير والإنذار والدعوة إلي الله وإنارة حياة الناس بهدايتهم إلى ربهم) فتلك من مهامه الملازمة، وصفاته الدائمة فى تبليغ رسالته. ومما يلفت فى هذه الأحوال الخمسة (شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً وسراجاً) أن ثلاثاً منها على صيغة اسم الفاعل، ويلاحظ أنه تعالى لم يقل (ومنذراً) كما قال (ومبشراً) لعموم الإنذار وخصوص التبشير، ولذا قال: (ونذيراً) بصيغة المبالغة[١].

---

(١) ينظر روح المعاني ٢٢/٤٥) .

الشاهد الثامن: قوله تعالى: (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) (المجادلة ١) أورد الدكتور هذه الآية للمقارنة بين المضارع (يسمع) فيها وبين الاسم (السميع) في قوله تعالى (وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (البقرة ١٣٧، الأنعام ١٣، ١١٥ والأنبياء ٤، والعنكبوت ٥، ٦٠) .

وإيثار المضارع في آية المجادلة قال عنه الألوسي: (وصيغة المضارع للدلالة على استمرار السمع حسب استمرار التحاور وتجدده) [١].

وإيثار الاسم في قوله (وهو السميع العليم) . لأنه يعبر عن صفة من صفات ذاته سبحانه، وصفاته ثابتة دائمة، فهو السميع العليم دائماً، أزلاً، وأبداً .

تلك محاولة لتطبيق المقارنة التي أرادها الدكتور من القارئ بين التعبير بالفعل المضارع والتعبير بالاسم في هذه الشواهد القرآنية الثمانية، ولو أن الدكتور بين لنا وجه استشهاده بالآيات لفهمنا مراده، ولكنه وكلنا إلى أنفسنا، وأحسن بنا الظن، فحاولت ماأقدر عليه، فانتهى بي لاإلى مايريد، بل إلى عكس مايريد، فكانت الآيات - عندي - حجة للبلاغيين لاعليهم .

سابعاً: مع رأيه في (المسند) و(المسند إليه) إذا كانا معرفتين:

قال الدكتور إبراهيم أنيس في حديثه عن التعريف والتنكير في الجمل الاسمية (جـ - جمل اسمية يكون فيها كل من المسند والمسند إليه معرفه، **وقد حاول عبد القاهر أن يفرق بين مثالين من صنعه، هما: زيد المنطلق، المنطلق زيد. فلقي من العنت والمشقة ماأجهده وأجهدنا معه.** ويظهر أن صعوبة تمييز المسند من المسند إليه في مثل هذه الجمل هو الذي ألجأ عبد القاهر وغيره إلى **تكلف الشطط** في علاجها .

(ويبدو لي أن المسند إليه في هذه الحالة هو المتحدث عنه، أي الشخص أو الشئ الذي نُعنَى بالحديث عنه، ونهدف إلى نسبة صفة إليه. ففي قوله تعالى (إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ

---

(١) روح المعاني ٢٨/٣).

النَّارُ) (١) تهدف الآية الكريمة إلى الحديث عن الكافرين ومأوى الكافرين في الآخرة؛ ولذا نعد (مأواه) في الآية المسند إليه، و(النار) المسند. فإذا أخذ الحديث صورة أخرى كتلك التي في سورة الأنعام، وهي: (قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) (٢) لم يمنع هذا من اعتبار (مثواكم) في الآية مسنداً إليه، و(النار) مسنداً. **ونلحظ أن كلمة (مأوى) تتقدم دائماً في الآيات القرآنية، في حين أن كلمة (مثوى) تتأخر، لالسبب ملحوظ سوى الرغبة في المغايرة بين الأساليب .**

(وهكذا نرى أن التركيب بين المسند والمسند إليه حين يكون كل منهما معرفة لايعدو أن يكون أن يكون أمر أسلوب، إذ لايكاد المعنى يختلف بتأخير أحدهما أو تقديمه .

(انظر أيضاً إلى قول يوسف لإخوته: «أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنا» (٣) فلا شك أن المسند إليه هنا هو الضمير «أنا»؛ لأنه يشير إلى شخص معين ماثل أمامهم يرون من سماته ومن ملامحه ومن زيه مالايتطرق إليه شكهم، وتهدف الآية إلى أن تصف ذلك الشخص الماثل أمامهم بوصف جديد يجهلونه وهو أن اسمه يوسف. كذلك قوله «هذا أخي»، فقد كانوا يشاهدون «بنيامين» ويرونه بأعينهم ويعرفون كل سماته، غير أنهم كانوا يجهلون أخوته للشخص الآخر الواقف أمامهم نرى من هذا أن معرفة ظروف الكلام وملابساته تيسر لنا التمييز بين المسند والمسند إليه في مثل هذه الجمل) (٤).

هذا هو رأى الدكتور في هذه المسألة، ولي معه وقفات؛ في أربع نقاط :

١ - قوله عن عبد القاهر إنه لقي من العنت والمشقة في هذه المسألة ماأجهده وأجهدنا معه، ثم لم يكتف باتهامه لعبد القاهر فقط، بل أضاف إليه

---

(١) المائدة: ٧٢ .

(٢) الأنعام: ١٢٨ .

(٣) يوسف: ٩٠ .

(٤) من أسرار اللغة: ص٣٢٣، ٣٢٤ .

(غـيـره) من البـلاغـيين الذين تكلفـوا الشطط فى عـلاج هــذه المسـألة والواقع أن الإمام عبد القاهر نفسه صرح لنا بصعوبة هذه المسألة، فقال: (واعلم أنه ربما اشتبهت الصورة في بعض المسائل من هذا الباب، حتى يظن أن المعرفتين إذا وقعتا مبتدأ وخبراً، لم يختلف المعنى فيهما بتقديم وتأخير) (١)، ثم قال: (وهو موضع غامض) (٢).

إن الإمام عبد القاهر شغوف جداً بمثل هذه الأساليب المتشابهة التى لايظن أن بينها فروقاً فى المعنى، ولذلك هو لايبحث فى الأمور الهينات ولاالمسائل الواضحات، وإنما ينقب عن مثل هذه الدفائن التى تحتاج إلى عقل ناضج وفهم واع وبصيرة بأسرار هذه اللغة!! أفيعاب عليه هذا؟ ويقال إنه لقى العنت والمشقة وتكلف الشطط ؟

٢ - إذا نظرنا إلى الرأى الذى انتهى إليه الدكتور إبراهيم بعدما رفض رأى الإمام عبد القاهر وجمهور البلاغيين نراه يقول: (ويبدو لى أن المسند إليه في هذه الحالة هو المتحدث عنه، أى الشخص أو الشئ الذى نعنى بالحديث عنه، ونهدف إلى نسبة صفة إليه.. إلخ) وهذا بعينه هو رأى الإمام عبد القاهر الذى يقول فيه: (وههنا نكتة يجب القطع معها بوجوب هذا الفرق أبداً، وهى أن المبتدأ لم يكن مبتدأ لأنه منطوق به أولاً، ولاكان الخبر خبراً لأنه مذكور بعد المبتدأ، بل كان المبتدأ مبتدأ لأنه مسند إليه ومثبت له المعنى، والخبر خبراً لأنه مسند ومثبت به المعنى) (٣). فهذا الذى (يبدو للدكتور) هو ماقرره عبد القاهر وأثبته منذ قرون!!!

---

(١) دلائل الإعجاز: ص١٨٧ .

(٢) دلائل الإعجاز: ص١٨٨ .

(٣) دلائل الإعجاز: ١٨٩ .

وعندما طبق الدكتور رأيه فى تحديد المسند والمسند إليه حين يكونان معرفتين على قوله الله – عز وجل – **«وَمَأْوَاهُ النَّارُ»** [١]، وقوله: **«النَّارُ مَثْوَاكُمْ»** [٢]= جعل المسند إليه في الآيتين هو: (مأواه – ومثواكم)، والمسند فيهما هو لفظ (النار) ولاعبرة – عنده – بالتقديم والتأخير .

ورأيه صحيح في الآية الأولى، [٣] دون الثانية، وهى قوله تعالى: **(النَّارُ مَثْوَاكُمْ)** حيث رأى الدكتور أن المسند إليه فى الآية هو لفظ (مثواكم) والمسند هو لفظ (النار)، والعكس هو الصحيح، فالمسند إليه فى الآية لفظ (النار) والمسند لفظ (مثواكم) [٤]، أى أنه تعالى حكم على النار بأنها مثواهم، فكأن النار فى هذه الآية محكوم عليها بأن تكون مثوى للظالمين من الجن وأوليائهم من الإنس الذين استمتع بعضهم ببعض في الدنيا! عقوبة لهم؛ ولذا ورد في الحديث أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال :**«تَحَاجَّتِ الجنةُ والنارُ، فقالت النار: أُوثِرْتُ بالْمُتَكَبِّرِينَ، والْمُتَجَبِّرِينَ، وقالت الجنة: مالى لايدخلنى إلا ضُعَفَاءُ الناس وسَقَطُهُم؟ قال الله – تبارك وتعالى – للجنة: أنت رحمتى، أرحمُ بك مَنْ أشاءُ من عبادى، وقال للنار: إنما أنت عذابى، أُعَذِّبُ بك من أشاءُ من عبادى، ولكل واحدةٍ منهما مِلْؤُها...»** [٥].

٣ – قول الدكتور فى النص السابق: (ونلحظ أن كلمة «مأوى» تتقدم دائماً فى الآيات القرآنية فى حين أن كلمة «مثوى» تتأخر؛ لالسبب ملحوظ

---

(١) المائدة: ٧٢ .

(٢) الأنعام: ١٢٨ .

(٣) ينظر الجدول فى إعراب القرآن لمحمود صافى: ٤١٧/٣ ط. دار الرشيد. ط. ثالثة ١٤١٦هـ=١٩٩٥م.

(٤) ينظر المصدر السابق: ٢٨٢/٤ .

(٥) رواه البخارى فى كتاب التفسير من سورة -ق): ١٩٢/٣ ط/ دار نهر النيل .

سوى الرغبة في المغايرة بين الأساليب)، فيه نظر = من حيث مافيه من استقراء للآيات القرآنية التي ورد فيها لفظا: (مأوى - ومشوى)= ومن حيث التعليل الذي ذكره الدكتور لهذه الملاحظة:

أ - **فأما من حيث الاستقراء** فهو استقراء ناقص؛ لأن لفظ (مأوى) ورد في الذكر الحكيم علي صورتين :

الصورة الأولى: أن يكون مضافاً إلى الضمير، حيث أضيف إلى ضمير المخاطبين (مأواكم) ٣ مرات = وإلى ضمير المفرد الغائب (مأواه) ٣ مرات = وإلى ضمير جماعة الغائبين (مأواهم) ١٢ مرة. وفي هذه المواضع كلها تقدم لفظ «مأوى» على «النار» أو «جهنم». فملاحظة الدكتور صادقة على هذه الصورة(١).

والصورة الثانية: أن يكون معرفاً بـ«أل»، وقد ورد علي هذه الصورة في أربعة مواضع في القرآن الكريم: قال تعالى **(فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلاً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)** (السجدة: ١٩)، **«عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى»** (النجم: ١٥)، **«فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى»** (النازعات: ٣٩)، **«فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى»** (النازعات: ٤١)، وملاحظة الدكتور لاتصدق علي هذه الصورة؛ لأن لفظ (مأوى) مؤخر دائماً في هذه الحالة .

ولفظ (مثواكم) لم يرد في القرآن الكريم إلا في موضعين: الموضع الأول في الآية التي استشهد بها الدكتور = وهي آية سورة الأنعام **(وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَامَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الذي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إلا مَاشَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ)** (الأنعام ١٢٨)= والموضع الثاني: قوله تعالى: **(واللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ)** (محمد: ١٩) .

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - وضعه محمد فؤاد عبد الباقي: (أوى) ط. مطابع الشعب ١٣٧٨هـ.

ب - **وأما من حيث التعليل:** فقد علل الدكتور هذه الملاحظة بأنها لم تكن إلا لمجرد المغايرة فى الأساليب، وهو تعليل لايكفى فى الكشف عما وراء هذه التراكيب من أسرار، وقد رفض كثير من علماء البلاغة تعليل مثل هذه المواضع في القرآن الكريم بالتفنن فى الأساليب أو مراعاة الفاصلة القرآنية، ورأى المحققون منهم أنه لابد مع هذه العلة اللفظية الصوتية من غرض معنوى، وسيأتى بيان ذلك في هاتين الآيتين إن شاء الله[1].

٤ - **جعل الدكتور الترتيب بين المسند والمسند إليه حين يكون كل منهما معرفة أمر أسلوب، ولايختلف المعنى عنده بتقديم أحدهما أو تأخيره:** وعلي هذا فلا فرق - عنده - بين أن نقول: (زيد المنطلق) و(المنطلق زيد)، ولافرق عنده بين: (أنت الحبيب) و(الحبيب أنت)، ولافرق عنده بين (زيد أخوك) و(أخوك زيد) .

هذا رأيه، وهو مخالف لما قرره الإمام عبد القاهر والبلاغيون من بعده، قال الإمام عبد القاهر: (وأما قولنا: «المنطلق زيد»، والفرق بينه وبين أن نقول: «زيد المنطلق» فالقول في ذلك أنك وإن كنت ترى في الظاهر أنهما سواء من حيث كان الغرض في الحالتين إثبات انطلاق قد سبق العلم به لزيد، فليس الأمر كذلك، بل بين الكلامين فصل ظاهر!!

(وبيانه أنك إذا قلت: «زيد المنطلق»، فأنت فى حديثِ انطلاقٍ قد كان، وعَرَّف السامع كونه، إلا أنه لم يعلم أمن زيد كان أم من عمرو؟ فإذا قلت: «زيد المنطلق» أزلت عنه الشك وجعلتَه يقطع بأنه كان من زيد، بعد أن كان يرى ذلك على سبيل الجواز .

(وليس كذلك إذا قدمت «المنطلق» فقلت: «المنطلق زيد»، بل يكون المعنى حينئذ على أنك رأيت إنساناً ينطلق بالبعد منك، فلم تُثْبِتْهُ، ولم تعلم

---

(١) ينظر ص٥٧٧ من البحث .

أزيد هو أم عمرو، فقال لك صاحبك: «المنطلق زيد»، أي الشخص الذى تراه من بُعْدٍ هو زيد) (١).

وهذا فرق في غاية الدقة واللطف؛ وقد التقطه البلاغيون بعد عبد القاهر، وزادوه إيضاحاً وشرحاً، فقال «سعد الدين التفتازانى»:(والضابط في هذه التقديم أنه إذا كان للشئ صفتان من صفات التعريف، وعرف السامع اتصافه بإحداهما دون الأخرى، فأيهما كان بحيث يعرف السامع اتصاف الذات به يجب أن تقدم اللفظ الدال عليه وتجعله مبتدأ. وأيهما كان بحيث يجهل اتصاف الذات به يجب أن تؤخر اللفظ الدال عليه وتجعله خبراً، فإذا عرف السامع زيداً بعينه واسمه ولم يعرف اتصافه بأنه أخوه وأردت أن تعرف ذلك قلت: «زيد أخوك»، وإذا عرف أخا له، ولم يعرفه على التعيين، وأردت أن تعينه عنده قلت: «أخوك زيد» ولايصح: «زيد أخوك») (٢).

وكلام العلامة «سعد الدين» في غاية الدقة، وخلاصته (أنك تبتدئ بالأعرف) وهى قاعدة مهمة لدلالتها علي أن (ترتيب الكلمات في العبارة يتبع أحوال النفس ومايثار فيها، أو مايمكن أن يثار فيها من معان وصور، فإذا كانت كلمة (البحر) تشير فى النفس (الماء) لا (النقع) وجب أن تسبق في الترتيب كلمة (الماء) استجابة لهذه الإثارة التى نهضت بها كلمة أو ترتيب سابق، فإذا قلت: (نقعه ماؤه) كنت قد أخرت فى اللفظ ماهو مقدم فى النفس، وتلك مجافاة تنبو بها الكلمات. وهذا مبحث جليل كما ترى، وهو يتجه في بحث بناء الأسلوب إلى أصوله ومنابعه الداخلية) (٣).

---

(١) دلائل الإعجاز: ص١٨٦ .

(٢) المطول على التلخيص لسعد الدين التفتازانى: ١٧٦-١٧٧ مطبعة أحمد كامل ١٣٣٠هـ نشر المكتبة الأزهرية .

(٣) خصائص التراكيب: ص٢٤٧، ٢٤٨ .

وإذا تأملنا في آية سورة الأنعام **(وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يامَعْشَرَ الجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَاشَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ)**[1] نجد أن الآية تدور أحداثها في يوم الحشر **(ويوم نحشرهم جميعاً)**، ومن أهوال هذا اليوم رؤية **(النار)** كما قال تعالى: **(وَرَأَى المُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوها وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفاً)**[2]، وقوله **(إِذا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً)**[3]، فناسب هذا المقام الابتداء بـ(النار)؛ لأنها أعرف للمخاطبين في هذا الوقت، فكأنه - تعالى - يقول لهذا الصنف من الجن والإنس يوم القيامة: هذه النار التى ترونها شاخصة أمام أعينكم هى مثواكم .

كما أن في الابتداء (بالنار) مناسبة لطيفة لتقديم (الجن) على (الإنس)؛ لأن (الجن) مخلوق من (النار) فناسبه الابتداء بها. وفيه أيضاً تعجيل للمساءة بذكر ما يسوؤهم ويقذف الرعب فى قلوبهم.

هذه خلاصة الفرق بين مثل هذه الأساليب التى يظن أنها متساوية، وأنه لافرق بينها، ولكن عند التحقيق نرى هذا الفرق الدقيق الذى أنكره الدكتور إبراهيم أنيس وجعله من قبيل التكلف والمغالاة.

ثامناً: مع رأيه فى أسلوب الاعتراض فى اللغة :

لم يوفق الدكتور إبراهيم أنيس فى فهم طبيعة أسلوب الاعتراض فى اللغة حين قال :**«وتأبى اللغة العربية بوجه عام الاعتراض بين جملها**

---

(١) سورة الأنعام: ١٢٨ .

(٢) سورة الكهف: ٥٣ .

(٣) سورة الفرقان: ١٢ .

إلا بتلك الجمل الدعائية من مثل : لانُضَّ فوه- وَيْلُ أُمِّه- رحمة الله عليه- أَيَّدَه الله»(١). والحقيقة أن اللغة العربية لا تأبى الاعتراض بين جملها بغير الجمل الدعائية، بل إن هذا اللون من الاعتراض كثير في اللغة وبخاصة في القرآن الكريم، فله فيه سلطان قاهر وأسرار عجيبة، حتى قال العلوي : «والاعتراض في القرآن الكريم أكثر من أن يحصى»(٢)، وقال ابن جني :«والاعتراض في شعر العرب ومنثورها كثير وحسن، ودال على فصاحة المتكلم وقوة نَفْسِه، وامتداد نَفَسِه»(٣).

والاعتراض بين الجمل في القرآن الكريم له سلطان قاهر وأسرار عجيبة، وليست شواهده مقصورة على تلك الجمل الدعائية التي ذكرها الدكتور، ولنأخذ على سبيل المثال قول الله تعالى :

(حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ. فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً فَإِذا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ)(٤)، فالآيتان معترضتان بين الآيات التي تفصل أحكام المطلقات والمتوفى عنهن أزواجهن ولنراجع السياق قبل الآيتين وبعدهما، فقبلهما قوله تعالى في شأن المطلقات: (لاجُنَاحَ عَلَيكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى المُوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى المُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعاً بالمعرُوفِ حَقّاً عَلَى المُحْسِنِينَ * وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلاَّ أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلا تَنْسَوا الفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ). (البقرة : ٢٣٦، ٢٣٧).

---

(١) من أسرار اللغة : ص ٣٢٨.

(٢) الطراز العلوى: ٢/ ١٧٢.

(٣) الخصائص لابن جني : ١/ ٣٣٥ تحقيق الأستاذ / محمد على النجار ط. دار الهدى..

(٤) سورة البقرة : (٢٣٨-٢٣٩).

ثم ذكر عز وجل آيتى المحافظة على الصلوات فى قوله (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاةِ الوُسْطَى...) (البقرة: ٢٣٨، ٢٣٩) وبعد هذا الاعتراض عاد النسق إلى ذكر أحكام المتوفى عنهن أزواجهن فقال تعالى : **(والذِينَ يُتَوَفَّونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعاً إلى الحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلا جُنَاحَ عَلَيكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِى أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى المُتَّقِينَ)** (البقرة : ٢٤٠، ٢٤١).

فأى مناسبة سوغت المجئ بالأمر بالصلاة والمحافظة عليها وسط هذا النسق المتصل؟ لاشك فى (أن توسط الأمر بالمحافظة على الصلوات مشعر بما يجب على المؤمن إذا وقع فى مشاغل أحكام النساء من الطلاق والعدة ونحو ذلك، إذ يجب عليه ألا تشغله تلك الأحكام عن الصلوات، فناسب توسط الاعتراض توسط الصلاة وتخللها بين تلك المشاغل، وقطعها الصوارف عن باب الله) (١).

ومن نماذج الاعتراض فى القرآن الكريم قوله تعالى :**(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيكُمْ شَهِيداً)** (البقرة : ١٤٣) فهذه الآية اعتراض بين آيات تحويل القبلة فإن قبلها قوله تعالى :**(سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَاوَلاَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ التِى كَانُوا عَلَيهَا قُلْ لِلَّهِ المَشْرِقُ وَالمَغْرِبُ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ إِلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)** (البقرة: ١٤٢) وبعد هذه الآية جاءت الآية المعترضة التى تعلن وسطية هذه الأمة:**(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً...)** وبعد هذا الاعتراض عاد السياق إلى الحديث عن تحويل القبلة فقال تعالى :**(وَمَا جَعَلْنَا القِبْلَةَ التِى كُنْتَ عَلَيهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ. قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا...)** (البقرة : ١٤٤، ١٤٥).

---

(١) الاعتراض فى القرآن الكريم دراسة بلاغية تحليلية: رسالة (ماجستير) مخطوطة بكلية اللغة العربية بالقاهرة : ص ٧٣، إعداد سلامة جمعة داود.

قال الألوسي : («وكذلك جعلناكم أمة وسطا» اعتراض بين كلامين متصلين، وقعا خطابا له (صلى الله عليه وسلم)، استطرادا لمدح المؤمنين بوجه آخر، أو تأكيدا لرد الإنكار بأن هذه الأمة وأهل هذه الملة شهداء عليكم يوم الجزاء، وشهادتهم مقبولة عندكم، فأنتم إذاً أحق باتباعهم والاقتداء بهم، فلا وجه لإنكاركم عليهم) [١].

والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى وتدل على أن ما قاله الدكتور/ إبراهيم أنيس من أن اللغة العربية تأبى الاعتراض بين جملها بغير الجمل الدعائية نحو: رحمة الله عليه- لافُضَّ فُوه... كلام لم يحالفه التوفيق .

تاسعاً: مع رأيه بأن المفعول لايصح أن يسبق ركنى الإسناد :

رأى الدكتور إبراهيم أنه لايصح تقديم المفعول على ركنى الإسناد ، فقال : (ولست أغالى حين أقرر هنا أن المفعول لا يصح أن يسبق ركنى الإسناد فى الجمل المثبته، كما يزعم أصحاب البلاغة فى تلك الأمثلة المصنوعة من نحو: زيدا ضربت، زيدا ضربته!! أما التقديم فى مثل الآيات القرآنية :«إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» [٢]«فإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ» [٣]، «وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» [٤]، «خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ» [٥]، «فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ. وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ» [٦]- فالأمر فيه لايعدو أن يكون رعاية لموسيقى الفاصلة القرآنية؛ فهى إذن أشبه بالقافية الشعرية التى يحرص الشاعر على موسيقاها كل الحرص) [٧].

---

(١) تفسير روح المعانى للإمام الألوسى: ٣/٢ ط. دار الفكر ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

(٢) الفاتحة : ٥. (٣) العنكبوت: ٥٦.

(٤) البقرة : ٥٧. (٥) الحاقة: ٣٠.

(٦) الضحى: ٩، ١٠. (٧) من أسرار اللغة: ص ٣٣٣.

انتهي كلام الدكتور إبراهيم، وإذا كان :«زيدا ضربت» و«زيدا ضربته» من الأمثلة المصنوعة التى وضعها البلاغيون ليثبتوا لنا (زعمهم) جواز تقدم المفعول على ركنى الإسناد، فهل الآيات القرآنية التى استشهد بها الدكتور من صنع البلاغيين؟

ولكن الدكتور حين لم يجد سبيلا أمام هذه الشواهد القرآنية الصادحة بتقديم المفعول لجأ إلى القول بأن هذا التقديم فى الآيات لامعنى له، لأنه أمر شكلى لمجرد المحافظة على موسيقى الفواصل القرآنية.. وبهذا أنكر دلالة هذا التقديم على القصر فى مثل قوله- عز وجل-**«إياك نعبد وإياك نستعين»** وصار التقديم فى هذه الآية- كما يرى الأستاذ- يستوى هو والتأخير من حيث المعنى، فلا فرق بين الآية الكريمة وبين قولنا: نعبدك ونستعين بك. وهذا بعيد غاية البعد!!

وماذا يقول الدكتور فى المفعول المقدم بعيداً عن الفاصلة كما فى : (أفغير دين الله يبغون) آل عمران ٨٣، (قل الله عبد مخلصا له دينى) الزمر ١٤، (بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) الزمر ٦٦.

عاشراً: إنكاره دلالة النفى والاستثناء ودلالة إنما على القصر:

أنكر الدكتور إبراهيم أنيس دلالة النفى والاستثناء على القصر، كما أنكر دلالة «إنما» عليه، وهذا من أكبر الغرائب التى ذهب إليها، لأن دلالة هذين الأسلوبين على القصر من المسلمات اللغوية، ومن البديهيات الفطرية التى يعلمها كل الناس.

وقد وقف الدكتور/محمد أبو موسي مع الدكتور إبراهيم أنيس وقفة طويلة ومتأنية فى هذه المسألة وناقشه فيها مناقشة علمية رائعة.

وحسبى هنا أن أعرض- بإيجاز شديد- خلاصة هذه المناقشة، ولا أزيد، ففيها الكفاية والسداد:

(١) إنكاره دلالة النفي والاستثناء على القصر:

قال الدكتور إبراهيم أنيس في هذه المسألة: «والذي قد يثير اهتمام الباحث اللغوي المحقق هو استعمال (إلا) حين تسبق بالنفي، وهو ذلك الاستعمال المسمى عند البيانيين بالقصر مثل **(وما محمد إلا رسول)** [١].

فقد دق على أذهان بعضهم معنى هذا الاستعمال، ومواضع الكلام التي تتطلبه، واكتفى أهل البيان بأن عرضوه علينا كوسيلة من وسائل القصر، مثلها في هذا مثل (إنما أنت نذير) [٢]**، حتى جاء الجرجاني وحاول التفرقة بين الاستعمالين في كتابه دلائل الإعجاز** [٣].

كان هذا النص الخطير هو أول خيط التقطه الدكتور أبو موسي وأدار حوله مناقشته مقدما بين يديه، ثم معقبا عليه، فقدم بين يديه بقوله: **«لم نقرأ دراسة أنكرت دلالة النفي والاستثناء على القصر إلا ما كتبه المرحوم إبراهيم أنيس في كتابه من أسرار اللغة** في فصل: منطق اللغة، وفي مسألة النفي اللغوي، **ويبدو أن الأستاذ قد أضاف هذا البحث إلى كتابه بين البحوث التي أضافها في الطبعة الثانية، وهذا يعني أنه أدار في نفسه الفكرة، وعكف عليها، ورأى من تحقيق الفائدة العلمية للكتاب أن يضاف إليها. والمرحوم إبراهيم أنيس من الذين أثاروا أفكارا كثيرة حول كثير من القضايا اللغوية، واستجاشوا نفرا من الدارسين في هذا الميدان، ولهذا صار من حقه علينا أن ننبه إلى ما نراه فيما كتب** [٤]».

---

(١) آل عمران: ١٤٤.

(٢) هود: ١٢.

(٣) من أسرار اللغة: ١٨٨.

(٤) دلالات التراكيب: ١٣٠.

ثم عقب الدكتور أبو موسي على النص السابق «ببيان مافيه من استخفاف بعلماء البلاغة الذين عدوا هذا الأسلوب وسيلة من وسائل القصر، كما أن كلام الدكتور إبراهيم يوهم أن علماء البيان قبل عبد القاهر درسوا هذا الأسلوب وجعلوه نظير «إنما» في الدلالة على القصر حتى جاء عبد القاهر، والحق خلاف ذلك؛ لأنه لم يشغل أحد من البيانيين قبل عبد القاهر بهذا الأسلوب(١).

وخلاصة رأى الدكتور إبراهيم في هذه المسألة أن هذا الأسلوب لايفيد القصر، وأنه لايعدو أن يكون تأكيدا للكلام وتوضيحا له(٢)، فأغفل دلالة الأسلوب على القصر «وهو المعنى الأهم أو المعنى الأم في هذا التركيب»، ودلالة الأسلوب عليه دلالة وضعية كدلالة لفظ رجل على معناه، وهي دلالة فطرية حتي لنراها في كلام الأطفال والعامة، والاستشهاد على صحتها تكلف والخلاف فيها مغالطة(٣).

ثم أورد الدكتور إبراهيم أنيس مجموعة من شواهد البلاغيين في باب القصر محاولا إبراز مافيه من تأكيد للمعنى وتقوية له، وأن التوكيد هو كل مايفيده النفي والاستثناء فيها، ورد عليه الدكتور أبو موسى بأنه أغفل المعنى الأهم للنفي والاستثناء في تلك الشواهد، وأن التأكيد الذي يريد الدكتور إبراهيم أن يقصر دلالة الأسلوب عليه يحتاج إلى بيان طريقه، وإظهار كيف كان، وهذا ما لم يحاوله الدكتور وغفل عنه، ولو حاول لما وجد لهذا التأكيد طريقا سوى ما في الأسلوب من معنى القصر، الذي هو أثبات شيء لشيء ونفيه عما سواه(٤).

---

(١) دلالات التراكيب: ١٣٠.

(٢) المصدر السابق: ١٣١ بتصرف.

(٣) ينظر المصدر السابق: ١٣١، ١٣٢.

(٤) ينظر دلالات التراكيب: ص ١٣٤، ١٣٥.

٢) إنكاره دلالة «إنما» على القصر:

وكما أنكر الدكتور إبراهيم أنيس دلالة النفى والاستثناء على القصر أنكر كذلك دلالة «إنما» عليه، وقال إنها لاتفيد إلا مجرد التوكيد فحسب، مثلها في ذلك مثل النفي والاستثناء، والفرق بينهما- كما يرى- هو أن النفى والاستثناء تأكيد نفى، و«إنما» تأكيد إثبات.

قال الدكتور/إبراهيم: «أدركنا أن القصر بالنفى مع الاستثناء لايماثل القصر بـ«إنما»، **وأن ما قاله البلاغيون من تساوى الأسلوبين فيه كثير من التجوز ولايكاد يمت لأساليب اللغة بصلة وثيقة**(١).

وعلق الدكتور/محمد أبو موسى على هذا النص الخطير بقوله : **«وليس فى هذا النص إلا الخطأ والنفاجة، أما الخطأ فهو قوله :«ما قاله البلاغيون من تساوى الأسلوبين»؛ لأننا لم نعرف واحدا منهم قال بذلك، بل إن كتبهم المدرسية المبذولة تحرص على بيان مابينهما من فروق من يوم أن تحدثوا عنهما إلى الآن....**

وأما النفاجة، فهى مافى هذا الكلام من ادعاء، وما يوهمه من أن البلاغيين جميعا انخدعوا بما لايمت لأساليب اللغة بصلة، وأنه- رحمه الله- أدرك مابين الأسلوبين، (والنفاجة فى كلامهم: فخر الرجل بما ليس له)(٢).

وجعل الدكتور/ إبراهيم التأكيد بـ«إنما» نظير التأكيد بـ«إن» الناصبة، و«لام» التأكيد، و«القسم» وغيرها من وسائل التأكيد، وقد أبطل الإمام عبد القاهر هذا الوهم الذى ذهب إليه الدكتور إبراهيم أنيس بعد تسعة قرون، قال الدكتور أبو موسى «وكان عبد القاهر- رحمه الله- أشف إدراكا وأكثر وعيا بالدلالة حين ذكر أن انضمام «ما» إلى «إنّ» - لايعنى أنها أبطلت عملها

---

(١) من أسرار اللغة: ص ١٩٠.

(٢) دلالات التراكيب: ص ١٦٣ بتصرف.

فحسب وأبقت دلالتها على التوكيد كما يفهم من تسميها بالكافة- حتى يصح إلحاق «إنما» بـ«إن» والقسم وغيرها من وسائل التوكيد- وإنما أحدثت «ما» في دلالة «إن» شيئا غير الذى كان، هو الإثبات والنفى»[١].

حادى عشر: مع رأيه فى أن الخبرية المنفية فى قوة نقيضها المثبت:

يرى الدكتور إبراهيم أنيس أن الجملة الخبرية المنفية فى قوة نقيضها المثبت، وعلى هذا فقولنا: «أنت لاتكذب»- فى رأيه- فى قوة قولنا: «أنت تصدق»[٢]. وقد رد عليه ذلك شيخنا الدكتور/ صباح دراز، فقال: «وهذا خطأ بلاغى؛ لأن لكل كلمة روحا وإيحاء خاصا، ودلالة معينة، توضع بقدر فى مكانها من جسم التركيب. وتأمل كيف تكون الفوضى التعبيرية لو أبدل الأسلوب المنفى على طوله بمثبت قصير، وأن نضع مكان: «**وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**»[٣]، القول: «وأن الله يعدل جدا»؟ البلاغة إذن حساسية وذوق متوهج، وفن مرفرف ملائكى، لاتوزن، ولاتكال، ولا يعقلها إلا العالمون»[٤].

وكون المنفية فى قوة نقيضها المثبت، معناه: أن لكل جملة منهما **(قوة)**، وأن الدكتور قام بقياس قوة كل منهما فوجدها متساوية، فقال: إن الخبرية المنفية **(فى قوة)** نقيضها المثبت... ولو قال: (فى معناها) لكان- مع بعده عن الدقة- شبيها بالصواب، أما أن تكون المنفية **(فى قوة)** نقيضها المثبت، فلا!!

---

(١) دلالات التركيب: ص ١٦٥.

(٢) ينظر من أسرار اللغة: ص ٢٢٣ ومابعدها.

(٣) من الآية ١٨٢ سورة آل عمران، ٥١ سورة الأنفال، ١٠ من سورة الحج.

(٤) دراسات بلاغية للأستاذ الدكتور/ صباح عبيد دراز: ص ٢٣٥، ط. عام ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

والفرق كبير بين ما يشيعه لفظ (الصدق) فى الأسلوب من معان ينشرح لها الصدر، وتطمئن لها النفس، ونحو ذلك من المعانى التى يعبق بها الأسلوب حين تذكر فيه جملة (أنت تصدق)، بخلاف قولك (أنت لاتكذب)؛ فإن ذكر (الكذب) فيه- وإن كان مسبوقا بالنفى- ليس كالتصريح بلفظ (الصدق) ومافيه من معان.

وبعد:

فهذه إحدى عشرة مسألة بلاغية مما رآه الأستاذ الدكتور/ إبراهيم أنيس، حاولت- قدر الطاقة- أن أبين ما رأيته فيها من مخالفة سافرة لما اصطلح عليه علماء البلاغة، مع اعترافى له بالفضل والعلم، وتقديرى لجهوده فى خدمة اللغة، في مجال آخر غير البلاغة كان فيه الحائز علي قصب السبق، والعالم النحرير الذى تضرب إليه أكباد الإبل .

والله أسأل أن يرزقنا الهدى والسداد، فهو من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله علي سيدنا محمد النبى الأمى الحبيب وعلى آله وصحبه وسلم.

ثبت بأهم المراجع

١- أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني. بتحقيق هـ. ريتر ط. مكتبة المتنبى.

٢- أصالة الإعراب ودلالته على المعانى فى اللغة العربية د/محمد حسن جبل- مطبعة التركى بطنطا- ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٣- التراث المجمعى فى خمسين عاما للأستاذ/ إبراهيم الترزى- نشر مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

٤- تفسير روح المعانى للألوسى (العلامة أبى الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسى البغدادى المتوفى سنة ١٢٧٠هـ) ط. دار الفكر ١٤٠٨هـ/١٩٧٨م.

٥- الجدول فى إعراب القرآن وصرفه وبيانه، تصنيف /محمود صافى ط/دار الرشيد/ بيروت ط. ثالثة ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٦- خزانة الأدب لعبد القاهر البغدادى. تحقيق/عبد السلام هارون- نشر مكتبة الخانجى ١٤٠٠هـ-١٩٨١م.

٧- خصائص التراكيب د/محمد محمد أبو موسى ط. ثالثة. نشر مكتبة وهبة.

٨- الخصائص لابن جنى- بتحقيق الأستاذ/ محمد على النجار- ط/ دار الهدى.

٩- دراسات بلاغية للأستاذ الدكتور/ صباح عبيد دراز ط. ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

١٠- دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجانى- بتحقيق الأستاذ/محمود محمد شاكر- مطبعة المدنى- نشر مكتبة الخانجى.

١١- دلالات التراكيب: دراسة بلاغية- د/محمد محمد أبو موسى- ط. دار التضامن ط. ثالثة ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م نشر مكتبة وهبة.

١٢- ديوان أبى تمام بشرح الخطيب التبريزى- تحقيق/محمد عبده عزام ط. دار المعارف ط. رابعة.

١٣- ديوان ابن المعتز (الخليفة العباسى) بتحقيق د/محمد بديع شريف ط. دار المعارف.

١٤- ديوان حسان بن ثابت الأنصارى ط. دار ابن خلدون.

١٥- ديوان عمر بن أبى ربيعة بشرح الشيخ/ محمد محيى الدين عبد الحميد- مطبعة المدنى. ط. ثالثة ١٣٨٤هـ-١٩٦٥م.

١٦- شروح التلخيص للتفتازانى والمغربى والسبكى والدسوقى- ط. دار السرور.

١٧- صحيح البخارى (أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى) ط. دار نهر النيل.

١٨- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للإمام يحيى ابن حمزة العلوى اليمنى- طبعة كاملة فى مجلد واحد- ط. دار الكتب العلمية. بيروت. ط. أولى ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

١٩- عبد القاهر الجرجانى: د. أحمد أحمد بدوى- سلسلة أعلام العرب.

٢٠- الاعتراض فى القرآن الكريم دراسة بلاغية تحليلية: رسالة تخصص (ماجستير)- إعداد/ سلامة جمعة علي داود- مخطوطة بكلية اللغة العربية بالقاهرة.

٢١- مجلة مجمع اللغة العربية- العدد ٤٠ -ط. المطابع الأميرية.

٢٢- محاضر جلسات المجمع فى الدورة العشرين- ط. المطابع الأميرية.

٢٣- مقدمة تحقيق الأستاذ/ محمود محمد شاكر لكتاب أسرار البلاغة- مطبعة المدنى ط. أولى ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

٢٤- المطول على التلخيص لسعد الدين التفتازانى- مطبعة أحمد كامل ١٣٣٠هـ/١٩٧٢م- نشر المكتبة الأزهرية.

٢٥- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم- وضعة/محمد فؤاد عبد الباقى- مطابع الشعب ١٣٧٨هـ.

٢٦- من أسرار اللغة د/ إبراهيم أنيس- مكتبة الأنجلو المصرية- ط. رابعة ١٩٧٢م.

٢٧- الموازنة بين الشعراء فى دلائل الإعجاز- عرض وتعليق/ سلامة جمعة داود- بحث مخطوط لدى الباحث.

****

الفهرس

رقم الإيداع
٩٩/٦١٩٦

التركى

للكمبيوتر وطباعة الأوفست

٧ ش عمر زغفان - ت ٣٣٧٥٦٤- طنطا